شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

رقم ٦٧ — حزيران (يونيو) ١٩٧٧

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحاث ، بيروت .

مدير التوزيع : غازي دانيال

ثمن العدد : ٢/١ ٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٨ دراهم في دولة الامارات العربية ، ٢/١ ٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف بريشة
سيتا. مونوكيان

المحتويات

صفحة ٤ **لا شيء يثير الدهشة** ، محمود درويش ٠

٧ **الانتخابات الاسرائيلية : المأزق والتحدي** ، صبري جريس ٠
٢٠ **استقالة رابين : نهاية اللعب على الحبال** ، د٠ الياس شوفاني ٠

٣٣ **حوار مع فاروق قدومي : احتمالات الحرب اكبر من احتمالات السلام** ٠

٥٤ **دور البحرية العربية في البحر الاحمر** ، محمود عزمي ٠
٧١ **قضايا تنظيمية في الطريق الى الوحدة** ، محجوب عمر ٠

٨٢ **الاطماع الاستعمارية البريطانية في فلسطين** ، علي حسين خلف٠

٩٥ **ضاحكا جاء الموت الى تل الزعتر (شعر)** ، الطاهر بنجلون ٠
١٠٢ **نورما ورجل الثلج (قصة)** ، يحيى يخلف ٠
١١٣ **راشد حسين : النار والمرآة** ، كمال بلاطة ٠

١١٦ **ملاحظات حول الانتفاضة في الارض المحتلة** ، هشام هواري ٠
١٢٥ **يوم الارض : الذكرى الاولى** ، توفيق فياض ٠
١٤٩ **المستعمرات الاسرائيلية في الضفة الغربية** ، د٠ نافذ يوسف نزال ٠

صفحة ١٧٠ مراجعات : **تحليل نفساني لتاريخ الصهيونية**، د٠صفية سعاده ٠ **كاريكاتور ناجي العلي** ، فاروق وادي ٠ **من الاجنحة** ، عباس مراد ٠

١٨٣ **تقارير : (١) يوم جنبلاط اللبناني ـ العربي ـ العالمي** ، انور خالد ٠ **(٢) السجون الاسرائيلية واقع ونضالات** ، صبحي طه ٠ **(٣) مؤتمرات الطيران المدني** ، الرائد الطيار حسين عويضة ٠

٢٠٥ **رسائل : رسالة بودابست** ، شاندور هارماتي ٠ **رسالة واشنطن**، نبيل حاتم ٠

٢١٣ **مناقشات ؛ رد على رد** ، عبد القادر ياسين ٠

٢١٦ **شهريات : (١) المقاومة الفلسطينية** ، بلال الحسن ٠ **(٢) المناطق المحتلة** ، ناشي طه **(٣) اسرائيليات : (أ) الاسرائيليون يضخمون الاستعدادات العربية للحرب** ، حمدان بدر ٠ **(ب) الانتخابات الاسرائيلية انتصار لليمين** ، حنة شاهين ٠ **(ج) مناحيم بيغن من الارهاب الى السلطة** ، ح٠ب٠

٢٤٨ **جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية** ، مروان حميد ٠

لا شيء يثير الدهشة

□ جاء حزيران المعاشر · الشهر الذي كادت ارادة القتال العربية تحوله الى ذكرى ، يشهر الان وجهه القديم · يمد لسانه الاسود ساخرا من اللحظة العربية الرائجة · يشعل الضوء الاحمر · يتشبث بالوطن الفلسطيني كله وباطراف من الارض العربية · ويعلن : لن ارحل عن هذا الزمان ·

لا شيء يثير الدهشة ·

ولكن كل شيء يدعو الى اليقظة ·

لقد اختار الاسرائيليون مصيرهم · اختاروا زنزانة العمر · وقرروا المضي في الدائرة الضيقة ذاتها : لن يرفعوا رؤوسهم عن حائط المبكى · تلك مأساتهم ؟ صحيح · ولكنها تحدينا الكبير ، يتجدد ويعاند ·

مساديون ·· يائسون · لهم حرية واحدة : اختيار الطريقة التي تضمن لهم الوصول الى الانتحار · ولكنهم ليسوا حائرين · احتاروا مرة واحدة ، حين ذهب العرب الى تشرين فهزوا اعمدة الهيكل ، وسموا مسادة باسمها · وعندما فرط العرب بمقدمات النصر ، بشكل فذ ، وجلسوا في انتظار الغيرة الامريكية على الحق العربي ، وفي انتظار التحولات الاسرائيلية ، خرج الاسرائيليون من حيرتهم ، وازدادوا تعلقا بروح حزيران ·

من المفيد ان نتريث قليلا في ترسيخ الانطباع الاول الذي تقدمه لنا نتائج الانتخابات الاسرائيلية التي اتخذ انتظارها ـ على الرصيف العربي ـ طابع تحديد المصير ، دون ان يخجل الكثيرون من المنتظرين العرب مما يحمله هذا الانتظار « الديمقراطي » من ايحاءات تحرجهم ، وايحاءات تعلق على التجمع المعادي آمال الاختيار السلمي المتحرر من الباب التاريخي المسدود ·

من المفيد ان نتريث ولكن من المفيد ان نعرف ان حزب العمل الاسرائيلي لم يسقط وحده في الانتخابات · بل سقطت معه ، وقبله ، طريقة العمل التي انتهجها بعض المسؤولين العرب في ادارة الصراع ، والتي جندت الطاقات والوقت لشن حرب السلام على حزب العمل ، ولمحاصرة قلعة الاغتصاب الصهيوني بالتسامح والتنازلات من ناحية · وشنت الحرب المسلحة على الجياع العرب حينما طالبوا برغيف خبز وحذاء من ناحية اخرى · وهكذا ·· هكذا اشتركوا في اعادة الروح الى حزيران ·

[نجمع الان على القول ان انقلابا قد وقع داخل السلطة الاسرائيلية فعلا · ولكن لا يقول الكثيرون منا ان هذا الانقلاب قد سبقه ، ومهد له موضوعيا ، هـــذا الانقلاب الكبير الذي وقع داخل العلاقات العربية ، على مستوى المسالة الاجتماعية وعلى مستوى المسالة الوطنية ، جعل الاسرائيليين اكثر اندفاعا نحو التطرف لانه جعلهم اكثر استهتارا بقدرة هذا الخط العربي السائد على تهديد امنهم ، ودفعهم الى منطقة المازق الذي لا خروج منه الا بالرضوخ لبعض المطالب العربية ·

لا شيء يثير الدهشة

فالانقلاب الاسرائيلي الداخلي ما زال بعيدا عن ان يحدث تحولا على المستوى الخارجي ، على مستوى قانون الحرب او السلم ، وعلى مستوى طبيعة الدور الذي تؤديه الدولة الصهيونية في منطقة الشرق الاوسط · وان كانت الاجتهادات القائمة على فهم تركيب عقلية ليكود ، وعلى قابلية بعض العرب للتنازل مما يوقظ شهية المزيد من التصلب ، تستنتج ان التحديات التي يطرحها الانقلاب الاسرائيلي الداخلي على العرب ستزداد عنفا ، وستقتضي من العرب التراجع عن الانقلاب الذي وقـع في عقليتهم وفي طريقة ادارتهم للصراع ·

ان تعثر « مسيرة التسوية » الذي يفجع البعض ليس ناشئا عـــن تغير الادارة الاسرائيلية ، كما ستعلن واشنطن لزائريها بأسف ، فالادارة السابقة هي التي خلقت حقائق العدوان طيلة ثلاثين عاما ، وهي التي رفضت التعامل مع الحد الادنى من شروط السلم العربي : الانسحاب والدولة الفلسطينية · ان وضوح لغة ليكود ستكون انعكاسا واقعيا لوضوح الامر الواقع الذي بناه السلاح الاسرائيلي ، بقيادة العمل ، على الارض العربية · وسيقال كلام كثير ، واقعي وخيالي ، عن دور الولايات المتحدة في صياغة الانقلاب الاسرائيلي الداخلي · وسيكون الانسياق وراء تفاصيل مثل هذه الاسئلة ضياعا للوقت · لان المسالة الاكثر وضوحا وجوهرية هي ان التلاحم الاميركي ـ الاسرائيلي هو الذي يحدد حجم اسرائيل في تحولاتهـــا التدريجية من « دولة عادية » الى « دولة كبرى » ، ومن حارسة نفط الى مانعـــة صواعق في الشرق الاوسط ·

فهل سيجد الجالسون على محطة القطار الاميركي الذي سيأتي بالسلام ويعود بالنفط والسكينة ذريعة جديدة لاعفاء اميركا من مسؤولية استمرار اسرائيل في مواقعها ومواقفها وفي ذهابها نحو المزيد من التصلب ؟

ان السؤال كله مطروح على العرب ويمكن صياغته بطريقة اكثر ايجازا : هل

النفط للعرب ام ان العرب للنفط ؟ ان تحديد طبيعة هذه العلاقة بين العرب وبين مصادر قوتهم هو الذي يحدد ، فيما يحدد ، قدرتهم على فرض شروطهم ·

وعاد حزيران · الصقور تحتل الافق · وتشرين ينزلق من اليد العربية · وموجة البرد التي اجتاحت واشنطن في الشتاء الماضي قد تنسي صاحب الابتسامة المدروسة جيدا في البيت الابيض وعودا كثيرة قدمها لزائريه · وماذا بعد ؟ عاد حزيران · ونسي الاسرائيليون ، قليلا او كثيرا ، عبرة تشرين بعدما اسقطوا في اواخر الربيع القيادة المسؤولة عن انتهاك حرمة يوم الغفران وخرافة الامن الابدي، والمسؤولة عن ارتفاع سعر الخبز والحليب والسرقة وضياع القيم · واختاروا اعلانا اوضح عن حقيقة مطالبهم · ان بطاقة بيغن الشخصية تعبير مكثف عن سجل تاريخ الارهاب الصهيوني على ارض فلسطين « انا احارب،اذن انا موجود »·

الاسرائيليون الان في اوج الرفض الناتج عن وعيهم ، الباطني والعلني ، لدور هذا الخط في تاسيس كيانهم ، والناتج عن مازق الخيارات ، والمعبر عن عجزهم عن التكيف مع احتمالات ·· مجرد احتمالات انذرتهم بان للوجود البشري مكونات اخرى غير العنف والعنصرية والعزلة · لم يعتادوا التفكير بمثل هذا الاختيار · لم يلامسوا مثل هذا الحلم ! فهل يستطيع الحزب الحاكم ان ينقذهم من هذا العناد الانتحاري ومن هذا الحصار التاريخي الناشيء من الذات ومن الخارج ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة لا تاتي من قرار بيغن ، او سلفه وخلفه ، بل تاتي من القرار العربي ، من الرد العربي ·

جاء حزيران العاشر · يرفع المواطن العربي سؤاله عن حريته وعن وطنه : هل يستطيع حزيران الاسرائيلي ان ينتصر مرة اخرى ؟ · والاجابة عن هذا السؤال لا تاتي من بيغن ، او سلفه وخلفه ، بل تاتي من القرار العربي ، من الرد العربي ·

جاء حزيران العاشر · الذاكرة الان طازجة ومثقلة بالرمال التي التهمت جيلا صاغه الوعد · احترق وهو يشهر الحلم الخصب في وجه المستقبل · ما اصعب ـ وما اجمل ـ ان نتذكر الامتلاء بالحماسة وتناسل البدايات · خرجنا من الهزيمة لنذهب توا الى صياغة النصر بالثورة · الفداء الفلسطيني يتقدم الجنازات لتتحول الى اعراس ، ويعيد الروح الى الفارس · وعلى امتداد الوطن العربي تصيح الحناجر والجراح : كلا ·

وفي حزيران العاشر ، ندرك من جديد ان مازق العدو ايدي · وان مازقنا لحظة زائلة ·

محمود درويش

نتائج الانتخابات الاسرائيلية :

المأزق والتحدّي

صبري جريس

اسفرت الانتخابات للكنيست التاسع ، التي جرت في اسرائيل يوم ١٧ ايار (مايو) ١٩٧٧ ،عن مفاجأة غير متوقعة ـ حتى من قبل معظم رؤساء الاحزاب المشتركة فيها ، او المشرفين على ادارة حملاتها الانتخابية ـ اذ رفعت التكتل اليميني (ليكود) الى مرتبة الحزب الاول داخل المنظام الاسرائيلي ، بعد ان فاز بـ ٤٣ (من ١٢٠) مقعدا ، وذلك لاول مرة منذ قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ · وفي الوقت نفسه ، دفعت نتائج الانتخابات هذا التجمع العمالي الى مقاعد المعارضة، وذلك لاول مرة ايضا منذ سنة ١٩٣٥ ، عندما استطاع العمال ، في المؤتمر الصهيوني التاسع عشر المنعقد يومذاك ، السيطرة على المنظمة الصهيونية العالمية ، وانتخب دافيد بن ـ غوريون رئيسا للوكالة اليهودية ، وهي مركز القوة الصهيوني الرئيسي انذاك · وبقي العمال يتمتعون بمركز الصدارة هذا ، داخل النظام الصهيوني ، منذ ذلك اليوم ـ بصورة او باخرى ـ الى ان هزموا في الانتخابات الاخيرة ·

ان نظرة سريعة الى نتائج الانتخابات تظهر بوضوح استمرار تصاعد المد اليميني داخل اسرائيل ، وان تم ذلك ضمن حدود معينة · وهذا الاتجاه نحو اليمين ، على كل حال ، ليس مفاجئا ولا جديدا ، اذ ان زعماء الجناح العمالي الصهيوني قد شعروا به منذ منتصف الستينات على الاقل · وقد كان ذلك واحدا من الاسباب الرئيسية التي دفعت حزبي مباي واحدوت هعفوداه ، في حينه ، الى اقامة « تجمع » (معراخ) فيما بينهما ، لخوض انتخابات سنة

١٩٦٥ بقائمة موحدة ، مما دفع حزبي حيروت والاحرار ، في مقابل ذلك ، الى اقامة تحالف انتخابي مضاد ، اطلقوا عليه اسم غاحال · ومنذ ذلك الوقت لا يزال هذان المعسكران القوتين الحزبيتين الرئيسيتين داخل النظام الاسرائيلي، خصوصا بعد ان راح كل منهما يعمل على تدعيم قوته وتوسيع صفوفه ، من خلال محاولة جذب فئات اخرى قريبة منه ، نظريا او عمليا ، وحملها على الالتحاق به · وكان من ابرز التطورات التي حدثت على هذا الصعيد ، اندماج حزبي مباي واحدوت هعفوداه مع جزء من رافي (التي كانت قد انشقت عن مباي ، سنة ١٩٦٥ ، بزعامة بن ـ غوريون) في اطار حزب العمل الاسرائيلي، سنة ١٩٦٨ ، الذي اقام بدوره تحالفا انتخابيا (تجمعا) جديدا مع حزب العمال الموحد ، مبام · اما غاحال فقد حافظ على التحالف بين شطريه الرئيسيين ، حيروت والاحرار ، ثم استطاع جذب عدد من الفئات الاستيطانية التوسعية ، التي ظهرت في اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ ، واقام تكتل ليكود · كما وقعت في الوقت نفسه ، على كل حال ، انشقاقات داخل المعسكرين الكبيرين ، وان تم ذلك على نطاق ضيق ·

ولا بد من الاشارة هنا الى انه على الرغم مما يظهر من ازدياد في قوة اليمين في اسرائيل ، من الخطأ الاعتقاد ان هذه الزيادة كبيرة بالمدى الذي تبدو فيه كأنها كذلك · فنتائج الانتخابات لا تدل ، عمليا ، على زيادة كبيرة وحقيقية في قوة ليكود ، بقدر ما تدل على هزيمة منكرة لحقت بحزب العمل · فلقد حصل ليكود على ٤٣ مقعدا في الانتخابات الحالية ، بدلا من ٣٩ في الانتخابات السابقة ، التي جرت في اواخر سنة ١٩٧٣ ، اي بزيادة اربعة مقاعد فقط (من بين ١٢٠) ، وهذه ليست زيادة جوهرية · ولكن في مقابل ذلك انخفض عدد مقاعد التجمع العمالي بـ ١٩ مقعدا ، من ٥١ في الانتخابات السابقة الى ٣٢ حاليا ـ وهذا هو مغزى الانتخابات الرئيسي ـ مما جعل ليكود الحزب الاول ، من حيث عدد المقاعد التي حاز عليها · اما المقاعد التي خسرها التجمع العمالي فقد كانت ، باكثريتها ، من نصيب الحركة الديموقراطية للتغيير ، بزعامة الجنرال ـ البروفيسور يغئال يادين ، وهي حركة جديدة حصلت على ١٥ مقعدا · والحركة الديموقراطية للتغيير هي عبارة عن حزب اصلاحي ، يطالب بتغيير الجهاز الحكومي في اسرائيل ، وكذلك تغيير طريقة الانتخابات بهدف القضاء على الاحزاب الصغيرة ، ويمكن النظر اليها كأنها نوع من احزاب المركز ، تقف في الوسط بين حزب العمل من ناحية وليكود من ناحية اخرى · اما بالنسبة لموقفها من التسوية السياسية لازمة المنطقة ، فان الحركة تقر « مبدأ » التنازل الاقليمي ، ويبدو انها تقبل ، بشكل او بآخر ، بمشروع الون ، مع تعديلات طفيفة ·

واستنادا الى طبيعة تكوين الحركة الديموقراطية للتغيير وطلباتها على صعيد

القضايا الداخلية من ناحية ، ثم الى انتقال عدد كبير من الاصوات التي كان حزب العمل يحصل عليها الى الحركة من ناحية ثانية ، يمكننا ان نستنتج ان نجاح هذه الجماعة في الانتخابات كان ، عمليا ، عبارة عن عقوبة فرضهـــا الناخب الاسرائيلي على حزب العمل · ولا شك ان الكثيرين من الاسرائيليـــن قد ضاقوا ذرعا ، تدريجيا ، بهذا الحزب ، ولم يكن لديهم مانع من استبداله . وما ان وجدوا امامهم امكانية لذلك حتى استغلوها · اما الاسباب التي ادت الى فقدان حزب العمل لرونقه فهي كثيرة ، وكانت قد تراكمت مع مرور الزمن · فهناك اولا عامل فقدان الحزب لمعظم قياداته التاريخية ، ابتداء من شاريت . مرورا ببن ــ غوريون واشكول ، وانتهاء بمئير وحلول مجموعة من « الصبية » محلهم ، من امثال رابين وبيريس والون · ثم هناك التعفن الذي طـرأ علـى اجهزة الحزب ، اثر سيطرته على الحركة الصهيونية العالمية ثم اسرائيل لمدة تزيد على ٤٠ سنة ، دون انقطاع ، مما ادى الى تورط عدد من زعمائه البارزين او المحسوبين عليه في فضائح مالية عديدة · وهناك ايضا الاتجاه الذي قـــوي داخل الحزب ، تدريجيا ، ودفعه عمليا نحو انتهاج سياسة يمينية متصلبة ــ وان اصر على اعتبار نفسه دائما حزبا « عماليا » ــ مما دفع بالعديدين ، في نهاية الامر ، الى تفضيل حزب يميني « أصيل » على يمينيين هواة · ولا شك كذلـك ان المشاكل الداخلية الاسرائيلية ، الاقتصادية والاجتماعية ، التي تفاقمت بعـد حرب تشرين ــ وكان الحزب قد حمل مسؤولية «التقصير» الاسرائيلي فيها . الى حد كبير ــ والتي لم يستطع ان يجد حلولا ناجعة لها ، ساهمت ايضا فـي افول نجمه ، ودفع اعداد لا بأس بهامن الناخبين الى « معاقبته » · ويبـدو ان اتجاه عدد من الناخبين الاسرائيليين الى « معاقبة » المسؤولين الحاكمين لـــم يقتصر على حزب العمل وحده ، اذ ان حزب الاحرار المستقلين ، الذي تصرف منذ نشوئه بمثابة تابع لحزب العمل ، لقي المصير نفسه . اذ انخفض عـــدد مقاعده من ٤ في الكنيست السابق الى مقعد واحد في الكنيست الحالي · كما حظيت قائمة حقوق المواطن ، بزعامة شولاميت الدني ، التي دخلت الانتخابات السابقة على اساس برنامج اصلاحي ثم غرقت في « الحرتقـــات » الحزبية ، بالمعاملة ذاتها ، اذ انخفض عدد مقاعدها من ٣ سابقا الى مقعد واحد حاليا · كما اصاب القائمة العربية الموحدة ، التي تضم « عرب الحكومة » (سابقا) والمرتبطة بحزب العمل ، ما اصاب الحزب نفسه ، فانخفض عدد مقاعدها من ٣ في الكنيست السابق الى مقعد واحد في الكنيست الحالي ·

اما بالنسبة للاحزاب الاخرى التي اشتركت في الانتخابات ، فقد ارتفع عدد مقاعد الحزب الديني القومي (مفدال) من ١٠ الى ١٢ مقعدا ، بينما حافظـت اغودات يسرائيل وعمال اغودات يسرائيل على قوتهما(٥ مـقاعد) ، اي ان تمثيل المعسكر المتدين ارتفع ،في نهاية الامر ،من ١٥ مقعدا سابقا الى ١٧ حاليا·

اما راكاح وحلفاؤها فقد حصلوا على ٥ مقاعد (بدلا من ٤ سابقا) ، وكان من المتوقع ان يكون نصيبهم نحو ٧ـ٨ مقاعد · ويبدو ان لقاء راكاح العلني مع ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية في براغ مؤخرا لم ينفعها كثيرا بين العرب ، الذين كانت اكثرية اصواتهم مؤمنة لها اساسا ، بقدر ما سبب لها الضرر بين اليهود · كما حصلت حركة السلام والمساواة (شلي) التي يتزعمها الياف ، والتي « تاجرت » هي الاخرى بلقاءات عقدتها مع ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية ، على مقعدين بدلا من مقعد واحد سابقا · وحصلت قائمة الجنرال اريئيل شارون على مقعدين ايضا . كما حصل شارون اخر ـ وهو يهودي فرنسي تطلب بلاده تسليمه اليها بتهمة التهرب من دفع الضرائب ـ على مقعدين كذلك . رغم انه هو المرشح الوحيد . مما قد يؤدي الى منح المقعد الثاني الى ليكود او حزب العمل . بناء على نسبة فائض الاصوات التي ستكون لكل منهما (نتائج الانتخابات هذه مؤقتة . وقد تتغير عند احصاء الاصوات كاملا) ·

ان توزيع مقاعد الكنيست الحالي ، الذي اشرنا اليه ، بحسب الانتماءات الحزبية والكتلوية يضعنا امام خريطة سياسية اسرائيلية جديدة للغاية ، لم نعهدها من قبل ، بل انه لم تكن هناك حتى اية امكانية لرسمها · والجديد ،والمهم في هذه الخريطة ، هو ان تكتل ليكود اليميني يستطيع ـ لاول مرة في تاريخ اسرائيل ـ ان يشكل حكومة اسرائيلية برئاسته · وتظهر نظرة سريعة الى نتائج الانتخابات ان ليكود يستطيع ، دون صعوبات كبيرة ، اقامة مثل هذه الحكومة بالتحالف مع المتدينين ، بكافة فئاتهم ، و «الشارونين» الاسرائيلي والفرنسي ، والتي ستتمتع عندئذ بتأييد اكثر من نصف اعضاء الكنيست (٦١ـ ٦٢ نائبا) ، اذ ليس هناك خلافات جوهرية ، على صعيدي السياسة الخارجية او الداخلية ، تمنع هذه الفئات من التحالف فيما بينها · وفي مثل هذه الحالة ، يمكن دفع كل من جزب العمل والقائمة الديموقراطية للتغيير الى صفوف المعارضة والاستغناء عن خدماتهما · وكان حزب العمل قد حكم اسرائيل ، بعد انتخابات سنة ١٩٧٣ ، لمدة بضعة اشهر ، بواسطة حكومة تتمتع باكثرية ٦١ صوتا فقط· ومثل هذا التطور على صعيد تغيير نظام الحكم الاسرائيلي يطرح ، بالطبع ، اسئلة مهمة ، منها ـ وليس كلها ، كما هو مفهوم ـ ما هو تأثير تشكيل حكومة ليكودية على مساعي التسوية السلمية في المنطقة حاليا من ناحية ، والصراع العربي ـ الاسرائيلي مستقبلا من ناحية ثانية ، ثم ما هو تأثيرهما على الاوضاع الاسرائيلية الداخلية والمجتمع الصهيوني ونقاط ضعفه وقوته او ، بلغة اخرى ، ما هو تأثيرها على مستقبل اسرائيل ؟

ليس من السهل ، بالطبع ، تقديم اجوبة واضحة وقاطعة على هذه الاسئلة او اي منها ، اذ ان المعطيات المتوفرة لدينا لا تسمح لنا الا بمحاولة تقديم مسودات

اجوبة · فبالنسبة للسؤال الاول ، يمكننا ان نقول ـ بشيء من الحذر ـ انه لا يتوقع ان تطرأ تغييرات جوهرية على مساعي التسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط ، نتيجة للتغيير في تشكيل الحكومة الاسرائيلية فقط · صحيح ان ليكود والفئات التى قد تشكل الائتلاف الحكومي معه متطرفون للغاية ، ويرفضون عموما الانسحاب من اي شبر من المناطق المحتلة ، وخصوصا في الضفة الغربية، ولكن صحيح كذلك ، من ناحية ثانية ، ان حزب العمل ايضا لم يكن على استعداد للانسحاب من المناطق المحتلة كلها · والموقف العربي الموحد يطالب على الاقل ، في نطاق ما يسمى « تسوية عادلة » لازمة المنطقة بانسحاب اسرائيلي من كافة المناطق المحتلة والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة · ولذلك فان العرب مضطرون ، كائنة من كانت الحكومة الاسرائيلية، اذا ارادوا فرض شروطهم للتسوية ـ وليس هناك من مبرر يسمح لهم بالتنازل عن هذه الشروط ـ ان يلجأوا في كل الحالات الى استخدام كل ما لديهم من الوسائل الكفيلة بتحقيق اهدافهم ، مهما كانت صيغة الحكومة الاسرائيلية التي تواجههم · وفي هذا الصدد لا تبدو ، اذن ، اية فروق مهمة بين نظام تسيطر فيه حكومة ليكودية او ثان تتزعمه اخرى عمالية ·

كذلك لا يبدو ان هناك فروقا جوهرية ، بالنسبة للعرب او لغيرهم ، من حيث الاسلوب الذي يقال ان ليكود قد يلجأ لاستعماله لفرض شروط اسرائيل او حل مشاكلها ، وهو التهديد باستعمال القوة واللجوء الى الحرب · صحيح ان اسرائيل لجأت اكثر من مرة الى الحرب لحل مشاكلها او للتخفيف من الضغوط العربية ، واحيانا الدولية ، عليها ، ولكن هذا الوضع تغير ، بشكل ملحوظ ، منذ حرب تشرين · ان الشرط الاسرائيلي المسبق للمبادرة الى شن حرب ضد العرب يقضي بضمان انتصار اسرائيلي ساحق ماحق فيها ، تكون نتيجته ، على الاقل، تحطيم قوة العرب العسكرية وشل قدرتهم على القيام بعمليات حربية فعالة لسنوات عدة في المستقبل ، مع ضمان اقل مدى ممكن من الخسائر ، البشرية والاقتصادية ، من الناحية الاسرائيلية · وبعكس ذلك ، تكون الحرب بالنسبة لاسرائيل بمثابة سيف قد يرتد الى نحر صاحبه · وقد اثبتت حربا حزيران وتشرين ذلك بما لا يدع مجالا للشك · فبعد حرب حزيران ، انتعش الاقتصاد الاسرائيلي ، وقوي مركز اسرائيل الدولي ، وازدادت اوضاعها السياسية الداخلية مناعة · اما حرب تشرين ، نتيجة للخسائر التي لحقت اسرائيل خلالها ، فقد ادت الى عكس ذلك تماما فقد تدهور الاقتصاد الاسرائيلي بشكل لم يسبق له مثيل ، وتفككت الجبهة الداخلية بصورة واضحة ، وتضعضع مركز اسرائيل الدولي ـ وكانت هذه النتائج بالذات هي التي « طيرت » حزب العمل من السلطة · ولذلك فان حربا اخرى ، بحجم حرب تشرين وبابعادها ، وحتى بنفس نتائجها ـ ولا يبدو ان هناك امكانية لحرب من « طراز » اكبر في المنطقة، في

ضوء توازن القوى فيها والاوضاع الدوليةعموما ـ قد تجر نتائج وخيمة للغاية على اسرائيل ، يمكن ان تشكل مقدمة لانهيار « المملكة الثالثة » · بل يبدو ، في ضوء هذه المعطيات ، انالحرب تتحول تدريجيا الى خيار عربي ـ ان شاء العرب اللجوء اليها ـ اكثر من كونها خيارا اسرائيليا · ولا شك ان العرب لو شاؤوا اللجوء الى حرب تعد جيدا كحرب تشرين ، ومهما كانت محدودة ، لتمكنوا من الحاق خسائر مؤلمة باسرائيل ، قد تكون بداية لمضاعفات خطيرة داخل الكيان الصهيوني · ان بيت القصيد هنا هو ان اسرائيل لا تستطيع ان تتحمل الخسائر البشرية او المادية التي يستطيع العرب تحملها ، وكذلك لا تستطيع ان تعوض عن تلك الخسائر بنفس قدرة العرب في التعويض عنها · كما ان اسرائيل هي الخاسرة ، على المدى الطويل ، في اي حرب مع العرب ، حتى ولو تعادلت نتائجها · ولهذا يمكننا القول ان حكومة ليكودية لن تكون اشد اندفاعا من حكومة عمالية في خوض الحرب . مهما كانت مشاعر الارهابي السابق مناحم بيغن ، زعيم ليكود ، من هذه الناحية · ولا ينبغي ان ننسى ايضا ان ليكود ، مثل غيره ، يدرك جيدا ان نتائج حرب تشرين كانت ، في نهاية الامر ، سببا رئيسيا في الاطاحة بحزب العمل · ولا شك انه لا يريد ان يلاقيالمصير نفسه·

على ماذا قد يراهن ليكود وبيغن اذن ؟

ليس من الممكن الاجابة على هذا السؤال الا في حدود التكهن فقط ، اذ ان كلا من ليكود او بيغن لم يجدا نفسيهما مرة في وضع شبيه بوضعهما الحالي ، وبالتاليلا نستطيع الاستناد الى اسس مواقفها في الماضي كركيزة لمحاولة سبر اغوار سياستهما في المستقبل · ولكن على الرغم من ذلك ، تقدم لنا مواقف ليكود في المعارضة معظم الملامح الاساسية للسياسة التي قد ينتهجها هذا الحزب · وفي هذا الصدد ، لا بد من الاشارة اولا الى انه لا توجد عمليا على صعيد السياسة الخارجية ، خلافات جذرية مبدئية بين ليكود من ناحية او حزب العمل من ناحية ثانية . كما ينطبق الشيء نفسه على بيغن من جهة او رابين او بيريس او دايان من جهة اخرى · والشيء نفسه صحيح ايضا بالنسبة لاجداد واباء هذين المعسكرين الصهيونيين . اذ لم تكن هناك خلافات بالنسبة للسياسة الصهيونية الخارجية بين جابوتينسكي وبن ـ غوريون . مثلا · لقد ادرك كل واحد من هذين المعسكرين الصهيونيين ، او زعمائهما ، عندما رأت الصهيونية نفسها مضطرة الى اتخاذ مواقف معينة او انتهاج سياسة عملية محددة ـ وذلك منذ فرض الانتداب البريطاني على فلسطين في مطلع العشرينات والاعلان على النية في اقامة « وطن قومي يهودي » في البلد ـ انه لا بد للمشروع الصهيوني ، لكي يكتب له النجاح ، من دولة امبريالية ، لها مصالحها في الشرق العربي ، تتبناه وتدعمه ، على ان يصبح الصهيونيون ، في مقابل ذلك ، بمثابة « زلم » لتلك الدولة ، لمساعدتها على الحفاظ على مصالحها ـ وحتى

وان ادى ذلك الى تحويل المؤسسة الصهيونية الى نـــوع من كلب الحراســـة للمصالح الامبريالية • وخلال نصف القرن الاخير ، اي منذ مطلع العشرينات وحتى اليوم ، لم يطرأ اي تغيير جوهري على اسس السياسة الصهيونية العالمية هذه ، عدا عن اضطرار الصهيونيين ــ نتيجة لاوضاع عالمية متغيرة ــ الـــى استبدال دولة امبريالية باخرى ، فانتقلوا ، مثلا ، من بريطانيا خلال فتـــرة الانتداب ، الى فرنسا في منتصف الخمسينات ، واخيرا حطوا رحالهم فـــي الولايات المتحدة ــ منذ منتصف الستينات على الاقل • والدولة التي يراهـــن الصهيونيون ، بمختلف فئاتهم ، على مواقفها الان هي الولايات المتحـــدة الاميركيـــة •

غير انه على الرغم من عدم وجود خلافات جوهرية ، في هذه المواقف ، بيـن ليكود وحزب العمل (او اجدادهما) ، فقد كانت هناك ــ دائما وابدا ــ خلافات تكتيكية ، شكلت محور « الحرتقات » والخلافات الحزبية داخل الكيان الصهيوني منذ امد طويل • لقد درج ليكود ، واجداده من قبله ، على اتهام المجناح العمالي دائما « بعدم مقدرته » على اقناع هذه الدولة الامبريالية او تلك بحقيقة «المصالح المشتركة » بينها وبين اسرائيل ، مشيرا الى انه هو الاكثـــر « شطارة » او « كفاءة » للقيام بذلك ، بل انه لن يفشل ابدا في تحقيق هذه المهمة ، وسيعـرف كيف يجند « اصدقاء اسرائيل » ، في المراكز الحساسة ، لذلك • كما درج ليكود ايضا على الدعوة الى تقوية الكيان الصهيوني ، خصوصا في المجالين العسكري والاقتصادي ، مما قد يحسن من مركز اسرائيل الدولي • غير انه ، من هـــذه الناحية ، هناك شك فيما اذا كان باستطاعة ليكود ــ لو كان هو الحزب الحاكم ــ انجاز اكثر مما انجزه حزب العمل في هذا المجال ، وادعاءاته هذه ليست الا نوعـا من التفاخر والتناحر الحزبيين •

وهنا يطرح السؤال نفسه ، هل ما اشرنا اليه من « خلافات » في وجهـات النظر بين ليكود وحزب العمل،بالنسبة للسياسة الدولية التي ينبغي على اسرائيل انتهاجها ، هي محور « التغيير » الرئيسي الذي قد يطـــرأ على السياســـة الاسرائيلية بزعامة ليكود ؟ الجواب ــ رغم ما في الامر من غرابة ــ ايجابي • وليس امام ليكود ، عمليا ، الا القيام بمحاولة لتقديم شرح افضل « للمصالح المشتركة » بين اسرائيل والامبريالية ، علّه يتمكن بواسطة ذلك من تأمين مصالح اسرائيل ، كما يفهمها ، وتدعيم زعامته •

انطلاقا من هذه النتيجة ، ينبغي ان نتوقع في المستقبل القريب ، نشاطا محموما من قبل الحكومة الاسرائيلية الليكودية في الولايات المتحدة ، بهدف تكتيـــل اصدقاء اسرائيل ومؤيديها هناك ، لحمل الحكومة الاميركية على ابداء « تفهم» اكبر للمواقف الاسرائيلية والكف عن مساعيها في سبيل تسوية سياسية فـــي المنطقة ، او على الاقل تأجيلها • غير ان مهمة ليكود هذه ليست سهلة ، وذلك

لاسباب عديدة · ان سياسة ليكود ، اولا، واضحة ومتصلبة للغاية ، وهو ليس على استعداد للانسحاب من اي شبر من المناطق الفلسطينية المحتلة · وهـذا قد يؤدي ، لاول وهلة ، الى نوع من الصدام مع الولايات المتحدة ، التي رغم انحيازها الى اسرائيل ، لا ينبغي ان ننسى انها لم تؤيد مرة طلبات الكيان الصهيوني في ضم كل المناطق العربية المحتلة اليه · بل لا يبدو ان الولايات المتحدة تستطيع اتخاذ مثل هذا الموقف في المستقبل ، مهما بلغت حدة الضغوط الاسرائيلية عليها ، نظرا لتصاعد قوة العرب من ناحية ، وارتباط مصالح اميركا وحلفائها بدول المنطقة من ناحية ثانية · كذلك يمكن ان نتوقع ، ان صح هذا التشخيص ، وقوع شرخ في المعسكر الصهيوني واليهودي في الولايات المتحدة، اذ لا يقبل كل الصهيونيين واليهود هناك ، لاسباب مختلفة ، ان يضعوا انفسهم في حالة من الصدام المباشر مع حكومة بلدهم وفئات اخرى من الشعب الاميركي· كما انه من الصعب ان يتوقع المرء نجاحا لليكود في محاولاته لاقناع الاميركيين ان اسرائيل هي الحليف الوحيد والقوي للولايات المتحدة ، الذي يستطيع المحافظة على مصالحها في المنطقة· ان مثل هذا الامر لا يتعلق بالتفكير الرغائبي لمناحم بيغن فقط ، بل يستند الى معطيات موضوعية للغاية · لقد استطاعت اسرائيل اقناع الولايات المتحدة بوجهة نظرها هذه ، اثر انتصارها في حرب حزيران ١٩٦٧ ؛ ولكن هذا الوضع تغير ، بشكل ملموس ، بعد حرب تشرين ، التي حولت اسرائيل الى تابع للولايات المتحدة ، له اعباؤه ، بدلا من حليف ، يمكن الاعتماد عليه · وباستطاعة العرب ، ان شاؤوا ، وبقليل من الجهد ، الحاق اكثر من هزيمة تشرينية اخرى باسرائيل · كذلك يصعب ان نرى الولايات المتحدة منحازة الى اسرائيل ، بالمفهوم الليكودي ، في ضوء علاقاتها المتحسنة مع اكثر من نظام عربي وازدياد نفوذها في العالم العربي عموما ·

غير ان كل ما اوردناه لا يمنع من ان تؤدي ضغوط ليكود والصهيونيين في اميركا ، على الاقل ، الى حمل الولايات المتحدة على اتباع سياسة « حياد» في المنطقة ، كتلك التي انتهجتها قبل حرب تشرين ، بحيث ينشأ وضع تتوقف الولايات المتحدة معه عن توجيه اية « ضغوط » الى اسرائيل من ناحية ، وتستمر في تقديم المساعدات لها ، على اختلاف انواعها ، من ناحية ثانية ــ مما يسمح لاسرائيل بالاحتفاظ بالمناطق المحتلة باسرها او ، ربما ، ضمها اليها · ولعل هذا هو ما يصبو ليكود اليه · او ، من ناحية ثانية ، ربما تفشل هذه الضغوط وتؤدي الى ظهور شرخ علني بين اسرائيل والولايات المتحدة ، لن يكون في صالح الكيان الصهيوني ، مهما كانت اسبابه او مداه ·

ان الموقف الاميركي حاسم ، اذن ، على صعيد التطورات المتوقعة في المنطقة، وذلك بغض النظر عن الحكم الذي يسيطر على الكيان الصهيوني · ان القول بان سقف التحرك الاسرائيلي هو الموقف الاميركي صحيح تماما· ولا ينبغي

ان ننسى ابدا انه لولا المساعدات الاميركية لاسرائيل ، عسكريا واقتصاديا وسياسيا ، لكان النظام الصهيوني على وشك الانهيار، بل ان هذه المساعدات لو توقفت لمدة شهر واحد فقط ، لما وجد القط الاسرائيلي لديه ما يسد قوته ٠ ومن هنا فان القول بان اسرائيل مجبرة على تنفيذ اى قرار اميركي – في حال اتخاذ مثل هذا القرار – كائنا من كان رئيس حكومتها ، ولا فرق في ذلك بين بيغن او بيريس ، صحيح ايضا ٠ ولعله من المفيد ان نذكر ، في هذا الصدد، انه عندما اتخذ قرار اميركي بالانسحاب من الاراضي المصرية المحتلة، اثر فشل الغزوة الامبريالية الثلاثية ، الفرنسية – الانكليزية – الاسرائيلية ، ضد مصر سنة ١٩٥٦ ، لم تضطر اسرائيل فقط الى الانسحاب ، بل قامت بذلك بريطانيا وفرنسا ايضا ٠ والواضح انه ما دامت اميركا تتمتع بنفط العرب وبالتجارة معهم ، بينما تصر في الوقت نفسه على الاحتفاظ بما تسميه « علاقات خاصة » مع اسرائيل ، دون ان تتعرض لاية ضغوط ،في هذا المجال ، فأنه سيكون باستطاعة بيغن تحقيق جزء كبير من اهدافه ٠

ولكن ، من ناحية ثانية ، بقدر ما تزداد اهميُة الموقف الاميركي ، تزداد ايضا – وربما بمدى اكبر – اهمية الموقف العربي ٠ ولعل هذه هي العبرة الرئيسية المترتبة على تغيير الحزب الحاكم في اسرائيل ٠ بل لعل هذا التغيير هو المحك الذي سيدفع الى بلورة الموقف العربي ، بشكل حازم وواضح ٠ ان الصراع الدائر في المنطقة يتركز ، اساسا ، حول ضرورة تأمين امدادات النفط للدول الصناعية الكبرى في العالم الغربي ،ومعظمها من حلفاء الولايات المتحدة٠ ووجود النفط في حوزة العرب هو الورقة الرئيسية الضاغطة والرابحة – ان احسن استعمالها – في اية معادلة لاعادة ترتيب اوضاع المنطقة ٠ وهناك واحد من خيارين فقط – يبدو ان الصراع السياسي او العسكري في المنطقة سيدور حولهما بعنف في المستقبل القريب : اما ان يثبت العرب ، من دول النفط وغيرها، ان باستطاعتهم حماية نفطهم وباقي ثرواتهم الطبيعية ، واستعمالها كورقة سياسية لصالحهم ، وبالتالي وضع الكيان الصهيوني في الحجم المناسب له ، واما ان تتولى اسرائيل ليكود القيام بذلك !

قد تبدو هذه النتيجة التي توصلنا اليها حادة للغاية ، ولكن نظرة الى مواقف ليكود وحلفائه من المتدينين والفاشيين والعنصريين والتوسعيين لا تترك خيارا اخر ٠ ان اتجاهات ليكود تختلف عن مواقف حزب العمل البرغماتية المرنة – التي انقذت الكيان الصهيوني ، في الماضي ، من ورطات عدة – في كونه يدعو الى اتخاذ اجراءات « حازمة » لحل مشاكل اسرائيل وتأمين وجودها ، وبالتالي لن يسمح للعرب بانتهاج سياسة مهادنة او متخاذلة ٠ ان ما يطالب به ليكود هو حمل العرب على توقيع اتفاق سلم مع اسرائيل ، دون ذكر الفلسطينيين على اساس الامر الواقع واعترافهم بتسليم المناطق العربية المحتلة للكيان

الصهيوني ، ثم الكف عن التفكير بقدرة نفطهم السياسية والاستسلام للمشاريع الامبريالية الغربية (« هكذا فقط ! » ـ على وزن شعار حيروت) ، على ان تصبح اسرائيل عميل اميركا الاول والمسيطر في المنطقة · ويدرك ليكود جيدا ان اسرائيل تواجه مشاكل مصيرية ، داخليا وخارجيا ، ويعتقد ـ ويبدو بجدية ـ انه لا يمكن ايجاد حل لتلك المشاكل الا بواسطة حمل العرب على التوقيع على اتفاق سلام معه ·

غير ان ليكود يدرك ايضا ، من ناحية ثانية ، انه لا يستطيع ان ينتظر طويلا لتقديم حلول لمشاكل اسرائيل المتفاقمة ، والا أطاحت به ، كما اطاحت بحزب العمل من قبله · ولذلك يمكن ان يرى العرب انفسهم ، في المستقبل القريب للغاية ، في مواجهة تحد اسرائيلي جدي ، لا يستطيعون تجاهله ولا بد من الرد عليه · ولا شك ان العرب يملكون من الوسائل المادية والبشرية والعسكرية ما يمكنهم ـ ان شاؤوا ـ من الرد على اي تحد من قبل اسرائيل ليكود او كبار مؤيديها بين الدوائر الامبريالية العالمية ، وخصوصا في ضوء ازمتي الطاقة والتضخم المالي ، المتفاقمتين في العالم الصناعي الغربي · ويبدو انه ليس لدى العرب من طريق لمواجهة الوضع الجديد ـ وحتى لو تم ذلك من قبيل « مكره أخاك لا بطل » على الاقل ـ سوى العودة الى استراتيجية تشرين وتكتيكه ، وتوجيه الضغوط الى الغرب اولا . وقبل اسرائيل ، بجعل مصالحه في المنطقة خاضعة للرضى العربي السياسي · وينبغي ، في هذا الصدد ، الكف عن الحديث حول ضرورة الاهتمام « بالاستقرار العالمي » و « رخاء الانسانية » . او حتى «عدم تصور» امكانية خلاف مع اميركا ، كما يقول البعض ، من ناحية، والتوقف عن الانغماس في الحملة الصليبية غير المقدسة، المعادية للشيوعية، التي تشارك بها بعض الانظمة العربية بحماس وشغف ، وعلى الصعيد العالمي ايضا، لكونها حملة في غير صالح العرب من ناحية ثانية · وبعكس ذلك ، فالخيار الوحيد المفتوح امام العرب هو الخضوع ، ليس فقط لشروط الامبرياليين وحدهم ، بل للشروط الاسرائيلية الخاصة ايضا · وقد يكون من بين هذه الشروط ، اذا اردنا الاغراق في التشاؤم ـ وذلك بالاضافة الى التخلي عن اي امل باسترداد المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ وتوقيع معاهدة صلح مع اسرائيل على هذه الاسس ـ المطالبة مثلا ، بأقامة انظمة حكم « معتدلة » في العالم العربي ، وفتح حدوده امام اسرائيل ، والقضاء على العناصر « المخربة » فيه ، واخيرا ··· دفع جزء من عائدات النفط ـ وعلنا ـ الى مناحم بيغن نفسه !

ومن هذه الناحية بالذات ، ليس لدينا ، على المدى الطويل ، ما يدعو الى الاسف بسبب استلام ليكود دفة الحكم في اسرائيل · « فالعرس » في منطقة الشرق الاوسط سيزداد « حلاوة » و « حماوة » ، والتحدي بحاجة الى رد ـ

وليس لنا الا ان نأمل خيرا : ومرة اخرى ، حتى لو تم ذلك من قبيل « مكـــره اخاك لا بطل » ٠

غير انه بالاضافة الى ما ذكرناه ، وفي محاولة لعرض النواحي الرئيسيـــة التي قد تؤثر على سياسة ليكود ، تجدر الاشارة ايضا الى مواقفه بالنسبـــة للمشاكل الاسرائيلية الداخلية والاطلاع على الحلول التي يقترحها ، او تلـك التي قد يلجأ اليها ، لمجابهة تلك المشاكل ، مما قد يؤثر بدوره على سياستـــه الخارجية من ناحية ، او قدرته على الاستمرار في الحكم من ناحية ثانية ٠ ان ليكود ، في جوهره ، ليس الا حزبا يمينيا كلاسيكيا ، يؤيد الحلول اليمينيـــة المعروفة للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، ويطالب بالاعتماد على المبـــادرة الحرة ، مثلا ، ومنح حرية العمل لرأس المال الخاص ، وما شابه ذلك ٠ وفي هذا الصدد ، واذا حاول ليكود انتهاج سياسة مستمدة من عقيدته هذه ، لايتوقع ان تكون الطريق امامه مفروشة بالرياحين ، وذلك بسبب طبيعة تركيب المجتمع الصهيوني ٠ ان جوهر مشاكل اسرائيل الاقتصادية والاجتماعية كامـــن ، اذا لجأنا الى اتباع طريقة التبسيط الشديد ، في كونها دولة تصرف اكثر مما تنتج ، وهي بالتالي بحاجة دائما الى مساعدات من الخارج ٠ وقد درج حزب العمـــل ، في الماضي القريب والبعيد ، على اتباع سياسة فرض المراقبة الدائمة ، بشكل او باخر ، على تلك المساعدات من ناحية والنمو الاقتصادي الداخلي من ناحيـــة ثانية ، وتوجيههما ــ قدر الامكان ــ لخدمة كافة فئات الشعب ٠ كما لجأ حزب العمل ايضا ــ الحاكم دائما ــ الى اتباع سياسة تقديم المساعدات الحكومية المالية لدعم هذا المشروع او ذاك او لتحسين اوضاع هذه الفئة من السكان او تلك ، في محاولات دائمة لتقوية الاوضاع الاسرائيلية الداخلية من ناحية ومنـــــع التناقضات الحادة بين فئات المجتمع الاسرائيلي المختلفة من ناحية ثانية ٠ وقد كانت هذه بالذات هي السياسة التي ادت الى نشوء تعفن داخل الجهاز العمالي، اطاح به في نهاية الامر ، ولكنها ادت ــ بالاضافة الى ذلك ــ الى خلق نمط من الحياة ليس من السهل تغييره ٠ ولهذا لا يمكننا ان نتوقع ترحيبا كبيرا ، من قبل فئات واسعة من الاسرائيليين ، بسياسة شد الاحزمة التي يدعو ليكود الى انتهاجها ، كما لا يمكننا ان نتوقع نجاحا كبيرا لهذه السياسة ، حتى اذا اقرت، اذ ان مشاكل اسرائيل الاجتماعية والاقتصادية (والسياسية بالطبع) اكبـــر من ليكود او حزب العمل ، او كليهما ٠ ثم اذا كان حزب العمل ، صاحب البراغماتية المعروفة والخبرة الطويلة قد فشل في حل تلك المشاكل ، فهل سيستطيع ليكود، ضيق الافق وعديم الخبرة، القيام بذلك ؟

وبالاضافة الى ذلك ، لا ينبغي ان ننسى ايضـــــا ان انتصار ليكود فـــي الانتخابات ، او نجاحه في تشكيل حكومة ائتلافية برئاسته ، تتمتع بالاكثريـــة العددية في الكنيست ، لا يعني سيطرة على كافة مراكز القوى في اسرائيل ، ولا

يمنح حكومة ليكودية حرية التصرف على هواها · وسبب ذلك ايضا كامن في طبيعة النظام الاسرائيلي · لقد كان الجناح العمالي ، في نهاية الامر ، هو الذي اقام ، عمليا ، الكيان الصهيوني في فلسطين ، الذي نشأت اسرائيل كامتداد له · وفي غمرة هذا النشاط ، ومع مرور الزمن ، بنى العمال لانفسهم مراكز قوى لا يستهان بها · ولعل من اكبر هذه المراكز وابرزها ما يسمى « الاستيطان العامل » ، اي المزارع التعاونية من كيبوتسات وموشافيم وغيرها ، التي تسيطر على كافة الموارد الزراعية والحيوانية في اسرائيل · ويعتبر « الاستيطان العامل » ، قانونيا على الاقل ، « ملكا » لاجهزة يتمتع العمال بسيطرة شبه مطلقة عليها · اما مركز القوة الثاني ، فهو الهستدروت ، النقابة العامة للعمال ،التي تعتبر بمثابة « قلعة » للجناح العمالي الصهيوني ، الذيلا يزال يسيطر عليها · والهستدروت ليست ـ بسبب طبيعة النظام الصهيوني ، مرة اخرى ايضا ـ مجرد نقابة عمال فقط ، اذ انها ايضا مؤسسة اقتصادية ضخمة للغاية ، تملك حتى صناعات مختلفة ، خفيفة وثقيلة ، وتتمتع بالتالي بنفوذ لا يمكن تجاهله على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في اسرائيل · وفي هذين القطاعين الرئيسيين ، المستوطنات الزراعية والهستدروت ، تتركز الفئات العمالية « الاشتراكية » ، التي تعتبر ان مجرد وجود اليمين ، ناهيك عن صعوده الى الحكم ، كارثة بالنسبة للمشروع الصهيوني ، ولا تستطيع السكوت عليه ، اذ ان ذلك يشكل تهديدا لمجرد وجودها · وهذه الفئات كانت ، في اكثر من مناسبة ، تعلن عدم رضاها حتى عن سياسة زعامة حزبها العمالي ، ولعل الاضرابات التي كثرت في اسرائيل خلال السنوات الاخيرة ، خير دليل على ذلك · ولهذا لن يكون من السهل على ليكود ان يدخل في صراع مع هذا القطاع العمالي القوي ، والمنظم جيدا ، بل يشك فيما اذا كان باستطاعته ان يمس بمصالحه الحيوية ، مهما اراد التغيير في اجهزة الحكم الاسرائيلية ـ اذ يكفي ، مثلا ، ان توعز الهستدروت الى تنظيم اضراب ما ، او تتغاضى عنه عند وقوعه ، في هذا القطاع الاقتصادي او ذاك ، لكي تشله ، وتربك الحكومة ـ اية حكومة ـ بأسرها ·

ويبدو لنا ان الامر لن يتوقف عند هذا الحد ، بل على العكس من ذلك ، يمكننا ان نتوقع لجوء الجناح العمالي ـ اذا اراد العمل من اجل استرداد السلطة ـ الى تحويل مركزي القوى هذين الى نقاط وثوب له ، لتحطيم سيطرة ليكود · واذا لجأ العمال الى سلوك هذا الطريق ـ ولا يبدو ان امامهم خيارا اخر ـ نستطيع ان نتوقع حدوث هزات اجتماعية وسياسية عنيفة ، ومتواصلة ، داخل اسرائيل في المستقبل القريب · وعلى كل حال ، ومهما يكن من امر الوسائل التي قد يلجأ العمال الى استعمالها ، من الواضح ان الحياة ، بالنسبة لليكود ، ستكون مريرة للغاية في وجه معارضة عمالية ، لها ما لها من مراكز قوى ·ومن

هذه الناحية الداخلية ايضا ، ليس هناك ما يدعو للاسف نتيجة لصعود ليكود الى الحكم ، اذ يبدو ان ذلك لن يساهم كثيرا في تقوية اوضاع اسرائيل الداخلية ، وقد تكون له نتائجه السلبية على مجمل قوتها ٠

ان هذا العرض السريع الذي قدمناه لامكانات تغيير المواقف الاسرائيلية ، الخارجية والداخلية ، نتيجة لاستلام ليكود دفة الحكم في اسرائيل ، لا يبدو مشجعا بالنسبة الى الاسرائيليين ، ولا ينبغي ان يحمل العرب على « الهلع » منه ، اذ لا ينبغي ان يكون بالضرورة في غير صالحهم ، على المدى الطويل ٠ ولكن لا بد هنا من طرح السؤال : هل يعتبر صعود ليكود الى الحكم ، بالنسبة لاسرائيل ، سيئا حقيقة الى الحد الذي يبدو فيه كانه كذلك ؟ ـ ربما ٠ لقد اختار المجتمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين اللجوء الى التطرف ، ردا على اعتدال عربي (متمثل في القبول بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢) وفلسطيني (متمثل في الاستعداد لاقامة دولة فلسطينية مستقلة على جزء من ارض فلسطين) ، فدفع الى رئاسة حكومته ارهابيا سابقا سيء الصيت ، لا يتصف بحنكته السياسية او مرونته ، خصوصا بعد ان توقف عقله عن العمل مع حل منظمته (الارغون) في ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ولا يزال يجتر منذ ذلك الوقت الاراء التي توصل اليها حتى تلك الفترة ٠ ان صعود بيغن الى الحكم لا يضع اسرائيل في مواجهة حادة مع العالم العربي فقط ، بل يعرضها ـ وهذا هو الاهم ـ الى صدام ، بشكل او باخر ، مع كافة دول العالم بأسره ، اذ لا توجد هناك ولو دولة واحدة توافق على سياسة بيغن التوسعية وتؤيد طلباته لضم المناطق المحتلة الى اسرائيل ٠ وليس من الصعب على العرب ، بواسطة قواهم البشرية وموقعهم ونفطهم واموالهم واسواقهم ، العمل على تطوير تلك المواقف الكامنة وتحويلها الى سياسات فعلية ، لن تكون في صالح اسرائيل ٠ وفي حال اتخاذ قرارات معينة ، لا تملك اسرائيل الا الانصياع ، ان تم التنفيذ ضمن اطار مؤتمر جنيف او بأية طريقة اخرى ٠ ان التطرف الاسرائيلي ، المتمثل في نتائج الانتخابات ، لا يدل على قوة وحنكة سياسية كبيرتين ، بقدر ما يدل على حراجة المأزق التاريخي الذي يواجهه المشروع الصهيوني في فلسطين ٠ ولقد علق اربيه الياف ، رئيس قائمة السلام والمساواة على نتائج الانتخابات في مقابلة مع التلفزيون الاسرائيلي ، وذلك بعد ان علم بنبأ صعود ليكود الى الحكم بقوله : لقد ارتكب الاسرائيليون ، بعملهم هذا ، الخطأ نفسه الذي وقع فيه الالمان عندما انتخبوا هتلر ، في مطلع الثلاثينات ٠ وقد تدفع اسرائيل ثمن هذا الخطأ غاليا ـ وربما كان الرجل على حق ٠ والامر يتوقف ، الى حد بعيد ، على العرب ، خصوصا دول المواجهة والدعم ـ وهم ، ان شاؤوا ، قادرون ٠

استقالة رابين :

نهاية اللعب على الحبال

د. الياس شوفاني

لدى اعلان رابين نيته التنحي عن منصبه ، كان واضحا ان قرار رئيس حكومة العدو هذا ، لم يكن نتيجة لكشف الفضيحة المالية التي كان متورطا بها ، بقدر ما ترتب على زيارته الفاشلة الى واشنطن · ولا شك ان الفضيحة، على تفاهتها ، كانت عاملا رئيسيا في اتخاذ رابين قراره ذلك ، خاصة وانها جاءت وهو يلملم جميع اوراقه لخوض معركة انتخابية صعبة ، فكانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير · هذا ويبدو ، ان ما ناء رابين بحمله هو عجزه عن التوفيق بين التوجهات السياسية للادارة الاميركية الجديدة والتطلعات المستقبلية لبعض القوى الفاعلة في المؤسسة الصهيونية الحاكمة · ولجؤ رابين الى مثل هذا ، « الحل الشمشوني » ليس مستغربا منه ، لما عرف عنه من عصبية المزاج وضيق النفس في مواجهة الازمات · وكأنه بذلك ، وانتقاما لنفسه من اولياء نعمته في واشنطن ، يرمي ادارة كارتر باخيه العاق ، شمعون بيرس · والواقع ان الملفت للنظر هو صمود رابين في منصبه مدة ثلاث سنوات تقريبا ، رغم ثبوت عجزه عن فرض قيادته على حزبه الحاكم · فكان ان انبرى ، ولو متأخرا ، وزير دفاعه ، بيرس ، لمنافسته على رئاسة الحكومة ، مسجلا بذلك سابقة فريدة ، بقدر ما هي خطيرة ، في اللعبة الديمقراطية المصطلح عليها في الكيان ·

والمعروف ان رابين كان « مستر اميركا » في الحكم الاسرائيلي ، وقد بنى لنفسه هذا الموقع ، بجده واجتهاده في التنسيق بين سياسة حكومته ، برئاسة

غولدة مئير ، وسياسة الادارة الاميركية برئاسة نيكسون ، عندما شغل هو نفسه منصب سفير اسرائيل في واشنطن · واتاحت له حرب تشرين فرصة القفز من السفارة الاولى الى رئاسة الحكومة ، حيث راح يسند كرسيه في الحكم بدعائم اميركية ، في حين وفر له فورد وكيسنجر ذلك ، فاغدقا عليه عن سعة ، مما اعانه على البقاء في منصبه · وقد اخطأ رابين الحساب عندما عمل لصالح فورد في الانتخابات الاميركية الاخيرة · ولم يغفر له كارتر ، كما يبدو ، زلته تلك · وعلى الرغم من سقوط فورد ، فان رصيد رابين الاميركي بقي درعه الواقي في مواجهة سهام بيرس السامة ، اثناء المعركة على اختيار مرشح حزب العمل لقيادته في الانتخابات العامة ، ففاز على منافسه بهامش ضئيل · ولكن ذلك، مع ما كان له من انعكاسات على مركز رابين داخل النخبة الصهيونية الحاكمة، لم يفت في ساعده ، بل حفزه على المزيد من التعلق باهداب واشنطن · فكان ان قام برحلته المشؤومة الى هناك ، والتي عاد منها كسير الجناحين ـ ناهيك عن افتضاح امر حسابه في البنك الاميركي وبالعملة الاجنبية ، خلافا للقانون الاسرائيلي في هذا الشأن · فكأنه بذلك قد قفز من المقلاة الى النار ·

وواضح من تحركات رابين السياسية ، خاصة في الاشهر القليلة الاخيرة، ان الرجل لم يكن عائقا للسلطة ولا متبرما بالحكم · والعكس هو الاقرب الى الصواب · فقد بذل رابين كل ما اوتي من جهد وما وهب من قدرة على المبادرة في سبيل الحفاظ على زعامته للحزب ، وبالتالي رئاسته للحكومة : ففاجأ مراقبيه السياسيين بحل الكنيست والدعوة الى انتخابات عامة مبكرة ، مؤملا في حسم الصراع الداخلي على السلطة لصالحه ، مما اعتقد انه يضمن له البقاء على رأس الحكومة لاربع سنوات قادمة على الاقل·· ولم يدخر رابين وسعا في حشر حزبه بين مطرقة جولة وزير الخارجية الاميركي ، سايروس فانس ، في المنطقة ، وبين سندان زيارته هو الى واشنطن ، طمعا منه بالفوز على منافسه بيرس كمرشح لقيادة حزب العمل في المعركة الانتخابية · فكان له ذلك ، علما بان فوزه لم يقض على طموح بيرس في مواصلة الصراع معه على الزعامة · وخرج بيرس من المعركة اقوى مما دخلها ، في حين ذهب رابين الى واشنطن وهو اضعف مما كان يتمنى عندما اقدم على مساره الانتخابي في بداية السنة · وفي هذا الاثناء ، كان رابين قد امن عن طريق مساعي سفيره سمحا دينيتس ، موعداً لزيارة واشنطن ، يكون الانسب لخدمة اغراضه الانتخابية · فكان من فرط حماس دينيتس ان شاط الطبخة ، بعدم قدرته على الملاءمة بين نار رابين الحامية وقدر كارتر الضاغطة ·

ولم يترك رابين ، وهو يتأهب للاندفاع نحو واشنطن ، بابا ينفذ منه كارتر اليه · فكان في زيارته ، اول رئيس حكومة لاسرائيل ، يجري محادثات في العاصمة الاميركية وليس في جعبته قائمة طويلة من طلبات المعونة الاقتصادية

والعسكرية ، اذ كان هدفه الوحيد المعلن التوصل مع ادارة كارتر الى اتفـــاق سياسي حول تنسيق خطوات الطرفين في المبادرات السياسية المقبلة في اطـــار التسوية · واتفاق كهذا ، لو قدر له ان يتم ، يضع في يد رابين اوراقا جديـدة تصلح من حاله في الحزب وفي الانتخابات على حد سواء · ومن اجل تمهيـد طريقه الى ذلك الهدف ، اغفل رابين الضغوط التي مورست عليه في اسرائيل ، بشأن صفقة طائرات كفير الاسرائيلية مع الاكوادور ، وكذلك في مسألة التنقيب عن النفط في سيناء وخليج السويس ، بالاضافة الى عقدة القنابل الارتجاجية، والتي وصفها رابين جميعها بالامور الهامشية اثناء محادثاته مع فانس ، وكذلك عشية سفره الى واشنطن · الا ان كل ذلك لم يجده فتيلا ، ولم يعنه علىالتقاط ضالته في البيت الابيض الاميركي ، فلم يبق امامه الا التنحي عن الموقع الاول في الحزب والحكومة ، فكانت الفضيحة المالية هي ذريعته · وكانما حكمت عليـه واشنطن بالاعدام ، وقدمت اليه حبل الشنق هدية ·

وفي واشنطن ظهر رابين على حقيقته ، عاجزا عن تلبية ادارة كارتر فـــي توجهاتها السياسية ازاء الازمة في المنطقة ، كما اثبت عجزه عن اقناع الادارة الاميركية بتلبية تطلعات قوى فاعلة في المؤسسة الحاكمة في اسرائيل · ففقـد بذلك مبرر وجودهعلى رأس الحكومة هناك · ويبدو ان ادارة كارتر تريد القيام بمبادرة جديدة في اطار التسوية السياسية للصراع في المنطقة ، وكانت تتوقع من رابين ان يحمل اليها مقترحات جديدة تعينها على تحركها هذا · ولكن رابين، بكل مشاكله الانتخابية ، لم يكن يحمل معه مشاريع جديدة ، واثيرت قبل سفره مسألة ما اذا كان لديه التفويض لاجراء مثل هذه المحادثات ، وهو على عتبـة انتخابات لا تعرف نتائجها · اما هو ، فقد ارادها زيارة مراسيمية ، يلتقـــي فيها بالادارة الجديدة ، ويتبادل الآراء بشكل عام ، دون الالتزام بشيء محدد، على ان يؤكد البيان المشترك وثوق العلاقة بين الطرفين ، والتـــزام الادارة الجديدة بتعهدات سابقاتها في ضمان امن اسرائيل وتقديم الدعـــم المـادي والسياسي لها · ولقاء عدم تقدمه بطلبات جديدة من السلاح والمال ، اراد رابين من ادارة كارتر الا تحرجه في المجال السياسي ، وتطلب منه تقديم مقترحـــات جديدة ، تكون اساسا لمبادرة اميركية تكسر الجمود الذي لف مسار التسوية، منذ اتفاقية سيناء · ولكن كارتر ، كما يبدو ، لم يقايض رابين هذه الصفقة ·

وكون استقالة رابين جاءت في اعقاب زيارته الى واشنطن ، وبالاساس نتيجة لها ، لا يلغي عامل الفضيحة المالية ضمن الاسباب التي دفعته الى الاقدام على هذه الخطوة · وتجدر هنا الاشارة الى استشراء الفساد في الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٦٧ ، والى ان احد وزراء حكومة رابين ، ابراهام عوفر ، قـــد وضع حدا لحياته بعد فضيحة مالية ، مساوية في تفاهتها تلك التي تورط فيها رابين نفسه · وكان رابين قد رشح آشر يدلين ، الذي ارتبط اسمه بفضائـــح

مالية اثناء ادارة « كوبات حوليم » (صندوق المرضى) ، التابع للهستدروت، لمنصب حاكم بنك اسرائيل المركزي · وبرز كذلك اسم ايبان في قضية مماثلة ، لم تنته بعد · والقائمة كما يبدو طويلة · وعلى اي حـــال ، لا يستبعد قط ان يكون ما كشف عن تورط رابين لا يعدو كونه قمة جبل الثلج العائم ، فالكـــلام الى الآن عن حساب صغير باسم زوجته · وربما كان هناك ما هو اكثر من ذلك ، خاصة بعد ما كشفته وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية عن الرشاوي التـــي دفعت لرؤساء دول حليفه للولايات المتحدة · ومعلوم ان رابين كان يتقاضى اجرا وفيرا لقاء كلامه في ندوات ومناسبات ، يوم كان سفيرا في واشنطن · ولعلـــه احس بما يدبر له عشية الانتخابات على الصعيد الشخصي ، بعـــد ان قضـــى كارتر على اماله السياسية من الزيارة ، فارتـــأى اختصار المحنـــة واختفى عن المسرح ·

وظاهرة الفساد في اسرائيل ، تفاقمت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، ووجـــدت لها مرتعا خصبا في الصناعة العسكرية ، وما يرتبط بالجيش من صفقات فـــي مجالات التسليح والتموين والمنشآت · هذا الى جانب تكالب امراء الحرب فـــي الجيش الاسرائيلي واعوانهم ، على نهب المناطق المحتلة · ولم تستطع حـــرب تشرين ، بكل ما تمخضت عنه من هزات في الكيان الصهيوني ، ايقاف هـــذا المد ، اذ انه بطبيعة الحال ، ظاهرة مرافقة لنمو مثل هذا الرأسمال الطفيلي · وسرى الداء الى قطاعات اخرى من التجمع الصهيوني الاستيطاني ، وخاصة الى شريحة التكنوقراط في مؤسسات القطاع العام · ولعبت النخبة السياسيـــة في الاحزاب دورا بارزا في دفع عجلة هذا الفساد ، والتستر على خفاياه ، اذ جعلت منه مصدرا اساسيا لتمويل اجهزتها الانتخابية ونشاطاتها السياسية ·

عثرات الزيـــارة :

قبل ان يستقل طائرته الى واشنطن ، بدأ رابين يتعثر في طريقه الى السقوط· وما ان اعلن عن قبول الدعوة لزيارة واشنطن ، حتى بدأت التساؤلات تثـــار حول هدف الزيارة وجدواها · ولم تكن تلك تساؤلات المعارضة فحسب ، وانمـــا ايضا من اطراف في حزب العمل ، ترمي الى الغمز من تحركات رابين ، واضفاء طابع الانتهازية السياسية عليها · والواضح انها لم تأت عن عفوية ولا عـــن حسن نية · اما المعارضة ، فقد اثارت مسألة اهلية رابين لاجراء محادثات من هذا القبيل ، في حين يستعد لخوض معركة انتخابية ، ليس اكيدا انه سيجتازها بنجاح ويحتفظ بموقعه من صنع القرار السياسي المترتب على ما قد يتم مـــن اتفاقات مع الادارة الاميركية الجديدة ، وخاصة ما يتعلق منها بمسار التسوية السياسية · والمعلوم ان رابين كان يرأس حكومة انتقالية وهو يقوم بمناورته هذه ، كما كان يواجه منافسة قوية داخل حزبه على منصب القيادة فيه · ولهذا

كثر الطعن في الزيارة وزاد اللغط حولها ، مما انتقص من جديتها ، رغم الخطورة التي كانت تنطوي عليها ، كونها اللقاء الاول بين رئيس حكومة اسرائيل والادارة الاميركية الجديدة ، التي منذ تسلمها زمام الحكم ، راحت تؤكد اختلاف اسلوب عملها عن سابقتها ٠

وطار رابين الى واشنطن وهو بين نارين ٠ فقد تعهد لحكومته ، وخاصة لمنافسة شمعون بيريس ، بالالتزام بالمواقف الرسمية للحكومة ، اثناء المفاوضات مع كارتر ٠ وهذا يعني حصر تفويضه بالكلام عن مبادرات سياسية جديدة ، في نطاق القرارات القديمة لحكومة اسرائيل ، والتي كانت اساسا ، السبب في جمود مسار التسوية ٠ اما من الطرف الاخر ، فقد سبقت وصول رابين الى العاصمة الاميركية ، تصريحات ذات مغزى واضح بالنسبة الى المحادثات في البيت الابيض : لا يجوز للزيارة ان تكون مراسيمية فحسب ٠ وعلى هذا الصعيد وفيما يتعلق بتوجهات ادارة كارتر ، يبدو ان السفير الاسرائيلي ، سمحا دنيتس ، قد اخطأ التقدير في مدلولاتها ، ونقل الى حكومته صورة مشوهة بعض الشيء عما ينتظر رابين في البيت الابيض الاميركي ٠ وهكذا وصل رابين الى واشنطن ، وهو مقيد ببرنامج حزبه الانتخابي ، والذي لا يختلف كثيرا ، في مسألة التسوية ، عن البرنامج السابق الذي وضع عام ١٩٧٤ ٠ ولم يحمل رابين الى واشنطن ، لا خرائط جديدة ولا مشاريع مستحدثة ، في حين ، يبدو ان كارتر كان يتوقع مثل ذلك ٠ وعليه ، فما لبثت ابتسامات الانخاب في الجولة الاولى من اللقاءات تنتهي ، حتى ساد الوجوم الوفد الاسرائيلي وبرزت بوادر التقطب وخيبة الامل ٠

ولكن الامر لم ينته عند هذا الحد ، اذ ان كارتر ظل يلاحق رابين ، حتى بعد عودة هذا الاخير الى تل ابيب ٠ وتتالت تصريحات كارتر العلنية عن ماهية السلام الذي يراه ، وشروطه ، وما يتعلق منها بالفلسطينيين ، وكلها قبل ان يتمالك رابين نفسه بعد الهزة في واشنطن ، ويلتقط انفاسه في مواجهة اعدائه في الداخل ، وفي تدبر امر فضيحة حسابه في البنك الاميركي ٠ فتهاوى الرجل المعروف بضعف شخصيته امام هذا السيل من المآزق ، ولم يبق امامه من مخرج سوى التنحي عن القيادة ، فاستقال ٠ ولعله بالامكان تصنيف نقاط الخلاف مع الادارة الاميركية الجديدة في بابين رئيسيين : اولها في مجال العلاقات الثنائية والثاني يتعلق بالتسوية السياسية ٠ فعلى صعيد العلاقات الثنائية ، كانت ازمة طائرات الكفير ، وكذلك مسألة قنابل الارتجاج والسماح لاسرائيل بانتاج طائرات ف ـ ١٦ ، والمساعدات المادية الخ ٠ وفي مجال التسوية برز الخلاف حول مفهوم الحدود الامنة ، وكذلك بالنسبة الى ما يراه كل طرف كحل للقضية الفلسطينية ٠

ازمة طائـرات الكفير :

وتتلخص هذه المشكلة فى رفض الحكومة الاميركية السماح لاسرائيل ببيع اربع وعشرين طائرة ، من طراز كفير ، تم تركيبهـا في المصانع الاسرائيلية التابعة للصناعة العسكرية ، الى الاكوادور · وكانت اسرائيل قد تعاقـدت مع تلك الدولة على صفقة الطائرات ، التي تبلغ قيمتها مائة وخمسين مليون دولار، دون ان تحصل على اذن مسبق من الولايات المتحدة ، طبقا للاتفاق بين الطرفين ، والذي على أساسه تقوم الشراكة في بناء هذه الطائرات · وتذرعت واشنطن بان انجاز مثل هذه الصفقة مخالف للقيود التي وضعتها هي على تزويد دول اميركا اللاتينية بالاسلحة · وتعويضا لاسرائيل عما قد يلحقها من ضرر مادي، نتيجة لعرقلة الصفقة ، قدمت اميركا مبلغ مائتين وخمسة وثمانين مليون دولار زيادة في دعمها الاقتصادي ، اي مايقارب ضعف قيمة الصفقة ، ولكنها أصرت على عدم السماح بانجازها · وعلى رغم ذلك ، أقام القرار الاميركي الدنيـا وأقعدها في اسرائيل ، علما بأن لواشنطن ، وحسب الاتفاق ، كامل الحق في اتخاذه ازاء الصفقة · وهذا الحق يقوم على ان الولايات المتحدة تزود تلـك الصناعة في اسرائيل بالمال والمعرفة والقطع الاساسية اللازمة لانتاج الطائرات· ولكن يبقى سؤال لماذا تصرفت الولايات المتحدة على هذا النحو ، ويبقى كذلك السؤال عن مصير هذه الصناعة العسكرية ·

حتى عام ١٩٦٨ ظلت الصناعة العسكرية في اسرائيل خفيفـة ومحدودة ، لاتعدو كونها مجموعة من الورش ، تقوم أساسا بسد بعض احتياجات الجيش الاسرائيلي من العتاد الخفيف وقطع الغيار الهامشية · وبعـد الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير الاسلحة الى اسرائيل ، تحولت الانظـار فيها الى اتجاهين ، في ان معا · فمع التوجه الى امتلاك السلاح الاميركي مباشرة ، راحت اسرائيل تنمي صناعتها العسكرية بوتيرة متسارعـة · الا ان الطفرة الحقيقية في تلك الصناعة ، جاءت بعد حرب تشرين ، واثناء المفاوضات علـى التسوية السياسية · وقد استطاع كيسنجر اقناع اطراف التسويـة بضرورة الاغداق على اسرائيل بالدعم ، المادي والعسكري ، كي يمكنها السير في ركاب تلك التسوية · فكان أن تطورت تلك الصناعة الى حد لايمكن معه الاستهانة بها قط · والان تحركت واشنطن لتقطع الطريق على الباكورة الفعلية لتلك الصناعة الى سوق السلاح الدولية ، اذ أن هذه هي الصفقة الاولى من طائرات الكفير ، مع أن الولايات المتحدة كانت تعلم جيدا أن اسرائيل تعرض طائراتها للبيع في السوق الدولية ، وانها اشتركت في عدد من المعارض الدوليـة المقامـة لهذا الغرض ، ولم تعترض ، كما يبدو على هذه التوجيهات، مما شجع اسرائيل على الاقدام على عقد الصفقة مع الاكوادر ·

وفي كلامهم العلني عن الصفقة ، يعترف قادة الكيان الصهيوني ، بمن فيهم رابين نفسه ، بان الصفقة مع الاكوادور تخالف الاتفاق المبدئي مع الولايات المتحدة ، والذى كان ، كما يبدو ، محدد الاهداف · ولكنهم يدعون ايضا بان ظروفا جديدة قد خلقت ، تحتم على اسرائيل التوجه الى تصدير انتاج الصناعة العسكرية · فهل كان حظر التصدير جزءا من الاتفاق ، ام ان الولايات المتحدة، في حينه ، ارادت ان تحتفظ بزمام الامر في يدها ، سواء فيما يتعلق بمستقبل تلك الصناعة ، او في عنوان التصدير · والاكيد ان واشنطن لم تكن تفكر بامكان ان تسد اسرائيل احتياجاتها الذاتية من الاسلحة المتطورة بانتاجها المحلي ، بواقع ضخامة المبلغ المخصص من الدعم المادي الذي تقدمه الى اسرائيل لتسديد ثمن الاسلحة الحديثة التي تتزود بها من الولايات المتحدة · فلماذا اذن مساعدتها على تطوير تلك الصناعة ، اذا كانت لا تنوي السماح لها بالتصدير ؟ ان الاقرب الى المعقول هو ان واشنطن ، ايام كيسنجر ، وعندما تم الاتفاق على مساعدة اسرائيل في بناء تلك الصناعة ، بتقديم العون المالي والتكنولوجي، وكذلك الجزء الاساسي والاهم من القطع ، كانت تريد ان تستعمل اسرائيل كغطاء لتسريب الاسلحة الى بعض الانظمة الفاشية والعنصرية ، التي تؤيدها الولايات المتحدة ، ولكنها تجد نفسها محرجة في تقديم السلاح لها ، لما لذلك من انعكاسات على مجمل علاقاتها الخارجية ·

ويبدو ان اسرائيل ، على اساس هذا التفاهم مع ادارة فورد ، راحت تبني صناعتها العسكرية ، ليس بهدف سد احتياجاتها من السلاح ، اذ ان ذلك توفره الولايات المتحدة ، وانما كمشروع رأسمالي مشترك مع شركات اميركية، يخدم اهدافا سياسية امبريالية ، وخاصة في العالم الثالث · وتطورت تلك الصناعة ، واستوردت لها معدات حديثة ، واتبعت فيها اساليب انتاج متقدمة ومحكمة · ويشير تقرير عن تلك الصناعة الى وجود حوالي اربعين مجمعا ميكانيكيا ، تجري ادارتها بالكمبيوتر · وفيها حوالي الف الة لصقل المعادن ، ومئات المكابس ، التي تعمل بضغط الماء او الهواء ، واكثر من خمسماية فرن للصهر ، منها حوالي التسعين تعمل بالضغط ومئات الماكينات الاوتوماتيكية لاعداد الرقائق المعدنية ، وعشرات الاف المخارط (هارتس ٧-٣-٧٧) · وكذلك فقد استطاعت تلك الصناعة ان توفر لنفسها الطاقة البشرية المهنية اللازمة ، من مهندسين وفنيين وعمال مهرة · هذا وبقيت تكاليف الانتاج فيها ، خاصة الاجور ، اقل منها في البلاد الصناعية الاخرى ، مما يجعلها صناعة مربحة ، اذا توفرت لها سبل البقاء ·

وبطبيعة الحال ، فقد ارتبط بنمو هذه الصناعة العسكرية ، وما تفرع عنها من صناعات معدنية والكترونية اخرى ، تطور رأسمالي محلي ، منه ما هو في القطاع العام ، وتتحكم به شريحة من التكنوقراط ، وما هو في القطاع الخاص،

وتمتلك جزءا منه برجوازية اسرائيلية ، بالاشتراك مع رؤوس اموال خارجية، وبالاساس اميركية · والممثل الابرز لهذه الرأسمالية ، والذي ارتبط اسمه بهذه الصناعة منذ بدايتها ، هو شمعون بيريس ، وزير الدفاع الاسرائيلي ، الذى خلف رابين في قيادة الحزب ، والمرشح الاول لتأليف الحكومة بعد الانتخابات· وهذا دليل على فاعلية هذه الشريحة في السياسة الاسرائيلية · وقد ثارت هذه الشريحة على رابين عندما وصف ازمة صفقة الطائرات بانها مسألة هامشية في شبكة العلاقات مع الولايات المتحدة ، والزمته على التراجع العلني عن كلامه هذا · والاكيد ان فشل رابين في تلبية هذه الشريحة ، كان عاملا هاما في ازاحته عن الحكم · ويظهر انها تنوي مواصلة الصراع مع واشنطن لشق طريقها الى سوق السلاح الدولية ·

واذا اصرت الولايات المتحدة على قطع طريق الدخول الىسوق السلاح الدولية امام هذه الصناعة ، فان ذلك سيؤدي حتما الى تحطيمها ، وبالتالي الىالقضاء على النمو الرأسمالي المرتبط بها · وهي ليس بمقدورها ان تتحول الى انتاج السلع الاستهلاكية ، لانها لا تستطيع الصمود في المنافسة الدولية في هذا المجال· فتكون الولايات المتحدة قد انزلت بالفعل ضربة قاسمة بالاقتصاد الاسرائيلي ، لا يتوقف اثرها عند بطالة الاف العمال فحسب ، وانما يتعداه الى تعطيل المصانع الحديثة التي اقيمت خصيصا لهذه الصناعة ، والى توقف البحث العلمي والتكنولوجي في مضمارها · واذا كانت هناك ثمة تطلعات لدى هذه الرأسمالية بالعمل على توسيع هامش استقلاليتها عن الاقتصاد الام ، مما سينعكس طبعا على القرار السياسي ايضا ، فقد تنوء هذه الشريحة الاسرائيلية الصاعدة بحل تبعات مثل تلك التطلعات.· ولعل الولايات المتحدة تقصد ذلك بالذات · اذ لا يستبعد قط ان تكون الامبريالية الاميركية ، في عهد كارتر ، قد عدلت عن مشروعها ، وتريد الابقاء على اسرائيل اداة في يدها ، وتمنعها من التحول الى شريك ، ولو صغير · واذا صح ما يتناقل من انباء عن نية واشنطن عقد حلف دفاعي مع اسرائيل ، وهو ما كان السناتور فولبرايت قد اقترحه قبل سنوات ، فان في ذلك دليلا على تبني التوجه الى حصر الكيان الصهيوني في اطار البقاء قلعة عسكرية ، تتمتع بحماية اميركا من جهة ، وتتحرك لتنفيذ سياستها الامبريالية في المنطقة ، متى شاءت ،والى اقتلاع ما قد يخامر تفكير بعض قطاعات الرأسمالية الصهيونية في اسرائيل من تطلعات لتوسيع هامش حريتها ، الاقتصادية والسياسية ، منذ البداية ·

وبالفعل ، فقد مارس ممثلو هذه الشريحة ضغوطا كبيرة على رابين ، قبل سفره الى واشنطن ، لالزامه باثارة موضوع تصدير الطائرات في محادثاته مع الادارة الاميركية · ويبدو انهم عرضوا المسألة عليه بكامل ابعادها ، الاقتصادية والسياسية ، خاصة الداخلية منها · وحرك اصحاب الشركات ذات

المصلحة عمالهم للتظاهر امام السفارة الاميركية في تل ابيب ، مطالبين برفع الحظر عن الصفقة · وتحدث نفر منهم الى الصحافة ، واتهم شركات اميركية، تحتكر بيع السلاح الى اميركا اللاتينية ، بممارسة الضغط على ادارة كارتر لايقاف تنفيذ الصفقة · واشار هؤلاء الى خوف الشركات الاميركية من المنافسة الاسرائيلية والى قلقهم من سحب هذا القرار ، الذي وجد له غطاء في قوانين اميركية تتعلق ببيع السلاح الى دول اميركا اللاتينية ، على مناطق اخرى من العالم ، بحجة او باخرى ، وبالتالي الى منع اسرائيل من التصدير الى اية جهة كانت · والجدير بالذكر ان قيمة صادرات هذه الصناعة قد بلغت حوالي اربعمائة وخمسين مليون دولار في العام الماضي ·

التنقيب عن النفط :

منذ حرب حزيران ، ١٩٦٧ ، وحتى اتفاقية سيناء ، عام ١٩٧٥ ، ظلت اسرائيل تضخ من سيناء نفطا يفي بالقسم الاكبر من احتياجاتها · ولدى انسحابها من القطاع الغربي من شبه جزيرة سيناء ، عادت ابار النفط في ابو رديس وحقل البلاعيم الى الايدي المصرية · وفي اتفاقية سيناء ، حصلت اسرائيل من الولايات المتحدة على تعهد بتعويضها عن خسارتها من جراء ذلك · ولكنها ، كما يبدو ، ظلت تعتبر نفسها صاحبة حق في التنقيب عن النفط في كل سيناء ، وفي خليج السويس ايضا ، كونها لا تزال تحتل قطاعا من ساحل سيناء ، يطل على الخليج · وبالفعل ، فقد قامت بعمليات التنقيب عن النفط في منطقة الطور البرية ، وفي الخليج ، على حد سواء · ولكن الحكومة المصرية كانت قد منحت امتيازا لشركة اموكو الاميركية ، التابعة للشركة الام ، ستاندرد اويل اوف انديانا ، يخولها حق التنقيب عن النفط في خليج السويس ، الذي هو مياه مصرية اقليمية · واصطدمت اعمال الشركة الاميركية بالموقف الاسرائيلي ، الذي يدعي الحق في تقرير الامر بالنسبة الى النصف الشرقي من الخليج · ونشب الخلاف حول المسألة ، وانتقل الى واشنطن ، بعد ان صادرت اسرائيل احدى الحفارات التابعة للشركة ، كانت تعمل شرقي الخط الذي تعتبره اسرائيل حد احتلالها · ويبدو ان الامر قد فض بتراجع اسرائيل ، كما اراد رابين ، وخلافا لرأي بيرس في الموضوع · واستغل بيرس الحادث لصالحه في معركة الترشيح لرئاسة الحكومة ، وخرج على الملأ ، ينادي بوجوب الا تخضع اسرائيل للاملاءات ، حتى وان كانت اميركية ·

والظاهر ان واشنطن قد سئمت الابتزاز الاسرائيلي الرخيص · فبعد ان عوضت الكيان الصهيوني عن توقيف نهبه للنفط المصري ، بدا وكأنها اعطت بذلك سابقة ، فتحت شهية اسرائيل للمزيد · واصبح واضحا ، حتى لواشنطن ، ان اسرائيل ، التي تفاوض على التسوية ، مما يستوجب بطبيعة الحال انسحابا ،

انما تقوم باعمال التنقيب عن النفط في سيناء طمعا في اقتصاص ثمن لذلك عند الحديث عن خطوة اخرى في التسوية · فكان موقف الادارة الاميركية حاسما هذه المرة ، وارغمت اسرائيل على التراجع ، لصالح شركة اموكو ·

السلاح :

كانت ادارة فورد ، بقيادة كيسنجر ، وتحت غطاء القول بضرورة تقوية اسرائيل ، لتشجيعها على التقدم في مسار التسوية ، وعدت اسرائيل بتسليمها صفقة من قنابل الارتجاج · كما وعدتها بالنظر في مسألة السماح لها بالمشاركة في انتاج طائرات ف ـ ١٦ ، والتي طلبت اسرائيل تزويدها بحوالي ٢٥٠ منها ، وتمت الموافقة على ذلك · والظاهر من الكلام عن زيارة رابين ، ان واشنطن قد تراجعت عن الوعد بتسليم القنابل المذكورة ، وتذرع كارتر بالمثل الاخلاقية في نقضه لوعد سلفه · ولكن لا يستثنى تأثير الضغط العربي على واشنطن في هذا المجال ، اذ بتزويدها اسرائيل بمثل هذه القنابل ، تضع اميركا علامة استفهام كبيرة حول مفهوم التسوية السلمية التي لا تنفك تتحدث عنها، وحتى في نظر الاطراف الراغبة فيها · فبتلك القنابل قد يطفح الكيل · وبقيت الولايات المتحدة على عهدها لاسرائيل من ناحية التزويد باحدث انواع الطائرات التي تنتجها ، مع ابقاء القرار بالنسبة لانتاج مشترك لهذه الطائرات معلقا ·

التسوية السياسية :

كل مبادرة جديدة في اطار التسوية السياسية تكشف بصورة اكثر وضوحا، ان اسرائيل لم تكن بالفعل ترغب في انجازها ، وإنما كانت تحاول كسب الوقت، والمناورة لالقاء تبعة الرفض على الطرف العربي · وبرنامج حزب العمل الانتخابي والذي تتقيد به حكومة اسرائيل ، قد صيغ من هذا المنطلق ، والواقع ان المؤسسة الحاكمة في اسرائيل عاجزة عن اتخاذ قرار التسوية · ذلك ان هذا الكيان ، الذي قام في ظل ظروف سياسية معينة ، وضمن موازين قوى محددة ، مطلوب منه الان ، من اجل انجاز التسوية ، تحديد حدوده الجغرافية والبشرية والسياسية في ان معا ، وكل ذلك ، قبل ان يجسد مشروعه الصهيوني ويحقق ذاته على ارض الواقع ، وفي ظل ظروف سياسية وموازين قوى مختلفة عن تلك التي سادت لدى قيامه · والكيان اليوم ، تنقصه المرونة اللازمة لتحمل تبعات القرار الحاسم بشأن تقرير مصيره ، دون ان ينكسر ·ومن هنا ، ونظرا الى الفارق الكبير بين قوته العسكرية وفاعليته السياسية ، كان الاسهل عليه اتخاذ قرار الحرب · ولكن الظرف الدولي لم يكن يسمح بذلك بعد

حرب تشرين ، فبقي امامه خيار المراوغة وكسب الوقت ، تحينا للفرصة المواتية لازالة اثار حرب تشرين ٠

وعلى طريق كسب الوقت ، التقى قادة الكيان مع كيسنجر ، الذي جمع الاطراف المعنية ، على مسار الخطوة ـ خطوة ، مما هو بالاساس طرح اسرائيلي ، صدر في البداية عن ديان بالذات ٠ ومسار الخطوة ـ خطوة ، يوفر لاسرائيل المدى الزمني الذي تحتاجه للخروج من مأزق نتائج حرب تشرين ،كما يفسح امام واشنطن المجال لاخراج الاتحاد السوفياتي من اللعبة ، ومن ثم الانفراد بانجاز تسوية على هواها ٠ ولكن هذا المسار وصل الى طريق مسدود٠ وبذهاب كيسنجر عن المسرح ، كان لا بد لخلفه من متابعة التحرك في الخط الذي ارتأته واشنطن لنفسها ـ التسوية السياسية ٠ والظاهر من اقوال كارتر ، انه ينوي التقدم نحو التسوية باسلوب مغاير بعض الشيء ٠ فهو ، كما يبدو ، يريد التوصل الى اتفاق مبدئي حول ماهية السلام وشروطه ومتطلباته ، ومن ثم تنفيذه على مراحل ، خطوة ـ خطوة ٠ ولكن ، حتى هذا التغيير الشكلي كشف عجز القيادة الاسرائيلية عن التعامل معه ٠

ومهما تكن النوايا الحقيقية لادارة كارتر ، فالظاهر من ردود الفعل الاسرائيلية ، خاصة بعد زيارة رابين واستقالته ، ان ثمة خلافا في وجهات النظر بين الطرفين بالنسبة الى التسوية وشروطها ٠ وتقول المصادر الاسرائيلية بان كارتر جاد في نيته التحرك نحو حل شامل ٠ وهذا يختلف عن خط واشنطن السابق ، ويتناقض مع التوجه الاسرائيلي ، الذي يفضل التسويات المرحلية٠ وتفيد تلك المصادر ايضا بان رابين قبل وجهة النظر الاميركية اثناء محادثاته في واشنطن ، ظنا منه بان الدول العربية غير مستعدة لهذا النوع من السلام ، الذي يتحدث كارتر عنه ٠ والظاهر ان رضوخ رابين للاملاء الاميركي ، حتى وان كان تكتيكيا ، جعله اضعف من ان يخوض المعركة الانتخابية ، على خلفية التعبئة السياسية التي شحنت حكومته الجمهور الاسرائيلي بها ، خلال السنوات الثلاث الماضية ٠ وجاءت تصريحات كارتر المتتالية عن ماهية السلام وشروطه، وكذلك عن رأيه في حل المسألة الفلسطينية ، لتساعد خصومه السياسيين في هجومهم عليه ٠

واذا صح ما يدور من كلام عن توجهات واشنطن الجديدة ، فمعنى ذلك انه لا مكان لاصحاب المواقف الوسطية ، من امثال رابين ، على رأس الحكم في اسرائيل ، بينما رصيدهم الاساسي هو الدعم الاميركي ٠ اي ان رابين لم يعد يقدر على حمل البطيختين في آن معا ، فاستقال ، واخذ مكانه ممثل التيار الاقوى في اسرائيل ، شمعون بيرس ٠ وهو التيار المناوىء للاتجاهات الاميركية ، في حين ان الاقرب اليها ، هو تيار الون ـ ايبان ، المعروفين بمواقفهما « الحمائمية » ٠ وتعبيرا عن ضعف هذا التيار الاخير ، وجد ايبان نفسه ينضم الى معسكر بيرس

في بداية معركة الترشيح لرئاسة الحزب ، في حين لم يجرؤ الون على التصدي لبيرس بعد استقالة رابين ، رغم كونه نائب رئيس الحكومة · وهـذا لا يعكس موازين القوى في حزب العمل فحسب ، وانما وعلى نطاق اوسع ، في الجمهور الاسرائيلـي عامـة ·

واذا جاز الكلام الآن عن تبلور تيارات سياسية داخل الكيان الصهيوني حول مسألة التسوية ، وبالامكان تصنيفها في تيارين ، لا يزالان غير واضحى المعالم ، ولكنهما آخذان بالبروز · اما الاول ، فهو صهيوني تقليدي ، ولـه جناحان · احدهما يميني والاخر ليبرالي · ويذهب اليمين الى القول بوحدة الشعـب وتكامل الارض ، في حين يكتفي الجناح الليبرالي بوحدة الشعب · وكلاهمـا يريد الحفاظ على الطابع اليهودي للدولة · الا ان الاول يريد ذلك عن طريـق اجلاء السكان العرب من المناطق المحتلة ، في حين يريده الثاني عن طريـق التنازل عن المناطق المأهولة بهؤلاء العرب · وممثل الجناح اليميني الابرز هـو حزب ليكود ، وتسير في ركابه الاحزاب الدينية عامة · في حين تمثل الجنـاح الثاني القوى التي تقف وراء ايبان والون وحزب مبام · اما التيار الثاني فهو الذي يدفع باتجاه تحويل اسرائيل الى دولة استيطانية على غرار جنوب افريقيا او روديسيا ، وهو لا يعطي ليهودية الدولة نفس الاهمية التي يؤكد عليها التيار الاول · وابرزممثلي هذا التيار هو شمعون بيرس ، وموشيه ديان ، وكلاهمـا من تلاميذ بن غوريون ، ومن رفاقه في حزب رافي · ويلتقي التيار الثاني ، فـي كثير من مواقفه السياسية ، الداخلية والخارجية ، مع الجناح اليميني مـن التيار الاول · ومن هنا كان جنوحهما الى تشكيل حكومة « ائتلاف قومي » ، ومن هنا ايضا سهولة تأرجح ديان بين حزب العمل وليكود · وعلى صعيـد التسوية السياسية ، يكاد الاثنان يتفقان على شروطها ، خاصة ما يتعلق منهـا بالموقف من القضية الفلسطينية ، والانسحاب من الضفة الغربية · والفارق ، كما يطرحه بيرس ، هو بين الاعلان عن ضم الضفة ، كما يقول ليكود ، وتحمل تبعة ذلك ، وبين التستر والمناورة ، والقاء التبعة على العرب · اما الجنـاح الليبرالي فمواقفه اقرب الى الحل المطروح اميركيا · واذا صح الكلام عـن « صقور » و « حمائم » على هذا الاساس ، فان رابين كان صقرا في اسرائيل ، وحمامة في واشنطن · ولكنه عجز عن اتقان اللعب على الحبلين ، خاصة عندما شدا الى درجة عالية من التوتر ، فسقط ·

ماذا بعد رابيـن ؟

ان الانتخابات الراهنة لن تقود اسرائيل الى استقرار سياسي · فاما ائتلاف ضعيف لا يستطيع التعامل مع المبادرات الجديدة في اطار التسوية ،واما حكومة « تجمع قومي » ، تقطع الطريق عليها ، وتصطدم بواشنطن · وكـلا

الخيارين يحتم اجراء انتخابات اخرى في موعد مبكر · واذا جـرت انتخابات اخرى ، فستتبلور فيها المواقف وفقا للحلول المطروحة للتسوية ، وستتغير فيهـا التحالفات طبقا لذلك · والمتوقع ان تدور المعركة بين اتجاهين : ١) اتجـاه اسرائيل اليهودية الاستيطانية ، بغض النظر عن « تكامل الارض » ، وهـو الاقرب الى النظرة الاميركية الحالية · ٢) اتجاه اسرائيل ، على غرار جنوب افريقيا وروديسيا ، بغض النظر عن يهودية الدولة · والواضح ان الاتجـاه الثاني هو الاقوى اليوم · ولذا فلا بد لواشنطن من تحطيمه ان هي ارادت ان تتجاوب اسرائيل مع ما تعلنه من توجهات ·

يصدر قريبا

عن مركز الأبحاث

في منظمة التحرير الفلسطينية

تاريخ الصهيونية

الجزء الأول

التسلّل الصّهيوني الى فلسطين

١٨٦٢ - ١٩١٧

تأليف : صبري جريس

حوار مع فاروق قدّومي :

احتمالات الحَرب أكبر من احتمالات السلام

قضايا الساعة الفلسطينية ـ كان العنوان العريض لهـذا الحـوار المطويل ، بين الاخ فاروق قدومي [ابو اللطف] رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، وبين هيئة تحرير « شؤون فلسطينية » ، تم فيه تناول كافة الاسئلة المطروحة على الفكر السياسي الفلسطيني في مواجهة المرحلة المقبلة ٠

□ ونود ، في البداية ، ان يضيء لنا الاخ ابو اللطف قانون العلاقـات الفلسطينية مع الاطراف الدولية ، الذي يقود عمل الدبلوماسية الفلسطينية ٠ ما هي مفاهيمها الرئيسية ، وكيف تصوغ معادلة الممارسة النضالية فـي الحقل الدبلوماسي ؟٠

● للثورة ثلاثة اساليب : العمل المسلح ، العمل السياسـي ، العمـل الدبلوماسي ٠ ولا شك في ان العمل المسلح هو القاعدة الاساسية التي يقـوم عليها العمل الدبلوماسي ٠ كما اننا في علاقاتنا على المستويين العربي والدولي، نلتزم الميثاق الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية ، برامج العمل السياسـي المرحلي وقرارات المجلس الوطني ٠ هذه هي الاسس الثلاثة التي تقوم عليهـا الدبلوماسية الفلسطينية ٠ اما اهداف تحركنا السياسي والدبلوماسي علـى المستوى الدولي فهي تحقيق الاعتراف الدولي بحقوقنا الوطنية ، ثم الاعتـراف

بعدالة وشرعية نضالنا على كافة المستويات ، وحقنا في استخـــدام كافـــة الاساليب في هذا النضال · واخيرا ان يتجسد هذا الاعتراف في وجود ممثلين لنا في كافة البلدان التي نتصل بها · ونحن نعرف منذ البداية ان لنا اصدقاء ، بدءا بدول عدم الانحياز ثم الدول الافريقية والاسيوية والعالم الثالث ، ودول المجموعة الاشتراكية · ونحن نحاول دائما تطوير مواقف هذه الـــدول مـــن قضيتنا · فمواقف بعضها ، كان في البداية يتوقف عنـد حدود دعـم مسألـــة اللاجئين ، ثم تطور هذا الدعم الى طرح مسألة الحقوق المشروعة ، ثـــم الـــى الحقوق الوطنية ومنها حق اقامة دولة فلسطينية مستقلة · هكذا تطورت القضية الفلسطينية الى قضية سياسية فهي مسألة شعب له حقوق ·

حددنا منذ البداية اهدافنا : لنا اهداف مبدئية ولنا اهداف مرحلية · مـــن المفترض ان تتبنى الامة العربية اهدافنا المبدئية ، ولا شك في ان الامـة العربية في معظمها قد تبنت ضرورة تحرير الاراضي الفلسطينية ، ولكن بعد حرب ١٩٦٧ اصبح هناك تحديد مرحلي للاهداف العربية في مؤتمر القمة السادس الـذي قرر ان الاهداف المرحلية للامة العربية هي : اولا ، تحرير الاراضي التي احتلت عام ٦٧ ، ثانيا ، تحرير القدس وعدم القبول بأي وضع يمس عروبتها ، اي منع التدويل ، ثالثا ، استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني كما تحددهـــا منظمة التحرير · نحن ، بعد عام ١٩٦٧ كنا نطالب بهدف عام ، فكان علينـــا مرحلة هذا الهدف العام ، ثم اعلنا في المجلس الوطني اهدافنا المرحلية ، فـي اننا على استعداد ان نقيم سلطة وطنية على كل شبر من الارض المحررة · وجاء مؤتمر الرباط فأقر ذلك · وكان الخلاف في الفترة السابقة يقوم بيننا وبيـــن الاردن على تحديد هوية الممثل الشرعي الوحيد ، لان الاردن كان يقاسمنـــا ذلك ، فعندما استطعنا في المجال العربي ان نحدد ذلك كان علينا ان ننتقل الى المجال الدولي · وهنا حددنا مرحلية هذه الاهداف · وبدأت لجنة العشرين التي اصدرت قرارها في العام الماضي في تبني ما نقوله بشكل كبير في مرحلية هـذا النضال ، اي اقامة دولة فلسطينية على جزء من اراضينا · واقرت الامم المتحدة توصيات لجنة العشرين ·

اذن نحن نعمل على ثلاثة مستويات ، المستوى الوطني ، والمستوى العربي ، والمستوى الدولي · **المستوى الوطني** : انتقال من الاهداف العامة الى الاهداف المرحلية · وكذلك **عربيا** : انتقال من الاهداف العامة الى تحديـد الاهـــداف المرحلية · ثم نأتي الى **الوسط الدولي** من اجل ان يتبنى ما وضعناه في الواقـع الوطني · بالاضافة الى ذلك قلنا انه من المفروض ان يصار الى تبني اهدافنـا عالميا . ليس فقط شرعية نضالنا ، ليس فقط انتقال قضيتنا من قضية لاجئين الى قضية سياسية وقضية شعب ، وانما بلورة ذلك في اقامة دولة فلسطينية علـــى

جزء من اراضينا · ولا بد ان يكون الاعتراف الدولي هنا في الاساس هـــو اعتراف بحقنا في اقامة هذه الدولة · وقد تبنت الاوساط الصديقة ، بما فيها الدول الاشتراكية ، ودول عدم الانحياز والدول الافريقية هذا الهدف المرحلي · فنحن ، **بدأنا عملية خلق الكيان الفلسطيني في المنفى ، قبل ان ننتقـــل الـــى الارض** · وهذا عامل اساسي · **فلا بد ان تكون للشعب الفلسطيني كينونـــة سياسية** · فقد استطعنا الانتقال من قضية لاجئين الى قضية سياسية · ثـــم طورنا مسألة الاعتراف بحقوقنا من الحقوق المشروعة ، الى الحقوق الوطنية ، الى اقامة دولة فلسطينية ·

كما بدأنا التعامل مع الواقع الاوروبي · نعرف ان الدول الغربية لا توافق اساسا على جميع اهدافنا · فاعترفت اولا بمصالحنا المشروعة · ثم اعترفـــت دول المجموعة الاوروبية التسع اي دول السوق المشتركة ، بالحقوق الوطنيـــة للشعب الفلسطيني · هكذا تحقق الانتقال من الحقوق المشروعة الى الحقـــوق الوطنية · وهذا هام جدا بالنسبة لنا · ولا شك في ان فرنسا لعبت دورا مهمـــا في هذا التحول · هكذا استطعنا ان نطور مواقف فرنسا وايطاليا والسويد ، ثم تبعتها بلجيكا والنمسا · طبعا هناك دول اكثر تقدما في مواقفها كاليونـــان واسبانيا · تبقى اذن دولتان ، بريطانيا والمانيا الغربية ، لا تعترفان بالحقـــوق الوطنية لشعبنا · فالمندوب البريطاني في الامم المتحدة يقول بضرورة وجـــود قطعة ارض للفلسطينيين ، لكنه لا يشير الى ضرورة ان تكون لهذه الارضـــ سيادة · اي انه لا يزال ضمن مشاريع المملكة المتحدة ·

لقد استطعنا خلال عملنا الدبلوماسي ان نصل الى انجازين رئيسيين :

١) تطوير اعتراف العالم بحقوقنا · ٢) اقامة وجود تمثيلي لنا في بلدان العالم ·

لقد استطعنا ان نقطع في عملنا الدبلوماسي اشواطا كبيرة وواضحة ·

واصبح العالم في معظمه يتبنى قضية الاعتراف بنا · بل وصلنا ، فـــي بعض الدول الاوروبية الى اكتساب شبه اعتراف دبلوماسي بنا · حيث لنـــا ، هناك ، حقوق وامتيازات دبلوماسية · كما لنا في دول اخرى مجـــرد مكاتـــب دعاية كما في بريطانيا والولايات المتحدة وكندا ·

لقد نجحنا بالفعل كما اشرت في تطوير الاعتراف بحقنا في النضال بكافة الاساليب · والنضال من اجل حقوق وطنية محددة ، معترف بها من قبل الدول الافريقية والآسيوية ودول عدم الانحياز ، ثم انتقلنا بعد ذلك الى بناء عضويتنا الكاملة في الامم المتحدة انطلاقا من اعضاء مراقبين في الوكالات المختصة الـــى الوصول الى العضوية الكاملة في مجموعة الدول غير المنحازة · ثم انتقلنـــا

الى العضوية الكاملة في جامعة الدول العربية ، حيث كانت الجامعة هي التي تحدد في السابق مندوب فلسطين · طبعا ، هذه المحاولات كان يتخللها الكثير من المؤامرات والمشاريع المضادة ، كمشروع المملكة المتحدة · او مشاريع الكونفدرالية مع اسرائيل ، التي كانت تطرح لتعيق عملنا ومسيرتنا السياسية والدبلوماسية ·

□ حول مواقف الدول الاوروبية ، نلاحظ ان الكثير من هذه الدول الاوروبية تعتبر تغيير مواقفها ، بانه اتى انسجاما مع القرار ٢٤٢ · فكيف نفهم ردنا على هذا القرار واقتراب الدول الاوروبية من الفهم الفلسطيني له ؟

● في اتصالاتنا مع الدول الاوروبية ، كان لنا هدف اساسي ، فما دمنا نرفض القرار ٢٤٢ ، فقد توجهنا الى التشكيك بهذا القرار لدى الاوساط التي دعمته ·

ونلاحظ اليوم ، ان الكثير من الدول الاوروبية بدأت تعتقد ان القرار ٢٤٢ قد جمد · فالكثير من هذه الدول ، بدءا من السويد ووصولا الى بريطانيا ، بدأت تقول بان هذا القرار غير كاف ·

من هنا فان بيان دول المجموعة الاوروبية الصادر في ٦ نوفمبر يتجاوز القرار ، لانه يشير الى الحقوق الوطنية التي لم تذكر في القرار ٢٤٢ · ثم جاءت محاولة الدول غير المنحازة لتعديل القرار ٢٤٢ في مجلس الامن كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦ · وقد حظي مشروع التعديل بموافقة جميع الاعضاء ، ما عدا الولايات المتحدة ، التي استعملت حق الفيتو ، لمنع المجلس من اقراره ، وذلك التزاما منها بالبروتوكولات الملحقة باتفاقية سيناء ، والتي تنص احداها على ان الولايات المتحدة سوف تعارض في مجلس الامن اي تعديل للقرار المذكور ·

نحن نعلم ان قضية فلسطين كانت تعامل في الامم المتحدة ، ابتداء من عام ١٩٥٢ كقضية لاجئين · فعندما قبلت الامم المتحدة ان تعالج ابتداء من عام ١٩٧٤ قضية فلسطين ، اي قضية البلاد الفلسطينية ، تكون المنظمة الدولية ، قد تجاوزت الواقع الذي فرض منذ عام ١٩٥٢ ، اي الواقع الاسرائيلي · فهي نظريا لا تعترف بهذا الواقع اعترافا كاملا · فهذا الواقع متنازع عليه · **فعندما تعود قضية فلسطين الى البحث ، تصبح اسرائيل ايضا تحت البحث ·**

قلنا ان جوهر ازمة الشرق الاوسط هي قضية فلسطين · فكان لا بد من صياغة قرار نؤكد فيه حق الشعب الفلسطيني في وطنه نتجاوز فيه حتى قرار

التقسيم · فكان القرار ٣٢٣٦ الذي نص على الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني في فلسطين · اي اننا ، نكون بذلك قد تركنا للاجيال القادمة حرية التحرك السياسي على المستوى الدولي من اجل اكمال المسيرة الثورية ، بما في ذلك حق تقرير المصير والاستقلال الوطني وحق العودة · وهذا يختلف عن القرار ١٩٤ الذي يخير بين العودة والتعويض · ثم يأتي بعد ذلك حق استخدام كافة الاساليب من اجل استرداد الوطن · ففي هذا القرار تجاوز كبير للقرار ٢٤٢ الذي ينطلق من فرضية وجود صراع بين الدول العربية المجاورة لارضنا المحتلة وبين العدو ، لكنه لا يعالج المسألة الاساسية ، مسألة الشعب الفلسطيني ·

اعود الى القول ، انه كان علينا ان نمرحل هذا النضال · ثم قامت لجنة العشرين وقسمت هذه الحقوق الى حقين : **حق العودة** وحق **تقرير المصير والاستقلال الوطني والسيادة** · وقالت بعودتين : عودة النازحين عام ٦٧ وعودة لاجئي ١٩٤٨ · اما حق تقرير المصير فلا يمكن ان ينفذ الا على اساس العودة الاولى · من هنا جاءت توصيات اللجنة التي اقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة ، وهي : (١) على مجلس الامن اتخاذ الترتيبات العاجلة من اجل انسحاب القوات الاسرائيلية من الضفة الغربية وقطاع غزة في موعد اقصاه ١ حزيران (يونيو) ١٩٧٧ · ويضع جدولا زمنيا لهذا الانسحاب ، حيث تحل قوات دولية مكان قوات الاحتلال · (٢) تتولى الامم المتحدة كافة المنشآت في الضفة والقطاع · (٣) تتعاون الامم المتحدة والجامعة العربية من اجل تسليم الضفة والقطاع الى م · ت · ف · بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني · (٤) بعد قيام الكيان الفلسطيني ، تقوم الامم المتحدة بالتعاون مع ممثلي هذا الكيان ومع الاطراف المعنية في ازمة الشرق الاوسط ، بتنفيذ ما تبقى من حقوق الشعب الفلسطيني ، ومن اجل اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ·

ان هذا القرار ، قريب من المرحلية · وهو يتجاوز فعلا القرار ٢٤٢ · يؤكد هذا القرار على ان الضفة الغربية وقطاع غزة تعطى لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد انسحاب الاسرائيليين منها · هكذا تجاوزنا القرار ٢٤٢ ، وكرسنا هذا التجاوز في القرارات الاخرى التي تقول ان منظمة التحرير الفلسطينية هي طرف اساسي في النزاع ، ولا بد من مشاركتها في كافة المساعي والمؤتمرات التي تبحث قضية فلسطين ، او مسألة النزاع العربي الاسرائيلي في منطقة الشرق الاوسط ·

□ هل يمكن اذن تجاوز الهيئة التي انبثقت عن القرار ٢٤٢ ، اي مؤتمر جنيف ؟

● لا بد ان اشير هنا ، الى ان مؤتمر جنيف هو اختيار عربي من اجل حل ازمة الشرق الاوسط · نحن كـ م · ت · ف · طرحنا اختيارا اخر : الامم المتحدة · جنيف لم تكن اختيارنا · انها اختيار عربي · نحن نختار الامم المتحدة ، فهناك نجد ان جميع اطراف النزاع متواجدة · ونحن لسنا على استعداد لحضور مؤتمر جنيف على اساس القرار ٢٤٢ · كما ورد في النقاط العشر · وضع العرب اختيارهم ، ووضعنا نحن اختيارنا · ونحن ، انطلاقا من قناعتنا بصعوبة تغيير اساس مؤتمر جنيف ، قلنا بالاختيار الاخر : الامم المتحدة ومجلس الامن · ونحن لسنا على استعداد لحضور مؤتمر جنيف على اساس القرار ٢٤٢ ·

□ هل يمكن في رأيكم ان يوافق الاتحاد السوفياتي على هذا الاختيار ؟

● في رأيي ، انه ما دامت اسرائيل والولايات المتحدة ، ترفض الاعتراف بـ م · ت · ف ·وترفض مشاركتها في مؤتمر جنيف ، فلا بد اذن من هذا الاختيار· والا ، فعلى هذه الدول ان تجد اختيارا ثالثا وهو فرض الحل ، اذا كانت· تستطيع ·

□ عودة الى نقطة الدبلوماسية الفلسطينية · اذا اردنا ان نعمم الكلام الذي قيل ، نستطيع ان نقول ، ان دبلوماسية الثورة ، هي محاولة لترجمة الحقائق الثورية الى حقائق سياسية · نلاحظ ، ان انتصارات الثورة الدبلوماسية ، كانت دائما نتيجة تحولات لصلحتنا على ارض الصراع · الان ، وفي الوضع الراهن ، وامام الحواجز التي تضعها الامبريالية الاميركية ، في وجه الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني · كيف ترى علاقة تحركنا الدبلوماسي بالواقع الموضوعي في المنطقة ؟

● منذ البداية ، اتخذت الدبلوماسية الفلسطينية خطا واضحا ، ومنهجا يكاد يكون مستقلا عن الدول العربية · فالدبلوماسية كانت تنفذ الى الواقع الدولي من خلال الدول العربية · لكننا استطعنا تجاوز هذا الواقع الدولي ، مع الدول الصديقة وغيرها · لقد بدأنا هذا التجاوز عمليا ، وبصراحة ، بعد عام ١٩٧٠ · لكننا نصر ، وباستمرار ، على ضرورة وجود استراتيجية عربية موحدة ، نكون ، نحن ، كـ م · ت · ف · جزءا منها · لكن واقع الخلافات العربية ، وواقع وجود خلاف بيننا وبين بعض الانظمة ، وقد ادت هذه الخلافات الى صدامات مسلحة في بعض الاحيان · فنحن نختلف في كثير من الامور مع بعض الدول العربية ، بسبب نظرة بعضها الى م · ت · ف · باعتبارها غير

ناضجة لتولي مسؤولية العمل السياسي والدبلوماسي الفلسطيني ٠

بالاضافة الى قضايا لا تزال عالقة كقضية الضفة الغربية مع الاردن ، وقضية شعبنا في الاردن ، ثم قضية تواجدنا في لبنان ٠ ثم قضية عدم تدخل الانظمة في شؤوننا الداخلية ، من خلال منظمات او ضغوط ٠ وكذلك ، وفي المقدمة قضية تحركنا العسكري من الحدود العربية ٠

هذه مشاكل ، لا تزال قائمة ٠ ونحن نعالجها من خلال الحوار المستمر ٠

نحن نحاول ما امكن ، ان نكون حصيلة ايجابية للموقف العربي السياسي والعسكري ونحاول ان نجمع القوى العربية في مواجهة العدو المركزي والاساسي الذي هو اسرائيل ٠

لكن تبقى خلافات ناتجة اساسا من المصالح الاقليمية والقطرية الضيقة ٠ كقضية مؤتمر جنيف ٠ فهناك بعض الدول العربية التي قبلت مؤتمر جنيف ، والاساس الذي يقوم عليه هذا المؤتمر ٠ نحن نرفض هذا الاساس ، فهو غير صالح لحل القضية الفلسطينية ٠ لكننا نرى ، ان يبقى خلافنا مع الدول العربية حول هذه النقطة ، خلافا تكتيكيا ، لا يؤثر على الهدف العربي في تحرير الارض المحتلة عام ١٩٦٧ كهدف مرحلي ، ولا على هدفنا في اقامة دولة مستقلة ٠ هناك مسألة اخرى ٠ من يمثل الشعب الفلسطيني ؟ لقد استطعنا حل هذه المسألة نظريا والى حد كبير في مؤتمر الرباط ٠ ف م ٠ ت ٠ ف ٠ هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وهي التي تنطق باسمه ٠ فلا يوجد حق لاي كان ، لا الاردن ولا غير الاردن ، في التكلم باسم شعبنا ٠ نقطة الخلاف هذه التي استطعنا حلها نظريا في مؤتمر الرباط ، نريد ان نحلها عمليا ٠ وبما انها تتعلق بالاردن ، لذلك جاء الحوار بيننا وبين النظام الاردني ٠

هناك نقطة اخرى بالغة الاهمية ٠ فنحن نريد تحركا سياسيا فلسطينيا مستقلا، لكنه ينسق مع الدول العربية ٠ لذلك ، نحن نسعى كي يكون تحركنا السياسي مقبولا من معظم الانظمة المؤثرة سياسيا وعسكريا ٠ وهذا يفرض علينا علاقات ديمقراطية بين مختلف التنظيمات داخل م ٠ ت ٠ ف ٠

ان المنجزات الثورية والحقائق التي نؤكدها ، يأتي العمل الدبلوماسي لينقلها الى الواقع الدولي ٠ لكن الخلافات العربية تحدث اثارا سلبية على تحركنا السياسي ٠ ثم نأتي الى الهدف العربي وكيفية تحقيقه ٠ فهناك من يرى ان الاختيار العسكري لا يزال قائما ٠ بينما هناك من يعتقد ان الحل السياسي هو الاختيار المتاح ٠ نحن نرى ان الاختيار العسكري لا يزال قائما ٠ لان الغزوة الصهيونية جاءت عن طريق العنف والقوة ٠ غير اننا لا نسقط الاختيار السياسي والدبلوماسي ، لانه رديف ٠ فموازين القوى هي التي تفرض احد الاختيارين ٠

□ لكن هناك تناقضات كبيرة بين الحل الاسرائيلي والحل العربي · فلا العرب قادرون على القبول بشروط السلم الاسرائيلي في حده الادنى ، ولا الاسرائيليون يقبلون السلم العربي في حده الادنى ·

● نحن نرى ان هناك حلا او سلاما مرحليا ، وحلا وسلاما دائمين · لا يقوم الحل الدائم ، الا عبر بناء دولة فلسطينية ديمقراطية يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود على قدم المساواة · السلم الدائم هو بناء هذه الدولة الديمقراطية · وهذا هدف بعيد المدى · اما السلم المرحلي فهو في اقامة دولة فلسطينية على جزء من ارضنا · ولن يتم في المنطقة الا احد هذين السلمين · لكن السلطات الاسرائيلية تحاول ان تنسي العرب اراضي ما قبل حرب ١٩٦٧ · وتحاول اظهار حرب ١٩٦٧ وكأنها بداية الصراع · نحن نرفض هذه النظرية من الاساس · ونقول ان المسألة مطروحة من يافا الى نهر الشريعة · فهذه الاراضي كلها محتلة · تل ابيب متنازع عليها ، ويافا متنازع عليها ·

نظريتنا في مسألة السلام هي هذه : سلم مرحلي يقوم على الانسحاب وبناء دولة مستقلة · وسلم دائم يقوم على بناء دولة فلسطين الديمقراطية ·

طبعا ، هناك نظريات كثيرة حول هذه المسألة · هناك **اولا** الحدود التي يمكن الدفاع عنها · **ثانيا** الحدود الشرعية · **ثالثا** الانسحاب من اراض عربية · وتشترط اسرائيل الى جانب هذا اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية وثقافية مع الدول العربية · العرب لا يوافقون · يطرحون امكانية ايقاف حالة العداء واقامة حالة من السلام ، شرط انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ ، وتحقيق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني · وبعضهم لا يحدد معنى هذه الحقوق ، بالاضافة طبعا الى ما ورد في اتفاقية سيناء من حق المرور في السويس وغيرها · نحن نرى ، انه اذا كان لا بد من مرحلة نحو السلام ، فلا بد من انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة ، من سيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة عندها يكون هناك سلم مرحلي · وتبدأ الاطراف العربية نقاشا وديا مع الفلسطينيين حول مسألة الحل الدائم او السلم الدائم ·

اذ ان العديد من القضايا الاساسية تكون قد بقيت دون حل · **قضية اللاجئين، وقضية الاراضي الفلسطينية التي ما زالت تحت الاحتلال ، وقضية العلاقة بين الفلسطينيين داخل الكيان الصهيوني والفلسطينيين داخل الكيان الفلسطيني** ·

نحن نقول ، ان مؤتمر جنيف ، اذا عقد ، فلن يخرج باكثر من سلم مرحلي · اما السلم الدائم ، فهو يتجاوز سقف هذا المؤتمر · ونحن حين انطلقنا عام ١٩٦٥ ، انطلقنا من الضفة والقطاع ·

□ هل يعني هذا ان ثمة امكانية لتحقيق سلم مرحلي في ظل سقف مؤتمر جنيف ؟

● لقد اعلنا ان حضورنا لمؤتمر جنيف يقوم على الاسس التالية :

١) ان توجه الدعوة الى م ٠ ت ٠ ف ٠ ٢) ان تحضر م ٠ ت ٠ ف ٠ مؤتمر جنيف منذ البداية ٠ ٣) ان تشترك م ٠ ت ٠ ف ٠ في كافة اعماله ٠ ٤) ان يكون بند فلسطين ، بندا مستقلا على جدول الاعمال ٠ ٥) اذا قبلنا الدعوة فلن نقبلها على اساس القرار ٢٤٢ او القرار ٣٣٨ ٠

نقبلها فقط على اساس القرار ٣٢٣٦ ٠ اي اننا نرفض حدودا آمنة معترفا بها لاسرائيل ٠ ٦) نرفض حضور جنيف كشهود زور لتسوية عربية – اسرائيلية ٠ ٧) ان اسرائيل والولايات المتحدة غير جادتين في اقامة سلام دائم وعادل في المنطقة ٠

هذا هو موقفنا الواضح من مؤتمر جنيف ، وقد ابلغناه لفالدهايم ٠ كما ان ثقة العالم بالقرار ٢٤٢ قد اهتزت ٠ فمجلس الامن رفض في شهر كانون الثاني (يناير) طرح المندوب البريطاني لاعادة الثقة بالقرار ٠

□ ما هو تقديركم للاحتمالات الفعلية للحرب والسلام ؟

● نحن في م ٠ ت ٠ ف ٠ لا نرى القواعد السياسية والمرتكزات الصالحة لوجود تفاؤل عربي في التسوية السياسية ٠ فنحن نرى : (١) ان موازين القوى العسكرية ليست لصالح الدول العربية بل هي لصالح اسرائيل ٠ وهذا عامل اساسي في تقرير ما يمكن الحصول عليه من حقوقنا القومية ٠ (٢) ان التضامن العربي الذي لعب دورا اساسيا في حرب تشرين ١٩٧٣ ، لم يعد قائما ، وهناك خلافات وصراعات بين الانظمة العربية ٠ (٣) عامل الضغط الاقتصادي على اوروبا والولايات المتحدة ، اي النفط ٠ فليس هناك ما يشير الى ان الدول البترولية ، ستستخدم هذا العامل بشكلٍ كبير ، كما في حرب تشرين ٠ (٤) ان علاقات بعض الدول العربية ، مع الدول الكبرى الصديقة ، اي مع الاتحاد السوفياتي هي علاقة غير جيدة ٠ ان الاتحاد السوفياتي الذي سيحضر مؤتمر جنيف ، من المفترض ان ينسق عمله مع مصر وسوريا ٠ وهو الان ، على علاقة غير حسنة مع مصر ٠

هذه العوامل ، التي كان من المفترض ، ان تكون عوامل قوة في الجانب العربي ، اصبحت عوامل ضعف ٠ فكيف يمكن ان تكون هناك تسوية سياسية مقبولة من الدول العربية ؟٠

اما في الجانب الاخر ٠ فاننا نرى ان السياسة الاميركية بدأت تتجه لخلق

ظروف حرب باردة جديدة · اذن ، فاحتمالات الحرب في المنطقة سوف تزداد ، لان الصراع في الشرق الاوسط ليس معزولا عن الصراع الدولي بين قـــوى التحرر والتقدم وبين قوى التخلف والامبريالية ·

لذلك فنحن لا نرى في الافق امكانية حل ، حتى ولو عقد مؤتمر جنيـف · وحتى اذا عقد فلن يكون اكثر من عملية «كموفلاج» من اجل امتصاص جزء من التوتر ·

كما ان الولايات المتحدة تعاني من عدة مشاكل : ١) المشاكـل المحليـة الداخلية · ٢) قضية الاسلحة الستراتيجية ، في علاقاتها مـع الاتحـاد السوفياتي · ٣) الامن الاوروبي · ٤) الحرب في افريقيا · ٥) مشكلة الشرق الاوسط ·

اذن ، فان احتمالات الحرب الباردة تزداد · وهناك مؤشرات على ذلـك · زيارة غانس الفاشلة الى موسكو ، حيث برزت خلافات · اتفاقية الحد مـن الاسلحة الستراتيجية ، حقوق الانسان التي يعتبرها الاتحاد السوفياتي تدخـلا في شؤونه الداخلية ، وهناك قضية التجارة الدولية ، هل يكـون الاتحـاد السوفياتي الدولة الاكثر رعاية ·

هكذا نرى ، فيما يتعلق بمنطقتنا ان **احتمالات الحرب اكبر من احتمـالات السلام** وليس هناك توجه اسرائيلي واضح لقبول الحقوق الوطنية لشعبنا او للقبول بدولة فلسطينية مستقلة ·

كما لا توجد مؤشرات ايجابية اميركية · فالتصريحات الاميركيـة لا تـزال تتجاهل القضية الفلسطينية وتعتبرها قضية لاجئين على الدول العربية المجاورة للارض المحتلة حلها ·

☐ ما هو موقف م · ت · ف · من تصريحات كارتر ، حول « الحدود القابلة للدفاع عنها » · وحول الوطن للاجئين ؟

● هذه التصريحات تحتاج الى تفسير · فنحن نخشى ان تعني كلمة Homeland مجرد مأوى للاجئين الفلسطينيين ، وفي هذا عودة الى مشاريع التوطين · واذا كان هذا الموقف يعتبر خطوة ايجابية ، فلا بد من اضافة كلمات قليلة كي يعطـي تصريح كارتر وجهه الايجابي · لا بد من ان نقول عوض Homeland عبـارة National Homeland اي وطن قومي · ان تستخدم عبارة الشعب الفلسطينـي بدل عبارة اللاجئين الفلسطينيين ، بدل ان يقول ان الدول العربية تتولى هـذه المسألة ، يجب ان يقال في فلسطين او في مناطقهم ·

اذا اضيفت هذه الامور الى التصريح ، عندها يمكننا اعتباره تصريحـا

ايجابيا · ويخشى ان تكون عبارة مأوى للاجئين هي خطوة الى الخلف ، فوثيقة ساندروز اشارت الى استحالة الحل في الشرق الاوسط بدون الفلسطينيين · ساندروز قال بالمصالح المشروعة للشعب الفلسطيني ، اي انه اعترف بوجود شعب فلسطيني · والان نلاحظ ارتدادا الى الوراء ، الى مقولة اللاجئين ·

□ هناك في الواقع ، ثلاثة مواقف داخل الساحة الفلسطينية ، فيما يتعلق باستراتيجيتنا السياسية : ١) التفاهم المباشر مع اميركا · ٢) التحالف مع اصدقائنا الدوليين وخاصة الاتحاد السوفياتي · ٣) التحالف الفلسطيني ـ العربي · فما هو تقييمكم لهذه الاراء والمواقف ؟

● الواقع ان هذه القضايا متشابكة · والدبلوماسية الفلسطينية ، تأخذ هذه المسائل بأسرها ، في تشابكها ، وتطرحها ، من اجل خدمة اهداف محددة ·

هناك ايضا من يطالب برفض مؤتمر جنيف سلفا · ونحن نقول ، ان الدبلوماسية الفلسطينية لا تستطيع ان تتخذ موقفا يخالف الميثاق الوطني او قرارات المجالس الوطنية · وعلى ضوء الميثاق والقرارات التي تشكل هاديا لعملنا الدبلوماسي والسياسي نستطيع ان نشير الى الامور التالية :

هناك قرارات تدعو الى تعزيز التضامن العربي · كما ان هناك قرارات تدعو الى تعزيز التضامن مع دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية والدول الاسلامية · وهناك قرارات تدعو الى تطوير الحوار العربي ـ الاوروبي ، والى تنمية علاقاتنا مع المنظمات الدولية ·

نحن نريد ان يعترف العالم بحقوقنا الوطنية ونحن على استعداد للتعامل مع كافة الانظمة او الدول بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية ·

وليس هذا مستغربا ، فقد سبقتنا فيتنام اليه · لان المهم ، هو دعم حقوقنا الوطنية وتبنيها ، والعمل في سبيلها · نحن مع جبهة عربية وعلى اوسع نطاق ، لاننا نريد تضامنا عربيا في خدمة القضية العربية ·

اما عن الاتصال بالولايات المتحدة ، فنحن في الدائرة السياسية كممثلين الدبلوماسية الفلسطينية ، نؤكد على ان هذا الاتصال يجب أن يكون على مستوى رفيع · ولا شك في ان اعتراف الولايات المتحدة بحقوقنا المرحلية هي خطوة الى الامام · وهذا لن يغير موقفنا المبدئي الثابت المعادي للامبريالية · لقد اعلنت فيتنام استعدادها لاقامة علاقات دبلوماسية وسياسية وثقافية مع جميع البلدان بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية بما فيها الولايات المتحدة · دون ان يعني هذا تحولا في موقفها المعادي للامبريالية ، الذي يدين الولايات المتحدة في كافة ممارساتها ·

عندما اتجهنا لاقامة علاقات مع الدول الاوروبية ، كنا نعلم ، ان فرنسا كانت تزود اسرائيل بطائرات الميراج · ولا شك ، ان تغير الموقف الفرنسي بالغ الاهمية بالنسبة لنا · فعلينا ان نعمل على تحويل العوامل الايجابية الى جانب العدو الى عوامل سلبية · اي ، لا بد من تحييد اصدقاء اعدائنا في المرحلة الاولى ثم كسبهم كاصدقاء في مرحلة لاحقة ·

ولكن ، هل يمكن للسياسة الاميركية ان تتغير وتصبح مؤيدة لاهدافنا الوطنية ؟ نحن نقول ، ان هذا غير ممكن الان على الاقل · لذلك يجب عزل السياسة الاميركية عن المجموعة الدولية ، كي نضعها في موقف لا تستطيع معه سوى الرضوخ لقرارات ومواقف المجموعة الدولية المؤيدة لحقوقنا ·

العزل الكامل لاسرائيل ، وعزل السياسة الاميركية · هذه هي اهدافنا · اما القول باتصالات فنحن لم نأخذ تعليمات لا من المجلس الوطني ، ولا من اللجنة التنفيذية لاقامة هذه الاتصالات · وفي مثل هذه الحالات يجب ان تكون التعليمات واضحة وصريحة ·

□ هناك من يحاول الفصل بين اسرائيل والولايات المتحدة · فهل يشكل هذا الفصل اساسا لفهمنا للتراجع الاميركي المطلوب ·

● نحن نهدف الى احداث تراجع في موقف الولايات المتحدة ، في الشرق الاوسط · اما القول بامكانية الفصل بين اسرائيل والولايات المتحدة ، فهذا مستحيل · نحن كمنظمة التحرير لا نرى امكانية فصل بين اسرائيل والولايات المتحدة · لان الولايات المتحدة تشترك وعلى كافة المستويات في ايجاد اسرائيل ودعمها · من الرغيف حتى الفانتوم · واسرائيل ، هي ضرورة استراتيجية للولايات المتحدة ، من اجل اعاقة حركة التحرر العربي ، واستنزاف موارد الامة العربية ، في حروب وصراعات وانشغال مستمر يعيق التنمية الاقتصادية· لكننا نريد احداث تراجع اميركي في الشرق الاوسط ، كما حدث هذا التراجع في فيتنام · ونحن نوافق العرب على ان يكون تراجعا مرحليا ، الى حدود ١٩٦٧ على الاقل · اما التغييرات في السياسة الاميركية فنحن نأخذها بعين الاعتبار ·

ونحن في المقابل ، ننسق مع القوى التقدمية والتحررية التي تؤيدنا ، من اجل دعم التيار التحرري في العالم الثالث · لذلك سعينا مع الدول العربية البترولية لزيادة دعمها الاقتصادي للبلدان الافريقية · لان استقلال هذه الدول امر هام · وكذلك ندعو الى دعم ومساندة القوى المواجهة للدول العنصرية في افريقيا وخاصة تانزانيا وموزامبيق وزامبيا · لان انهيار الانظمة العنصرية في افريقيا امر بالغ الدلالة والاهمية بالنسبة لنا · من هنا ندعو الدول العربية الى

دعم قوى المواجهة في افريقيا وعدم الانشغال في مشاكل اخرى تافهة · فنحن نرى ان الصراع الحقيقي في افريقيا هو بين الانظمة الوطنيـــة والانظمـــة العنصرية ·

كذلك ، يجب ان نفهم ان العلاقات الدولية تقوم على تبادل المصالح · فهناك قضية البترول ، التي يمكن استخدامها كورقة ضغط على اوروبا الغربية ومـــن خلالها على اميركا · ونحن نرى كيف عطل الضغط الاميركي على اوروبـــا ، امكانية ان تصدر الدول التسع ورقة اكثر تقدما من ورقة ٦ نوفمبر · فالبترول ورقة بالغة الاهمية ، يمكن استخدامها في الضغط على اوروبا الغربية ، لان معنى استخدامه بشكل فعال يقود الى بداية انهيار الامن الاوروبي وهذا ما تخشاه الولايات المتحدة وتسعى الى عدم حصوله ، لانه يهددها بشكل مباشر · وهنـاك مثل اليابان ، التي تعتمد صناعاتها على البترول العربي · فعلاقاتنـــا مـــع اليابان اصبحت جيدة ، وافتتحنا هناك مكتبا ، واليابان مستعدة للسير معنا ، افضل بكثير من الدول الغربية المرتبطة بالولايات المتحدة ·

اما بشأن علاقاتنا مع الولايات المتحدة ، فنحن لا نقوم باتصالاتنا مباشرة · نعتمد على الدول العربية البترولية التي لهـا علاقات حسنـة مـــع الولايات المتحدة للقيام بالضغط · نعتمد على السعودية والكويت وابو ظبي · كما اننـا نعتمد على الدول العربية التقدمية كالجزائر وليبيا والعراق وسوريا ، مـن اجل العلاقات مع الاتحاد السوفياتي · ولا شك ان البيان السوري السوفياتي دليل واضح على اهمية العلاقة السورية ـ السوفياتية في دعم الاهداف الفلسطينيـة والقومية في آن واحد ·

□ هناك اتصالات فلسطينية اردنية ، فما هي المعاني السياسية لهـــذه الاتصالات في المرحلة الراهنة ؟

● لا بد في البداية من توضيح نقطة بالغة الاهمية · فمنظمة التحرير قـــد انجزت الكثير في مجال الوصول الى استقلال القرار الفلسطيني · طبعا ، هذا لا يعني اننا لا نتأثر بالعوامل المختلفة · لكن القرار الفلسطيني هو في النهايـة قرار مستقل · ونحن نراعي الظروف العربية ، والتطورات العربية والدولية ، والتطورات داخل الساحة الفلسطينية · على هذا الاساس تبنـــى السياســـة الفلسطينية في الواقع الوطني والعربي والدولي ·

العلاقات مع الاردن هي مسألة بالغة الاهمية ولا بد من بحثها بشيء مـــن التفصيل · من وجهة نظر سياسية ، نحن نقول لا بد من وجود علاقـــات مـــع الاردن ، ومن تعزيز هذه العلاقات · لان الاردن هو شعبنا ·· ونحن مع الوحـدة

كشعار وكحقيقة · ولا يمكن ان نكون الا مع الاتجاه الوحدوي · ان شعبنا في الاردن سواء كان فلسطينيا او اردنيا هو شعب واحد ، ولا يمكن فصله ، بل على العكس ، سنعمل على تعزيز وحدته · لكن هدفنا اقامة دولة فلسطينية على جزء من ارضنا ، هو جزء من استراتيجية معروفة · كي تبقى الهوية الفلسطينية · فاذا لم نستطع في هذه المرحلة انجاز كامل اهدافنا ، فعلينا ان نترك الراية الفلسطينية التي تؤيدها الشرعية الدولية في ايدي الاجيال القادمة من اجل تحرير ما تبقى من ارضنا · يجب ان تستمر هذه القضية في الواقع العربي والدولي · فهناك فلسطينيون داخل الارض المحتلة يجب ان لا يندمجوا في الواقع الاسرائيلي · ولهم حق تقرير المصير ، لذلك يجب ان تبقى الراية الفلسطينية لتشدهم الى شعبهم · والدولة الفلسطينية سوف تحدد مواقعها من جميع الكيانات المجاورة ·

ولا شك في ان العلاقة الجيدة والممتازة مع الاردن ضرورية ، لانه هو عمقنا الستراتيجي ، ولا يمكن ان نقيم دولة فلسطينية مستقلة دون ان تكون هناك علاقة جيدة بيننا وبين الاردن ·

ثم هناك قضية نضالية · فشعبنا في الداخل يطالبنا بان نكون اكثر قربا من مواقعه · كل ثورة لا تكون لها قاعدة ارتكاز مجاورة لارض العمليات هي ثورة في المنفى وسوف تزول مع الزمن · فكلما اقتربنا من منطقة العمليات وبنينا قواعد سياسية ثم عسكرية ، نقترب اكثر الى حقيقتنا الثورية · فالثورة يجب ان تنمو بين الجماهير ، والغالبية العظمى من جماهيرنا موجودة في الاردن · ويجب ان نقضي على كل التيارات الاقليمية داخل الاردن · فشعبنا الذي استطاع من خلال قمة الرباط ، ان يؤكد حقوقه المكتسبة في فلسطين والاردن حقق انجازا فعليا · وقد وافق عليه الاردن · وهذه نقطة ايجابية · ويجب ان نقول ، ان الاردني سوف يتمتع في المستقبل بنفس الحقوق المكتسبة ، ومن حقه ان يحمل جوازا فلسطينيا وجوازا اردنيا في الوقت نفسه · فشعبنا واحد ·

هناك نقطة اخرى · فتنفيذ قرارات الرباط هو امر يتعلق بالاردن · ونحن بحاجة الى التنفيذ العملي المادي لهذه القرارات ·

اما تحديد العلاقة ، وشكلها وصيغتها قبل ان تتحرر الضفة الغربية فنحن متفقون مع الاردن ، وبحثناها شخصيا مع الملك حسين ، في انها مبكرة جدا · لا بد اولا من ان نأخذ الارض ، وبعد ذلك نحدد الصيغة · لاننا لا نريد ان نسمح لاسرائيل والولايات المتحدة بان تخلق نزاعات بين العرب ·

فمستقبل الارض هو شأن عربي خاص بنا · ونحن نصر على العلاقة · مليون فلسطيني يقيمون في الاردن · هذه علاقة · ولا يمكن ان نقطعها · وبالنسبة للدولة الفلسطينية لا بد من قيام علاقة مع الاردن ، رغم انه يمكن ان تختلف مع

السياسة الاردنية الرسمية · ونحن بصراحة نختلف مع الكثير من الانظمة العربية · لكن يجب حل الخلافات عبر اشكال الحوار المتعددة ·

□ ولكن هناك مصلحة للنظام الاردني في علاقته مع م · ت · ف · ونلاحظ تاريخيا ، ان هذه العلاقة كانت علاقة صدامية · ولا يمكن ان تكون الا كذلك ، نتيجة خلاف استراتيجي بيننا وبين هذا النظام ؟

● لنتحدث اولا في المبادىء ، ثم نأتي الى التجارب · لا بد اذا من صياغة المبادىء التي تحمي مسيرتنا · ثم نصل الى الممارسة · هناك مبادىء يجب استخلاصها من تجارب الشعوب ، من التجربة الفيتنامية · او من تمييز الرئيس ماوتسي تونغ في احدى مراحل نضاله بين الامبريالية الاميركية والبريطانية وبين الامبريالية اليابانية ، كذلك يجب ان نستفيد من تجربة الثورة الجزائرية في علاقاتها مع الدول المجاورة ·

مبدئيا ، هناك تناقضات رئيسية وتناقضات ثانوية · التناقض الرئيسي هو بيننا وبين الصهيونية واسرائيل والامبريالية · وهناك تناقضات ثانوية مع انظمة متعددة · ولا يوجد نظام عربي لم نختلف معه ولم نتصارع معه ، ووصل الامر الى الصدام العسكري في بعض الاحيان ونحن لا نستطيع خوض معركتين في وقت واحد · وهذا مبدأ عام وصحيح ·

ثم نأتي الى التجارب · هناك الكثير من المتغيرات الدولية · كل شيء يتحرك في هذا العالم بشكل جدي · كذلك ، يجب ان نأخذ في اعتبارنا الوجود الفدائي في لبنان واحتمالات المستقبل · ونحن ، نسير دائما في حركة دائرية حول الارض المحتلة · لا نستطيع الخروج من هذه الحركة ، لان معنى ذلك هو الابتعاد عن الارض المحتلة · والا تكون الثورة قد ابتعدت عن اهدافها · لذلك نحن داخل هذه الحركة الدائرية حول الارض المحتلة : لبنان ، سوريا ، الاردن ، مصر · لا استطيع الذهاب الى العراق او ليبيا · لا شك انهم اصدقاء ويساندون مسيرتنا · لكن قواعد ارتكازنا يجب ان تبقى هنا ، بين جماهيرنا ·

تحتاج قاعدة الارتكاز لشروط معينة : ١) ان يكون لنا ارض صديقة · ٢) ان تكون الجماهير هناك مؤيدة لنا · ٣) ان نملك قوة سياسية وعسكرية تحمي وجودنا · ٤) ان تكون هناك قوى اقتصادية تسمح لنا بالاستمرار ·

هذه الشروط يجب ان تتوفر · يمكن ان تتوفر بنسب معينة · الناحية الايجابية هي الاقتراب من جماهيرنا في الداخل · هدفنا المرحلي هو اقامة دولة فلسطينية

في الضفة والقطاع · لذلك يجب ان نقترب من الارض ، وهذا مـــا تريـــده الجماهير ·

هذا تقع الخلافات بيننا وبين الرفض المثالي · رفض التسوية السياسيـــة · فالرفض الذي يتحقق في الواقع لا فائدة منه · اذا اردت ان تغير واقعا فلا بد من التماس المباشر به · وعندما اكون في تماس من اجل التغيير عندها اكـون ثوريا ·

لقد ساعدتنا الظروف على اقامة هذا الحوار مع الاردن · وربما ، ســـوف يكون بطيئا ، ونتائجه بطيئة ، لان عوامل الثقة لا تزال غير متوفـــرة · نحـــن ننطلق في هذه العلاقة من قرارات الرباط ، التي تؤكـد حقنـا في اقامة دولـــة فلسطينية ، وتؤكد على حقوق الفلسطينيين في الاردن ·

على الثورة ، كما اعتقد ، ان تبنى سياسيا وعسكريا وثقافيا واقتصاديا · ويجب ربط مصالح الجماهير بهذه الثورة · فالناس لا تأكل الافكار · او كمـا قال نابليون : إلجيوش تزحف على بطونها · غدا سوف نخرج جوازات سفر ، لانها تخدم الجماهير · وربما سيخرج غدا بعضهم ، ليقول : انظروا هـــؤلاء يريدون اقامة دولة · المهم هو خدمة هدفنا المرحلي ومعرفة مصالح الجماهير · الجماهير في الاردن تطالب بعودتنا ، ومن هنا ، قرر المجلس المركزي اقامة هذا الحوار · لا يوجد في العالم عداوات دائمة او صداقات دائمة ، هنالك مصالـح دائمة · كما ان التغيير لا يتم الا عبر التماس مع الواقع المادي والاجتماعي ·

□ كيف تقيم زيارة الاخ ياسر عرفات الاخيرة الى موسكو · وما هـــو الجديد في الصداقة بين الثورة الفلسطينية والاتحاد السوفياتي ؟

● في الحقيقة ، نستطيع ان نسجل النقاط التالية حول زيارة موسكو :

اولا : لقد جاءت الزيارة ، بعد احداث لبنان الدامية · وهي تأكيد على قوة الثورة الفلسطينية ، وعلى متانة العلاقات التي تربطها بالمنظومة الاشتراكية ، كقوى صديقة ، تدعم الثورة الفلسطينية وتدعم الاهداف الفلسطينية ·

ثانيا : انها ، زيارة لاول زعيم عربي لموسكو ، بعد احداث لبنان ، وبعد كل ما قيل ويقال حول وجود قطيعة بين بعض العرب وموسكو · فكانت تمهيـــدا فعليا لزيارات عربية اخرى · وهذا امر بالغ الاهمية ، لانه يدعم الجبهـــة التقدمية والوطنية والعربية ضد اسرائيل ·

ثالثا : لقد عومل الوفد بشكل رسمي · واستقبل الاخ ياسر عرفات كرئيس دولة · وعقد لقاءات مع الرفيق بريجنيف تناولت كافة الشؤون ، كما ركزت على تعزيز العلاقات السوفياتية الفلسطينية ، وعلى الدعم السوفياتي لمسيرتنـــا ،

واستعدادهم لتقديم المساعدات والدعم على المستوى الدولي ، في سبيل اشتراكنا في جميع المؤتمرات الدولية التي تبحث القضية الفلسطينية · كما تناول البحث العلاقات العربية السوفياتية ·

لقد كانت هذه الزيارة ، تحمل طابعا سياسيا خاصا ، ومستوى رفيعا من العلاقات السوفياتية ـ الفلسطينية ·

□ ما هو الدور الفلسطيني في اصلاح العلاقات المصرية السوفياتية · ثم هل هناك تصور سوفياتي جديد للحل في المنطقة ؟

● لقد كانت م · ت · ف · مهتمة دائما بموضوع تحسين العلاقات العربية ـ السوفياتية ، وخاصة العلاقات المصرية ـ السوفياتية ، التي اصابها الفتور في الآونة الاخيرة · لاننا نعلم ان العلاقات العربية ـ السوفياتية ، يجب ان تكون جيدة وذلك للاسباب التالية :

١) لانه يساعدنا على التزود بالسلاح · فالاتحاد السوفياتي هو المصدر الرئيسي لسلاحنا · اذ لا يمكن ان نحصل على سلاح باثمان رخيصة ، وبالنوعية المطلوبة ، من اي مصدر اخر ·

٢) ان الاتحاد السوفياتي ادان ويدين الموقف الاسرائيلي والاميركي ، ويقف الى جانب العرب فى هدفهم العلنى : ازالة اثار العدوان ·

٣) لان الاتحاد السوفياتي ، دولة صديقة ، تقف الى جانبنا ضد التحركات الامبريالية · وهي عضو في مؤتمر جنيف ، تقف الى جانب الحق العربي ·

هذه هي الاسباب التي تدفعنا للعمل على تحسين العلاقات المصرية ـ السوفياتية ، فتحسن هذه العلاقات ، سوف يقلب موازين القوى سياسيا لصلحتنا ·

في موسكو ، اجريت محادثات مع الرفيق غروميكو حول هذا الموضوع ، وابدى الاتحاد السوفياتي استعدادا كاملا من اجل تحسين العلاقة ، شريطة ان يكون هناك تهيئة من الجانب العربي · كما التقينا في نيويورك ، وبحثنا نفس المسألة · هكذا ، توقفت الحملات الاعلامية وبدأت العلاقات في التحسن · كذلك ، عندما قابلنا الرئيس السادات بعد انتخاب اللجنة التنفيذية الجديدة ابدى السادات استعدادا لتحسين هذه العلاقات · وبحث مع الاخ ياسر عرفات من اجل العمل في هذا الاتجاه ·

لكننا نشعر ، انه خلال عملنا لتحسين العلاقات ، يحصل دائما شيء جديد · فتبدأ الحملات الاعلامية · وكأن هناك مخططا لافشال هذه المحاولات ·

ان قضية النقد والحوار بين السوفيات ومصر ، هي مسألة ضرورية · لكن يجب ان لا تجري على صفحات الصحف · ولا شك ان اعلانا مصريا بالرغبة في تحسين العلاقات سوف يؤدي الى خطوات ايجابية · وعلى كل حال ، لا نزال نبذل الكثير من الجهد من اجل تحسين هذه العلاقات ·

اما مسألة وجود تصور سوفياتي جديد لمسألة حل الازمة · فالواقع انه لم تطرح علينا اشياء جديدة ، سوى مؤتمر جنيف ، واصرار السوفيات على المشاركة الفلسطينية في المؤتمر منذ البداية ، وعلى اساس اقامة دولة فلسطينية مستقلة ولن يرضى الاتحاد السوفياتي بشيء يرفضه الفلسطينيون ·

□ كيف نقيم انعكاس الحرب الباردة ، على ازمة الشرق الاوسط ؟

● في الواقع ، هناك الكثير من المؤشرات على وجود توتر دولي · تصريحات الرئيس كارتر حول حقوق الانسان في المنظومة الاشتراكية ، والتي يعتبرها الاتحاد السوفياتي تدخلا في شؤونه الداخلية · ثم هناك قضية الانظمة العنصرية في افريقيا ، واستمرار ايان سميث بالتشبث بموقف عدم اعطاء الغالبية السوداء حقها · بالاضافة الى وجود تحركات اميركية في افريقيا يعتبرها الاتحاد السوفياتي معادية له · ثم هناك مسألة عدم ابرام اتفاقية سالت ٢ · وهناك طبعا ، الموقف السوفياتي بدعم الشعوب العربية في مواجهة العدوان الاسرائيلي ·

في افريقيا عدة مشاكل · ١ ـ الانظمة العنصرية · ٢ ـ مسألة زائير · ٣ ـ مسألة اريتريا ومسألة البحر الاحمر ·

ونحن نعتقد ان الاتحاد السوفياتي سيتخذ سياسة اكثر حزما في مواجهة الانظمة العنصرية ، ولدعم تانزانيا وزامبيا وموزامبيق ·

ثم هناك مشكلة اريتريا · وهي قضية افريقية وعربية في آن معا · فمنظمة الوحدة الافريقية ترى انها قضية داخلية · ونحن كعرب ، نرى انها حركة وطنية تحررية تريد الاستقلال · ولكن ، وتفاديا لتوتر العلاقات بين المجموعتين العربية والافريقية ، يجب حل المسألة الارتيرية ، عبر التفاهم اذا امكن مع اثيوبيا ومنظمة الوحدة الافريقية · والا ، فاننا نخشى ان يتصدع التنسيق والتضامن العربي الافريقي ، وهذا ما تسعى اليه اسرائيل ، فعوامل الاستقطاب الدولي والعربي في المسألة الارتيرية قد تقود الى نتائج سلبية جدا · ونحن ، عندما بحثنا الامر مع الرفاق اليوغسلاف ، قلنا لهم ، انه يجب اقناع الاثيوبيين بضرورة حل مسألة اريتريا ، وعليهم ان يعلنوا موقفا يساعد القوى التقدمية العربية التي تدعم الثورة الاريترية ، على اتخاذ موقف ·

ان هذا الخلاف ، سوف يشكل مدخلا للتدخل الاسرائيلي في سبيل شق الصف العربي الافريقي · وهي قضية بالغة الحساسية ، لان هناك اتفاقا اسرائيليا اميركيا ، على « حق » اسرائيل في الطيران فوق البحر الاحمر ، والمرور في جبل طارق وباب المندب · فاسرائيل والولايات المتحدة تريدان من هذا الصراع تنفيذ هذه الاهداف التي اعلنتها البروتوكولات السرية الملحقة باتفاقية سيناء · ونحن نخشى ، ان يقودنا الوضع الافريقي الى تأجيل ازمة الشرق الاوسط · انهم يريدون للدول العربية وخاصة مصر والسودان ان تتوجه بقواها الى هذه المعركة في افريقيا · والتي يمكن تجاوزها بوعي ·

□ ما الجديد ، في موضوع تطبيق اتفاقية القاهرة في لبنان · بعد الهدوء النسبي للوضع في لبنان ، وخاصة في الجنوب ؟

● نحن ملتزمون بتنفيذ اتفاقية القاهرة نصا وروحا · والحديث عن تنفيذ الاتفاقية من جانب واحد هو مبالغة في حد ذاتها · لقد نفذنا نسبة كبيرة من الاتفاقية ، ولم يبق الا الجانب الذي يمنعنا الطرف الاخر من تنفيذه ، عبر عملياته في الجنوب ·

كما ان ما تبقى من تنفيذ اتفاقية القاهرة ، يحتاج الى وجود جيش لبناني من اجل التنسيق معه ، لان الاتفاقية ، تنص على التنسيق مع الجيش · ولا شك ان تشكيل الجيش اللبناني بامرة الرئيس سركيس سوف يساعد على حل النقاط الروتينية المتبقية لتنفيذ الاتفاقية · في مؤتمر الرياض ، قلت انا شخصيا للرئيس سركيس ، اننا لا نقبل بتفسير من جانب واحد · لذلك اقترح الرئيس السادات ايجاد اللجنة الرباعية من اجل هذه المسائل ·

لقد ابدينا الاستعداد لتنفيذ الاتفاقية نظريا ونفذناها عمليا · ايقاف الاذاعات، سحب الاسلحة الثقيلة ، انهاء المظاهر العسكرية · وابدينا كامل الاستعداد للتعاون مع الرئيس سركيس · هناك مبالغة في الجانب الاخر ، لانه لم ينفذ شيئا بحسب اتفاقية الرياض ومقررات مؤتمر القاهرة ·

ونحن ، سعينا الى حوارات مع الجبهة اللبنانية من اجل ازالة كافة الشكوك والمخاوف ، لان هدفنا هو ان يكون لبنان مستقلا ، وسيادته كاملة على اراضيه · ونحن نريد ان نكون عنصر استقرار وامن · لان هذا يساعدنا من اجل توجيه كل جهودنا الى الارض المحتلة ·

ان م · ت · ف · تبذل كل الجهد الممكن من اجل ان يكون هناك لبنان المستقل الآمن في اسرع وقت · ومن اجل اعادة بناء جيش لبنان ، لان هذا يساعدنا على تنفيذ ما تبقى من اجراءات روتينية في اتفاقية القاهرة · كما ان

المصالحة الوطنية ، سوف تكون عنصرا اساسيا يضع لبنان على طريق الاستقرار والامن ، من اجل عودة الحياة الطبيعية اليه ٠

□ ما هو تاثير الواقع الداخلي الفلسطيني ، على تحرك م ٠ ت ٠ ف ٠ الدولي ؟

● لا شك ان الواقع الداخلي الفلسطيني يؤثر على الاتصالات التي نقيمها مع الواقع الدولي ٠ هناك نواح ايجابية واخرى سلبية ٠

فوجود معارضة فلسطينية ، هو بحد ذاته نقطة ايجابية ٠ اذ تشير الى وجود روح ديمقراطية لدى الفلسطينيين ٠ وهناك حرية تعبير حقيقية ٠ فهذا المجتمع ، هو مجتمع ديمقراطي مسؤول يحترم حرية الانسان ٠ لكن هناك ناحية سلبية ٠ فعندما تأخذ المعارضة شكل الاتهام والتشكيك والشتائم ، فانها تأخذ شكلا انقساميا ٠ وهذا يضعف موقفنا ٠

هناك مسألة اخرى بالغة الاهمية ٠ **فوحدة القوى العسكرية للثورة بالغة الاهمية ٠**

ان وحدة موقفنا السياسي ، في الضفة الغربية ، هي التي افشلت مخطط اذابة الفلسطينيين ٠ فموقف شعبنا في الداخل ، ونتائج الانتخابات البلدية ، كانت ذات اثر بالغ على الرأي العام العالمي ٠ وجعلته اكثر تفهما ومساندة لموقف م ٠ ت ٠ ف ٠

كما ان المجلس الوطني الفلسطيني ، في دورته الاخيرة ، قد ساده جو ديمقراطي حقيقي ٠ رغم جو الضغوط ، فلم يمس الميثاق الوطني لجهة الاعتراف باسرائيل ٠ كما احبط الضغوط التي كانت تدعو لتغيير القيادة الحالية ، واعطاها ثقة كاملة ٠

كذلك لم تبرز معارضة كبيرة ٠ وجبهة الرفض لم تتخذ مواقف كجبهة رفض ٠ اذ دخلت اللجنة التنفيذية ثلاث منظمات رفض من اصل اربع منظمات ٠ فهناك معارضة فلسطينية ، وليس هناك رفض فلسطيني ٠

لقد اكد المجلس الوطني مجموعة حقائق:١) احترام الديمقراطية الفلسطينية٠ ٢) ان الموقف الفلسطيني واحد ٠ وان م ٠ ت ٠ ف ٠ خرجت من الاحداث الدامية ، اكثر تمثيلية للشعب الفلسطيني ٠ وهي الجهة الوحيدة التي تمثل

الشعب الفلسطيني دون منازع ٠ ٣) لا بد ، من الوصول الى الوحدة العسكرية الكاملة ٠ وتأكيد ان الخلافات ، اذا حصلت ، هي خلافات سياسية ٠ وهذا يزيد من احترام الشعوب والقوى الاخرى لنا ٠

واخيرا ، فالمطلوب ، هو تنقية الاجواء العربية من الصراعات والخلافات الثانوية ٠ والتأكيد على ان توجه الامة العربية الرئيسي يجب ان يكون في اتجاه المعركة الاساسية ضد اسرائيل والعدوان الصهيوني وضد التخلف ٠

يصدر قريباً

عن مركز الأبحاث

في منظمة التحرير الفلسطينية

المرأة الفلسطينية والثورة

دراسة اجتماعية ميدانية تحليلية

تأليف : غازي الخليلي

دور البحريّة العربيّة في البحر الأحمر

محمود عزمي

كشف حرب ١٩٧٣ اهمية الدور الاستراتيجي الذي يمكن ان تلعبه القوة البحرية العربية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، كأداة لممارسة « الخنق الاستراتيجي » الفعال ضد رئة اسرائيل الجنوبية « ايلات » ، ليس بصورة مباشرة عند مضائق « تيران » كما حدث عشية حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، وانما بصورة غير مباشرة في عمق البحر الاحمر عند « باب المندب » ٠

وكشف هذا الدور للبحرية العربية ، في الوقت ذاته ، الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر بالنسبة للعرب هجوميا ودفاعيا في صراعهم ضد عدوهم الرئيسي، وهو الكيان الصهيوني الاستعماري في فلسطين ٠ فضلا عن اهميته في تأمين المناطق الداخلية من الارض العربية البعيدة نسبيا عن المحيط الهندي والبحر الابيض المتوسط ، والتي تحتوي على ثرواتهم البترولية والاقتصادية الرئيسية ، كما تشكل في الوقت نفسه عمقها الدفاعي الاستراتيجي ٠ ففي البحر الاحمر تستطيع البحرية العربية ان تفرض حصارا اقتصاديا خطير النتائج على اسرائيل ، الامر الذي يشكل اداة ردع قوية كافية ، يمكن ان تصبح ورقة ضغط ومساومة في ايدي العرب في صراع الارادات الاستراتيجي بينهم وبين اسرائيل ، اذا ما توفرت لها ظروف الممارسة السليمة ضمن استراتيجية عربية عليا مدروسة جيدا ٠ وفي البحر الاحمر تستطيع البحرية العربية تأمين عمق مصر والسودان والسعودية ضد اي ضربات اسرائيلية استراتيجية محتملة في المستقبل ، خاصة عندما يدخل « الردع النووي » المنطقة بشكل متبادل بينهم

وبين اسرائيل ، وتنشأ اهمية الاحتفاظ بالقدرة على توجيه ضربة ثانية بواسطة صواريخ تطلق من غواصات او زوارق او سفن تطوف في البحر الاحمر ضد الاهداف العربية الحيوية في العمق المصري او السعودي مثلا · وكذلك ضد الضربات الثأرية الاقل خطورة التي تستخدم رؤوسا حربية تقليدية ، او العمليات الفدائية الرادعة التي قد تقوم بها وحدات اغارة من « الكوماندوس » البحري الاسرائيلي ·

وفي البحر الاحمر تستطيع البحرية العربية ، ضمن ظروف وشروط قوة معينة ، ان تؤمن حرية الملاحة للسفن ناقلة البترول العربي من ميناء « ينبع » الذي سيمتد اليه مستقبلا خط انابيب من مناطق انتاج النفط في وسط شبه الجزيرة العربية ، والتي ستعبر به قناة السويس او تفرغه في خط الانابيب المصري عند « السخنة » على الشاطىء الغربي لخليج السويس ، الذي ينقل النفط الى شاطىء البحر الابيض المتوسط قرب الاسكندرية كوسيلة داعمة ، واحتياطية في الوقت ذاته ، لقناة السويس كطريق رئيسي لنقل النفط ·

لكل هذه الاسباب ، التي تناولنا العديد من تفاصيلها في دراسة سابقة عن « الضرورة الاستراتيجية للسيطرة العربية على البحر الاحمر » (١) ، يجب ان يتوفر للارادة الاستراتيجية القومية العربية متطلبات القوة البحرية القادرة على تامين هذه الاهداف الاستراتيجية الهجومية والدفاعية ·

الاطار الاستراتيجي للقوة البحرية العربية :

ومن المتطلبات الحيوية لنجاح تشكيل واستخدام القوة العسكرية بصفة عامة والقوة البحرية بصفة خاصة ، باعتبار انها مجال بحثنا هذا ، ليس فقط البحث في نوعية وحجم تسليح هذه القوة وكيفية تنظيم استخدامها من حيث توزيعها وقيادتها واسلوب عملياتها وتكتيكاتها القتالية الخ · وانما ايضا ، وفي الاساس ، ضرورة تحديد ومعرفة الاوضاع والظروف والشروط الاستراتيجية الملائمة واللازمة لنجاح استخدام هذه القوة ، والتي على ضوئها يتحدد في واقع الامر (او هكذا يجب ان يكون) نوعية التسليح والتنظيم واسلوب العمليات · وذلك بحكم ان الاستراتيجية العسكرية السليمة انما تنبع في خدمة الاستراتيجية العليا الصحيحة التي تعمل في اطارها، وان ادارة العمليات والتكتيك يتبع الاستراتيجية العسكرية وليس

---

١ ـ راجع مقال « السيطرة العربية على البحر الاحمر ضرورة استراتيجية » ، شؤون فلسطينية العدد ٦٦ ، ايار (مايو) ١٩٧٧ ، صفحات ٩٦ ـ ١٠٩ ·

العكس · ولقد كان احد الاسباب الرئيسية للفشل العسكري العربي المتكرر من قبل ، في حروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، عدم وجود استراتيجية عليا عربية واضحة الاهداف ، ومن ثم عدم وجود استراتيجية عسكرية محددة بدقة ، وبالتالي كانت القوة العسكرية العربية عفوية في تسليحها وتنظيمها واسلوب استخدامها ، في واقع الحال ، او لم تحكمها خطة استراتيجية عامة محددة بدقة وعلى اسس موضوعية سليمة في معظم الاحوال · وكان ذلك احد العوامل الرئيسية التي ادت الى اختلال ميزان القوى العسكري العربي ـ الاسرائيلي من الناحية العلمية ، الى جانب العوامل الاخرى المتمثلة في عدم الحشد الكامل للقوى العسكرية العربية في المكان والزمان المناسبين ، وفي ضعف المقدرة التنظيمية والقيادية الذي افقد الوسائل العسكرية العربية الكثير من امكاناتها الحقيقية الكامنة ، وذلك على الرغم من تفوق ، او تقارب ، كثير من العناصر المادية المكونة لميزان القوى العسكري بين الطرفين كميا ونوعيا ·

ولذلك فان تشكيل واستخذام القوة البحرية العربية في البحر الاحمر يجب ان يتم ضمن فهم واقعي سليم للحقائق والمعطيات الاستراتيجية المحيطة به وبالصراع العربي ـ الاسرائيلي ، على كلا المستويين المحلي والدولي ، وعلى ضوء الخبرات التاريخية التي افرزها واقع مجرى الصراع منذ نهاية حرب ١٩٤٨ · ويمكن ان نجمل هذه المعطيات والحقائق الاستراتيجية في النقاط التالية :

١ ـ ان البحر الاحمر كمسرح لممارسة « الردع » او « العنف المسلح المباشر » ضد اسرائيل ، باعتبارها العدو الرئيسي للامة العربية في المنطقة ، لا ينفصل عن بقية المسارح الجغرافية ـ الاستراتيجية للصراع · ومن ثم فانه يخضع للحسابات الاستراتيجية ذاتها المتصلة بمواقف القوى الدولية من قضايا هذا الصراع في المراحل المختلفة التي يجتازها ، ولا بد من اجراء تقييم مسبق لاي عملية فيه على اساس التوقعات الخاصة بمختلف المواقف الدولية ، في ظل تحديد سليم ودقيق للقوى الصديقة والقوى المعادية والقوى المحايدة ، او التي يمكن تحييدها · وفي الوقت نفسه يتم تحديد الموقف من القوى المحلية غير العربية في المنطقة (مثل اثيوبيا) ، على ضوء المعيار ذاته المستخدم في تصنيف موقف القوى الدولية ، وهو الموقف من اسرائيل وعدالة القضية العربية عامة والفلسطينية خاصة في الصراع ضدها ·

٢ ـ أن اي مواجهة عربية لاسرائيل تجري في البحر الاحمر ، سواء اتخذت شكل « الردع » (مثل فرض الحصار عند « باب المندب » مثلا) ، او سلكت سبيل مواجهة مسلحة محدودة المكان والزمان ، يجب ان تتم ضمن تحسب كامل واع من حيث التخطيط الاستراتيجي والعملياتي واعداد وسائل القوة المستخدمة

والاحتياطية ، لاحتمال تحول المواجهة المذكورة الى مواجهة شاملة مع القـــوة الاسرائيلية ، في مسرح اخر للعمليات مثل سيناء ، او البحر الابيض المتوسـط او الاثنين معا · ففي عام ١٩٥٦ لم تبدأ العمليات العسكرية الاسرائيلية لرفـع الحصار البحري عن مضائق « تيران » على محور « ايلات ـ شرم الشيخ » ، وانما بدأت بهجوم ثانوي مخادع على ممر « متلا » ومحور « الكونتلا ـ نخـل ـ متلا » الجنوبي ، اعقبه هجوم رئيسي على « ابو عجيلة » موقع الدفاع الاساسي على المحور الاوسط الممتد من « ابو عجيلة » حتـــى قنـــاة السويـــس عنـــد « الاسماعيلية » مرورا بجبل « لبنى » و « بيرجفجافة » ، ثم هجوم اخر علـــى « رفح » وقطاع « غزة » و « العريش » على المحور الشمالى حتى « رمانـة » ومشارف « القنطرة شرق » · ثم جاءت عملية اللواء الميكانيكي التاسع الزاحف من « ايلات » نحو « رأس نصراني » و « شرم الشيخ » عبر « رأس النقب » و « نويبع » و « دهب » كعملية ثانوية تكميلية · وفي عام ١٩٦٧ شكلت عمليـة اخلاء قوات الطوارىء الدولية من « شرم الشيخ » و « رأس نصراني » واعادة فرض « الخنق الاستراتيجي » على مضائق « تيران » ضد اسرائيل ، الشـرارة الرئيسية للحرب العربية ـ الاسرائيلية الثالثة . واعتبرت الغطاء الاعلامـــي والتبرير الدعائي الاساسي للمناورة الخارجية الاسرائيلية اللازمة لتغطيـــة المناورة الداخلية . المتمثلة في العدوان الاسرائيلي الشامل على كل من مصـــر وسوريا والاردن ، ورغم ذلك لم تباشر القيادة العسكرية الاسرائيلية اي نشـاط هجومي بري او محمول جوا ضد منطقة « رأس نصراني ـ شرم الشيخ » او حتى المحور الجنوبي كله خلال المرحلة الرئيسية الاولى من الهجوم الاسرائيلي علـى سيناء · وذلك على خلاف توقعات القيادة العسكرية العليا المصرية ، التي كانت تتوقع طوال المرحلة الاخيرة السابقة لنشوب القتال وقوع هجوم رئيسي فـــي منطقة خليج « العقبة » والمحور الجنوبي يستهدف اعادة فتح الملاحـــة فـــي مضائق « تيران » ضمن اطار عملية عسكرية محدودة نسبيا تتم على هذا الجزء من مسرح العمليات في سيناء · ولذلك حشدت معظم التشكيـــلات المدرعـــة والميكانيكية على المحور الجنوبي ، حتى تستطيع توجيه ضربة مضادة من منطقة « الكونتلا » والمناطق القريبة منها تستهدف الالتفاف حول مؤخرة القـــوات الاسرائيلية المتقدمة على طول خليج « العقبة » نحو « شرم الشيخ » وقطع طريق « ايلات ـ بئر السبع » تمهيدا لاحتلال « ايلات » نفسها بعد ذلك والقضاء على قاعدة عمليات هذه القوات · وقد ساعدت اجراءات الخداع الاستراتيجـــي الاسرائيلية على خلق هذه القناعة لدى القيادة المصرية وتدعيمها بقوة في الايام السابقة مباشرة لعدوان ٥ حزيران (يونيو) ٦٧ ، بما تضمنته من حشود هيكلية في المنطقة وتكثيف لطلعات طائرات الاستطلاع فوق خليج العقبـــة و «شـــرم الشيخ » · ثم جاء الهجوم الرئيسي على المحور الشمالي عبر « خان يونس ـ

رفح » نحو « العريش » ، يسانده هجوم اخر على « ابو عجيلة » والمنطقة الممتدة بينها وبين « العريش » ، واثر نجاح اختراق خط الدفاع الاول اندفعت الارتال المدرعة الرئيسية نحو مؤخرة المحور الجنوبي عند «نخل» و «بيرتمادة» المتجمعة « متلا » و « الجدي » في حركة اقتراب غير مباشر ضد القوات الرئيسية المتجمعة في اجزائه الامامية ، ادت الى قلب توازنها الاستراتيجي وقطع طرق مواصلاتها وسبل انسحابها وضرب قواعدها الادارية ومراكزها القيادية ضمن ظروف سيادة جوية شبه كاملة ، وفرتها الضربة الجوية الاولى المفاجئة ، ومن ثم قضي على الجزء الرئيسي من هذه القوات ، وتم احتلال « شرم الشيخ » بعملية انـــزال بحري بسيطة في نهاية العمليات بعد انسحاب القوات المصرية منها !

وهكذا تؤكد لنا الخبرة التاريخية المستفادة من حربي ٥٦ و ٦٧ ان الرد الاسرائيلي على « الخنق الاستراتيجي » العربي في البحر الاحمر ، كان يتـــم دائما في صورة حرب شاملة لا تتخذ بالضرورة من الموقع الجغرافي لمســـرح العمليات الذي يحدث فيه « الخنق الاستراتيجي » مجالا مباشرا او رئيسيـــا للعمليات العسكرية المضادة · اما في حرب ١٩٧٣ ، فقد جاء حصار « بـــاب المندب » ضمن الاطار العام لاخذ المبادرة الاستراتيجية من جانب العرب ، وعملت البحرية الاسرائيلية على الرد عليه بصورة غير مباشرة في صورة هجمات تكتيكية متوالية منذ اليوم الاول للحرب في البحر الابيض المتوسط ضد القطـع البحرية المصرية من « بورسعيد » حتى مشارف « الاسكندرية » عند « ابو قير »، فضلا عن استخدام حالة تطويق جزء من الجيش الثالث في السويس والقطاع الجنوبي من جبهة القناة كورقة مساومة من اجل السماح بمرور المؤن اليه مقابل تخفيف ورفع الحصار عن « باب المندب » · وبطبيعة الحال لو لم تحدث هـذه الحالة المترتبة على ثغرة « الدفرسوار » وتطويرها ضمن ظروف وقف اطـــلاق النار ، لكان من الممكن للقيادة المصرية ان تحصل مقابل رفع حصار « بـــاب المندب » على تنازلات اسرائيلية افضل · وفي النتيجة الاخيرة يتضـــح لنا ان الاستفادة الفعالة من ممارسة « الخنق الاستراتيجي » في البحر الاحمر . المترتب على السيطرة العربية البحرية القوية فيه ، تتطلب توفر عناصر القوة والـــردع العربيين بصورة متكاملة الاركان والقدرة على التصدي لاعمال الرد الاسرائيلي المباشر وغير المباشر ، الجزئية أو الشاملة ، حتى لا تتحول محاولة ممارســـة « الخنق الاستراتيجي » المطلوب الى شبه مغامرة استراتيجية تعتمد على مجرد « ضربة الحظ » كسبيل الى نجاحها ، وذلك ضمن ميزان القوى القائم حاليا ، وفي المستقبل المنظور ، بين العرب واسرائيل في مجال القوة العسكرية ·

٣ ـ يقول الكاتب الاستراتيجي الاميركي ، المتخصص في شؤون الحـــرب البحرية ، « برنارد برودي » في مجال تعريفه لهدف الاستراتيجية البحرية « ان الهدف الذي نرمي اليه من كل العمليات البحرية ، اذا استثنينا ضرب الاهـداف

الارضية من البحر بغلالات نيران مدفعية السفن الحربية من البحر (وهذا ليس من الواجبات الرئيسية للقوات البحرية ، ولكنه واجب ثانوي يطلب منها احيانا في ظروف خاصة) ، هو تمكين سفن الشحن التي تحمل معظم احتياجات الجنود من حرية الملاحة وتأمين تحركاتها عبر البحار » ٠ (٢)

أي أن الهدف الرئيسي من الاستراتيجية البحرية هو قطع طرق مواصلات وامداد العدو البحرية وتأمين طرق المواصلات البحرية الصديقة ، فضلا عن القيام باغارات بحرية على الاهداف الارضية او انزال برمائي صغير او كبير يخدم المخطط العام للعمليات البرية التي تحسم الصراع المسلح ٠ وهذا يعني ان العمليات البحرية لا تحقق تأثيرا ملموسا على النشاطات الحربية لكلا الطرفين الا في فترة زمنية طويلة نسبيا ، وذلك حتى يبدأ نقص الموارد الاقتصادية والعسكرية اللازمة لادارة العمليات الحربية المختلفة يؤتي ثماره ، خاصة وان وسائل النقل والامداد الجوي الحديثة يمكن ان تسد النقص الجزئي لهذه المتطلبات في المدى القصير نسبيا ، ما دام الخصم لا يزال يملك قدرا معقولا من حرية استخدام وسائل النقل الجوي في ظل عدم سيطرة الطيران المعادي على اجوائه ٠

ولما كانت فترات الصراع المسلح الشامل بين العرب واسرائيل لا تستمر لفترة طويلة ، تسمح للحرب البحرية ان تؤتي ثمارها الاستراتيجية بصورة فعالة مباشرة على مجرى الصراع ، وذلك للظروف الدولية والمحلية الخاصة التي تحيط بالحروب العربية ـ الاسرائيلية ، خاصة وان معظم الامداد البحري بالنسبة لكلا الطرفين ، يتم بسفن تابعة للقوى الدولية الكبرى التي لا يمكن التعرض لها عسكريا بدون تحسب العواقب الدولية المترتبة على ذلك ، (باستثناء حرب ١٩٤٨ التي لم تكن تسمح بحسم في فترة قصيرة مثل حربي ٥٦ و ٦٧ ، والتي كان العرب لا يملكون فيها وسائل كافية لممارسة استراتيجية بحرية فعالة) ، ولذلك كانت العمليات البحرية في حروب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ محدودة وقليلة التأثير الى حد كبير على مجرى العمليات الحربية بالنسبة لكلا الطرفين (٣) ٠ وفي حرب ١٩٧٣ اتاح استمرار الحرب فترة اطول نسبيا من حربي ٥٦ و ٦٧ فرصة افضل لاستخدام القوى البحرية من كلا الجانبين (على مستوى استراتيجي من جانب البحرية المصرية ومستوى تكتيكي من قبل البحرية

---

٢ ـ برودي ، برنارد ٠ الاستراتيجية البحرية ، ترجمة سعد الدين صبور ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، صفحة ٥ ٠

٣ ـ راجع مقالنا عن « البحرية الاسرائيلية قبل وبعد حرب ١٩٧٣ » ، شؤون فلسطينية عدد ٦٥ ، صفحات ١٠٣ ـ ١٠٩ ٠

الاسرائيلية) ، ولكن وقف اطلاق النار وبدء ترتيبات اتفاقيـــة الفصل الاول للقوات على الجبهة المصرية ، حال دون الاستفادة الفعالة مـــن الامكانـــات الاستراتيجية للحرب البحرية العربية ، وجعل من عملية حصار « باب المنـــدب » عملا ذا مغزى رمزي يشير الى بطلان مبدأ « الحدود الآمنة » ، الذي يشكل ركنا رئيسيا من اركان نظرية الامن الاسرائيلية ، الامر الذي يدخله في الواقع ضمن مجال استراتيجية الحرب العليا العربية ، اكثر مما يجعله عملا يدخل ضمـــن نطاق الاستراتيجية العسكرية للحرب ذات النتائج المؤثرة بصورة مباشرة علـى المجهود الحربي الاسرائيلي خلال فترة الصراع المسلح الشامل المعنيـــة ، اي الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة · وهذا يوضح ان فاعليـــة استخـــدام القوة البحرية العربية ، خاصة على مستوى « الخنق الاستراتيجي » ، الذي يمكن ممارسته عمليا حتى الآن في البحر الاحمر اساسا (بسبب ميزان القوى الجوية الذي يتيح امكانية العمل بحرية افضل في البحر المذكور لاسباب سنعرضهـــا تفصيلا فيما بعد) ، لا تؤتي ثمارها الاستراتيجية الا ضمن توفر ظروف حـرب طويلة الامد نسبيا على الاقل ، او في ظل وجود قوة ردع عربية تكفل ممارسـة هذه الوسيلة الاستراتيجية البطيئة التأثير من أجل الضغط على اسرائيل لتحقيق تنازلات حيوية مثلا ، دون التعرض لمخاطر حرب شاملة قصيرة الاجل نسبيا ، يفسد ، او يقلل ، توقفها السريع من فاعلية هذه الوسيلة · وهذا يعني ضـــرورة استمرار الاستراتيجية العربية العليا على طريق امتلاك وسائل قوة عسكريـــة رادعة وميزان قوى يميل لصالحهم دائما ·

٤ ـ وعلى ضوء المقولة السابقة ، يتضح لنا ايضا ان ممارسة استراتيجية بحرية عربية متكاملة الاهداف ، على كلا المستويين الهجومي والدفاعي ، اي ممارسة قطع طرق المواصلات البحرية الخاصة بالعدو وتأمين طـرق المواصلات العربية ، تعني في مسرح عمليات البحر الاحمر اعاقة او تعطيـــل الملاحـــة الاسرائيلية الى حد كبير ، مع توفر القدرة في الوقت ذاته على استمرار القـدر الرئيسي من الملاحة العربية والدولية الصديقة عبر البحر الاحمر وخليج قنـاة السويس . تحقيقا لمصالح تجارة النفط العربي وعائدات قناة السويس ، والا اصبح الضرر الاقتصادي متبادلا بالدرجة نفسها بين الطرفين (وخاصة بالنسبة لمصر) ، ومن ثم يفقد الخنق الاستراتيجي جزءا كبيرا من فاعليته · وهذا يتطلب ضرورة استعادة سيطرة مصر على الشاطئ الشرقي لخليج السويس . وكذلك على « شرم الشيخ » للحيلولة بين البحرية الاسرائيلية وبين التصدي (مهما كان حجمه وفاعليته) لحركة الملاحة في البحر الاحمر وخليج السويس · ولحرمان الطيران الاسرائيلي من مطاري « شرم الشيخ » و « الطور » في جنوب سيناء ، ومن ثم اضعاف فاعليته نسبيا بسبب اضطراره للعمل من قواعد في فلسطيـــن نفسها ، الامر الذي سيترتب عليه اطالة مدى الطيران ، او على الاقل حرمانه

من تسهيلات الهبوط للتزود بالوقودفي هذه المطارات اثناء رحلةالعودة الىأراضي الهبوط ، وبالتالي ستزداد القيود التقنية بالنسبة لعمليات الطيران الاسرائيلي فوق الاجزاء الاكثر جنوبا في البحر الاحمر · هذا في الوقت الذي ستتمتع فيه الطائرات العربية بميزة استخدام المطارات واراضي الهبوط الواقعة على طول الساحل الغربي للبحر الاحمر وخليج السويس ، او في العمق القريب منه · وهذا يعني توفر قدرة اكبر للطيران العربي على القيام بعدد اكبر من الطلعات الجوية بالقياس لقدرة الطيران الاسرائيلي في مثل هذه الظروف ، اي انه يستطيع ان يكثف من نشاطه الجوي فوق مسرح العمليات المذكور بصورة اكبر من الطيران الاسرائيلي ، حتى لو كان يستخدم عددا اقل نسبيا من الطائرات ·

وبطبيعة الحال فان تأمين استمرار حركة الملاحة فى قناة السويس ، الذي يشكل هدفا رئيسيا من اهداف العمليات البحرية والجوية العربية الاستراتيجية المتكاملة ، يتطلب توفر « حزام امن » ذي عمق ملائم لابعاد نار المعارك البرية عن الضفة الشرقية للقناة ، بحيث تدور هذه المعارك في عمق سيناء فيما وراء الممرات شرقا ، وذلك حتى يضمن للدفاع الجوي على الاقل توفير قدر ملائم من الحماية للملاحة في القناة ·

ميزان القوى البحري في البحر الاحمر :

وعلى ضوء ما اوضحناه آنفا من اعتبارات وحقائق وضرورات استراتيجية عامة متصلة باطار استخدام القوة البحرية العربية في البحر الاحمر بهدف احراز السيطرة الفعالة عليه هجوميا ودفاعيا ، وجعله احدى الوسائل الاستراتيجية القوية العربية المستخدمة في « حوار الارادات » الاستراتيجي الدائر بين العرب واسرائيل ، ننتقل الآن الى بحث الخطوط العريضة لوسائل وامكانات الاستراتيجية العسكرية المباشرة وفي ادارة العمليات ومتطلبات نجاحهما بالنسبة للبحرية العربية في البحر الاحمر ، واول ما يصادفنا في مجال بحثنا هذا هو التعرف على ميزان القوى البحرية بين الطرفين عامة ، وفي البحر الاحمر خاصة ، من حيث الحجم والنوعية وامكانات الحشد والظروف الجغرافية ـ الاستراتيجية المحيطة بهذه القوى والتسهيلات الادارية والفنية اللازمة لاستخدامها بفاعلية · تشكل البحرية المصرية القوة البحرية الرئيسية في كلا البحرين الاحمر والابيض المتوسط ، سواء بالنسبة للدول العربية الاخرى أو بالنسبة الى اسرائيل · وهي تضم نحو ١٧٥٠٠ ضابط وجندي ، فضلا عن نحو ١٥ الف جندي في الاحتياطي · وتتألف اسلحتها البحرية من الوحدات

التالية (٤) : ٥ مدمرات (destroyers) ، اربع منها سوفييتية الصنع من فئة « سكوري » وواحدة بريطانية الصنع من فئة « ز » ٠ والمدمرات من فئة « سكوري » تسمى « الناصر » و « الظافر » (وقد تسلمتهما البحرية المصرية في حزيران ـ يونيو ـ ١٩٥٦) و « دمياط » و « السويس » (وقد تسلمتهما البحرية المصرية في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٦٢) وجميعها انزلت الى البحر عام ١٩٥١،وتم استبدال مدمرتين منهما باخريين من الفئة ذاتها ادخلت عليهما بعض التطويرات الاكثر حداثة بالنسبة للتسليح الثانوي والاسلحة المضادة للغواصات ، وذلك في نيسان (ابريل) ١٩٦٧ ٠ ويبلغ الوزن القياسي لكل من المدمرات الاربع المذكورة نحو ٢٦٠٠ طن ووزنها في حالة التحميل الكامل ٣٥٠٠ طن ، وطول الواحدة منها ١٢٠٫٥ مترا واكبر عرض لها ١١٫٨ مترا وغاطسها ٤٫٦ مترا ٠ وكل منها مسلحة بتسليح رئيسي يضم ٤ مدافع عيار ١٣٠ مم ، اما بالنسبة للتسليح الثانوي المزدوج المهمة ، اي مضاد لكل من السفن والطائرات ، فالمدمرتان القديمتان مسلحتان بمدفعين عيار ٨٨ مم و ٨ مدافع عيار ٣٧ مم ، والمدمرتان الاحدث مسلحتان باربعة مدافع ذات اربع سبطانات عيار ٥٧ مم و ٤ مدافع ثنائية السبطانات من عيار ٣٧ مم ٠

وبالنسبة للتسليح المضاد للغواصات فان المدمرتين القديمتين مسلحتان باربعة اجهزة اطلاق قنابل اعماق ، والمدمرتين الاحدث مسلحتان بقاذفي اطلاق قذائف صاروخية ضد الغواصات لكل منهما ١٢ سبطانة ٠ كما ان المدمرتين القديمتين مسلحتان بعشرة قواذف طوربيد مضاد للسفن عيار ٥٣٣ مم ، والمدمرتين الاحدث مسلحتان بخمسة قواذف فقط للطوربيد ٠ ويمكن لكل مدمرة ان تحمل ٨٠ لغما بحريا ، وكل منها مجهز بثلاثة مراجل (غلايات) ، ومحركاتها توربينية ذات اجهزة ناقلة للحركة ذات عمودي ادارة ، قوتها ٦٠ الف حصان ٠ وتصل سرعتها القصوى الى ٣٥ عقدة في الساعة ، ويبلغ مدى عملها ٤٠٠٠ ميل بسرعة ١٥ عقدة ، ويتألف طاقمها من ٢٦٠ ضابطا وبحارا ٠ وكل منهما مزودة بجهاز رادار بعيد المدى واخر تكتيكي وثالث لادارة نيران المدفعية ٠ (٥)

اما المدمرة الخامسة البريطانية الصنع من فئة « ز » والمسماة « الفاتح » ، فقد انزلت في حزيران (يونيو) ١٩٤٤ واشترتها مصر عام ١٩٥٥ ، حيث اجريت بها تجديدات قبل ان تتسلمها البحرية المصرية في تموز (يوليو) عام ١٩٥٦ ، ثم اعيد تحديثها في بريطانيا وتسلمتها البحرية المصرية مرة اخرى في تموز (يوليو) ١٩٦٤ ٠ ويبلغ الوزن القياسي لهذه المدمرة ١٧٣٠ طنا ، ووزنها

---

٤ ـ IISS , The Military Balance , 1976 - 1977 , p. 33

٥ ـ Jane's Fighting Ships , 1974 - 75 , p. 100

في حالة التحميل الكامل ٢٥٧٥ طنا ، وطولها ١٠٦ر٨ مترا وعرضها ١٠ر٩ مترا وغاطسها ٥ر٢ مترا · وتسليحها الرئيسي ٤ مدافع عيار ١١٥ مم تستخدم ضد السفن أو الطائرات ، وتسليحها ٦ مدافع م/ط عيار ٤٠ مم ، ولديها ٤ قواذف قنابل اعماق ، وهي مجهزة بمرجلين ومحركاتها التوربينية ذات عمودي حركة وقوتهما ٤٠ الف حصان ، وسرعتها القصوى ٣١ر٢٥ عقدة ، ومدى عملها ٢٨٠٠ ميل بسرعة ٢٠ عقدة ، ويتألف طاقمها من ٢٥٠ ضابطا وبحارا ، وهي مزودة بثلاثة اجهزة رادار مثل سابقاتها ·

وبالاضافة الى هذه المدمرات الخمسة تمتلك البحرية المصرية ٣ فرقاطات (Frigates) بريطانية الصنع ، الاولى اسمها « طارق » ، انزلت الى البحر في آب (اغسطس) ١٩٤٢ ، وبيعت لمصر عام ١٩٤٩ · ويبلغ وزنها القياسي ١٤٩٠ طنا ، ووزنها بالحمولة الكاملة ١٩٢٥ طنا ، وطولها ٨٦ر٣ مترا وعرضها ١١ر٧ وغاطسها ٤ر٣ مترا · وهي مسلحة باربعة مدافع عيار ١٠٢ مم و ٤ مدافع م / ط عيار ٤٠ مم ومدفعين م / ط ٢٠ مم ، و ٤ قواذف قنابل اعماق ، وسرعتها القصوى ١٨ عقدة ، ومدى عملها ٤٥٠٠ ميل بسرعة ١٢ عقدة ، وطاقمها ١٨٠ رجلا والثانية اسمها « رشيد » ، انزلت الى البحر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ ، ومواصفاتها مماثلة للفرقاطة « طارق » باستثناء وزنها بالحمولة الكاملة الذي يبلغ ٢٢١٦ طنا ، ومدى عملها يصل الى ٧٧٠٠ ميل بسرعة ١٢ عقدة ·

والفرقاطة الثالثة اسمها « بورسعيد » ، انزلت الى البحر في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٠ ، وبيعت الى مصر في تموز (يوليو) ١٩٥٠ ، واجريت لها اصلاحات وتجديدات في نيسان (ابريل) ١٩٥١ ، ويبلغ وزنها القياسي ١٠٠٠ طن ووزنها بالحمولة الكاملة ١٤٩٠ طنا ، وطولها ٨٣ر٢مترا وعرضها ٨ر٨ مترا وغاطسها ٤ر٣ مترا ، وهي مسلحة باربعة مدافع ١٠٣ مم ، ومدفعين م/ط ٣٧ مم ، وقاذفي قنابل اعماق ، وتبلغ سرعتها القصوى ٢٥ عقدة ، ومدى عملها ٢٠٠٠ ميل بسرعة ١٢ عقدة ، وطاقمها ١٤٦ رجلا ·

ولدى البحرية المصرية ١٢ غواصة سوفييتية الصنع ، ستة منها من الفئة « ر » وستة من الفئة « دبليو » · والنوع الاول يبلغ وزنه على سطح الماء ١١٠٠ طن وتحت سطح الماء ١٦٠٠ طن ، وطول الغواصة ٧٥ مترا وعرضها ٧ر٣ مترا وغاطسها ٤ر٤ مترا · وقد بنيت الغواصات التي من هذه الفئة جميعا في الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٦١ ، وتسلمتها مصر في الفترة من ١٩٦٦ حتى ١٩٦٩ · وهي مسلحة بستة انابيب طوربيد عيار ٥٣٣ مم في المقدمة ، ومجهزة بمحركي ديزل قوتهما ٤٠٠٠ حصان ومحركين كهربائيين قوتهما ٢٥٠٠ حصان ، وسرعتها

القصوى ١٧ عقدة فوق سطح الماء و ١٤ عقدة تحت سطح الماء ، ومدى عملها ١٣ الف ميل بسرعة ٨ عقدة فوق سطح الماء ،ويتألف طاقمها من ٦٥ ضابطـــا وبحارا ٠ وتتميز عن الفئة « دبليو » بانها احدث منها وذات برج قيـادة اكثـر تطورا ، وكذلك جهاز تسمع « سونار » اكثر حداثة ٠

والفئة « دبليو » تعد اقل حداثة من الفئة « ر » ، وقد بنيت منها في الاتحاد السوفييتي نحو ٢٤٠ غواصة في الفترة ما بين عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٥٨ ، وقد تسلمت البحرية المصرية منها ٤ غواصات في حزيران (يونيو) ١٩٥٧ وثلاث اخرى في كانون الثاني (يناير) ١٩٥٨ ، وواحدة اخرى في كانون الثانـــي (يناير) ١٩٦٢ ، ثم استبدلت اثنتان منها بغواصتين من الفئة « ر » في شباط (فبراير) ١٩٦٦ ٠ ويبلغ وزن هذه الفئة من الغواصات فوق سطح المـــاء ١٠٣٠ طنا وتحت الماء ١١٨٠ طنا ، وطولها ، ٢ر٧٣ مترا وعرضها ٦ر٧ مترا وغاطسها ٦ر٤ مترا ٠ وهيمسلحة بستة انابيب طوربيد عيار٥٣٣ مم، اربعـة منها في المقدمة واثنين في المؤخرة ، وتستطيع ان تحمل ١٨ طوربيدا او ٤٠ لغما بحريا ، ولها الخصائص ذاتها بالنسبة للمحركات والمدى والسرعة ويتألـــف طاقمها من ٦٠ رجلا ٠ وبالاضافة للغواصات يوجد لدى البحرية المصرية ١٢ « كورفيت » (Corvettes) مضادة للغواصات يطلق عليها اسم « قناصـات الغواصات » من فئة « س و ــ ١ » وقد بني نحو ٨٠ سفينة من هذا النوع منـذ عام ١٩٥٧ ، وبدأت البحرية المصرية تتسلمها منذ عام ١٩٦٢ ، ويبلغ الـوزن القياسي لها ٢١٥ طنا ووزنها بالحمولة الكاملة ٢٥٠ طنا ، وطولها ٣ر٤٢ مترا وعرضها ١ر٦ مترا وغاطسها ٨ر٢ مترا ٠ وهي مسلحة باربعة قواذف تطلـق قذائف صاروخية مضادة للغواصات وبكل قاذف خمس سبطانات ، فضلا عن ٤ مدافع م/ط عيار ٢٥ مم ، ومجهزة بثلاثة محركات ديزل قوتها ٦٠٠٠ حصـان وسرعتها القصوى ٢٩ عقدة ، ومدى عملها ١١٠٠ ميل بسرعة ١٣ عقـــدة ، ويتألف طاقمها من ٣٠ رجلا ٠

ويوجد لدى البحزية المصرية ١٣ زورق صواريخ سطح ــ سطح سوفييتيـــة الصنع ، من نوعي « اوسا » و « كومار » ٠ والنوع الاول بدأ انتاجه عام ١٩٥٩، ولـدى البحرية المصريـــة منه ٨ زوارق بـدأت تسلمهـــا عام ١٩٦٦ ، وهـو اكثر قوة من النوع الثانـي ، الـذي بـــدأت البحرية تسلمـه عـــام ١٩٦٢٠ ويبلغ الوزن القياسي لزوارق « اوسا » ١٦٥ طنا وفي حالة التحميل الكامـــل ٢٠٠ طن ، وطولها ٣ر٣٩ مترا وعرضها ٧ر٧ مترا وغاطسها ٨ر١ مترا ، وهـي مسلحة باربعة صواريخ سطح ــ سطح طراز « ستيكس » الذي يصل مداه الـى ٤٥ كلم تقريبا ، بالاضافة لاربعة مدافع م/ط عيار ٣٠ مم ، وهي مجهزة بثلاثة محركات ديزل قوتها ١٣ الف حصان ، وسرعتها القصوى ٣٢ عقدة ، ومـــدى

عملها ٨٠٠ ميل بسرعة ٢٥ عقدة ، ويتألف طاقمها من ٢٥ رجلا ٠ اما زوارق « كومار » ، فقد بدأت البحرية المصرية تتسلمها عام ١٩٦٢ ، ويبلغ وزنها القياسي ٧٠ طنا وفي حالة التحميل الكامل ٨٠ طنا ، وطولها ٥ر٢٥ مترا وعرضها ٦ امتار وغاطسها ٨ر١ مترا ، وهي مسلحة بصاروخين سطح ـ سطح « ستيكس » ، بالاضافة لمدفعين م / ط عيار ٢٥ مم ٠ وهي مجهزة باربعة محركات ديزل وسرعتها القصوى ٤٠ عقدة ، ومدى عملها ٤٠٠ ميل بسرعة ٣٠ عقدة ٠

وتمتلك البحرية المصرية ٣٦ زورق طوربيد ، ٢٤ منها سوفييتي الصنع من فئة « بي ٦ » ، بدأت تسلمها منذ عام ١٩٥٦ ، ويبلغ الوزن القياسي لها ٦٦ طنا وعند التحميل الكامل ٧٥ طنا ، وطولها ٧ر٢٥ مترا وعرضها ١ر٦ مترا وغاطسها ٨ر١ مترا ، وهي مسلحة بقاذفي طوربيد عيار ٥٣٣ مم ، فضلا عن ٤ مدافع م / ط عيار ٢٥ مم ، وتبلغ سرعتها القصوى ٤٣ عقدة ، ومدى عملها ٤٥٠ ميلا بسرعة ٣٠ عقدة ، وطاقمها ٢٥ رجلا ٠ و ٦ زوارق منها من فئة « شيرشين » السوفييتية الصنع ، بدأت البحرية المصرية تتسلمها في ١٩٦٧ ، ويبلغ الوزن القياسي لها ١٥٠ طنا وعند التحميل الكامل ١٦٠ طنا ، وطولها ٢ر٣٥ مترا وعرضها ١ر٧ مترا وغاطسها ٥ر١ مترا ، وهي مسلحة باربعة قواذف فردية للطوربيد ، و ٤ مدافع م/ط عيار ٣٠ مم و ١٢ قنبلة اعماق ضد الغواصات ، وقوة محركاتها ١٣ الف حصان ، وسرعتها القصوى ٤١ عقدة ، وطاقمها ١٦ رجلا ٠ وهناك ٦ زوارق طوربيد يوغسلافية الصنع ، تسلمتها البحرية المصرية عام ١٩٥٦ ، ويبلغ وزنها القياسي ٥٥ طنا وعند التحميل الكامل ٦٠ طنا ، وطولها ٨ر٢٣ مترا وعرضها ٥ر٦ امتار وغاطسها ٤ر٢ مترا ، وهي مسلحة بقاذفي طوربيد وبمدفع م / ط عيار ٤٠ مم ، وسرعتها القصوى ٣٦ عقدة ، وطاقمها ١٤ رجلا ٠ وقد سلحت البحرية المصرية بعض زوارق الطوربيد الصغيرة الحجم بقاذف صاروخي ذي ٨ سبطانات في مقدمتها ٠

وبالاضافة الى ذلك يوجد لدى البحرية المصرية ١٠ كاسحات الغام للعمل في اعالي البحار، واثنتان ساحليتان، والنوع الاول توجد منه ست كاسحات من فئة « ت ٤٣ » (جميع الكاسحات سوفييتية الصنع) ، وقد بدأت البحرية المصرية في تسلمها منذ عام ١٩٥٦ ، ويبلغ الوزن القياسي لها ٥٠٠ طن وعند التحميل الكامل ٦١٠ طن ، وطولها ٥٨ مترا وعرضها ٨ر٦ امتار وغاطسها ١ر٢ مترا ، وهي مسلحة باربعة مدافع م/ط ٣٧ مم واربعة اخرى ٢٥ مم، وسرعتها ١٧ عقدة ومدى عملها ١٦٠٠ ميل بسرعة ١٠ عقدة ، وطاقمها ٤٠ رجلا ٠

و ٤ كاسحات اخرى من فئة « يوركا » ذات الهيكل الفولاذي ، وقد تسلمتها مصر في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ ، ووزنها القياسي ٥٠٠ طن وعند التحميل

الكامل ٥٥٠ طنا ، وطولها ٥ر٥٢ مترا وعرضها ٥ر٩ امتار وغاطسها ٧ر٢ مترا، وهي مسلحة باربعة مدافع ٣٠ مم وسرعتها القصوى ١٨ عقدة ٠

أما كاسحتا الالغام الساحليتان فمن فئة « ت ٣٠١ » ، وسلمت لمصر عام ١٩٦٢ ، ويبلغ وزنها القياسي ١٣٠ طنا وعند التحميل الكامل ١٨٠ طنا ، وطولها ٣٩ مترا ، وعرضها ٥ر٥ امتار وغاطسها ٥ر١ مترا ، وهي مسلحة بمدفعين ٣٧ مم ورشاشين ، وسرعتها ١٧ عقدة ، ومدى عملها ٢٢٠٠ ميل بسرعة ١٠ عقدة ، وطاقمها ٣٠ رجلا ٠ ولدى البحرية المصرية ايضا ١٦ سفينة انزال ، ١٠ منها من فئة « فيدرا » التي يبلغ الوزن القياسي لها ٣٠٠ طن وعند التحميل الكامل ٥٠٠ طن ويبلغ طولها ٤٧ مترا وعرضها ٢٥ر٧ مترا وغاطسها ١ر٢ مترا ، وسرعتها ١٥ عقدة ٠

و ٤ منها من فئة « م بي ـ س م ب ـ ١ » التي يبلغ الوزن القياسي لها ٢٠٠ طن وعند التحميل الكامل ٤٢٠ طنا ، ويبلغ طولها ٤٧ مترا وعرضها ٣٠ر٦ مترا وغاطسها نحو مترين ، وسرعتها ١١ عقدة ، وهي سفن انزال دبابات وتستطيع ان تحمل معدات وزنها ١٥٠ طنا أو ٤ دبابات وتنزلها على الشواطىء الصالحة للعمليات البرمائية ٠ وسفينتان من فئة « بولنوكني » التي يبلغ الوزن القياسي لها ٧٨٠ طنا وعند التحميل الكامل ١٠٠ طن ، وطولها ٨٠ر٧٣ مترا وعرضها ١٠ امتار وغاطسها ٣ امتار تقريبا ٠ وهي مسلحة بمدفعين م / ط عيار ٣٠ مم وقاذفي صواريخ مضادة للغواصات بكل منها ١٨ سبطانة ، وتبلغ سرعتها ١٨ عقدة ، وهي تعتبر سفينة انزال متوسطة تستطيع ان تنزل معدات وزنها ٣٥٠ طنا او ٦ دبابات ٠ اي ان اجمالي طاقة سفن انزال الدبابات الست المذكورة تصل الى ٢٨ دبابة متوسطة ، اي حوالي كتيبة دبابات « ت ٥٤ » أو « ت ٥٥ » مثلا، او معدات وزنها ١٣٠٠ طن ، فضلا عن حمولة سفن « فيدرا » العشر التي لا تقل عن ٢٥٠٠ طن اخرى ٠

وبالاضافة الى هذه الوحدات البحرية العاملة ، هناك كاسحة الغام قديمة بريطانية الصنع تسمى « ناصر » و « كورفيت » قديمة ، بريطانية الصنع ايضا ، تسمى « السودان » وزنها القياسي ١٠٦٠ طنا وعند التحميل الكامل ١٣٤٠ طنا ، مسلحة بمدفع ١٠٢ مم ومدفعين ٢٠ مم وسرعتها ١٦ عقدة تستخدم حاليا في التدريب ٠ كما أن هناك ٣ مركبات « هوفر كرافت » من فئة « س ر ن ـ ٦ » تحت الطلب ، بدأت البحرية المصرية في تسلمها خلال ايار (مايو) ١٩٧٧ ٠ وترددت انباء في بعض المجلات البحرية الدولية خلال الشهور الاخيرة بان الترسانة البحرية المصرية في الاسكندرية تبني حاليا عدة زوارق صواريخ ستجهز بمحركات المانية غربية وصواريخ سطح ـ سطح فرنسية الصنع ٠

متطلبات تطوير البحرية المصرية :

والواقع ان البحرية المصرية تتكون من قوة كبيرة نسبيا ، بالقياس للقوى البحرية في دول العالم الثالث وخاصة في منطقة الشرق الاوسط ، وان هذه القوة تضم تشكيلة متوازنة متعددة المهام والقدرات الهجومية والدفاعية والبرمائية ، اذ انها تضم عددا لا بأس به من المدمرات والغواصات وزوارق الصواريخ وقناصات وكاسحات الالغام وسفن الانزال ، فضلا عن زوارق الطوربيد وفرقاطات الحراسة · وتشكل المدمرات والغواصات وزوارق الصواريخ القوة الضاربة الرئيسية في البحرية المصرية ولكن هذه القوة تحتاج حاليا الى تطوير نوعي كبير في تسليحها وقوة نيرانها ومعداتها الالكترونية ووسائل القيادة والسيطرة والاتصالات ، تتفق والتطور الحديث في الاسلحة والسفن واساليب الحرب البحرية الحديثة عامة ، والتطويرات التي لحقت بالبحرية الاسرائيلية وكشفت عنها عمليات حرب ١٩٧٣ ، وتلك التي يتوقع لها ان تلحق بها حاليا وفي المستقبل المنظور · فالمدمرات الاربعة من طراز «سكوري» ، التي تشكل القوة الرئيسية في سفن السطح الكبيرة بالبحرية المصرية ، اصبحت في حاجة ماسة لتطوير تسليحها ، اذ ان تسليحها الرئيسي المكون من ٤ مدافع تقليدية من عيار ١٣٠ / ٥٠ مم (موزعة على برجين يزن الواحد منهما ٣٠ طنا ، احدهما في المقدمة والآخر في المؤخرة) ادخلت الى الخدمة في البحرية السوفييتية عشية الحرب العالمية الثانية ، اصبحت غير كافية ومحدودة الفاعلية في القتال البحري الحديث ، خاصة في مواجهة زوارق الصواريخ الاسرائيلية المسلحة بصواريخ « غابرئيل » التي يصل مداها الى ٢٢ كلم (وهناك طراز مطور منها يقال ان مداه يصل الى ٤٠ كلم) ، رغم ان مدى هذه المدافع يصل في حده الاقصى الى ٢٥ كلم ، ذلك لان المدى الفعال عمليا اقل من المدى المذكور بنحو ثلث المسافة ، كما أن دقة وسرعة معدل النيران (المعدل ١٠ قذائف في الدقيقة) لن يسمح للمدمرة ان تصيب الزورق السريع والصغير الحجم نسبيا من مدى خارج مدى صواريخه ، ولذلك فانه يجب تسليح هذه المدمرات بقاذفي صواريخ « سطح ـ سطح » على الاقل ، او اربعة قواذف (اثنين على كل جانب مثل المدمرات السوفييتية من فئة « كيلدين » على سبيل المثال) ، وهو الافضل بطبيعة الحال ، وعلى ان تحمل معها صلية اخرى على الاقل من الصواريخ ، حتى لا تقل قوتها الصاروخية المذكورة عن قوة زوارق الصواريخ الاسرائيلية التي يتراوح تسليحها بين ٦ و ٨ صواريخ للزورق الواحد · وعلى أن لا يقل مدى هذه الصواريخ عن ٤٠ ـ ٤٥ كلم ، وأن تكون نوعية اجهزة توجيهها الالكترونية اكثر تطورا من وسائل الاعاقة والتشويش الالكترونية المزودة بها زوارق الصواريخ الاسرائيلية ، وذلك مثل الانواع المطورة من صواريخ

« ستيكس » السوفييتية من طراز « س س ـ ن ـ ١٠ » او « س س ـ ن ١١ » (وكلاهما يصل مداه الى نحو ٥٥ كلم والاخير ذو قدرة على الطيران المنخفض) او صاروخ « اوتومات » الفرنسي الطراز الذي يصل مداه الى ٦٠ ـ ٨٠ كلم الخ ٠ وكذلك فان التسليح م / ط بهذه المدمرات في حاجة الى تطوير (خاصة بالنسبة للمدمرتين اللتين لم يتم تحديثهما) ، وذلك باضافة قاذف أو قاذفين (مفرد او ثنائي وفقا لامكانات التنفيذ التقني العملي) لصواريخ سطح ـ جو من طراز « سام ٣ » مثلا ضد الطائرات على ارتفاعات متوسطة ، فضلا عن الغاء المدافع القديمة من عيار ٨٨ مم و ٥٧ مم المزدوجة المهمة (اي المضادة لكل من الطائرات والسفن) بمدافع احدث من عيار ٧٦ مم الآلية (التي يبلغ معدل نيرانها ٦٠ قذيفة في الدقيقة ويصل مداها ضد الطائرات الى ١٠ آلاف متر وضد السفن الى ١٥ الف متر) ومدافع ثنائية من عيار ٣٠ مم او رباعية من عيار ٢٣ مم م / ط الموجهة بالرادار ٠ وبذلك يتوفر للمدمرات دفاع ذاتي فعال ضد الطائرات يجمع بين الصواريخ والمدافع الآلية والرشاشات الموجهة بالرادار ، ويمكن في الوقت ذاته الاستفادة من المدافع ٧٦ مم الآلية في التعامل السريع الفعال ضد زوارق الصواريخ عندما تقترب الى مسافة ١٠ كلم ٠ كما انه يحسن استبدال المدافع ١٣٠ / ٥٠ مم بالنوع الاحدث ١٣٠ /٦٠ مم (سوفييتي الصنع) المزود بجهاز المحافظة على التوازن ، الذى يحقق دقة كبيرة في التصويب والضبط الآلي (٦) للنيران ، وذلك لرفع كفاءة التسليح الرئيسي للمدمرات بالمدافع المذكورة في الاشتباك مع الزوارق وسفن السطح ، وكذلك في قصف الاهداف الارضية الهامة او التمهيد بالنيران لعمليات الانزال البرمائي ، حيث لا تستخدم عادة الصواريخ « سطح ـ سطح » الموجهة ، نظرا لقلة عددها لدى المدمرة من جهة وارتفاع تكلفتها بالقياس لتكلفة قذائف المدفعية المتوسطة من جهة اخرى ، اذ تقدر كلفة الصاروخ بنحو ١٥٠ الف جنيه استرليني ، على حين تقدر كلفة قذيفة المدافع المذكورة بنحو ٥٠ جنيها فقط ٠ كما انه يحسن اعادة تسليح زوارق « اوسا » الصاروخية بمدفع مزدوج المهمة عيار ٧٦ مم الآلي بدلا من احد مدفعية الثنائيين عيار ٣٠ مم حتى يكون ذو قدرة فعالة في الاشتباك بالمدافع مع الزوارق والاهداف الارضية ٠ ولزيادة فاعلية الدفاع المضاد للطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة ، ولطائرات الهليكوبتر المسلحة المعادية ، فانه يجب تسليح المدمرات وسفن السطح الاخرى عموما وزوارق الصواريخ بصواريخ م / ط قصيرة المدى مثل « سام ٩ » او « سلام » البريطانية الحديثة ، التي تصلح للاستخدام من فوق برج قيادة الغواصات ايضا ٠ ونتيجة لما كشفت عنه خبرة معارك حرب ١٩٧٣ البحرية من

---

٦ ـ Interonair Aviation and Marine , February 1974 , p. 42

حيث تجهيز زوارق الصواريخ الاسرائيلية بمعدات ووسائل اعاقة الكترونيـــة بالخداع كانت تظهر للزوارق العربية اهدافا وهمية او مخادعة تجتذب اليهـــا صواريخها « ستيكس » فضلا عن معدات الاعاقة السلبية ، ومعدات الاعاقـــة اللاسلكية ذات الذبذبات العالية للغاية المضادة لشبكات الاتصال والسيطـــرة على الزوارق ، فانه يجب تطوير معدات ووسائل الحرب الالكترونية ومعـــدات الاتصال والسيطرة الموجودة في المدمرات وسفن السطح وزوارق الصواريـــخ لدى البحرية المصرية • وذلك حتى تستطيع زوارق الصواريخ ، والمدمرات حال تسليحها بالصواريخ ، ان تستخدم صواريخها المتفوقة في بعد المدى وقوة الرأس المتفجر بفاعلية مثلما كان الامر عند اغراق المدمرة « ايلات » عام ١٩٦٧ •

وبالنسبة للغواصات فانه يجب تطوير معداتها الالكترونيـــة واللاسلكيـــة وتزويدها بمعدات ووسائل اعاقة ضد الصواريخ واجهزة الرادار الباحثة عنها ، كما يحسن ان تزود بالصواريخ م / ط الصغيرة والقصيرة المدى لتواجه طائرات الهليكوبتر المضادة للغواصات • ويجدر البحث في الامكانات التقنية العلميـــة الكفيلة بتطوير بعض الغواصات من فئة « دبليو » بحيث تكون قادرة على التسلح بصاروخين « سطح ـ سطح » من نوع « ستيكس » او « اوتومات » المضـــاد للسفن ، او من نوع « س س ـ ن ـ ٣ » المعروف باسم « شادوك » السوفييتي الصنع المضاد للسفن او الاهداف الارضية الحيوية لمدى يزيد عن ٢٠٠ كلـم ، وذلك على ضوء الخبرة السوفييتية في تطوير هذا النوع من الغواصات علـــى النحو المذكور ، والتي اسفرت عن وجود نوعين من غواصات فئة « دبليـــو » المطورة احدهما تطلق عليه المراجع الغربية اسم (w - twin cylinder) وهو يحمل صاروخين « شادوك » في مؤخرة سطح الغواصة ، والثاني مزود باربعة انابيب اطلاق لهذه الصواريخ في وسط جسم الغواصة تطلق عليه المراجـــع الغربية اسم « W - Long Bin » •

وبطبيعة الحال فانه من المفروض ، بل من الضروري ، ان تتزود البحريـــة المصرية بمدمرة او مدمرتين (او فرقاطتين) حديثتين مزودة بصواريخ « سطح ـ سطح » و « سطح ـ جو » الى جانب مختلف انواع المدافع الآلية الحديثـــة والمعدات الالكترونية المتطورة وطائرات هليكوبتر مضادة للغواصات ، وكذلـك بغواصة او اكثر من نوع حديث وزوارق صواريخ بعيدة المدى ، وذلك اما مـــن الاتحاد السوفييتي اذا ما تحسنت العلاقات المصرية ـ السوفييتية في المستقبـل القريب ، او من بريطانيا وفرنسا اذا ما سمحت العلاقات معهما بشراء مثل هذه الاسلحة البحرية المتطورة • ولكن يبقى تطوير الاسلحة الموجودة حاليا هـــو الشيء الاكثر اهمية وواقعية وسهولة نسبية ، نظرا لانه لا يمكن عمليا استبدال كل هذا العدد من السفن والزوارق والغواصات بغيرها اكثر حداثة في زمـــن

قصير نسبيا ، حتى لو كانت العلاقات والاعتبارات السياسية والاستراتيجية مع الاتحاد السوفييتي او الدول الغربية تسمح بالحصول على هذه الاسلحة والمعدات الحديثة دون اي عقبات ٠

واخيرا ، بل ربما كان الاصح أن نقول قبل كل شيء ، فان البحرية المصرية في حاجة الى تخصيص قوة جوية متوازنة التشكيل ، تعمل معها بتعاون وثيق وتحت قيادتها المباشرة في الاعداد والتدريب والعمليات ٠ تضم طائرات للدورية البحرية بعيدة المدى ، ويمكن أن تقوم بعض القاذفات « ت يو ـ ١٦ » بهذه المهمة ، خاصة وان هذه الطائرات مصممة اصلا لهذه المهمة ، مهمتها الاستطلاع وتوجيه القوة البحرية نحو اهدافها ، وكذلك مهاجمة السفن الكبيرة بصواريخها المضادة للسفن من نوعي « كيتل » و « كيلت » ، وتجهز بعضها بصواريخ اخرى صالحة للاستخدام ضد زوارق الصواريخ ٠ فضلا عن بعض اسراب القاذفات المقاتلة من طراز « سوخوي ـ ٧ » بعد تجهيزها بصواريخ جو ـ سطح ، وبعض اسراب المقاتلات « ميغ ٢١ » بعيدة المدى ، وطائرات هليكوبتر مضادة للغواصات والزوارق قادرة على العمل ليلا مثل طائرات « سي كنغ » ، التي يوجد منها حاليا لدى الاسطول المصري نحو ٦ طائرات ، خاصة وأن خبرة استخدام طائرات الهليكوبتر مع الزوارق الصاروخية الاسرائيلية خلال المعارك البحرية التي جرت اثناء حرب ١٩٧٣ ، قد اثبتت مدى فاعلية هذه الطائرات في عمليات الاستطلاع البحري وتوجيه الزوارق الاسرائيلية نحو اهدافها البحرية والقيام باعمال الاعاقة الالكترونية ، مما ساعد على رفع كفاءة صواريخ « غابرئيل » الاقصر مدى من صواريخ « ستيكس » ، هذا فضلا عن فاعلية هذه الطائرات في مهاجمة الزوارق بالصواريخ الموجهة « جو ـ سطح » ٠

تلك هي باختصار الخطوط العريضة لمتطلبات تطوير البحرية المصرية اللازمة للاستفادة الفعالة من تفوقها الكمي والمتوازن في الاسلحة البحرية المختلفة ٠ وسوف نتابع في الحلقة الثانية ، والاخيرة ، من دراستنا هذه بقية ميزان القوى البحري العربي ـ الاسرائيلي ومتطلبات استخدام القوة البحرية العربية بكفاءة وفاعلية في البحر الاحمر خاصة ، وكذلك في البحر الابيض المتوسط في ضوء احتمال تحول المواجهة في البحر الاحمر الى مواجهة شاملة في مختلف مسارح العمليات البحرية ٠

قضايا تنظيميّة في الطريق الى الوحدة

محجوب عمر

لعبت عوامل عديدة وتلعب دورها في تباين أوضاع الاقطار والمناطق المختلفة في الوطن العربي ٠

فتجزيئية العصور الوسطى (المختلفة عن تلك المعروفة في اوروبا) والتطور غير المتكافيء لقوى وعلاقات الانتاج في العصر الحديث ، والنشاط الاستعماري المقصود لتقسيم بلادنا العربية الى مناطق سيطرة ونفوذ في عصر الاستعمار القديم ، والاحتفاظ بها مقسمة في عصر الاستعمار الجديد ، واقامة الكيان الصهيوني ، وغير ذلك من العوامل التاريخية والجغرافية، أدى الى ظهور عشرين كيان سياسي قطري عربي حتى الان في داخل الوطن العربي ٠

وعكس هذا الوضع المفتت ، ومايزال يعكس ، تفتتا في كافة اشكال النشاط السياسي والاقتصادي ، تعداهما الى اشكال النشاط الثقافي ، وان بدرجة أقل٠

في مواجهة هذا الواقع ، بل قبل أن يحتل المستعمرون بلادنا ، كانت حركات التوحيد العربية هي الوجه المشرق لكل التاريخ العربي ، وبعد الاحتلال وتقسيم الوطن بين قوى استعمارية مختلفة ، استمرت حركات التوحيد العربية في تحديها لواقع التقسيم الجديد الذي فرضه الاستعمار ٠ وبرغم التجريبية والعفوية التي سادت كل أشكال النضال حتى الان، الا أن حركة التوحيد القومية تتقدم وتنمو ولو بشكل متعرج ٠

وكلما حققت حركة النضال القومي العربي نصرا على الاستعمار في قطر

من الاقطار، ازدادت بروزا ضرورة القضاء على واقع التجزئة، أي ضرورةتحقيق الوحدة السياسية للامة العربية ٠

وهكذا نجد أن شعاري التحرير والوحدة اصبحا متلازمين تماما على طول صفحة النضال العربي في نصف القرن الاخير ٠

***

وعبرت هذه الضرورة عن نفسها في عشرات بل مئات من التنظيمات السياسية العربية ، سواء منها القطري او العام ٠ وكلها ربطت بشكل او بآخر بين شعارات التحرير والوحدة ، ورفعت هذه الشعارات وجعلتها أول اهدافها ٠

واتخذت هذه التنظيمات أشكالا متعددة ومتنوعة ٠ بعضها استمر طويلا وما يزال ، وبعضها لمع فترة ثم انتهى ٠ بعضها اخذ شكل المؤتمرات العامة التي تجمع قوى وأطرافا عربية مختلفة ، وبعضها اتخذ شكل التنظيمات السرية التي تعتمد العنف أسلوبا للتغيير والنضال ٠ بعضها اكتفى بشعار الوحدة العربية، وبعضها ربط بينه، سببا او نتيجة، وبين شعار التحرير، او جعلهما مترابطين ، والبعض ألحق بهذين الشعارين شعارات «طبقية» ٠ والبعض اشترط لكي تكون «وحدة» او يكون «تحرير» أن يتحقق برنامج اجتماعي معين ٠ وبعض هذه التنظيمات استطاع الوصول الى حكم أقطاره ، وبعضها فشل حتى الان وما يزال يحاول ٠ والبعض شارك في حرب تحرير وطنية وتوقف عند حد حصوله على الاستقلال السياسي ، والبعض اعتمد اسلوب الانقلابات لتحقيق اهدافه ٠

وهكذا تجمع لنا في نصف القرن الاخير حصيلة ضخمة غنية من التجارب السياسية التنظيمية ، تمت كلها تحت شعار الوحدة العربية وتحرير الوطن العربي ٠

ويدلنا تنوع الاشكال وتعددها، بل وتعارضها، على ازدياد نضج وغنى حركة الوحدة العربية موضوعيا ، أي على ظاهرة الوحدة العربية وتعمق جذورها وترسخها في وعي قطاعات أوسع فأوسع من الجماهير العربية على اختلاف مواقعها الطبقية ٠

كما يدلنا ازدياد الاشكال التنظيمية ، وازدياد حدة الصراع بين اطرافها ، على تخطي حركة الوحدة العربية مرحلة الانفعال ، او ما يسمى بالوعي العام ، الى مرحلة أرقى هي مرحلة الوعي بالمصلحة الطبقية للطبقات والفئات المختلفة وكيف أنها ترتبط ارتباطا عضويا بحركة الوحدة العربية ، لكون جوهر هذه الاخيرة هو التحرير الوطني ٠ وهكذا تأصل الحس القومي العام بالجذور الاجتماعية الطبقية فتبلور ويتبلور في أشكال تنظيمية مختلفة البرامج ٠ لذا

تزداد حدة الصراع حول الطريق الى الوحدة العربية ، وذلك بسبب توضح الفوارق بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية المتصارعة على قيادة هذه الحركة التاريخية ، وايضا بسبب ازدياد الصراع المحلي بين هذه الفئات والطبقات ٠

ومع هذا الغنى العظيم والرصيد الضخم من الخبرة التنظيمية السياسية في النضال من اجل الوحدة العربية، فان تنوع وتعدد وتعارض الاشكال التنظيمية يدلنا أيضا على أنه لم تتشكل بعد خبرة عامة متفق عليها ، نظرية ٠٠ حول طبيعة «التنظيم» السياسي الذي يرفع شعاري التحرير والوحدة ٠ أهو تنظيم واحد عام يناضل على كل الساحة العربية، ام هي تنظيمات قطرية تتبنى نظرية واحدة وتجمعها قيادة مركزية، ام هي مركزية ذات فروع قطرية، ام هي تنظيمات قطرية يجمع فيما بينها التقاؤها حول أهداف قومية واحدة ويعمل كل منها على ساحته القطرية ؟؟ أم أن هناك أشكالا اخرى لاتزال في الطريق الطويل ؟؟

واضح أنه من الممكن تلخيص الخبرة المتوافرة والاسئلة المطروحة الى مجموعتين او الى سؤالين : هل تتطلب الضرورات النضالية من أجل تحقيق الوحدة العربية « تنظيما واحدا » لكل الساحة العربية ، ام تنظيمات قطرية ذات برامج قومية واحدة ؟؟

ربما يعترضنا سؤال آخر قبل أن نمضي الى محاولة الاجابة ٠ عن أي تنظيم سنتحدث ؟ أو بالدقة عن تنظيم أي طبقة او فئة سيدور الحوار ؟

والحق أن كافة التنظيمات السياسية التي تقدم نفسها « قيادة » أو أداة تنظيمية لتحقيق الوحدة العربية ، كافة هذه التنظيمات تعلن أنها تمثل الجماهير « الكادحة » وأن ازدادوا تفصيلا فالطبقة العاملة وفقراء الفلاحين ، فان أرادوا تعميما « فالجماهير العربية » عامة ٠٠ وعلى أي حال فان محاولة الاجابة لن تعتمد الاحتكام الى نصوص نظرية معينة ، ولا عقيدة تقاس بها الوقائع ، بل ستعتمد المناقشة الواقعية للعوامل المادية والظروف الموضوعية التي مر ويمر بها النضال العربي ، تجنبا للاختلاف على تفسير النصوص والكلمات والاحتكام الى ما ليس واقعا موضوعيا ٠

مع تأكيد مالايحتاج الى تأكيد ، ان الجماهير الكادحة هي الاولى بين القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في تحقيق الاستقلال والوحدة العربية ، وهي التي لايعوقها عائق أو تناقض في صفوفها عن السعي والتضحية بثبات من أجل التحرير والوحدة ، وحدة قومية ديمقراطية لاتمييز فيها ولا امتيازات ٠

***

بداية ، نلاحظ أن حركة التنظيمات السياسية « القومية » (أي التي تلتزم

بالنضال من أجل التحرير والوحدة) اتخذت مسارين في واقع النضال العربي · فتلك التي بدأت كتنظيم عربي شامل عام واحد انتهت بعد سنوات اما الى الانقسام الى تنظيمات قطرية يعمل كل منها في حدود قطر واحد ، او الى تبني فكرة التنظيم القطري الذي يعمل ضمن حدود قطرية مع الاحتفاظ بـ « قيادة قومية » فوق هذه الفروع · ويكون ماتبقى من هيكل التنظيم الاول هو قيادته فقط بعد أن أضطر في الممارسة الى التفرعفروعا لايخفى الاختلاف بينها في كثير من الاحيان ، كما لايخفى الاختلاف بين كل فرع منها وبين القيادة المركزية او القومية · بل ان هذه الاخيرة غالبا ما تنحصر اهتماماتها واتصالاتها بنشاط فرع واحد ، أو هي أضعف من هذا الفرع اذا ماكان على رأس الحكم في القطر المعين · ثم أنها من ناحية التشكيل العضوي ليست قومية فعلا بمعنى أنها لاتضم مندوبين عن تنظيمات قطرية فتكون بذلك مجلسا أعلى لها ·

في الوقت نفسه فان بعض التنظيمات التي بدأت قطرية مع طموحات أو اهداف قومية ، بمعنى انها بدأت بالممارسة في حدود قطر واحد مع تبني برامج قومية شاملة ، انتهى بعضها الى تبني فكرة التنظيم العربي الواحد الشامل ، معلنا تنظيمه القطري تنظيما شاملا بحجج مختلفة لعل أهمها « انه لايمكن تحقيق اي انجاز قطري ، وانه لذلك لا بد من ثورة عربية شاملة» · وذلك دون اي اعتبار لظروف الاقطار الاخرى وبالذات ظروف حركة النضال فيها ، ولا الاقرار بان الفشل على ساحة قطرية أدعى لاعادة النظر في دواعي واسباب هذا الفشل ، بدلا من الاعلان عن تحمل مسؤوليات جديدة هي أضعاف اضعاف المسؤوليات التي فشلوا في تحملها ·

وهكذا انتهى اصحاب التجربة الثانية الى حيث بدأ اصحاب التجربة الاولى، مع الفارق في الظروف وفي الدوافع ، محاولين فرض قيادة للنضال العربي كله ، ومن أعلى ، ودون أي تقييم صحيح للتجارب الماضية ، ولا حتى لتجربتهم هم ·

★★★

ان المناداة **بالتنظيم العربي الثوري الواحد** باعتباره الحل الامثل للمشاكل التي يواجهها الثوار اليوم ، انما هي نوع من القفز عن الواقع · فلا شك ان المستقبل يحمل للامة العربية وحدتها القومية السياسية ، اي دولتها الواحدة الكبرى · كذلك يشير المستقبل الى ضرورة توحد التنظيمات الثورية العربية القطرية المختلفة في تنظيم ثوري عربي واحد · ولكن الدعوة الى هذا التنظيم الثوري العربي الواحد اليوم قبل قيام الدولة العربية الواحدة هو بمثابة

طلب آلة ضخمة حديثة ، ومحاولة استخدامها لانتاج بضائع متنوعة على مستوى صغيـــر ٠

فالتنظيم اداة ، وليس هدفا في ذاته ، لذلك فطبيعة الهدف والمرحلة تحـــدد ايضا طبيعة وشكل واسلوب التنظيم ٠

لا احد يعترض ابدا على استعمال الماكينات في الزراعة ، ولكن هل يمكـــن استخدام جرار آلي كبير لحراثة قطع ارض زراعية صغيـــرة ومفتتة وتـــزرع محاصيل مختلفة بعضها يحتاج لحراثة عميقة والبعض يحتاج لتسوية الارض والبعض ما زال في انتظار حفر بئر مياه قبل الزراعة ؟ طبعا لا يمكن استخـــدام الجرار الآلي الا اذا كانت رقعة الارض المطلوب زراعتها كبيرة المساحة، وستزرع صنفا واحدا فقط وفي وقت واحد ٠

كذلك فان الحديث عن بناء تنظيم ثوري عربي واحد يكون خطأ اذا كـــان الواقع العربي مفتتا او متغير الاهداف المرحلية ، بل وتتعارض بعض هـــذه الاهداف احيانا ٠

يفترض ان « التنظيم الثوري العربي الواحد » سيعمل على القضاء علـــى « الرجعية العربية » ، و «التحرر من كل العلاقات مع الامبريالية» ٠ و «بالتصدي لكل اطراف المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي » ، وذلك كما جاء فـــي النشرات التي تدعو لمثل هذا التنظيم ٠ فهل صحيح ان مـــن مهام الثـــورة الفلسطينية الآن مثلا التصدي « لكل الرجعية العربية » ٠ وهـــل يمكن مطالبـــة الشعب العربي الفلسطيني الان ان يوجه ولو جزءا من قواه ، مهمـــا كـــان صغيرا ، الى اي مهمة خارج اطار استعادة وطنه المغتصب ؟

ان حركة « فتح » على صواب بلا شك عندما طالبت الملوك والرؤساء العرب في ١٩٦٥ باعتبار **قضية فلسطين فوق الخلافات العربية** ، والخلافات العربيـــة حتى ولو كانت خلافات بين الانظمة هي انعكاس بلا شك لخـــلاف في المصالح ، وتؤثر حتما على حركة الجماهير داخل الاقطار التي يختلف حكامها بعضهم مع بعض ٠ وعندما تحرص « فتح » على **الا تبدي رأيها** في هذه الخلافات ــ وهو أمر واجب على « التنظيم الثوري العربي الواحد » !! ــ فانها تحرص على عـــدم حرف اتجاه نضالها عن عدوها الاول الا وهو الكيان الصهيوني ، كما تحرص في الوقت نفسه على ضمان حد ادنى من **وحدة وتضامـــن القوى العربيـــة** الجماهيرية والنظامية في هذا الاتجاه ، وتحرص ايضا على عدم كسب عداء اي قوة ، او بالدقة خسارة اي قوة ولو كانت محايدة ٠

الموقف نفسه بالنسبة للثورة الجزائرية ، اذ كان استقلال الجزائـــر فـــوق الخلافات العربية النظامية منها او الجماهيرية ٠ كذلك الامر بالنسبـــة لثـــورة

اليمن الجنوبية ، وهكذا · ولم تكن هذه المواقف تضعف بأي شكل مواقف النضال الجماهيري في الاقطار العربية الاخرى كما يظن البعض ، بل على العكس ، كانت المعارك ضد الاستعمار وما تزال ، حتى وان كانت على ساحة قطرية واحدة ، تفتح ابوابا واسعة للنشاط الجماهيري ، وللقوى الثورية للعمل والتنظيم · كما ان الانتصارات والانجازات التحريرية على الساحات القطرية تدفع الى الامام باستمرار بالنضالات الاجتماعية وتهيء لها ظروفا افضل · ولم يحدث في اي حال ان طلب احد من التنظيم القطري الذي يقود النضال على ساحته أن يتخلى عن هويته القطرية ليصبح تنظيما عربيا واحدا شاملا · كما يحدث الان من البعض بالمطالبة بان تتحول حركة « فتح » او تتصرف كانها هذا « التنظيم العربي الواحد الشامل » ·

ان واقع التجزئة ، واختلاف مستويات التطور الاجتماعي في الاقطار العربية ، واختلاف الاعداء المباشرين والمهام المباشرة في كل قطر عربي ، الى غير ذلك من عوامل ، يفرض تنوعا كبيرا في البرامج النضالية وفي القوى الاجتماعية المشاركة في النضال في كل قطر على حدة · فضلا عن تنوع وخصوصية الاهداف الانتقالية التي يجب تحقيقها قطريا كخطوات ضرورية على طريق الدولة المركزية القومية الواحدة ·

وتكشف كل دعوة تغفل هذا الواقع افكارا مغامرة ، اذ هي تتعجل الصدام مع قوى ما تزال تحمل ولو القليل من امكانيات التغيير فتسوي بينها وبين الاعداء المباشرين الذين حان وقت هزيمتهم ، فتفلت فرصة هزيمتهم · وهي ـ اي هذه الافكار المغامرة ـ توسع دائما جبهة الاعداء ، وتضيق جبهة الاصدقاء ، وتستعدي من ليس عدوا الآن ، وتبدد الجهد في معارك جانبية معزولة عن الجماهير واهتماماتها المباشرة ، وينتهي بها الامر الى **عدم محاربة الاستعمار والصهيونية** بحجة محاربة الاعداء الذين يطعنوننا من الخلف · وينسى اصحاب هذه الافكار ان محاربة الاستعمار والصهيونية هي المهمة الاولى التي لا تتوقف، وهي في الوقت نفسه السبيل لتعبئة الجماهير حول الثوار للدفاع عنهم ضد اي طعنات من الخلف ، وهي الوسيلة الوحيدة العملية لفضح وجوه تلك القوى التي تطعن هذا النضال القومي او تضع في طريقه العراقيل · اما التوقف عن الحرب ضد الاستعمار والصهيونية مهما كان المبرر فانه يفقد الوجه والجوهر القومي للقوى التي تدعيه ، أيا كان « اسمها » او « لون اللافتة التي ترفعها » ·

ولن تؤدي مثل هذه الدعوة الا الى تجمع افراد عجزوا عن تحقيق اي تقدم في اقطارهم فالقوا بالمسؤولية على غيرهم او على واقع التجزئة · وجزموا انه لا يمكن تحقيق اي تقدم قطري ما لم تعبأ كل الجماهير الكادحة في معركة ضد « كل اطراف المؤامرة » حسبما جاء في احدى النشرات التي ترفع هذه الدعوة·

ثم هم بعد تجمعهم سيكتشفون حتما ان المهمة التي تصدوا لها اضخم بكثير جدا من جهودهم المعزولة عن واقع اقطارهم فيكتفون بالانتظار والترقب وربما يوسعون مجال « حربهم » لتشمل الامبريالية في العالم كله · وليس هذا من قبيل السخرية ، ولا التقليل من اخلاص دوافع القائلين بهذا الشعار ، ولكنه اتعاظ بخبرة الذين قطعوا ذات يوم انه لا يمكن للثورة ان تنجح في بلد واحد وما زالوا ينتظرون ثورة كل العالم مرة واحدة · والثورة تنجح في اكثر من بلد ولا تنتظرهم ·

★★★

هل معنى ذلك ان يقتصر النضال على برامج قطرية فقط ؟

- كلا بالطبع ·· فالاقطار العربية تشكل امة واحدة ومستقبلها دولة عربية واحدة ·· وهي وان تكن اليوم مجزأة بحدود سياسية خلفتها مخططات المستعمرين والصهاينة ، الا انها لا بد سائرة الى الغاء هذه الحدود فيما بينها · ولكن ذلك لن يتم بين يوم وليلة ، ولا بقرار من مجموعة او حاكم ، ولا مرة واحدة بين كل الاقطار · كما انه من المؤكد ان هذه **الوحدة السياسية الكبرى لن تتم وقطعة من ارض العرب مغتصبة او محتلة** ·

ان محاولة رسم طريق محدد ستسلكها الاقطار العربية نحو الوحدة السياسية امر صعب ان لم يكن مستحيلا · ولكن **الالتزام بالتوجه دائما** نحو هذا الهدف بغض النظر عن القطر او موقع الحدث او المعركة كفيل بضمان **قومية** كل الاجراءات والخطوات القطرية · وليس الامر صعبا بالنسبة لنا نحن العرب ، لانه لما كانت الوحدة السياسية القومية ستقوم على انقاض واقع التجزئة الذي يفرضه المستعمرون ، لذا فان كل اجراء موجه ضد الاستعمار وعلى وجه الخصوص ضد العدو الصهيوني ، هو اجراء **قومي** من شأنه تقريب الهدف الا وهو الوحدة السياسية العربية الكبرى · كذلك فان اخضاع الاجراءات الاجتماعية القطرية على اختلافها لشرط ان تكون في خدمة المعركة ضد الاستعمار هو ايضا **ضروري ولازم** لكي يمكن ضمان **قومية** هذا الاجراء او ذاك ·

بذلك نفرق بين الممارسة القطرية الاقليمية وبين الممارسة القطرية القومية · الاولى لا تكون ـ بوعي او بدون وعي ـ ضمن مسار التقدم نحو الوحدة العربية، والثانية تتجه بالضرورة نحو هذه الوحدة · بل انه من الممكن القطع بان كل اجراء او نشاط قطري من شأنه ان يبعد بين هذا القطر وبين بقية الاقطار ويوسع الشقة بينه وبينها ، هو **ضار قطريا** مهما بدا مفيدا او « تقدميا » في لحظة اتخاذه ·

ان السبيل الوحيد لتحقيق تغيير اجتماعي جذري في العلاقات داخل قطر

عربي معين هو ان يتم هذا التغيير في ظل الصدام ضد الاستعمار والعـــدو الصهيوني وبهدف تعبئة كل الطاقات ضد هذا العدو ، سواء منها السياسيـــة او العسكرية او البشرية او الانتاجية ، اي ان التغيير هو بهدف اقامة قاعـدة محررة تواصل حرب التحرير ، لا بلد يحاول حل مشاكله الاجتماعية ، مـــع تجميد الصدام ضد الاستعمار والصهيونية · وفي هذه الحالة يسمى اقتصـاد هذه القاعدة المحررة ، او القطر المحرر ، اقتصاد حرب ، لانه من المفترض انه سيظل في حالة حرب ضد الاستعمار حتى تتحرر الامة العربية كلها ·

لقد سادت في مرحلة سابقة أفكار تقول بضرورة تحقيق تغيير اجتماعي جذري، او بناء مجتمع اشتراكي لكي يمكن ان تتحقق وحدة تقدمية هي **شرط** الانتصار على الاستعمار والصهيونية · ولقد حاولت بعض الانظمة اتخاذ اجراءات سمتها في حينها « التحول الاشتراكي » او « التغيير الاشتراكي » وحتى سمتها « الثورة الاشتراكية » · ولا شك ان الطابع العام لهذه الاجراءات كان طابعـاً اصلاحيا، وبعضها بلا شك اتخذ مظهرا « تقدميا » · ولكن الى اين انتهت هذه الاجراءات الآن ؟ وهل يمكن فعلا احداث تقدم **اجتماعي جوهري** قبل التحريـر والوحدة ؟ هل يمكن **بناء الاشتراكية** في وطن محتل ؟؟ هل يمكن الغاء الاستغلال الرأسمالي في وطن محتل ؟ اوليست الدعوة للتغيير الاجتماعي الجذري في قطر عربي ، بينما قطر عربي اخر محتل ، هي دعوة **اقليمية** ، حتى ولو غلفها اصحابها بشعارات **قومية** او نادى بها « حزب ثوري عربي واحد » !

ان النضالات القطرية الصحيحة هي النضالات القطرية ذات التوجه القومي، وهي كالروافد تصب جميعها في نهر واحد هو مجرى الوحدة القومية الكبرى· وهي قد لا تصب جميعها عند نقطة واحدة في هذا النهر التاريخي ، وقد تتعـرج في مسارها اليه ولكنها تتوجه نحوه دائما والا ضاعت ، وجفت دون فائدة ···

لذا لا بد ان تكون النضالات القطرية محكومة بتوجه قومي واحد ·· برؤيـة قومية واحدة · ان كل نضال قطري لا بد سيبنى على الظروف المحلية للقطـــر المعين ، وفي نفس الوقت على الظرف العام الذي تمر به الامة العربية وفـــي خدمة الهدف العام للامة العربية وهو التحرير والوحدة ·

ان الصراع الاجتماعي لا يفتعل ، ولا يستطيع احد ان يتجاهله او يجمده · ومهمة القوى الثورية الواعية هي دفعه في اتجاه الاحتدام والصدام ، موجهـة ضرباتها الى الحلقة الرئيسية للنضال في كل مرحلة · والحلقـــة الرئيسية في هذه المرحلة هي الصدام مع الاستعمار (الذي هو مصدر التخلف الاجتماعـــي للامة العربية) والكيان الصهيوني (الذي قصد باقامته ضمان مصالح الاستعمار في المنطقة سواء في ابقاء الوطن العربي مقسما او متخلفا) · لذا فان الحرب

ضد هذا العدو هي التي من شأنها احداث اعمق تغيير اجتماعي في بلادنـــا العربية ، وهي التي من شأنها ربط اي محاولة للتغيير الاجتماعي القطري بالعمق القومي ، بل وضمان استمرار هذا التغيير ٠

ولقد لخصت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » هذه الخبرة والفكرة في شعار بسيط عميق، عندما حددت انالثورة الفلسطينية هي **فلسطينية المنطلق، عربية العمق ، عالمية الاطار** ، اي هي **قطرية المنطلق ، قومية العمق ، اممية الاطـــار** ٠

ولا شك ان هذه الخبرة تصلح للتطبيق في الاقطار العربية الاخرى ، وتعنـي **قطرية المنطلق** الالتزام بخوض النضال في الواقع القطري مباشـرة وبأدواتـــه المعبرة عنه النابعة منه ، كما تعني **قومية العمق** الالتزام بأن يكون هذا النضال القطري متسقا مع مجرى النضال القومي العربي العام، وجزءا منه موضوعيا ، ويخدم اهدافه في النتائج ٠ وحين ننجح في تحقيق هذين الشرطين فان نضالنا عندئذ سيكون بلا شك جزءا من النضال **العالمي لحركة التحرر الوطني العالميـة** ضد الاستعمار ، وستصب نتائجنا في الاتجاه التاريخي العام لانتصار الشعوب٠

المطلوب اذن هو تنظيمات قطرية ذات التزام قومي ٠ وهذه التنظيمات القطرية لا بدان تنشأ من واقعها ، ولا يمكن زرعها من خارج هذا الواقع ٠ يمكن تقديـم العون لها ، ولكن من المستحيل فرضها على الواقع ٠ فان اكثر الثوار خبـــرة ووعيا وتدريبا لا يمكن ان ينجح في غير مجاله الذي نشأ منه وفيه « وما يحرث الارض الا عجولها » ٠

***

كيف اذن تكون العلاقة بين هذه التنظيمات القطريـــة ذات الالتزام القومي الواحد ؟٠٠ هل يمضي كل منها في ساحته القطرية لا شأن له بالساحات الاخرى؟ واذا تم الاتصال فكيف تنظم خطوات التنسيق وتبادل الخبرة والعون فيما بينها؟

هناك قاعدة نضالية اثبتتها خبرة الشعوب تؤكد ان النضال الصحيح المستمر هو الذي يقوم **على مبدأ الاعتماد على الذات ، ومبدأ الاعتماد على الذات هو الوجه الآخر لمبدأ الاستقلالية التنظيمية** ٠ وتكاد هذه القاعدة تحكم كافة الاشكال **التنظيمية** للنضال ، وفي اي مكان ، صغيرا كان ام كبيرا ، قطريا كان ام شاملا٠

ولا علاقة للاستقلالية النضالية ، بالانفصالية او الانشقاقية او الاقليميـــة المتعصبة ، والفرق يكمن في ان هذا المبدأ لا يضمن الاستقلالية في تقرير الامـور **قاعديا ومحليا** فقط ، اي على الواقع المباشر ، وانما يحتم ايضا **عدم فـــرض الوصاية** على التنظيمات الاخرى التي تعمل على ساحاتها ٠ اي ان الاستقلالية **تعني رفض التبعية من الطرفين معا** ، او من الاطراف المشتركة كلها فيما بينها٠

ذلك معناه ان القاعدة التي تحكم العلاقات الصحيحة بين التنظيمات القطرية ذات الالتزام القومي الواحد هي **قاعدة الاستقلالية الملتزمة بهذه الرؤية القومية** ٠

والاعتماد على الذات يعني عدم القاء المسؤولية في قطر من الاقطار او ساحة من ساحات النضال على اي قوة قطرية اخرى ضمن هذا الالتزام القومي ٠ ويعني ذلك ايضا عدم الزام اي قوة قطرية قومية خارج القطر المعين باتخاذ نفس الموقف السياسي الذي يحدده تنظيم هذا القطر من قضاياه المحلية ٠ فمثلا، لا يمكن مطالبة قوى الثورة الفلسطينية بأن تتبع فى مواقفها وعلاقاتها واتصالاتها العربية موقف تنظيم قطري قومي معين في هذا البلد او ذاك سواء في التحالف او في العداء ٠٠ لان ذلك سيؤدي الى توريط قوى الثورة الفلسطينية في تعرجات قطرية غير فلسطينية هي في غنى عنها ٠٠

ان البعض لا يفهم احيانا لماذا تقيم قوى الثورة الفلسطينية علاقات مع قوى عربية معينة او انظمة عربية معينة ، ناسيا انه طالما تتم هذه الاتصالات لصالح الثورة الفلسطينية ، فهي اذن صحيحة ، وان **من يقرر الصالح من الضار هو وحده التنظيم القطري المعني دون اي تدخل او وصاية** ٠

كما تعني الاستقلالية التنظيمية ، والاعتماد على الذات عدم التدخل فيشؤون التنظيمات القطرية للساحات النضاليه الاخرى ٠ فلئن كانت النظم تلتزم فيما بينها علنا على الاقل بمبدأ احترام « السيادة » (!!!) فان التنظيمات تلتزم دون قانون مكتوب احترام آراء التنظيمات القطرية الثورية على ساحاتها وعدم التدخل في شؤونها التنظيمية وعلاقاتها مع الجماهير في قطرها لا لاسباب قانونية او تتعلق « بالسيادة » ، **وانما لانه من الخطأ ان يطرح تنظيم من التنظيمات في قطر معين نفسه بديلا عن التنظيم الثوري في قطر آخر** ٠٠ سيكون ذلك بمثابة محاولة فرض وصاية ، ولن تؤدي مهما بلغت درجة صدق النوايا الا الى الفشل والمشاكل والانشقاقات ٠٠

★★★

وبتطبيق مبدأ الاستقلالية التنظيمية والاعتماد على الذات تكون **قاعدة العلاقة** بين التنظيمات القطرية ذات الرؤية القومية الواحدة **هي** قاعدة **الندية الاخوية** اي المساواة الكاملة بين كل هذه التنظيمات دون تمييز على اساس امكانيات هذا التنظيم او قطره المعين ، وذلك عند مناقشة القضايا القومية العامة المشتركة ٠

اما في مجال **تبادل الخبرة والعون** ، وهو أمر ممكن وواجب ، فان ما يقدم يقدم بشكل اخوي ودون اي شروط او تدخل ، وبالذات في مجال تحديد المواقف

السياسية والتنظيمية · لان الالتزام القومي الصحيح يعني ان الامكانات المادية التي تتوفر لاي تنظيم قطري انما هي في خدمة النضال القومي كله ، وهي ملك لهـــذا النضال ·

كذلك فان من الضروري بذل الجهود المستمرة والمخلصة **للقاء** كل القوى ذات الرؤية القومية الواحدة للتشاور وتبادل الرأي وتقدير المواقف المختلفة ، وذلك **لتطوير وتعميق رؤية قومية واحدة** فيما بين مختلف التنظيمات القطرية القومية·

وفي ظروفنا الحالية ، حيث تحتل قضية فلسطين موقع المحور المركزي فـــي المعركة العربية ضد الاستعمار والصهيونية ، وحيث الثورة الفلسطينية المسلحة تمضي قدما من اجل تحرير فلسطين ، فان من واجب كافة التنظيمات القومية في كل الاقطار ان تساهم في هذه الحرب القومية الشعبية العادلة · ولا يعنـــي ذلك ان تتخلى عن واجباتها القطرية المحلية ، وانما يعني ان تربط بينها وبين الهدف الاول، الا وهو تحرير فلسطين ، الى جانب مساهماتها قدر امكانياتها في عملية التحرير مباشرة ·

وفي كل الاحوال فان لقاء التنظيمات القطرية القومية على ساحات النضـال الفعلية ضد الاستعمار والصهيونية ، من شأنه التقريب بين ارائها ومواقفهـــا السياسية، وتعميق رؤيتها القومية المشتركة، وهي خطوات ضرورية سابقة على اي عملية توحيد تنظيمية « **شكلية** » او « **انتقائية** » أو « **شللية حلقية** » ·

ومن المؤكد ان الانتصار على الاستعمار والصهيونية من شأنه ازالة اكبـــر العقبات في وجه الوحدة العربية · كما ان استكمال تحرير الوطن العربي مـــن شأنه الاسراع بالقضاء على الحدود السياسية الدولية المفروضة على اقطـــار هذا الوطن · وعندئذ ، عندما تزول هذه الحدود والتقسيمات ، تكون ظـــروف تحقيق وحدة التنظيمات القومية في تنظيم عربي واحد قد تهيأت ··

وبيننا وبين هذه الظروف نضال شاق ، وجهود بناءة صبورة، وانكار ذات ·· والتزام قومي بالتوجه دوما للتحرير والوحدة ·

الأطماع الاستعمارية البريطانية في فلسطين

علي حسين خلف

يكتسب البحث عن جذور الاطماع الاستعمارية البريطانية في فلسطين اهمية خاصة، لان حصر المناقشة في مرحلة الحرب العالمية الاولى ، تقود الى نتائج مضللة ، وخادعة ، فهي من جهة ، تساعد النظرة اليمينية ، نظرا لكثافة النشاط الصهيوني في هذه المرحلة ، على الادعاء ، بان النشاط الصهيوني هو الذي اوجد الاطماع الاستعمارية البريطانية في فلسطين ، كغطاء لمشروعه الخاص ، المشروع الاستعماري الاستيطاني . بدلا من القول بان المشروع الصهيوني في فلسطين ، كمعبر عن امال البرجوازية (اليهودية) الصاعدة ، يكتسب ملامحه وسماته بارتباطه ، كملحق بالمشروع الاستعماري البريطاني واداة له .

ومن جهة اخرى ، لان نتائج التحليل ، لا تتوقف عند حدود البحث النظري والاستقصاء التاريخي ، وانما تتحول الى مهمات نضالية ، فقد عمدت القيادة المسيطرة الى قلب اولويات النضال ، بتجريد الاطماع الاستعمارية البريطانية من جذورها في القرن التاسع عشر ، ومركزة الصراع ضد اليهود الصهاينة فقط .

وهذه النتيجة تتوافق مع المصالح الطبقية للقيادة الفلسطينية آنذاك ، والمعبرة عن مصالح الارستقراطية العائلية والدينية . ومصالح كبار الملاك .

ويفسر لنا هذا لماذا وضعت هذه القيادة ، الصهيونية الناشئة ، بدلا من الاحتلال البريطاني ، على رأس اعدائها . حيث يعفيها هذا الاستنتاج من النضال ضد العدو الرئيسي والمباشر، والاخطر من ذلك،انها وضعت عدوها الرئيسي والمباشر في موقع الحكم او الحياد، في الصراع الثنائي الفلسطيني ـ الصهيوني . ثم انتقلت خطوة خطيرة ثالثة ، عندما جعلت الصراع الثنائي دينيا وطائفيا . ان الاسس التي حاكمت بها القيادة المسيطرة

مسالة الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية ، تتعاكس تماما مع نضالات الجماهير التي استطاعت بعفويتها وايديولوجيتها البسيطة فهم جوهر الصراع · لكن افتقاد هذاالفهم لاداته التنظيمية اجهض نضال الجماهير وجعلها تقبل قيادة سياسية ساقطة تاريخيا·

كان الصراع الاساسي مع الاستعمار البريطاني الذي جعل من الصهيونية اداة لمشروعه ، تحالف يخدم الطرفين تكون فيها بريطانيا قائدا وموجها · هذا لا ينفي بالطبع الدور الكبير الذي قامت به الحركة الصهيونية والدوائر الامبريالية والسلطنة العثمانية لدفع قضيتها الى الامام ·

لم تظهر الاطماع البريطانية في فلسطين خلال فترة الحرب العالمية الاولى ، فهي تعود بجذورها الى القرن التاسع عشر ، وكانت تنمو وتتقدم بثبات حسب خصائص كل فترة تاريخية ، مزاملة ايضا تعاظم الدور الامبريالي لبريطانيا في العالم · ضمن هذا الاطار ووفقا لمنطقه التاريخي لم يكن بمقدور الحركة الصهيونية، وهي الحركة الوليدة حديثا ، ان تلعب دور المنافس للدول الاوروبية الباحثة عن التوسع والنهب · وكان عليها ان تلعب دور التابع والاداة · لذلك يسقط مفهوم الشراكة بين الطرفين · فعلاقة الصهيونية بالامبريالية البريطانية كانت علاقة قائد وتابع لا علاقة تماثل ، وارجاع العلاقة الى علاقة تماثل وهم ساذج ، كما ان اعطاء الصهيونية دور القائد المستقل ذاتيا ترويج رجعي يحاول تبرير مفهوم العمالة لبريطانيا ·

استند التحالف البريطاني ـ الصهيوني الى مفهوم النهب والاستيطان الكولونيالي، والتحكم بـ« البلدان المتخلفة » استراتيجيا ·

ونظرا لطول الفترة الزمنية من١٨٣١ ـ ١٩٢١ التي مرت بها مراحل الاطماع الاستعمارية البريطانية في فلسطين يمكن تقسيمها الى ثلاث مراحل اساسية :

١ـ المرحلة الاولى ١٨٣١ ـ ١٨٤٠ · وهي مرحلة اصطدام الاطماع الاستعمارية البريطانية باطماع محمد علي الكبير ·

٢ـ المرحلة الثانية ١٨٤٠ ـ ١٨٩٧ ، مرحلة التبشير بالمشروع الصهيوني على يد بريطانيا ، بعد ان ثبتت وجودها الاستعماري في المنطقة ·

٣ـ المرحلة الثالثة ١٨٩٧ ـ ١٩٢١ ، انتقال الاطماع الاستعمارية البريطانية من التخطيط الى التحقيق ·

المرحلة الاولى ١٨٣١ ـ ١٨٤٠

اصطدام الاطماع الاستعمارية البريطانية بخطط محمد علي · انتفاضات فلسطينية ضد ابراهيم باشا

رغم المظهر الاصلاحي الذي حاولت حملة ابراهيم باشا ان تتقنع به ، فان تاريخ الاحتلال المصري لفلسطين (١٨٣١ـ ١٨٤٠ م) اظهر الادعاء بان الاقطاعية « الوحدوية» استندت اساسا على قاعدة التقرب الى بعض اجنحة الاقطاع من اجل ضرب الاجنحة الاخرى ، مثلما حدث في نابلس ، عندما تبنى ابراهيم باشا دعم العبد الهادي على حساب ال طوقان ·

وبلجوء ابراهيم باشا الى نظام السخرة والتجنيد الاجباري على نطاق واسع ، نالنقمة

وسخط معظم فئات الشعب الفلسطيني · اذ فرض على سكان عكا زراعة سبع وثلاثين الف شجرة زيتون ، واباح البيوت والدوابلسكن وتنقلات الجنـــود ، وحدد نوعيـــة الحاصلات الزراعية ، مما ادى الى تخريب الزراعة ، والى ارتفاع في الاسعار ، وصـــل الى « اكثر من مئتين في المئـــة » (١)

وهربا من التجنيد الاجباري ، اخذ الشباب يغادرون البلاد ، كما اخذ بعضهم «يشوهون انفسهم فسملوا اعينهم واقتطعوا سباباتهم » · (٢) وتمكنت انتفاضة نابلس التي قادهـا الشيخ كاظم احمد ، من ارغام ابراهيم باشا ، على التراجع عن فرض التجنيد الاجباري والتخفيف من الضرائب المفروضة على الفلاحين ، والغاء تحديد الحاصلات الزراعية·(٣)

ومن اجل التخلص من الاحتلال المصري قاد ابراهيم ابو غوش عشرة الاف ثائـــر ، معظمهم من الفلاحين ، في جبال القدس ، بدعم ومساندة من ال‌الحسيني ، الاســـرة الاقطاعية المسيطرة على الوقف الاسلامي · ورأى اميل الغوري ، ان الثورة التي بـــدأت عام ١٨٣٤ م ، امتدت الى نابلس والخليل وصفد ويافـا وغـــزة ، وانهـــا طالبـــت « باستقلال البلاد وانشاء دولة عربية فيها » وانها (عاودت الظهور عام١٨٣٨) ·(٤)

ووصف لوتسكي هذه الانتفاضة قائـــلا :

« ··· وفي عام ١٨٣٤ · كانت قد قامت اول انتفاضة فلاحية كبيرة ضد التجنيـــد، شملت فلسطين كلها تقريبا ، وابيدت انئذ الحملة المصرية التنكيلية المرسلة الى جبـــال اليهودية (القدس) · وحاصر الثوار ابراهيم نفسه في القدس · وجاءت لمعونته امدادات من مصر بقيادة محمد علي الـــذي خاض بنفسه الحملة للتنكيل بالمساهمين فـــــي الانتفاضة ··(٥)

نتيجة ذلك تنكر محمد علي للاتفاقية التي عقدها ابنه ابراهيم باشا مع الشيخ كاظم احمد في نابلس ، وتمكن من قتله و« زيادة الضرائب على اهل نابلس ، ومن التعـدي عليهم بصورة خاصة ، مما ساعد في اتساع دائرة الانحطاط الزراعي وخراب الارضـــ الزراعية القليلة في فلسطين » · (٦)

ان الانتفاضة الشاملة وصمودها في وجه محمد علي وابنه ابراهيم ، وتجددها فـــي عام ١٨٣٨ ، تثبت زيف الادعاء ان حركة ابراهيم باشا في فلسطين حركة اصلاحيـــة، وتؤكد القول ان هذه الحركة دمرت اساس الاقتصاد الفلاحي الفلسطيني ، ومهـــدت لخراب وتدمير القرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر · خاصة عندمـــا اقدم ابراهيم باشا عام ١٨٣٨ على الغاء نظام الاستئجار في الاراضي الاميرية ، التي اعتاد الفلاحون الفلسطينيون العمل بها ، مما يفسر اسباب الانتفاضة الفلاحية الثانية·

الخطه البريطانية : طرد محمد علي وتقليم اظافر النفوذ الروسي·

كانت بريطانيا حينئذ ، خاصة بعد معركة قونية (٢١ـ ١٢ ـ ١٨٣٢) ، تخشى خطريـــن اساسيين :

الاول نمو وتوسيع دولة محمد علي وتكوين امبرطورية عربية تحمل في ثيابها النفوذ الفرنســـي ·

الثاني نمو وتعاظم النفوذ الروسي داخل ما تبقى من الامبراطورية العثمانية ٠

هذان الخطران اذا ما تحققا ، يغلقان امام بريطانيا امكانية السيطرة على شرق البحر المتوسط ، ويجعلان تجارتها مع جنوب شرق اسيا والهند تحت رحمة المحطة الوسيطة (الامبراطورية الجديدة) ٠ ومما عزز الخوف من الخطر الروسي ، اقدام الامبراطورية القيصرية على انزال فيلقين (حوالي ٤٠ الف جندي) على الشاطىء الاسيوي للبوسفور ، والشاطىء التركي للدانوب ، استجابة لطلب السلطان العثماني بعد هزيمته امام ابراهيم باشا في معركة كوتاهية (٢شباط ١٨٣٣) ٠ هذا التدخل « افزع انجلترا وفرنسا فهرعتا لصالحة محمد علي مع السلطان ، من اجل ان تحرم روسيا من حجة تتذرع بها لابقاء قواتها في البوسفور » (٧) ودفعتا محمد علي ، لقبول فرمان السلطان العثماني الذي سمي صلح كوتاهية (٤ـ٥ـ١٨٣٣) ، حيث ثبت السلطان حقوق محمد علي (في مصر والجزيرة العربية والسودان وكرية) وعينه حاكما على (فلسطين وسوريا وكيليكيا)٠(٨)

هذه الخطوة التي بدت ظاهرا انها تدعم نفوذ محمد علي على حساب الامبراطورية التركية ، كانت في حقيقة الامر سعيا لضرب الطرفين معا ، مبتدئين بضرب النفوذ الروسي والماني الجديد من خلال الغاء معاهدة هنكار اسكلس واتفاقية مونخن غراتز ٠

شواهد التوجه البريطاني نحو فلسطين :

يمكن رصد الخطوات البريطانية باتجاه فلسطين في السنوات اللاحقة بالاتي :

عقدت بريطانيا مع تركيا معاهدة تجارية سنة ١٨٣٨ ضمنت امكانية (دخول بضائع بريطانيا والدول الرأسمالية الاخرى الى اسواق الاقطار العربية) ٠ (٩) فبدأت الزراعة الفلسطينية تحت هذا التأثير ، تأخذ سمة الانتاج البضاعي حين بدأت تختص منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر في انتاج المحاصيل السلعية ، كالقطن ، والحبوب والصوف ٠ (١٠)

ـ طلبت بريطانيا من مونتفيوري مقابلة محمد علي باشا عام ١٨٣٨ والاتفاق معه على تأجير اليهود مائتي قرية عربية بهدف الزراعة « مقابل عشرين في المائة من المحصول» ٠ حيث « تعهد محمد على بالترخيص لليهود في شراء اية مساحة يستطيعون ان يجدوها في ربوع سوريا » ٠ (١١)

ـ عام ١٨٣٨ تأسست القنصلية البريطانية في القدس ، ووجهت جهودها الرئيسية « لحماية اليهود وتحسين اوضاعهم ، عندما كان لا يزيد عددهم في فلسطين عن ٩٧٠٠ نسمة حسب تقرير نائب القنصل البريطاني » ٠ (١٢) وتصف المؤرخة باربره توخمان تقييم اللورد شافتسبوري لاهمية تعيين اول قنصل بريطاني في القدس بقولها :« ان تربة فلسطين ومناخها ملائمان على نحو فريد لنمو محاصيل تلبي حاجات بريطانيا العظمى ٠٠ والمطلوب هو راس المال والمهارات لااكثر ٠٠ ستوفرها بريطانيا ٠٠بعد ان اصبحت فلسطين تتمتع بوجود موظف بريطاني فيها ، وبالامن المتزايد الذي يضفيه وجوده على الملكية (بضم الميم) ٠ ما الذي يمنع العالم اذن من مشاهدةعودة اليهود اخيرا (الى فلسطين) « الذين لن يعمدوا الى الزراعة في اية ارض اخرى ، والذين سيصبحون زارعي اليهودية والجليل مرة اخرى بعد ان وجدوا في القنصل البريطاني وسيطا بين الباشا وبين شعبهم » ٠ (١٣)

- استباقا لاطماع محمد علي التي امتدت الى نجد والخليج ، ومن اجل ايجاد محطة ثابتة على الطريق التجارية بين الهند وبريطانيا ، عبر المتوسط ، احتلت بريطانيا عدن في ١٩-١-١٩٣٩م. ثم بدأت تمارس ضغوطها على محمد علي من اجل فتح قناة السويس .

- ان المفاوضات التي اعقبت مذكرة الدول المؤيدة لتركيا (روسيا -النمسا - بروسيا- انكلترا - فرنسا) وافقت باغلبيتها - لاحقا - على اعطاء محمد علي حكما وراثيا في مصر وسوريا لقاء تنازله عن باقي المناطق اما بريطانيا فقد طالبت بالتخلي عن سوريا ايضا . وفي ايار ١٨٤٠ ، وبنتيجة الوساطة الفرنسية ، عقد اتفاق بين تركيا ومصر (منح السلطان بموجب هذه الاتفاقية محمد علي ملكا وراثياً في مصر وسوريا) .(١٤)

- في ١٥ تموز ١٨٤٠ وقعت تركيا مع اربع دول اوروبية اتفاقية لندن التي كانت «نصرا كبيرا للدبلوماسية الانجليزية » . (١٥) وفي ١٩ اب اذيعت مطالب الدول المشاركة بعقد الاتفاقية ، والتي اعطت محمد علي حكما وراثيا في مصر واناطت ادارة فلسطين(ولاية عكا) به كملك عليها مدى الحياة !

وعندما رفض محمد علي هذه الشروط شبت الحرب . ولوحظ ان القوات البريطانية، بمساعدة من الثوار المحليين ، هي التي سيطرت على فلسطين ولبنان ، حتى دفعته الى الاستسلام في ٢٧-١١-١٨٤٠ عندما كان جيشها يحاصر الاسكندرية ، ونتيجة ذلك اصبحت مصر عمليا تحت النفوذ البريطاني ، رغم قرار الحكم الوراثي لمحمد علي فيها.

- وجه اللورد شافتسبوري رسالة الى وزير الخارجية البريطانية بالمرستون في ٢٥ ايلول ١٨٤٠ قال فيها « ان سوريا ومن ضمنها فلسطين ينبغي ان تحول الى دومنيون انجليزي » (١٦) كما اقترح « استيطان اليهود في فلسطين » (١٧) كما وجه بالمرستون رسالة الى نائب القنصل الانجليزي في القدس يأمره فيها « كن حاميا لليهود بصورة عامة » وارسل رسالة اخرى الى سفير بريطانيا في اسطنبول يطلب منه ان يبادر « الى مفاتحة الحاكم التركي بضرورة عودة اليهود الى فلسطين » (٢٨) كما « ارسل سلسلة من التعليمات الى ممثلي حكومته في انحاء الدولة العثمانية حول اليهود والمشروع الصهيوني ، يمكن اعتبارها بداية التدخل البريطاني الرسمي لصالح « الامة اليهودية واعادة توطينها في فلسطين » .(١٩) يؤكد ذلك جانسن عندما يقول «يبدو ان الصلة السياسية البريطانية الرسمية الاولى باليهود ترجع الى عام ١٨٣٩ عندما طلب بالمرستون من القناصل البريطانيين تقديم الحماية لليهود ، ولم يتم بعد ذلك اي عمل بريطاني رسمي قبل لقاء تشمبرلين بهرتزل » (٢٠)

وبالنتيجة فان بريطانية في فلسطين ، ومصر ، هي اساس الصراع البريطاني لاقصاء محمد علي عن سوريا الطبيعية وسجنه داخل مصر بالحكم الوراثي . مما يسهل لها تنفيذ مشروعها ، على حلقات ، في فلسطين ، وتهيئة مصر ، عبر اضعاف واذلال محمد علي ، لاستقبال النفوذ الانجليزي الطامع في السيطرة على قناة السويس ، وبالنتيجة، السيطرة على مصر .

المرحلة الثانية ١٨٤٠ -١٨٩٧ بريطانيا تبشر بالمشروع الصهيوني

درجت الدبلوماسية البريطانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، في سياق التعبير عن اطماعها في المنطقة العربية ، وفق قاعدة واحدة باداتين اثنتين . اداة

بريطانية ظاهرة ومكشوفة واداة احتياطية هي ، الحركة الصهيونية · ففي جميع تصريحات واتصالات سفراء بريطانيا في القدس ودمشق وبيروت والاستانة ، والمدعومة من وزير الخارجية بالمرستون ، يصعب الحصول على تصريح واحد يخفي عطفه على (الشعب) اليهودي ·

واستنادا الى الاتفاقية التجارية البريطانية ـ التركية ، عززت بريطانيا نفوذها المالي والاقتصادي في الامبراطورية العثمانية ، حتى غدت قوة منافسةلكل من النفوذالفرنسي والالماني والروسي · واستثمرت نتائج استسلام محمد علي لتطوير نفوذها في امبراطورية الحكم الوراثي (مصر والسودان) وصولا الى احتلالهما ، بالتتابع ، وبذلك اقتربت من فلسطين حتى ملاصقة الحدود ·

وفي الوقت نفسه استخدمت مستعمرة عدن ، كمخفر استطلاع امامي لاطماعها في اليمن والجزيرة والخليج · وغدت الطريق بينها وبين الهند ، مرورا بالمتوسط ، وعبر عدن والسويس ، تحت هيمنتها المباشرة ·

المخطط البريطاني الاستعماري في خلق الحلم الصهيوني كأداة :

قبل ان يخرج ابراهيم باشا نهائيا من سوريا ، وبينما القوات البريطانية تحاصر بيروت وتحتل عكا ، كتب اللورد شافتسبوري متغنيا بـ« البسالة المقدامة لابناء وطننا» ، وداعيا الى (التحالف مع الشعب القديم وحمايته) · كما كتب بالمرستون ـ وزير الخارجية ـ رسالة الى السفير البريطاني في الاستانة ، طالبا منه مفاتحة السلطان التركي في امر تشجيع اليهود على العودة والاستيطان في فلسطين ، حتى يشكلوا « كابحا لاية مخططات شريرة يعدها محمد علي او خليفته في المستقبل » (٢١) هذه الحجة الواهية ، الخوف من محمد علي ، لم تتذرع بها جريدة التايمز اللندنية (١٧ـ٩ ـ ١٨٤٠) ، حين دعت الى مناقشة جدية لاقتراح اسكان اليهود ، فيما اسمته « وطن ابائهم » · بينما وقع ادوارد روبنسون في ما هو اكثر سذاجة، حين استعرض علاقة فرنسا بالكاثوليك وروسيا بالارثوذكس ليسأل « في شخص من تستطيع انجلترا ان تجد لها حلفاء في هذا الجزء ، وذلك من الامبراطورية التركية ؟··» (٢٢) · قاصدا الاشارة الى « اليهود » ·

حقا ان هو لنفورت عبر عن الموقف البريطاني بدقة ، حين ربط بين اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وبين الضرورة السياسية (لبريطانيا) في تأمين الطريق الرئيسي الى الهند عبر اسيا الصغرى ، في كتابه « ملاحظات حول ظروف اليهود الحاضرة في فلسطين » والصادر عام ١٨٥٢ · بينما غرق الكولونيل جولر ، حاكم جنوب استراليا، في مسوح الرهبان ، وهو يدعو في البرلمان البريطاني (٢٥ ـ ١ ـ ١٨٥٢) ، الى ان تقوم بريطانيا باصلاح سوريا ، بهمة من اسماهم « بناة اسرائيل » وذلك استجابة لدعوة (القدر) (٢٣)

هذا الفهم الكنسي يسقط فيه اميل الغوري حين عزا ما اسماه «نجاح اليهودية العالمية» في التقرب من البريطانيين واكتساب (مودتهم) الى خروج انجلترا على الكنيسة الكاثوليكية واتخاذها البروتستانتية دينا رسميا لها (٢٤) فعدا عن بؤس هذا الفكر اليميني ، فان الغوري اكثر حياء من لورنس اوليفانت ، الذي ربط ـ وبشكل صحيح ـ بين فكرة الاستيطان اليهودي وبين الحاجة الى تأمين « التغلغل البريطاني

سياسيا واقتصاديا في فلسطين » (٢٥) وكل شواهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تؤكد ذلك ٠

ففي عام ١٨٦٥ تأسس في لندن صندوق استكشاف فلسطين برئاسة اللورد شافتسبوري ، والذي قال بمناسبة تعيينه رئيسا للصندوق « دعونا لانتأخر في ارسال افضل العملاء ٠٠ لتنقيب طول فلسطين وعرضها ٠ واعدادها من اجل عودة مالكيها القدماء » (٢٦) كما اسس القنصل البريطاني في القدس ، واحد اتباع اللورد شافتسبوري ، « جمعية تشجيع العمل الزراعي اليهودي في الاراضي المقدسة » (٢٧) كذلك اسس القنصل الامريكي واردور كريسون في العام نفسه مستعمرة زراعية يهودية معتبرا اياها « البداية الاولى لفلسطين الجديدة » (٢٨)

الاستشراق في خدمة الخطة الاستعمارية :

في بريطانيا الراسمالية ، اندمجت حركة الاستشراق ، بالمخططات البريطانية لاستعمارية ٠ حيث جرى استخدام العلماء والباحثين في مهمات تجسسية وحربية ٠ وبذلك شكلوا وحدات استطلاع ميدانية ، لمسح البلد المرشح لعضوية التاج البريطاني ٠

ان خطورة الاستشراق التجسسي الحربي ليس فقط في كونه رأس جسر للاستعمار ، وانما ايضا ، في عملية نهب وسرقة وشراء المخطوطات والاثار الوطنية٠ وهكذا يأخذون تراثنا الوطني الى متاحفهم ومكتباتهم المختصة وعمليا استطاع نابليون الثالث ارسال ٣٢٠ مخطوطة من مصر الى « مكتبة باريس الوطنية » ٠ (٢٩)

قبل الفرنسيين والروس ، شكل الالمان الجبهة الاوروبية الرئيسية التي نافست ، وفاقت، حركة الاستشراق البريطانية فيما يتعلق بفلسطين ٠ والفرق بينهما ، ان الاطماع الاستعمارية الالمانية ، لم تكن تحمل الورقة الصهيونية كتذكرة عبور الى فلسطين ،وانلم تهملها ، بينما حافظت الاطماع الاستعمارية البريطانية على التبشير بالحركة الصهيونية وتنميتها ، في الميدان السياسي والاقتصادي ، وفي ميدان الاستشراق ايضا ٠

طمس الهوية الوطنية :

ابتدأت السياسة البريطانية ، وفيما بعد البريطانية ـ الصهيونية ، بطمس الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني منذ القرن التاسع عشر ، وتحديدا في النصف الثاني منه ، باستخدام عبارة (العرب) (المسلمين والمسيحيين) كبديل عن الاعتراف بالشعب الفلسطيني ٠

ان اعتماد عبارة (العرب) في القاموس البريطاني الصهيوني ، لم يكن اعترافا بالطابع العربي لفلسطين ٠ وانما من اجل الادعاء بحداثة هذا الطابع ، وربطه بالفتح الاسلامي ٠ في مقابل استعمال كلمة « الشعب » (وارض الاجداد) و (الوطن القديم) في كل موقع يذكر فيه (اليهود) ٠ كل ذلك بهدف الوصول الى نتيجة زائفة مؤداها ان اليهود (شعب ذو اصالة تاريخية) ، وان للفلسطينيين امتدادات عربية وافدة من المناطق المجاورة ، ويمكن اعادتهم اليها ٠ والملفت للنظر حقا هو تسمية الفلسطينيين بـ« العرب » ، بينما تجري تسمية كل الشعوب العربية الاخرى باسماء اقطارها ٠

اي استناد الى الفتوحات الاسلامية لتأكيد الحق التاريخي ، هو استناد واه ، والا تساوت اسبانيا بفلسطين • وهنا تتوجب العودة الى اساس اخر ، وهو تغريب المنطقة السابق للغزو الموسوي لفلسطين ، وبذا تعطى فلسطين حق ملكية تراث خمسة واربعين قرنا ، بدلا عن ثلاثة عشر قرنا مع وضع الفتوحات الاسلامية في حساب الزيادة هذه • وقد وقعت قيادة الحركة الوطنية انذاك وما زال العديد من الكتاب المعاصرين ايضا يقعون ، في نفس الحدود ـ المصيدة التي رسمتها بريطانيا والصهيونية، عند الدفاع عن عروبة فلسطين •

اما اللفظ الثاني (الطائفي) ، فهو تشويه يوضع فيه الطرف الفلسطيني في خانة الهزيمة من حيث الاقدمية ، اذ ان الدين اليهودي ـ تاريخيا ـ هو اقدم بكثير من الاسلام •

وعلى هامش هذين الادعائين ، ثابر البريطانيون والصهاينة على تصوير اطماعهما في فلسطين بانها محاولة انقاذها من الخراب والعزلة والتخلف ، وانهما سيأتيان (بشعب) مزارع يحيلها الى جنات غناء ! هنا يفشل المقياس العنصري ، الذي يجعل التخلف سمة ملازمة لشعب من الشعوب ، والتقدم سمة ملازمة (لشعب) اخر يجري خلقه ، ووضعه كوكيل فرعي للمصالح الاستعمارية • انه المقياس الذي يجرد الشعب الفلسطيني من واقع تطوره الاجتماعي والاقتصادي ، ويراه ، بعيدا عن وقائع الحياة وقوانين التطور، اداة معرقلة للتحديث •

المرحلة الثالثة

١٨٩٧ ـ ١٩٢١ م

الاطماع البريطانية من التخطيط الى التحقيق

دللت وقائع النشاط البريطاني منذ ١٨٣٨ الى ١٨٩٧ ، على اعطاء الافضلية لفلسطين، خلال فترة احياء الحلم الصهيوني الاستعماري • وبالتالي فان موقف هرتزل في المؤتمر الصهيوني الاول ، في رفض اوغندا والاصرار على فلسطين ، كان يتجاوب مع المخطط البريطاني وليس نقيضا له •

كما اصبح من الثابت ان ترشيح اراضي عدة شعوب اخرى في اوغندا ، قبرص ، الارجنتين ، انجولا، شبه جزيرة سيناء ، الخليج العربي لم يكن على حساب استمرار القول بافضلية فلسطين ، وفق المسعى الانجليزي • فمثل هذه الافضلية تتفق مع الاطماع الصهيونية ، ومع النشاط الاستعماري البريطاني السابق •

وبتبلور الحركة الصهيونية ، كقوة سياسية منظمة ، منذ مؤتمر بال بسويسرا عام١٨٩٧، اصبح بمقدور بريطانيا استثمار هذه الاداة المتبلورة بما يخدم اطماعها الاستعمارية على النطاق الدولي •

وفيما قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها ، انحصر النشاط الصهيوني في التركيز على فلسطين تحت الاشراف البريطاني ، والسعي لكسب اعتراف الدول الاستعمارية الاخرى ، مقابل الاستعداد لتأدية بعض الخدمات • كل ذلك بهدف الايحاء « ان اليهود هم الذين اعطوا المادة والحقيقة لفكرة الحمية البريطانية على فلسطين والتي اتخذت فيما بعد شكل الانتداب ...» كما ادعى وايزمن في مذكراته (٣٠)

ان الضجيج الصهيوني في هذه المرحلة حقيقة واقعة ، وهو على كثافته ، يحاول اظهار القدرة على اداء الدور الذي رسمته له بريطانيا في مرحلة اسبق · ويرغب – ومن منظور خاص – في الوصول الى نفس النتيجة التي ذكرها وايزمن في مذكراته · اي ان النشاط الصهيوني هو اساس التوجه البريطاني نحو استعمار فلسطين وليس العكس !

ومن اجل ذلك اخذت الكتابات الصهيونية تطرح مشروعها في ظل الحماية البريطانية « المطلوبة » فحتى قبل دخول تركيا الحرب في تشرين الاول عام ١٩١٤ كتب هرتزل « ستقع فلسطين داخل منطقة النفوذ البريطاني » ، و« سنتمكن بسهولة من نقل مليون يهودي اليها خلال الخمسين او الستين سنة التالية · وسيكون لبريطانيا حاجزا فعالا على قناة السويس يحميها من القوى المعادية التي يحتمل ان تأتي من الشمال · وسيكون لنا بلد بلجيكه اسيوية » ! (٣١) وفي شباط ١٩١٥ ، اكد هربرت صموئيل للوزير البريطاني السير ادوار غراي : « خطر ان تملك فلسطين اية دولة غير انجلترا » · (٣٢) وفي اذار من نفس العام ، كتب وايزمن رسالة الى سي · ب · سكوت ، رئيس تحرير جريدة« المانشستر غارديان » قال فيها :

« ان وجود جماعة يهودية قوية على‌تخوم مصر يشكل مانعا فعالا في وجه اي خطر قد يأتي من الشمال » · (٣٣)

نلاحظ من اقوال وايزمن وهرتزل انهما يعرضان المشروع الصهيوني في ضوء المصالح البريطانية ، وخاصة مواجهة ما يسمى « الخطر » الاتي (من الشمال) و(حراسة) قناة السويس ! وهذا يتفق مع مضمون (الخطر) الذي يشير اليه هربرت صموئيل ·

وتجدر الاشارة الى قلة التصريحات البريطانية المؤيدة للمشروع الصهيوني في هذه الفترة ، والتي ترجع اساسا الى بدء الاتصالات البريطانية – العربية ، حتى لا تؤدي (التصريحات) الى ردات فعل عربية من شأنها احباط التعاون لطرد الاتراك · وتعود بدايتها الى ١٩١٢ ، عندما اتصل الامير عبد الله بن حسين بالسير رونالد ستورس سكرتير اللورد كتشنر ، وعرض عليه « ان‌تقدم انجلترا مساعدة سياسية للعرب‌في حال‌قيامهم‌بثورة ضد الاتراك » · (٣٤) فرفض البريطانيون مقترحات الامير ، و« عندما نشبت الحرب بادر اللورد كتشنر ، وكان قد اصبح وزير الحربية في لندن ، فأوعز الى ستورس باستئناف المباحثات مع الشريف » · (٣٥) وفي ٣١ تشرين الاول ١٩٢٤ ارسل اللورد كتشنر برقية الى الشريف حسين قال فيها :

« اذا اتت الامة العربية بمساعدة لانكلترا في هذه الحرب فانكلترا تتعهد بان لا يحصل اي تدخل اجنبي في بلاد العرب، وتساعد العرب ضد كل اعتداء خارجي » · (٣٦)

وبعد تبني الشريف حسين للاسس التي حددتها الجمعيات السرية بدمشق للتحالف العربي – البريطاني ، ضمنها رسالته الموجهة الى السير هنري مكماهون ، المفوض السامي البريطاني في القاهرة يوم ١٤ تموز ١٩١٥ · وبمراجعة الرسائل الخمس المتبادلة بينهما ، يتضح ان بريطانيا اعترفت بعروبة فلسطين ضمنا ، كونها تقع في المنطقة التي اعترفت باستقلالها وبحق اقامة حكم عربي فيها · وهو نوع من التكتيك البريطاني لضمان استمرار مساندة العرب للحلفاء ابان الحرب العالمية الاولى ·

ان اعترافات الجنرال بريمون – قائد القوة الفرنسية التي ساهمت باحتلال سوريا

عام ١٩١٧ ـ في مذكراته ، تصور ، وعلى لسان مارك سايكس ، التكتيك البريطاني بشكل دقيق ، حين يقول :

« ٠٠ ان السير مارك سايكس كان يبشر بضرورة خلق الاوهام في اذهان العرب عن طريق وعدهم بالاستقلال لضمان ولائهم واستمرار مساهمتهم السياسية والعسكرية في الحرب ٠٠٠ في الوقت الحاضر ، علينا واجب واحد ، وهو ان نقهر الالمان حيثما وجدوا وسيتسع لنا الوقت فيما بعد لاقتسام الاراضي بعد الحرب ٠ » (٣٧)

والغريب ان الكاتب الفلسطيني نجيب صدقه ، الذي حاول حشد عشرات الفقرات، المنسوبة الى المسؤولين البريطانيين ، والمعبرة عن خططهم للاستيلاء على فلسطين ، في كتابه « قضية فلسطين » ، يقع سريعا في الشرك عندما يناقش وعد بلفور الذي اعتبره ٠٠ « دليلا صارخا على قوة المنظمات الصهيونية ومدى نفوذها وضغطها على السياسة البريطانية » ٠ (٣٨)

وفي رصد النشاط البريطاني الذي سبق وعد بلفور ، بالتنسيق مع فرنسا(اتفاقية سايكس- بيكو) ، تظهر الخطة البريطانية في استثمار الحركة الصهيونية ، ليس فقط كاداة لاستعمار فلسطين ، وانما لاستثمارها ايضا ، في عمل رجعي استعماري على النطاق الدولي ، يستهدف تعطيل الدور الثوري للبروليتاريا اليهودية ، ولاجل ذلك ارسل العميل البريطاني غولدبرج الى روسيا ، وطلبت الحكومة البريطانية من الزعيم الصهيوني سوكولوف ان يعود ايضا ، بهدف تعطيل اسهام الجماهير البروليتارية (اليهودية) في الحركة الثورية لعموم روسيا ، وخاصة في الحزب البلشفي ، ابان عهد حكومة كيرنسكي ٠

وفي ٢٤ نيسان ١٩١٧ ، بعث مكتب العلاقات الخارجية البريطانية رسالة من لندن الى السفير البريطاني بوكانان في بتروغراد ورد فيها :

« ثمة نصائح تقول لنا ان افضل وسيلة للرد على الدعاية اليهودية السلمية والاشتراكية في روسيا هو ان نتقدم بتشجيع محدد للاماني القومية اليهودية في فلسطين٠ مسالة الصهيونية مليئة بالتعقيدات ، ولكن ساكون شاكرا لو علمت رايكم عما اذا كان اصدار اعلان من الحلفاء يعطف على الاماني القومية اليهودية سيساعد فيما يتعلق بالحالة الداخلية والخارجية في روسيا » ٠ (٣٩)

وفي ٢٣ حزيران ١٩١٧ ، اصدر رونالد غراهام احد اعيان مكتب الشؤون الخارجية البريطانية مذكرة قال فيها :

« يجب علينا تامين كافة الفوائد السياسية التي يمكن احرازها من علاقتنا بالصهيونية ولا شك ان هذه الفوائد ستكون ضخمة وخاصة في روسيا حيث الطريقة الوحيدة للوصول الى البروليتاريين اليهود هي من خلال الصهيونية » ٠ (٤٠)

وخلال تأدية هذا الدور الرجعي في روسيا ، لم تتوقف الحركة الصهيونية عن ممارسة نشاطها تجاه استعمار فلسطين ٠ ففي ١٧ شباط ١٩١٧ ، عقد مؤتمر رسمي بين مارك سايكس وخمسة من زعماء الحركة الصهيونية كمؤشر « لاعتراف بريطانيا بالحركة الصهيونية » (٤١) وفي ١٧ اذار ١٩١٧ ، واثناء زيارة وايزمن لوزارة الخارجية البريطانية ابدى اللورد بلفور « تخوفه من الاخبار التي بلغته عن عقد معاهدة سرية بين الحلفاء تعطى فرنسابموجبها قطعة من الجليل مع مدينة طبريا ، وطلب ان توضع

فلسطين تحت الحماية البريطانية » ٠ (٤٢)

ومنذ ذلك التاريخ والحركة الصهيونية تضغط باتجاه استصدار وعد رسمي بريطاني بذلك ، بينما كانت الحكومة البريطانية تتابع خطوات استعمار فلسطين ، بما يتلاءم ومصالحها في المنطقة ٠ وجرى اعداد مسودة وعد بلفور في ١٨ تموز ١٩١٧ ، وعدلت في ١٨ ايلول ٠ وبعد موافقة الرئيس الامريكي ويلسون على الوعد (١٣ تشرين الاول ١٩١٧) اقرت صيغته النهائية في ٣١ تشرين الاول ، واذيع في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧ ٠ بعد ذلك صادقت عليه كل من فرنسا (٩شباط ١٩١٨) وايطاليا (٩ ايار١٩١٨) وامريكا (٣١ اب ١٩١٨) ٠ (٤٣) وتضمنه صك الانتداب البريطاني على فلسطين الذي اعلن كمشروع من قبل عصبة الامم في تموز ١٩٢١ وصودق عليه في ٢٤تموز ١٩٢٢ونفذ في ٢٩ ايلول ١٩٢٣ ٠ لقد عبر بلفور عن حقيقة مغزى الوعد بقوله (عام ١٩١٩) :

« ان الدول الاربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية ، سواء اكانت على حق ام على خطأ، جيدة ام سيئة متأصلة في التقاليد السرمدية والحاجات الحاضرة وامال المستقبل ، التي هي ذات معنى اعمق من رغبات واجحاف ال٧٠٠ الف عربي الذين يقيمون الان في تلك الارض القديمة » ٠ (٤٤) ٠

وبالمعنى نفسه قال الصحفي البريطاني هربرت سايد بوثام ، المراسل العسكري لصحيفة (المانشسترغارديان) ، في كتابه المسمى « انجلترا وفلسطين » والصادر عام ١٩١٨ :

« ان اليهود وحدهم هم الذين يمكنهم ان يستعمروا فلسطين ، ويستطيعوا ان يبنوا في المتوسط دومنيون جديدا يرتبط منذ البداية بالعمل الامبريالي ويكون في الوقت نفسه ،وقاء في وجه الشرق الغريب ووسيطا بينه وبيننا » ٠ (٤٥)

ولاستكمال المؤامرة الاستعمارية ، سعت بريطانيا الى خلق ماسمي امارة شرق الاردن، وحددت لها وظيفة خاصة « كارض احتياطية لاستيعاب المواطنين الفلسطينيين المرحلين من فلسطين بعد تنفيذ وعد بلفور » ٠ (٤٦)

المراجع

(١) سوريا ولبنان في القرن التاسع عشر : عمر ابو النصر ـ١٩٢٦ـ ص٤١٠

(٢) نفس المصدر ص٤٢ ٠

(٣) تاريخ سوريا الاقتصادي : علي عبد العزيز الحسني ـ مطبعة بدائع الفنون ـ دمشق ـ ١٩٢٢ ـص١٦٣ ٠

(٤) فلسطين : اميل الغوري ـاصدار مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الارشاد ـ مصر ـ ١٩٦٢ ـ ص٣٤ ٠

(٥) تاريخ الاقطار العربية الحديث: لوتسكي ـ ص١٣٥ ٠

(٦) علي عبد العزيز الحسني ص١٦٤٠

(٧) لوتسكي ص١٢٩ ٠

(٨) لوتسكي ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ٠

(٩) لوتسكي ص١٣٧ ٠(المعاهدة بتاريخ ١اب ١٨٣٨) ٠

(١٠) نظرة جديدة الى تاريخ القضية الفلسطينية ١٩١٨ ـ١٩٤٨ :محمد حافظ يعقوب ـ دار الطليعة ـ ايلول ١٩٧٣ ـص٤١ ٠

(١١) العرب واليهود في التاريخ: الدكتور احمد سوسة ـ ص٣٥٣ ٠

(١٢) نفس المصدر ٠

(١٣) باربره توخمان ـ ص ١٢٤ ٠ الصهيونية والصراع الطبقي : الدكتور صادق جلال العظم ـ دار العودة ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١/ ٢/ ١٩٧٥ـ ص٦٠

(١٤) لوتسكي ـ ص١٤٠ ٠

(١٥) نفس المصدر ص١٤١ ٠

(١٦) العرب واليهود في التاريخ ـ ص٣٥٥ ٠

(١٧) نفس المصدر والصفحة ٠

(١٨) نفس المصدر ٠ ايضا تاريخ فلسطين الحديث ـ د٠ الكيالي ص ٢٧ ٠

(١٩) الصهيونية والصراع الطبقي ـ ص ٦٠ ـ ٦١ ٠

(٢٠) الصهيونية واسرائيل واسيا ـ ج٠ هـ٠ جانسن ـ ترجمة راشد حميد ـ مركز الابحاث ـ ايلول ١٩٧٢ ـ ص٨٧

(٢١) توخمان ص١١٣ـ ١٢٨ ٠عن (الصهيونية والصراع الطبقي ـ ص٦٢ـ ٦٣) ٠ايضا تاريخ فلسطين الحديث ص٢٧٠

(٢٢) احذروا الصهيونية ـ يوري ايفانوف ـ ص ٣٣ ٠

(٢٣) للتدقيق والتوسع راجع جانسن ص٨٧ ٠ والصهيونية والسياسة العالمية ـ كالين ص٤٩ ٠ وجذور القضية الفلسطينية ـ اميل توما ٠ ويوري ايفانوف ص٣٣ ـ ٣٥ ٠

(٢٤) المؤامرة الكبرى ـ الغوري ـ ص١٦ ٠

(٢٥) عن جانسن ص٨٧ ٠

(٢٦) د ٠ صادق العظم ص ٥٥ ـ نفس المصدر ٠

(٢٧) كوبلر ص٨٠ ٠ العظم ص٥٥ (مرجع سابق) ٠

(٢٨) العظم ص٥٦ (مرجع سابق)٠

(٢٩) للمعلومات التفصيلية ـ راجع المستشرقون ـ نجيب العقيقي ـ الجزء الثاني ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ـ من ص٤٣٢ ـ٥٧٢ والمختصة بالاستشراق البريطاني وفي نفس الجزء (٦٧٩ ـ ٨١٤) هناك عرض للاستشراق الالماني ٠ اما الاستشراق الفرنسي فيمكن مراجعته في الجزء الثالث من ص ١٠٤٤ ـ١٠٨٠ ، وفيما يتعلق بحملة نابليون يمكن مراجعة الجزء الاول ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ٠

(٣٠) ج٠ هـ٠ جانسن ص٩٥ ٠

(٣١) شتاين ص١٢٦ ـ١٢٧ ٠ راجع جانسن ص ٨٨ ٠

(٣٢) هربرت صموئيل ـ المذكرات ـ لندن ١٩٤٥ـ ص ١٤٠ـ١٤٥ ٠ جانسن ص ٨٩ ٠

(٣٣) جانسن ص ٩٠ ٠

(٣٤) قضية فلسطين : نجيب صدقه ـ الطبعة الاولى ـ اب ١٩٤٦ـ ص٩ ٠

(٣٥) نفس المصدر والصفحة ٠

(٣٦) نفس المصدر ص١٠ ٠

(٣٧) نفس المصدر ص٤٧ ٠

(٣٨) نفس المصدر ص١٧٠

(٣٩) الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى ـ نبيل بدران ٠ شؤون فلسطينية ـ اذار ١٩٧٢ ـ ص ١١٨ ٠

(٤٠) نفس المصدر ص٣١٠

(٤١) جانسن ص٨٩٠ يرى نجيب صدقه (ص٢٣) ان الاجتماع عقد يوم ٧ شباط بمنزل الدكتور وايزمن وحضره

ملكولم ، مارك سايكس ، اللورد روتشيلد نعيم سوكولوف ، هربرت صموئيـــــل،

(٤٢) نجيب صدقه ص٢٤ ٠

(٤٣) بين امريكا وفلسطين ـ فرانـك مانويل ـ ترجمة يوسف حنا ٠ وكفاح الشعب الفلسطيني قبـــل العام ٤٨ ـ عبد القادر ياسين ـ ص٥٢ ٠

(٤٤) جانسن ص٧٢ ـ ٧٣ ٠

(٤٥) جانسن ص٥٢ ٠

(٤٦) النظام الهاشمي والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ـ عصام احمـــــــد الفايز ـ الطبعة الاولى ـ تموز ١٩٧٤ ـ دار ابن خلـــــدون ـ ص١٠ ٠

ضاحكًا جاء الموت إلى تل الزعتر

الطاهر بنجلون

ترجمها عن الفرنسية : محمد برادة

فاجأتك ريح الصباح
كأنك بقايا جسم مقفر
تفتح عينيك على أرض
حيث لا تستبين الاحجار ولا الايدي
مرج من مرايا
وحده الصوت
صوت الام
خال من التجاعيد
يشيع السعادة
يولج النهار الى جسدك
لكن الموت
قرر انهاء التيهان
داخل هذا الجسد
حتى الغياب انطفأ
وعلى جبينك قسط من ارض
ومرارة هذا الحشد المهجر .
هذه هي الارض
احببها فهي قدرك
اترك القناع ينزلق فوق الصور

أنصت
هذه بلاد مسلوخة الروح ٠
لم يعد التاريخ يخجل من انقاضه
فوق الحجر
فوق الرمـاد
جسد مفجـر
يبعث رسالة عن « التعلق المتين »
الى الموت ، الى الشمس ٠

اكتب اليكم من صباح
اكتب اليكم من قرن آت
كلمات صانها الجنون
شعب اصيب بجروح
في جسده
في تاريخـه
هذا الشعب الذي انا منه
معطوب الروح ٠

لست جنديا
لست محاربـا
شجرة مصعوقة انا
في ليال ساقطة
والسماء كانت زرقاء كما في الحكايات
انا شاهدة قبر
مسلة للريح المنحدرة الى الرابية
جسم مفرغ
انا الكوكب الذي لامس المياه
ورقص على الامواج
الكوكب الذي اضاع مراياه
وفقد الدموع البلورية المعلقة على جبين فلاحة شابة
منذ ذلك الوقت
سكن الموت النهـار
وغطى المساء بالشمع والعسل
الموت الابيض
فوق اجساد صغيرة

لاوراق الشجر المرتعشة حنانا وحياء
منذ ذلك الوقت
يصنع الموت خبزا في الخلوات
لست جنديـا
لست محاربا
صندوق انا من ورق مقوى
حيث اودعوا طفلا
لم توضع فوقه اية يد
حتى ولا كفن
نظرة محقونة من الدم
طعم الخبز كان له مذاق الارض المغتالة
ذهب الرجل يبحث عن الماء
ارتمت المرأة فوق قنبلة
اصابها الدوار
لكنها ضحكت
لتشابه نجمة الغسق
ارتدى جبـة
كانت الشجرة مصانة
والصلبان من حديد
اشعل الكوكب النار في البحر
فوق الرمال
رماد ، كرسي وكلب
راح الرجل للحراسة
حملت الريح الرماد
انفتحت الاجساد على الريح
تكدست في الساحة
وعندهـــا
صف الموت الهادىء الاشجار
على سطوح المقاهي
الغابة اضطجعت
وابتلع الجبل الاطفال العزل
ذهب باحثا عن الفطائر والزيتون
لكن النساء كن يحملن شواهد قبور
فوق الصدور
جندي شاب رؤوف

اطلق النار على القبور
انتصب الامـوات
فقدموا صوب البحر
تمرغ رجل فوق العشب
ملء فمه تراب وديدان
تفسخ الجبل
اخترقت الهاوية المخيمات

يا شعبا تائها
ماذا فعلت بتوحدك ؟
يا شعبا معزولا
ماذا صنعت بالكواكب والضحكة
اين اضعت النهار ؟
ليـل الرمال
وسواد الخيام
لم يعودا كفنا
في اخاديد الالم
الموت عـال
مفتوح بالعشب المجنون المنبثق من ذاكر

نصبت احدى الحكومات المقاصل
لشنق الغزلان
والمرج السكران
تخترقه الضحكات
ترفع راقصة بطنهـا
الحشد زاخر بالوجوه المتماوجة
والرجـال ...
اي رجـال ؟
« الاخوة السمر العراة »
والآخـرون
اطفال عصور العنف في المنظرات

يقصفون الرابية
تسقط الحياة في قدح بخور
الاطفال يزينون وجوه الموتى

يطلقون الرصاص على الفجر
وفي الليل يحلمون باللازوردي
داخل مغارات الامل الضيقة
الأمهـات المبقورات
يعانين سكرة المزمن والنوم
من اجل ضحكة اولئك الذين يحلمون
والقتـــل
من اجل جمال الاشياء ٠

وسقطت الاقنعة
ـ يقولـــون ـ
وراء الاقنعـــة
لم تعد هناك وجوه ولا رؤوس
بل طريق من الرماد يصعد صوب المسبيات العاريات
في الرمـــال
الازقة الضيقة
كانت تجللها شواهد قبور ووجوه راضية
اليد المسكة باحدى الصخور
كانت تسمي النهار الغائب
الاجساد الكلمات المهشمة
مزق لحم ملصقة بالسماء
لكن الصرخات
اليد والكلمات
المقلبة في الحفرة المشتركة
كانت تحرسها النجوم
امتزجت المقاحة بالشمس
ولم يعد الرجال بحاجة الى اقنعة ٠

سنرفع العنف المشروع
الى اعتاب ارض توحدنا الراشدة
سنحمل اليها حمى تيهاننا المرتفعة.
والموت المزروع
في قاصيات شواطئنا
نحن هنود مرج يتقدم
نحو الليل نتقدم بصحبة اطفالنا المسلحين

فلسطينيون نحن
شموس نحن
تكسر الانسجام المكلل بالحقد
المنسوج من شبح الدول الشقيقة
النهار المنتشي بتحليق الطيور
يؤيد حقنا
المكفنون بالطين والهاوية
الذين اعدمهم الصمت
يعودون
النجوم تغادر السماء
وتحكي عن تل الزعتر :
انسانية ...
اية انسانية ستهرم في هذا المارستان
على ضفة الهزيمـــة
على سد الكلمات المتلاشية في الخطب ؟
اي شيء لم تكنه يا شعب ؟
يا حشدا معرضا للرصاص في كل حين
تلملم اشلاءك السحب المتعبة
يتكلم المخمورون والشحاذون باسمك
ايها الحشد الذي اصبح سيلا كاسحا في مسالك الحلم
بعيدا في الجزر
مكدسا في المساجد
مرتديا اسمال التاريخ
تجر ابناءك نحو المحيط
حطامات
بدون ريت او حنان
كل دولة مارستان
والرؤساء يقتاتون القطط الميتة
محصن ضد التصدع هو الزمان
والضوء ينزلق دون دموع
فوق هذه الحجارة
المرارة والزهو المتواري لاحد الانتصارات
عند الفجـــر
اجساد كثيرة منفجرة
كواكب عمياء

ملجمة
ظلال ساهرة
الحائط الكبير
الليل
وقبيلة من الزمن لا تكاد تبين
متروكة للعشب
حيث الموتى ـ الحجاج
يطردون السحب
الدخيلة على وليمة التاريخ ٠

لكن اين هي الشعوب العربية ؟ ليس لدينا الا اصداء الجرائم الرسمية ٠ سماء من الجنون سقطت فوق تل الزعتر بطيورها الميتة وسحبها المجروحة ٠ صرخة او اغنية ام تقتات الرمل ٠ تشد شعرها وتفرغ ذاكرتها :

قيل لي ان قضيتنا كانت مقدسة وان اطفالي كانوا شهداء ٠ قيل لي اننا شعب يتيم لكنه فخور ٠ قيل لي ان لنا ارضا ، مرعى ، اشجار زيتون وانهارا٠ قيل لي انتظري هناك في الخيمة وسط المخيمات ٠ اطفالي رحلوا عند الفجر ٠ كانوا يحملون في حقائبهم خبزا ، اسلحة ، زيتونا وصلوات ليوم النصر ٠الموتى لا يبكون ٠ الكلمات تمطر فتحدث ثقوبا في القماش الاسود ٠ قضيتنا عادلة مقدسة ٠ تاريخنا منسوجا من الامل كان ٠ آه ! الحلم ٠ الحلم الفلسطيني يمزق الليالي والسماء ويهبنا النشوة كان ٠ كنت اعرف الخيانة ، الارض المباعة ٠ البلاد المغتصبة ٠ كان التاريخ يطردنا فاصبحنا ذاكرة تائهة ٠ الخجل المتعثر ٠ الانكسار ٠ فصلونا عن النهار ٠ وعدونا بالحياة ٠ ملجما كان شعب الاردن ٠ في شهر ايلول ذاك فقدت الاطفال والعقل ٠ تجمعت دماؤهم في الرماد ٠ يقال لي : هذه خيانة ٠

اقول : لم يعد في جلدنا متسع لخيانات اخرى ٠

لكن ، في النهاية ، لماذا نتحدث عن الخيانة ؟

العـــدو لا يخـون !

ديسمبر ١٩٧٦

نورمـا ورجـل الثـلج

(قصّـة)

يحيى خلف

أصبحت النبطية وراءهم · وبدأت سيارة الادارة العسكرية تصعد المرتفع ·· الشارع المسفلت الضيق الذي يصعد عاليا عبر اشجار الزيتون والصنوبر ·

ـ تلك القمة البيضاء احدى قمم جبل الشيخ · قال السائق، فهز المتطوع رأسه وكاد يقول انه رآها قبل سنوات من الناحية الاخرى ، ولكنه لم يتكلم · مرقت السيارة عبر احدى القرى ، لم يتمكن من قراءة اللافتة ، وكان الشباب في المقاعد الخلفية يدخنون ويدخنون ، ولا يكفون عن التدخين ·

قال لنفسه ، تشبه قريتنا بورين ·· البيوت والناس ، واشجار الصبار، ولحم العجول الذي يتدلى من الكلاليب ، وحتى الكوع والانحدار والحفر العديدة فـــي الشارع ·

وانتهى شريط البيوت ، وظهرت سلسلة من التلال ، وطائر في الجو يسبح في السماء الزرقاء · وفي العمق ·· كانت توغل رائحة البحر ·

أدغال من اشجار الصنوبر على اليمين ، وثمة بعض الخيـــام الصفراء · توقفت السيارة . وانزلت اثنين من المجازين · لوح الرجلان للسائق · قـــال احدهما يخاطبه : ـ نأمل ان نراك ايها الاخ المتطوع ·

مشت السيارة ، ومشى معها دغل الصنوبر ·

هذه الشجرة وارفة . وتلك ساقها رفيعة وعارية ، وتتكوم على قمتها الاوراق

الابرية ، وتبدو مثل الشعر الذي يعلو رأس انجيلا ديفيس ٠
ـ انت ايها الاخ طالب جامعي ٠٠ اليس كذلك ؟ قال السائق ، وقدم له في الوقت نفسه سيجارة ٠ تناول السيجارة واشعلها بصعوبة :

ـ اجل ٠٠ كنت في كلية الهندسة ، لم تعجبني ٠ ثم انتقلت الى الطب ولم اكمل السنة الاعدادية ، وبعدها تحولت الى الادب ، والان ، اقلعت عن هـذه العادة ، وقررت ان اتطوع ٠

ابتسم السائق وقال ضاحكا : ـ اذن حذار ان تنتقل من منظمة الى اخـرى مثلما كنت تنتقل من كلية الى اخرى ٠

عبر الزجاج الذي تكاثف عليه الغبار ، كانت السماء لا تزال زرقاء ، فأضاف المتطوع وهو يستمر في الضحك : ـ وفي العام القادم احلم بقضاء صيف افريقي في أنغـولا ٠

خفف السائق من سرعته ، ثم توقف : ـ تنزل هنا ايها الاخ ، وهناك عنـد الحاجز سيقودونك الى مقر قيادة الكتيبة ٠

مد المتطوع يده ، فحك السائق ذقنه ، ومد يده الاخرى وسلم ٠
ـ اتمنى لك التوفيق ، سنراك دائما ٠

فتح المتطوع الباب ، وقفز ٠ لوح السائق وانطلق بسيارته ٠ دق المتطـوع الارض بقدميه ، وعلق حقيبته الصغيرة على كتفه ، ومضى هابطا الطريقباتجاه دغل الاشجار ٠ قدم اوراقه ، فرافقه احد عناصر الحراسة عبر الطريق الضيقة٠ وتوقف عند خيمة صغيرة يجلس امامها شاب بالملابس العسكرية ٠

قدم اوراقه ، فقال له الشاب : ـ سنرسل معك مرافقا ليرشدك الى موقـع المجموعة التي ستنضم اليها ، ويمكنك العودة بعد ايـام لاستكمال بعـض الاجراءات ٠

اشار المرافق قائلا : ـ الموقع هناك ، عند تلك الصخور ٠

كان المتطوع يلهث ، ويشعر بالعطش ، وبتورم في قدميه ، وكان وجهه داكنا ومكدودا ٠

ـ هل استطيع الجلوس قليلا ٠ فأجابه الشاب المرافق : ـ لا نستطيع ، هناك عملية عسكرية هامة هذه الليلة ، وعلينا ان نصل الموقع قبل ان يشتد القصف ٠

مشى صامتا ، ومشى المرافق الذي كان يبدو اكثر نشاطا ٠ سقطت قذيفـة في مكان ما ٠ ردد بطن الوادي الصدى ٠ سقطت قذيفة اخرى ٠٠ فقال المرافق:
ـ انهم يقصفون قلعة أرنون ٠

ـ قلعة ماذا ؟
فأجاب الشاب : ـ قلعة أرنون ، انها واحدة من القلاع التي بناها صلاح الدين اثناء حروبه مع الصليبيين · لقد كانت قاعدة امداد لجيوشه الزاحفة الى فلسطين من هذا المحور ·

وعلى غصن قريب ، كان طير من فصيلة الشنار يقف دون ان يذعره صوت القصف ، وكان يبدو كما لو انه اعتاد على ذلك · اشار الشاب : ـ القلعة هناك عند اعلى قمة يدركها البصر ··

كانت البراري المكسوة بالاعشاب توغل في العمق ، ورائحة الارض النفاذة توقظ الاشياء · ومن بعيد اطلت الحيمة من وراء الصخور ، فقال المرافق : ـ قد وصلنا ، وها هم افراد المجموعة ينظرون الينا ·

★ ★ ★

كانوا يتحدثون عن تطبيق اتفاق القاهرة ، والاشتباكات التي تندلع قرب مخيم صبرا ·

ابو سراج الذي اصيب في معركة كفرشوبا وطحنت الشظايا مرفقيه ، وذهب الى هنغاريا وركب مفاصل من البلاتين ، اعلن ان ما يجري له علاقة بزيارة المبعوث الاميركي ·

وعلي البدوي ، السبعاوي الذي يلبس فروة من جلد الخروف فوق ملابسه ، والمتخصص في الرماية على الهاون ، قال :

ـ ما فائدة ان نحمي الطيبة ورب الثلاثين اذا سقط مخيم صبرا ؟
وابو اروى الذي يحب الموت فجأة ، ولا يحب ان يصبح مشوه حرب ،والذي يتذكر اولاده الثلاثة وزوجته في مخيم اليرموك ، ويحزن لانه لا يستطيع زيارتهم قال : ـ كل الطرق مغلقة ·

ويوسف ، الفتى الذي يحمل الار · بي · جي ، ويتقن العمل على جهاز اللاسلكي ، ادخل شعبان برمضان ، وقال انهم رفضوا في المالية اعطاءه سلفة لان القيادة اصدرت امرا بمنع السلف · جلس المتطوع بينهم · قدموا له الشاي ، وقدموا انفسهم ببساطة ·

هنا الاشياء تبدو مقروءة · حدث المتطوع نفسه · وحدق بالبراري التي تمتد الى اخر المدى · البراري قصيدة في ملامحه ·· في عيونه ·· في رؤوس اصابعه وحركات يديه · هنا يلتقي المرهف بالمتفجر · يلتقي الشعر بالدم · لا

الكافتيريا ولا الجامعة ولا لابسات البلوجينز ، ولا حلقات الجدل والدردشة والثرثرة والتبشير السياسي ٠

شرب شايهم الاسود الغامق ٠٠ وأكل السردين والتطلي والبلابيف في وجبة الافطار ٠ وفي الظهيرة كان يشاركهم في اعداد الغداء كما لو انه موجود معهم منذ سنوات ٠٠ وفي اليوم الثاني ٠ كان يعرف ان هذا علي الذياب البدوي الذي يحب الصخور والوعر ويتسلقها مثلما تتسلقها الماعز ٠

وان ذلك ابو سراج الذي يرمي على الجرينوف رغم ان مفاصل مرفقيه من البلاتين ٠ وان الثالث هو يوسف الذي يغتسل كل يوم بالماء البارد ويترك شعره الطويل يغطي رقبته ٠ والرابع ابو اروى الذي لم يشاهد زوجته واطفاله في مخيم اليرموك منذ اكثر من سنة لانه لا يملك وثيقة سفر ، والحدود ما زالت مغلقة ٠

كانوا يتحدثون ، ويتناوبون على الحراسة ، ويختلفون قليلا ، ويحلمون باجازة في بيروت او السياحة على شاطىء صور ، او لعب الورق في مقاهي صيدا ٠٠

قال المتطوع : احلامهم صغيرة ومشروعة هؤلاء الشباب الذين ينزرعون في البراري ولا يسمع بهم احد الا عند الاستشهاد ٠

عندها ، سأله يوسف : هل ستبقى طويلا بيننا ايها الاخ ٠ سبق ان جاءنا بعض المتطوعين لمدة شهر او شهرين ٠ ثم عادوا الى جامعاتهم ٠

حدق المتطوع بوجه يوسف الطفولي ، وتذكر حديثه هذا الصباح عن فيلم الكاراتيه الذي شاهده ذات يوم بسينما سلوى ، ولذلك اخذ انطباعا بأن وجه يوسف يشبه وجه بروس لي ٠

ابتسم ، وقال : ربما ابقى طويلا ٠

سأله يوسف مرة اخرى : ــ هل كنت تدرس في بلد اجنبي ؟

ــ اجل ٠ قال المتطوع ،واضاف : ــ في ايطاليا ٠

ــ وهل يستطيع الفدائيون ان يزوروا ايطاليا ؟

ــ اذا عرف البوليس في المطار انك فدائي فانه يعتقلك ويفتش ثيابك ويعيدك على اول طائرة ٠ اما اذا وصلت روما فانك ستجد اصدقاءنا من اليساريين في استقبالك ، بل وحمايتك ٠

ــ وكم تكلف زيارة روما ؟

هل تتوق ايها الفتى الى السفر ، والتعرف ، والتزود باشيـــاء جديـــدة · احلامك ايضا مشروعة · فلتحلم في هذه البراري ذات الصدر الواسع الذي لا تحده حدود · واذ ذاك تدخل ابو اروى وقال : ــ يريد زيـــارة روما ونحن لا نستطيع زيارة مخيم اليرموك ·· من منكم ايها الشباب يحمل هوية ؟

قال ابو سراج مازحا : ــ هويتي بندقيتي ·

تساءل علي الذياب :

ــ لماذا غيرنا يحملون جوازات السفر ويمرون عبر الحـــدود العربيـــة ولا يوقفهم احد ، بينما نمنع نحن ويلقى علينا القبض ونسجن في الاقبية ؟

ــ انت متطرف ·· اجابه ابو سراج ، وفي الوقت نفسه جاء صوت الدوشكا من هناك · من قمة التلة المكسوة بالثلوج · فطار يوسف فرحا وقفز في الهواء·

ــ انه سعيد ·· لقد فتح عليهم الدوشكا وفاجأهم · صمت المتطوع · ظـــل الدوشكا يملأ البراري بصوته الرزين الهادر ·

ــ سعيد ·· ومن يكون سعيد ؟

ــ فاتنا ان نحدثك عنه ·· انه سعيد ابو جابر قائد موقع الدوشكا هناك ·

هناك ·· فوق تلك القمة · بين الثلوج نصب سعيد ابو جابر الدوشكا · تلك القمة التي تشبه فوهة بركان خامدة ظلت الثلوج تحط فوقها وتقتل الدفء في اعماقها ، مثلما يقتل طبيب الاسنان اعصاب اللثة ·

كان يحفر بصعوبة، ويشق طرقا خلال الشهرين الماضيين في غابة الثلـــج المتماسكة · الان ــ قال ابو سراج ــ وبعد تلك الاسابيع المضنية يسيطر سعيـد ومجموعته على التلة ويكبح جماحها ، وتبدو الاشياء تحته خاضعة ومكشوفـة ومسيطر عليهـــا ·

منذ ذلك اليوم اصبح لسعيد حضوره في احاديثهم · ظل الدوشكا يعمل بـلا توقف · كانوا يتحدثون عنه كل مساء ·

ــ سعيد لم يذق طعم النوم منذ ثلاثة ايام ·

ــ قذائفهم لا تطال سعيد ولا تستطيع الوصول اليه ·

ــ سعيد يحتاج الى اغطية وجرزات صوفية ·

حاول المتطوع ان يرسم في ذهنه صورة لسعيد · تخيله مثل (تراس بولبا) يلف على وسطه حزاما عريضا ، ويستطيع ان يضع في عبه عددا من قذائـــف الهاون ، ولكن حول رأسه تتكون هالة فضية كالقديسين ·

ـ الا ينزل رجل الثلج صاحبنا عن تلك القمة بتاتا ؟ سأل المتطوع · فأجابه علي البدوي : ـ انه ينزل مرة في الشهر · يأخذ اجازة قصيرة لكنه لا يسمح لمساعديه بالنزول لاحضار التموين والذخيرة · ولعل يوسف قال بما يشبه الهمس : وانه يحب فتاة اسمها نورما ·

★ ★ ★

نورمـــا ·· .

قالوا عنها : طويلة ونحيلـــة · ليس لصدرهـــا اكتنـاز ، ولا لعجزهـــا استدارة . يتناثر النمش على وجهها ورقبتها ، ولكنها تملك عينين زرقاوين ·· وقالوا : نورما بائعة عصير · تملك كوخا من الصفيح والتنـــك على الطريـق العام بين صيدا وصور · تعصر البرتقال ، وتغسل اكواب الزجاج ، وتعاني من الدوار ، ومن تشقق في باطن الكفين ، ومن شحوب في الوجه ، ولكنها ·· عندما تكون في كامل عافيتها ·· تتألق ·· وتضيء منها العينان ، وتصبح بدون ان تصنع كحلا ، او تتزين بالحلى ، فتاة يمكن ان تحب ، او ان يصطحبها حبيبها الى حفلة للرقص · وعن ابو سراج ، عن ضابط ادارة الكتيبة ، ان علاقة حميمة تربط سعيد بنورما ، وانه اوقف سيارته مرة امام كوخها وطلب منها كوبا مـن العصير · وفي المرة الثانية تحدث معها برقة · وفي المرة الثالثة تلطفت ، فأدام اليها النظر بحنان · وفي رواية اخرى ـ حكاها علي البدوي ـ ان سعيد ابـــو جابر يعرف نورما قبل الحرب ، منذ ان كانت تعمل في مصنع غندور · قابلهـــا اثناء الاضراب الذي قام به العمال · كان يمر بسيارته العسكرية على الطريق العام · وكانت تقف وتحاول ايقاف واحدة من تلك السيارات العديدة التي تمر من الشارع ·

عندما اشارت له توقف · ابلغته ان احد زملائها العمال اصيب اثناء قمـع الاضراب · فحمله بسيارته الى مستوصف قريب · ويضيف البدوي : ان سعيد ابو جابر عندما توقف بعد انتهاء القتال اثناء مروره على طريق صيدا ـ صور امام كوخها فوجيء بها · فطلب كوبا مـــن العصير ، وعندما كان يشرب ، تذكرته فأعادت له النقود · وحلف ·· وحلفت · واخيرا استعاد النقود على ان تأخذ في المرة القادمة · في المرة الثانية حكى لها عن اخباره · وحكت له عـــن اخبارها · وربما قالت له انها اصبحت من مهجري حارة الدكوانة ، وان امها العجوز تعيش في اكواخ المهجرين بالاوزاعي ·· وانها تعمل الان بائعة عصير ، وتعاني من فقر الدم ، ومن مضايقات سائقي السيارات الشاحنة · في المـــرة الثالثة نظر اليها في ود ، ونظرت اليه بالفة · لم يقل لها شيئا · وهي بدورهـــا لم تقل شيئا · لكن سعيد ابو جابر اصبح في اجازته الشهرية فيما بعد يزورهـــا ويشرب كوبا من عصيرها · ويحكي لها عن الثلج الجارح ، والصقيع الذي لا ينتهي · وتحكي له عن همومها الكبيرة ، ان تلك التي بحجم الجبال ·

« البراري · وديان ، وسهول ، اعشاب ، زهور ، طيور ، اعشاش · فصاء · مساء · ضباب · للبراري قاموسها ومفرداتها وحروفها الهجائية · وقلعة ارنون شامخة وعالية ، ومن خلال الضباب تبدو عابقة بالتاريخ والاسرار · هل حقا بناها صلاح الدين · وهل مر رجاله عبر هذه البراري · اكاد في الليالي التي يتوقف فيها القصف اسمع صهيل جيادهم · وعندما تهب الرياح الشرسة ، اشم رائحة ذكرياتهم التي زرعوها في هذه البقاع مثلما كانوا يزرعون الورود في شعر حبيباتهم ، والكلمات في تفاعيل قصائدهم » ·

وخارج نوبته ، يبدأ المتطوع في تنظيف سلاحه ، ثم يضع حبة في بيت النار ويصوب في الفراغ· يطير رف من العصافير ، وتخرج سلحفاة تحمل على الظهر صدفتها، وتمشيببطء· تغيب الشمس فجأة خلف غيومرقيقة· تبدأرحلة الضباب· يطفح الوادي بالبخار المتحرك· يتساقط الرذاذ· تختفي السلحفاة رأسها، ويسكن الجسد ، وتبقى الصدفة عارية · يفتح المتطوع علبة سردين ويأكل على عجل ، يلقي بالعلبة الفارغة · يقول يوسف الذي يحلم بركوب الطائرات ورؤية روما ··

ـ لماذا يخافون منا في المطارات ايها المتطوع ؟

ـ لاننا نخطف الطائرات ·

ـ هل انت ضد خطف الطائرات ؟

ـ اجل ·

ـ لماذا ؟

ـ لانني ضد الارهاب والعمليات الخارجية ·

ـ ماذا يعني ضد الارهاب والعمليات الخارجية !

بدأ المتطوع يشرح · ويشير بأصابعه ويديه · وينفعل ، وتتغير تقاطيع وجهه ·· وعند اشجار الصنوبر كان ابو اروى يجمع الحطب الجاف · وعلي الذياب ، يحمل البارودة على كتفه ، ويذهب الى عين الماء التي تبعد كيلومترين ليغتسل ويغسل ثيابه · توقف المتطوع عن الحديث فجأة ·

ونظر يوسف بدهشة الى الطريق · وقال : ـ ها هو سعيد · قد جاء اخيرا · سعيد ·· سعيد ابو جابر ·

كان يمشي متمهلا · يلف نفسه بفروة من الصوف ، ويحمل عصا يتوكأ عليها · لحيته كثة · يشبه حارس الغابات الذي يعيش في الخلاء ··

يحمل على ذراعيه وفوق صدره عضلات مفتولة · ويبدو للوهلة الاولى رجلا بقوة ثمانين حصانا ·

اقبل ابو سراج وابو اروى ··· ومن بعيد اطلق علي الذياب طلقتين في الهواء تحية ·

سلم عليهم بحرارة · وفي الخيمة دارت اكواب الشاي ، وقدموا له المتطوع ، وتبادلوا الاحاديث ، والنكات ، واخر الاخبار · وقصص الثلج والصقيع · ودارت اكواب الشاي مرة اخرى ، وفي الخارج بدا الثلج يتساقط · اخرج صندوق سجائره ، وقدم واحدة لكل منهم ، ثم اشعل واحدة ·· ثم ثانية ·· ثم ثالثة ·· فقال ابو سراج :

ـ سعيد انت تدخن بلا توقف ولو اننا اجرينا قياسا لطول السجائر التي دخنتها في حياتك فانها ستصنع دائرة حول البحر المتوسط ·

وعندما جاءت نوبة حراسته ، قام المتطوع · استأذن ، وحمل بندقيته ، وخرج ··· توقفت الثلوج عن التساقط بعد ان كونت طبقة رقيقة بدأت تذوب وتشكل شلالات صغيرة تنحدر الى سفح الوادي · سمع خربشة بين الحشائش· اقترب ، ورفع كومة من الاشواك المبللة · اطلت عينان مذعورتان وجسد فزع· انه ارنب ابيض ، مثل قطعة من القطن · اقترب منه · الاذنان تنتصبان · الانف يرتجف · انحنى ، وحمل الارنب من اذنيه ، فقاوم بضعف ، ثم هدأ · مشى ، كانت بعض القذائف تتساقط بعيدا ، والضباب يتكاثف والصقيع ينفذ الى العظام · دخل الخيمة · وكان ابو سراج يشعل كومة من الحطب ·

رفع الارنب من اذنيه امامهم · وقال : ـ وجدته بين الاشواك يكاد يموت من البرد ومن شدة الصقيع ·

مد سعيد يده وتناول الارنب البري ووضعه امامه قرب كومة الحطب المشتعل· ظل الارنب ساكنا ، يعلو بطنه ويهبط ببطء ، ويتنفس مثلما الاطفال · كان ساكنا الا من عينين بنفسجيتين يسكنهما تعبير حاد بالالم ·

خرج المتطوع · كان المساء يقترب · وبعيدا بعيدا اضاءت الفضاء اشارة تنوير اخذت تنزل رويدا رويدا كأنها قنديل يهبط من السماء · وظلت الاشجار صامتة واغصانها ساكنة · وكفت الضفادع عن النقيق ·

اخيرا ، خرج سعيد ابو جابر بفروته ولحيته الكثة وعضلاته وعصاه ·وقال: ايها الصديق ان الدفء يتسلل الى عظام ارنبك · وبعد قليل يتعافى · ثم ابتسم ·· واضاف : ـ انني ذاهب الى صيدا ·· هل تريد شيئا ؟

سأله المتطوع بدهشة : ـ هل تذهب في مثل هذا الطقس ؟

فعاود الابتسام وقال : ـ لا تهتم يا صديقي · سيارتي قوية · وما زلت اتمتع بصحة جيدة · فالى اللقاء ·

كان البخار يخرج من فمه ومن فتحتي انفه · ثم مشى بثقة كما لو كأن اربعة رجال في رجل واحد · صعد الى سيارته التي اوقفهـــا عند نهاية الطريق · ومشى ··

ـ ذهب سعيد الى نورما ··

ـ لكن الضباب كثيف والطريق محفوفة بالمخاطر ·

ـ اذا لم يشاهد نورما فان آلهة الحرب جميعها لا تستطيع ان تجعله يصمد في جبل الثلج ·

ـ ما الذي يعجبه في تلك الفتاة الضعيفة الشاحبة التي ليس لصدرها بروز ، والتي تملك عرقوبا مثل عرقوب اللقلق ؟

ـ العبرة ليست بالشكل ·· انها جميلة جدا من الداخل ·· انها مفعمـــة برائحة الانسان في اعماقها ·

ـ ها هو سعيد يقترب ، ومخيم اليرموك يبتعد · يبتعد ·

ـ سعيد يسافر الى حبيبته ·· ويواصل السفر ·

ـ والارنب قرب الحطب المشتعل بدأ يصحو أو يغفو ··

ـ المزيد من اشارات التنوير تضيء ، انهم يخشون من هجوم مفاجـــىء تشنه قواتنا في القاطع الاخر ·

جاء علي الذياب بعد غيبة طويلة ، لقد اغتسل بالماء البارد ، وغسل ثيابه الداخلية · ورغم اعتداده بنفسه ، فقد عاد يرتجف ، وتصطك اسنانه · فهجم الى الخيمة ، ومد ذراعيه الى وهج النار · كان الارنب يستسلم للدفء ، ويبدو مثل قط صغير اليف ·

دارت اكواب الشاي الساخن · وبدأ يوسف يعمل على جهاز اللاسلكـــي الصغير ·

الان ·· الان ـ حدث المتطوع نفسه ـ يصل سعيد كوخ الصفيح ، تخـــرج نورما لاستقباله · نورما ذات الجسد النحيف · والوجه الذي يتناثر عليـــه النمش ، والعينين الزرقاوين · تتلقف كفه الكبيرة كفها الصغيرة الخشنة التي تفوح منها رائحة قشور البرتقال · توقظ عيناها في داخله اشواق الارض الى المطر ··· والتحام النسغ بالجذور ·

سرى الدفء في اصابع علي الذياب ، وذراعيه · وبدأ ابو سراج وابـــو اروى يستعدان للنوم· واخذ علي الذياب يربت على ظهر الارنب، ويمسح باطن كفهبفروته البيضاء الناصعة· وعاد المتطوع يحدث نفسه، عالمهؤلاء الرجالمفعم برائحةالانسان، اعماقهمغنيةبالطيبةوالتجربة·وقال لنفسه ايضا:ما زلتعلى هامش التجربة ، وعندما امتلك تجربة كبيرة يمكنني ان امتطي صهوة الجبال التـــي يكسوها الثلج ، واحلم مثلما يحلم الرجل البرى الذى تقدر قوتـــه بثمانيـــن حصانا · وتذكر السائق الذي نقله من الادارة العسكرية في النبطية الى الموقع · وقال ايضا : لو قابلته فسوف يقول : كل شيء في البداية يبدو غير مألوف ، ولكن بمرور الايام سوف تفقـــد الاحساس بالدهشة ·· اليس كذلك ايهـــا المتطوع · سيصبح المتطوع هو اسمي الحركي ، ربما لن يسال احد عن اسمـــي الحقيقي . وربما لن يعرف اسم قريتي . ولكنني لو جرحت في معركة فســوف يستشهد ثلاثة منهم من اجل انقاذي ··

كان ابو سراج يغط في نوم عميق · وابو اروى ينام صامتا · يتنفســـ بهدوء ·· ربما يحلم باطفاله الثلاثة في مخيم اليرموك ، فتولد على وجهـــه دفقة من الفرح · وظل خرير الماء في الخارج يجعل لهذا الصمت مهابة · اغلق يوسف جهاز اللاسلكي · وبدأ يستعد للنوم ·

★ ★ ★

كان الصباح مشمسا · ذابت طبقة الثلوج ، وصارت المياه تشح وتشح ثم نضبت · دبت الحياة بالارنب الابيض ، وتنقل في اطراف الخيمة · تكونت على وجه المتطوع دفقة من الفرح ، فحمل الارنب الذي كانت انفاسه تخرج ساخنة · حمله بين ذراعيه . وايقظ الرفاق ، فتحلقوا حوله يحدقون بالارنب ويداعبونه · ثم انصرفوا يعدون وجبة الافطار · وعاد جهاز اللاسلكي الى العمل · وملأت العصافير الجو · ولم يأبه احد لطائرات الاستطلاع التي تحلق عاليا · وظـــل الارنب صامتا بين يدي المتطوع ، يحدق بعينين بنفسجيتين دون ان يرتجف ·

★ ★ ★

عصر اليوم التالي عاد سعيد · مرة اخرى اقبل بفروته ، ولحيته الكثـــة وعصاه . وكان يلبس على رأسه طاقية صوفية · اقبل يبتسم ، ويحمل بين يديه علبة حلوى اعطاها ليوسف وقال : لك وللاخوان ·

ـ كانت زيارة ناجحة · قال علي الذياب ·

فضحك سعيد ابو جابر ، وقال بعفوية ودفعة واحدة : ـ في المرة القادمـــة

ستأتي معي وتتطوع · ستصبح متطوعة ايضا ونظر الى المتطوع الذي ابتسم · وتخيل تلك المرأة بائعة العصير النحيلة ذات العينين الزرقاوين · وحاول ان يجد لها مهمة بينهم ، ولم يستطع ان يتخيلها الا عاملة على جهاز اللاسلكي ·

وانتبه سعيد الى الارنب بين ذراعي المتطوع · فقال : ـ كيف ارنبك ايهـــا المتطوع ·

ـ انه تعافى ·· لقد اصبح على ما يرام ·

كان الرجل ، ذو العضلات المفتولة ، الذي تقدر قوته بثمانين حصانا ، يبدو مرحا ·· وخفيفا · ويصبح رقيقا ومرهفا ، وشفافا ·· دارت اكواب الشاي · فاعتذر سعيد ، وقال : ـ يجب ان اعود الى موقعي هناك · وقبل ان يقاطعوه، قدم لهم السجائر ، واشعل واحدة ·

ـ لا استطيع ان اتأخر ايها الرفاق ·· خليتكم بعافية · قال ذلك ، ومد لهم ذراعه ·· وقبل ان يستدير · نظر الى الارنب بين ذراعي والمتطوع وقال : ـ ايها الصديق لا تذبحوا الارنب ··

نظر المتطوع الى الارنب الذي يبدو متحفزا والى عينيه وبريقهما العذب ،فقال علي الذياب : ـ هل نطلق سراحه ؟·

هز سعيد ابو جابر رأسه · انحنى المتطوع ووضـــع الارنب على الارض · حدق الارنب بالبراري لحظات قليلة ، ثم قفز ·· وانحدر يقفز بين الحشائش قفزات واسعة ··· وغاب بين اشجار الصنوبر · ابتسم سعيد ·· ثم ابتسم·· ثم عاود الابتسام ·· ولوح لهم بذراعه · واستدار · ثم ركب سيارته العسكرية، وانطلق صاعدا الطريق الوعرة ·

هناك ·· كانت القمة مكسوة بالثلوج ·· هناك عاليا ·· عاليا ··

وفوق قمة التلة ، كانت غيمة بيضاء كبيرة تمرق مسرعة ·

قال المتطوع : غيمة بيضاء مثل الارانب البرية ·

وقال يوسف : وانها تسافر ولا تتوقف عن السفر ·

وقال ابو اروى : وانها ستحلق فوق سماء المخيم ·

وقال سعيد ابو جابر : غيمة بيضاء وناصعة ، مثل فستان زفاف لامـــرأة طويلة ونحيلة ، وذات عينين زرقاوين ، ووجه مملوء بالنمش ·

راشد حسين : النار والمرآة

كمال بلاطة

ان يحترق فلسطيني بين النار والنوار امر مألوف ، وراشد ما احترق البارحة اول مرة ٠

اما ان نستنشق الهواء العربي دون الاختناق ، فهذه حيلة رئوية تعلمناها ٠ وراشد ما كان يحسنها مؤخرا ٠٠

كان همه ، كما قال ، ان يحول « كل ثلج الارض نارا »٠

ونحن من مآوينا شاهدنا كيف يتوحد الفلسطيني باللهب ولم نع ٠

رأينا راشد يحترق قبل ان يحترق ٠ وما كان بوسعنا ان نقدم له المياه الرقراقة، فقد كنا نار راشد ٠

«انا تعبان يا عرب» صاح فينا ، من حشيشة قلبه جبل لنا تلا من زعتر الجليل، ودعانا الى الريف في قلب نيويورك ، فتناسينا جوعنا وما اكلنا من يديه ٠

عقلنا راشد البري بين مكتب ومزبلة ، وطالبناه بالاعقال ، قال :

« اصبح الصبر تعب

اغضبونـــي واغضبونـــي

واغضبـــوا

تشتهي الثورة لحظات غضب » ٠

لان القضية في انتصاراتها ، وفي هزائمها ، كانت بالنسبة له امرا شخصيا ٠ اصبحت حياته الشخصية الامر العام ٠ وتاه راشد يبحث بيننا عن راشد له،وكنا له حديقة مرايا ، وسميناه ضائعا « بدون جواز سفر » ٠

كان اكبر منا ، سامحنا راشد المدمن على فلسطينية الالم وما سامحناه ، لاننا اردنا له ان يكون خبز كلماته ، ان يكون هو الثائر الغاضب الناقم المعربد ، وفاجأنا هو بوداعته السخية ، وحزن مواويل امهاتنا لم يبرح عينيه ٠

راشد « عربي اتعبته المذلة » ، قالها علنا في وجهنا ، تحاشيناه ، صوته كان الصدى العربي فينا ، وما شئنا ان نؤنب ٠

اعطانا ما لم يكن بامكاننا ان نعطيه اياه ، وقد اعطيناه ما رفضنا ان نستلمه منـــه ٠

في حضوره،كان راشد جسد قصيدته .كما كان جسده قصيدة في الارض التي احب ٠ شاء ان « يحرق النحو والصرف واغلال القواعد » قال :

« التهم الفرن جميع ما

املكـه مـن تـــراب

لم يبق من ارضي سوى انا »

وكاليراعة احترقت « اناه » وما اهتز حرف عربي ٠

منطق العالم وفق اكتئابه ثم سافر

يتيما بين الشرارة والرماد كالايقاع ـ

النحم ـ الضوء في الشريان الفلسطيني ٠

وظل بسيطا كالرغيف

أخضـــر كالعنـــاق

طفـلا جليليـا مـا تعـب

مـن بحثـه عـن مريـم ٠

في حياته كما في مماته ، كان راشد خير انعكاس للواقع العربي المهترىء في عزيمته المبددة ، فكيف لا يقيم هذا المستكين المتلهف لتجسيد الصوت، كيف لا يقيم هدنة بين الموت وبينه ؟ اولم نر في عينيه احتضار الحاضر العربي ؟

اولم نعتبره نحن في عداد الموتى قبل ان يعلن بوليس نيويورك نبأ وفاته ؟

كيف يمكن ان نرفض وجه راشد في مرايانا ، وهو الذي قضى عمره ينظم الايقاع لوجودنا ؟

صاح راشد ذات مرة :

« صـــدق
تعبت مـن الرثـاء
ماذا تريد
اتريد ان ارثي
الخيـــــول
ام الشـــــياه
ام الرثـــــاء »

وانا لست هنا لارثي الصديق ـ غيابه اليوم ، الرثاء لكافة الاحياء والمحتضرين العرب ، اما هو فقد حن الى الارض اكثر مني ومنكم ، فنعس بطريقته الخاصة . ويافا التي ارضعته « حليب البرتقال » قال ، والتي فطمته قبل اوانه فقضى عمرا يناديها ـ اليوم يافا وصلت شاطىء راشد ·

فهنيئا لراشد ·

واليوم يافا ولدت في جناح راشد·ها هو يقترب بجثته من حلمه بقدر ما نقترب نحن الباقين من الكابوس الذي خلفه لنا ·

فلندع الله ان تبل مياه يافا زهرة رأيناها تورق في جنب راشد الغائب فينا ، الحاضر هناك ، على اطفالنا تشهد « للفجر » الذي اعده راشد ·

ملاحظات حول الإنتفاضة في الأرض المحتلة خلال العام ١٩٧٦

هشام شرابي

الإنتفاضات داخل الارض المحتلة ، تتلاحق ، وتعبر عن واقع حقيقي : وحدة شعبنا الفلسطيني ، الذي يتوحد اليوم ، بالقتال الشعبي · فشعبنا الذي يعاني من الاضطهاد القومي الذي تمارسه الصهيونية والامبريالية الاميركية ، الذي مزقت قواعد وجوده المادية ، عبر التهجير والمنافي ، يتوحد في النضال ، ويلغي الحدود بين عرب الداخل وعرب الخارج · فالحدود الفلسطينية التي اصبحت حزاما قتاليا ، تصبح في الداخل المحتل ثورة وانتفاضات · وفي الواقع العربي حقيقة تغيير ثورية ووحدة ثورية ·

ان الانتفاضات داخل الارض المحتلة ، اصبحت تشكل اليوم احدى العلامات المميزة للنضال الفلسطيني من اجل دحر الاحتلال الاستيطاني نهائيا ، واقامة فلسطين الديمقراطية ·

لقد حظيت انتفاضات الجماهير الفلسطينية في الداخل باهتمام الكثير من الكتاب والباحثين · وما ستحاوله دراستنا ، هو قراءة الانتفاضة كممارسة · اي دراسة الممارسة الجماهيرية ، عبر تسجيل الاسباب والمكان والفئات المشاركة وادوات النضال ·

ومن الواضح ان الشكل الاحصائي الذي يأخذه هذا التسجيل يقنن النضال الجماهيري ، ولا يعطي عنه الا صورة عامة ، والواقع اننا نحتاج هذه الصورة العامة ، من اجل ان تركز دراسات الانتفاضات الشعبية ، على العامل الاساسي

والحاسم في كل نضال ، على الممارسة واساليب وشكل النضال ، بوصفها المؤشر الرئيسي للحركة الجماهيرية ٠

مناطق الانتفاضة

بلغ مجموع الايام التي شهدت تظاهرات سلمية ، او اعتصامات جزئية ، او مظاهرات واشتباكات مع العدو ، مائة وسبعة وعشرين يوما خلال العام ١٩٧٦اي **ما يعادل يوما واحدا من كل ثلاثة ايام** ، وكانت موزعة حسب المناطق كما يلي :

ـ ١٩ يوما في الاراضي المحتلة منذ العام ١٩٤٨ ٠

ـ ٤٢ يوما في القدس الشرقية ٠

ـ ١١٢ يوما في مناطق مختلفة من الضفة الغربية ٠

ـ ١٦ يوما في قطاع غزة ٠

فاذا اعتبرنا كل منطقة على حدة ، فالمجموع (١٨٦ يوما) ٠ لكننا نجد اياما كثيرة كانت الانتفاضة فيها شاملة لمنطقتين او ثلاث ، وقد شملت الانتفاضة كافة المناطق في الايام :

١ الى ١٩٧٦/٣/٥ اسباب دينية ومصادرة اراضي ٠

٣٠ / ٣ / ١٩٧٦ يوم الارض ٠

١٩٧٦/٥/١٥ يوم النضال ٠

٢٨ / ٩ / ١٩٧٦ بسبب وثيقة يسرائيل كنيغ ٠

كما شملت ثلاث مناطق في الايام :

١٩٧٦/٣/٢٢ ردا على اجراءات تعسفية وتحديا للاحتلال ٠

٢٦ ـ ١٩٧٦/٣/٢٩ استعدادا ليوم الارض ٠

٧ ـ ١٤ / ٥ / ١٩٧٦ استعدادا ليوم النضال ٠

١٩٧٦/٩/٣ رفضا للاستيطان وتأييدا للثورة ٠

١٩٧٦/١١/٢٩ ذكرى التقسيم ٠

---

* اعتمدنا في دراستنا التسجيلية هذه على الصحف اللبنانية ، وصحف منظمة التحرير، ووكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ، ونشرة رصد اذاعة اسرائيل الصادرة عن مركز الابحاث ٠

وشملت منطقتين معا في **خمسة وستين يوما** ٠

الفئات المشاركة

شارك المواطنون عموما في هذه النضالات ، وبملاحظة الجدول رقم «١» نجد الطلاب في الطليعة ٠

الجدول رقم (١)

طلاب	تجار	نساء	مصلون	مجلس بلدية	فلاحون	عموم المواطنين
٧٣	٣٤	١٧	١٤	١٠	٦	٩١

ونلاحظ ان هناك عدة فئات كانت تشترك في كل مرة ٠ وقد كانت المشاركة عامة غالبا ، وهذا دليل قاطع على عمق تفاعل الجماهير ومشاركتها ،مؤكدة بذلك على الطابع السياسي لنضالاتها ٠

الاسباب

بملاحظة الجدول رقم «٢» نجد واحدا وعشرين سببا مباشرا ، وخمسة عشر سببا معلنا ٠ ويمكن رد كافة هذه الاسباب الى سبب رئيسي واحد هو الاحتلال ، كما يمكن حصر الاسباب المباشرة في العناوين التالية :

١ ـ اجراءات تعسفية تتمثل في : حصار المناطق ، اقفال او اقتحام المدارس ، رفع الضرائب ، اصابة عدد من المتظاهرين بجراح او استشهادهم ، الاعتقالات ، تفتيش المنازل ونسفها ٠

٢ ـ اسباب دينية : الصلاة في الحرم الابراهيمي ، ذكرى حرق المسجد الاقصى ، تقسيم الحرم الابراهيمي ٠

٣ ـ التصدي للاستيطان : مصادرة الاراضي ، اقامة مستوطنات جديدة ، يوم الارض ، مشاريع جديدة ، وثيقة يسرائيل كنيغ ٠

٤ ـ اسباب سياسية : قرارات دولية ، مناقشات مجلس الامن ، ذكرى التقسيم، ذكرى ١٥ ايار ، ذكرى معركة الكرامة ، ذكرى حرب اكتوبر (تشرين الاول) ، ذكرى خطاب رئيس منظمة التحرير في الامم المتحدة ٠

د ـ اسباب خارجية : احداث لبنان ، ذكرى احداث ايلول ، التدخل في لبنان ٠

اما الاسباب المعلنة فتأتي تحت العناوين التالية :

١ ـ رفض الاحتلال : التصدي للاستيطان ، رفض الاجراءات التعسفية ، رفض دفع الضرائب ، المطالبة بالافراج عن المعتقلين ٠

٢ ـ تأييد الثورة : رفض الاجراءات الاردنية ، رفض التدخل في احداث لبنان، مناقشات وقرارات مجلس الامن ٠

٣ ـ تدنيس الاماكن المقدسة ٠

جدول رقم (٢)

الاسباب

مباشرة :		معلنة :	
حصار مناطق	٢	سوء معاملة المعتقلين	١
ردا على يوم الغفران	١	استنكار الصمت العربي	١
التدخل السوري	١	احداث لبنان	١٠
وثيقة يسرائيل كنيغ	١	قرارات دولية	٥
ذكرى ايلول	٤	اجراءات اردنية	٤
الاسيتطان	١١	رفض الضرائب	٩
احتلال مدارس	١	اجراءات تعسفية	١٧
مناقشات مجلس الامن	٧	تحدي الاحتلال	١٩
الضرائب	٩	تأييد الثورة	٢٢
ذكرى معارك الثورة	٤	رفض الاحتلال	٣٤
تضامنا مع المناطق	٥	رفض التدخل في لبنان	٥
انتخابات بلدية	٢	تدنيس اماكن مقدسة	٩
اضراب المعتقلين	٢	مطالبة بالافراج عن المعتقلين	٣
ردا على اعتقالات	٨	التصدي للاستيطان	٢٠
حرب اكتوبر	١		
تشييع شهداء	٦		
احداث لبنان	٦		
اجراءات تعسفية	٣٠		
اسباب دينية	٢٠		
مصادرة اراضي	٩		

اساليب المواجهة :

يتبع شعبنا في الارض المحتلة كافة الاساليب النضالية التي اتبعتها الشعوب المكافحة لنيل حريتها ، بل ويبتكر ويطور اساليبه النضالية باستمرار ، ويلاحظ هذا الامر بسهولة من مراجعة اساليب المواجهة التي اتبعتها جماهير الارض المحتلة ، بدءا بالاحتجاجات الصامتة ، وانتهاء بمهاجمة دوريات ومراكز العدو . واستخدام الاسلحة النارية رغم عدم توفرها ، والمطاردة الدقيقة التي يتعرض لها من يشتبه بأنه قد يحصل على سلاح ٠

وقد سجل خلال هذا العام ١٩٧٦ حوالي « ٢٧ » اسلوبا ابرزها المظاهرات الصاخبة (٧٠ مرة) .والمظاهرات العادية (٤٥ مرة) ، ثم اعتصامات جزئية في المدارس والمساجد وبعض الادارات (٣٨ مرة) ، اضرابات جزئية (٢٢ مرة) ٠ اغلاق محلات تجارية (١٦ مرة) مسيرات سلمية (١٥ مرة) رفع العلم الفلسطيني (١٣ مرة) توزيع منشورات (١١م رة) اضراب شامل (١٠ مرات) اضراب معتقلين (١٠ مرات) تشييع شهداء (٦ مرات) ٠

اما اشكال المواجهة فأبرزها رمي الحجارة (انظر الجدول ٣) ، واقامة المتاريس،والاشتباك مع العدو ، ومن الاشكال الجديدة سكب الزيت على الطرقات

جدول رقم (٣)

رمي حجارة	اقامة متاريس	زجاجات ملتوف	سكب زيت	اسلحة نارية	اشتباك بالايدي	مهاجمة دوريات وحواجز	اشتباك مع مستوطنين
٧٣	٥٠	٧	٣	٢	١٩	١٢	٥

وتنظيم المظاهرات الصاخبة بحيث تقف النساء في نقاط مراقبة يستطعن منها توجيه المتظاهرين لمطاردة قوات القمع او التملص منها ، كما كانت هناك بادرة تدل على عمق تضامن الجماهير مع الثورة،حيث ظهر الفدائيون بكامل اسلحتهم في صفوف المتظاهرين واختفوا بعد قليل دون ان تتمكن سلطات العدو من ايجاد اي دليل يساعدها على اكتشافهم . وذلك يوم ١٩٧٦/٥/١٧ في مدينة نابلس ٠ والجدير بالملاحظة ان هذا التواجد يأتي بعد تسمية يوم ١٥ ايار (انشاء الكيان الصهيوني) باسم يوم النضال.حيث بلغت الانتفاضة ذروتها وشملت كافة المناطق وشارك فيها عموم المواطنين ، وادت الى ردود فعل ايجابية تمثلت في الذعر الذي اصاب الكيان الصهيوني على كافة المستويات ، واهتمام الصحافة العالمية وانعقاد مجلس الامن لمناقشة الموقف في الارض المحتلة ٠ اضافة الى رضوخ العدو واضطراره

الى ازالة البوابات الحديدية التي اقامها للفصل بين مناطق نابلس ، وايضا لجوء العدو الى سحب وحدات من خطوط المواجهة والاستعانة بها فى قمع المظاهرات ٠

اشـــكال القمـع :

استخدم العدو الصهيوني كل اشكال القمع المعروفة ، بدءا بتوجيه الانذارات والتهديدات وانتهاء باطلاق النار وقصف القرى واستخدام الطائرات العامودية في اساليب جديدة لالقاء القنابل المسيلة للدموع تحاشيا للخسائر التي قد تقع فـي صفوف قواته ومحاولة للحفاظ على معنوياتها ٠

ومن اكثر الاشكال القمعية نجد الاعتقالات الواسعة ، واطلاق النار (انظـر الجدول رقم ٤) وحظر التجول الجزئي ، واستخدام القنابل المسيلة للدمـوع ، والهراوات ، والاستعانة بالأليات ومرتين بالطائرات ، اضافة الى اجـــراءات ارهابية تتضمن زيادة الحشودات ، وحصار المناطق ، وتهديدات اقتصاديـــة وغرامات مالية كبيرة ٠

جدول رقم (٤)

اجراءات تعسفية	اعتقالات	اطلاق نار	قنابل مسيلة للدموع	اليات	اجراءات اقتصادية غرامات	هراوات	طائرات
١٠٠	٦٩	٥٥	٣٢	١٩	١٧	٢٤	٢

خسائر الجماهير :

دفعت جماهيرنا في الارض المحتلة ثمنا غاليا خلال مسيرتها في العام الماضي ولم ترهبها اجراءات القمع الوحشية ، بل ان اصرارها على النضال دفع عناصر من حكومة العدو الصهيوني الى المطالبة بتخفيف الضغط وبالابتعاد عن العنف وهذا ، ادراكا منها بأن هذه الاساليب العنيفة ستزيد من غضب الجماهير وتبلور حقدها على شكل تنظيم اكثر وعيا واصرارا على خوض النضال ٠ وفعلا بـدأت سلطات العدو تخفف من اجراءاتها القمعية كأسلوب جديد من اساليب القمع غير المباشرة ٠

وقد قدمت جماهيرنا على مر العام الماضي ٤٥ شهيدا و ٩٣٧ جريحا و ٣٥٨٢ معتقلا لفترات محدودة وطويلة نسبيا . وتدل هذه الارقام على جرأة جماهيرنا

واصرارها على خوض النضال مدركة ان ما تقدمه جزء من ثمن حريتها ، ونلاحظ هنا ان هذه الارقام والتي اعترف بها العدو الصهيوني اقل بكثير من العدد الـذي قدمه شعبنا في الداخل للاسباب التالية :

١ ـ ان العدو لا يعلن عن عدد المعتقلين · وقد شن حملات اعتقالات واسـعة بلغ عددها (٦٩ مرة)،والرقم السابق يدل على عدد المعتقلين في (٣٧ مرة)فقط، مما يدل على ان عدد المعتقلين اكبر من هذا الرقم بكثير ، وقد يبلغ ضعفه ، وكذلك ما يتعلق بالجرحى والشهداء (انظر الجدول ٥) ·

جدول رقم (٥)

	قتلى	جرحى	معتقلين
عدد المرات المعلن عنها المتضمنة للاعداد	٢٧	٤٣	٣٧
عدد المرات المعلن عنها دون معرفة الاعداد	٢	٢٢	٣٢

٢ ـ منع المراسلين الصحفيين من التوجه الى اماكن المظاهرات والاشتباكات ومصادرة الافلام والتقارير الصحفية واخضاعها لمراقبة دقيقة ·

٣ ـ ادراك العدو ان خروج مثل هذه المعلومات يكشف حقيقته لدى الرأي العام العالمي . ولهذا السبب كان وما يزال يعمل على طمس الحقائق ويشوهها بكافـة الطرق ·

خسائر العدو

تمكنت جماهيرنا العزلاء من ايقاع خسائر هامة في صفوف العدو تمثلت في قتل (٢٠) فردا من قوات الجيش والشرطة . واصابة (١٧١) بجراح مختلفة . وتدمير (١٦) الية (انظر الجدول رقم ٦) · لكن هذه الارقام ليست نهائية لانها تمثل الاعداد التي اعترف بها العدو ، علما بأن المرات التي اعترف بها العـدو بوقوع خسائر مختلفة تدل على عدم صحة هذه الارقام ·

تمثلت ردود الفعل المؤيدة في عدة نقاط هامة منها :

جدول رقم (٦)

	قتلى	جرحى	اليات
المرات المعلن عنها والمتضمنة للاعداد	٧	٣٢	٥
المرات المعلن عنها بدون اعداد	ـ	١٦	٦

ردود الفعل المؤيدة :

تمثلت ردود الفعل المؤيدة في عدة نقاط منها :

١ ـ ردود فعل جماهير الارض المحتلة ، وقد عبرت عن نفسها في مظاهرات واضرابات جزئية تضامنا مع المناطق ٠اذ كانتمظاهرات الخليلمدعومةبمظاهرات في نابلس او البيرة او غيرها من المناطق ، وكذلك مظاهرات الجليل مدعومة بمظاهرات الضفة الغربية والقطاع مما يدل على تضامن المناطق عامة ضد عدوها الرئيسي ٠

٢ ـ على مستوى الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة حظيت الانتفاضة باهتمام وكالات الانباء العربية والعالمية ، وقد تجاوزت بعض الصحف الامريكية مواقفها السابقة لتهاجم العدو الصهيوني بسبب منع مراسليها من الوصول الى اماكن الاضطرابات . وكذلك حجز افلامها التلفزيونية واتلافها ٠

٣ ـ على مستوى الحكومات العربية والصديقة فقد طالبت مصر بعقد جلسة طارئة لمجلس الامن لمناقشة الاوضاع داخل الارض المحتلة ، وكذلك صدرت تصريحات رسمية وغير رسمية عن الكثيرين من مسؤولي الدول العربية والصديقة، كما نظمت مسيرات ومظاهرات تأييد في بعض هذه الدول (الباكستان)٠

٤ ـ اما بالنسبة للثورة الفلسطينية ، فقد تمثل رد فعلها بتصعيد وزيادة عدد العمليات العسكرية داخل الارض المحتلة (رغم احداث لبنان) وايضا تصريحات ومذكرات ورسائل الى المسؤولين العرب ، والمسؤولين في الدول الصديقة،وايضا الى هيئة الامم المتحدة ٠

ردود الفعل المعادية :

اضافة الى ردود الفعل الفورية (القمع والارهاب) التي مارسها العدو الصهيوني . فقد كانت هناك ردود فعل اخرى تمثلت في تصاريح وتهديدات كبار

المسؤولين الصهاينة ، وخاصة (شمعون بيريز) ، وايضا عقد مجلس الوزراء مرتين لمناقشة الاوضاع . ثم الاصرار على الاستيطان في كفر قدوم وغض النظر عن مسيرة غوش ايمونيم · وعرض مشروع تقسيم الحرم الابراهيمي والسماح للمستوطنين بمهاجمة ممتلكات وسيارات اهالي الضفة الغربية ، عدا عن منـــع مراسلي الصحف من الوصول الى مناطق الاشتباكات واتلاف افلامهم ·

ومن ردود الفعل المعادية ايضا رد الفعل السيء الذي صدر عن الجعبري ، الامر الذي ادى الى اتهامه بالخيانة والتشهير به داخل الضفة الغربية ، وايضا الاجراءات الاقتصادية التي اتخذتها الاردن وذلك بمنع انتاج الضفة الغربية مـن التصدير خارج الاردن ·

الدروس المستفادة :

١ ـ لعل اهم الدروس المستخلصة هي ان الجماهير المناضلة داخل الوطـــن المحتل قد بدأت بشق طريقها الصحيح بهدف نيل حريتها ، مؤكدة بانتفاضاتهـــا المستمرة ان النصر كان وما يزال مرهونا بارادة النصر لدى الجماهير ·

٢ ـ تؤكد هذه النضالات ان ما حصل في العام ١٩٧٤ وما بعده ، لم يكـــن مجرد طفرة جماهيرية . بل كان نقطة تحول حاسمة بالاتجاه الى اشكال النضال العليا املا بالوصول الى الانتفاضة المسلحة العامة مقرونة بالكفاح المسلح الذي تخوضه القوات المسلحة للثورة الفلسطينية . والذي سيترك آثارا بعيدة المـــدى على الوضع في المنطقة ·

٣ ـ ان نضالات الجماهير في الداخل قد تجاوزت فترة النضالات الجزئيـــة المحدودة واخذت تنتقل الى نضالات واسعة ذات طابع جماهيري رافضة بذلك اي شكل من اشكال الوصاية . ومؤكدة باستمرار ارتباطها بالثورة الفلسطينية ·

يوم الأرض : الذكرى الأولى

توفيق فياض

في الثلاثين من اذار الماضي ، احيا العرب الفلسطينيون في فلسطين المحتلة ، الذكرى الاولى لانتفاضة « يوم الارض » ، باحتفالات تأبينية عمت جميع مدن وقرى الارض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وباضراب عام ، شمل كل مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبمسيرات شعبية في بعض المدن والقرى ، رافقتها صدامات دامية واعتقالات ٠

وكانت « اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي العربية » في الارض المحتلة ، قد قررت في المؤتمر الذي عقدته في ١٩٧٧/٢/٥ في الناصرة ، اقامة احتفالات يوم الارض ، تحت شعار « وقف مصادرة اراضي المواطنين الفلسطينيين ، وتكريم ذكرى الشهداء » على ان تعقد هذه الاحتفالات التأبينية في المدن والقرى الفلسطينية وفقا لما تقرره المجالس المحلية فيها ، ويكون الاحتفال الرئيسي للقرى الثلاث ، سخنين ودير حنا وعرابة ، في بلدة عرابة في ٣٠ اذار الساعة الخامسة عشرة والنصف ٠

كما عقدت اللجنة مؤتمرا صحافيا في « بيت سوكولوف » ، في تل ابيب ، في ٧٧/٣/٢٥ شرحت فيه موقفها من سياسة المصادرة ، مجددة مطالبتها باقامة لجنة تحقيق في احداث يوم الارض السابق ، والتي راح ضحيتها ستة شهداء من ابناء سخنين وعرابة وكفركنا ، ومخيم نور شمس في الضفة الغربية ، و٦٩٠ جريحا ، والغاء اوامر المصادرة والاستيطان ٠

وقد وزعت اللجنة بيانا على الصحافيين جاء فيه : ان يوم الارض اصبح رمزا للمواطنين العرب للدفاع عن الارض ، وعن حقوقهم القومية ، وعن اصرارهم على المضي في النضال حتى يتم الغاء اوامر مصادرة الاراضي ٠

وتطرق البيان الى القرارات التي اتخذها مؤتمر الناصرة في شهر شباط الماضي ، بشأن

احياء ذكرى يوم الارض « بهدوء واحترام اكراما للارض الباقية ولذكرى الشهداء الراحلين » ٠٠ كما وحذرت فيه من محاولات الاستفزاز ، ودعت الى التصدي لها ٠ وردا على اسئلة الصحافيين ، اعلن المتحدث في المؤتمر الصحافي ، ان « اللجنة القطرية للدفاع عن الارض » قررت « عدم اعلان الاضراب في هذه الذكرى ، بل تنظيم اجتماعات احتجاجية مطلبية » ، وجاء على لسان اللجنة « لسنا طلاب اضرابات ، ولكن من حقنا الدفاع عن مصالحنا بجميع الطرق المشروعة »٠

كما وزعت لجان التضامن اليهودية العربية بيانا باللغة العبرية ، دعت فيه جميع القوى التقدمية والديموقراطية للمشاركة في هذه الذكرى ٠

وكانت الاستعدادات ، قد بدأت ، ومنذ ٧٧/٣/١٥ ، تتخذ طابعا علنيا وواسعا في كافة ارجاء الارض المحتلة ، فبالاضافة الى المناشير والدعوات العلنية ، التي تحث على الاضراب والتظاهر ، في مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة ، للمشاركة في هذه الذكرى القومية ، تضامنا مع « اخواننا في الارض المحتلة منذ ١٩٤٨ » و « تأكيدا لوحدة الشعب الفلسطيني ووحدة نضاله » (معاريف ٧٧/٣/٢٥) ، فقد اقيمت احتفالات تأبينية محلية مسبقة لذكرى شهداء « يوم الارض » ، في عدد من قرى ومدن الجليل والمثلث ، مما حدا بسلطات الاحتلال الصهيونية ، الى اتخاذ اجراءات أمنية مشددة لمواجهة الاضراب والمسيرات الشعبية الكبيرة ، دافعة بأجهزة اعلامها ، الى حملة مضادة،للتعتيم على ما يجري ،وطمس الحقائق ،بل وتزويرها وتشويشها ، للتقليل من شأن « يوم الارض » والتشكيك بمنظميه ، وبأصحاب الاراضي المصادرة لضرب تضامنهم وشق صفوفهم ، ولتبرير ما تبيته للاهالي من عمليات انتقامية في يوم الارض ، ضامنة بذلك خنق اخبار نضال شعبنا في الارض المحتلة وتصديه الرائع للاحتلال وممارساته العنصرية الوحشية ٠

وكانت صحيفة معاريف سباقة في هذه الحملة ، حيث كتبت في عددها الصادر يوم ٧٧/٣/١٥ انه « بعد اسبوعين تماما ، في ٣٠ أذار، ستحيي القرى العربية في اسرائيل ذكرى احداث يوم الارض – وهو اليوم الذي كان يوم اضراب شامل هادىء لعرب اسرائيل ، احتجاجا على مصادرة الاراضي التي يملكونها ، وتحول الى يوم دام »٠

وهنا يعمد مناحم راهط كاتب المقال بعد ان يروي على لسان رئيس المجلس المحلي في سخنين انه « لن تكون هذه المرة أية اضرابات ، أو أي نشاط اخر قد يؤدي الى حد الصدام » ، الى الايحاء وكأن ما حصل في « يوم الارض » الماضي من اضرابات ومظاهرات ، لم يكن نتيجة لمعارضة الاهالي لمصادرة الاراضي ، بقدر ماكان احتجاجا على حجم التعويضات عن هذه الاراضي ، مستشهدا بما يورده على لسان احد الذين صودرت أراضيهم بالقرب من مستوطنة كرمئيل ، ودون ان يسميه ، «اقول لك الحقيقة، اننا قد خرجنا للحرب ايضا ، من اجل الذكريات الرهيبة التي خلفتها المصادرات القديمة ، ومن اجل هذا النغم الجارح للاذن لكلمة مصادرة ، اذ لهذه الكلمة نغم جارح لكل اذن عربية ، تماما وكأنهم يأخذون منك ارضك بقوة الذراع ، ونحن لا نزال نذكر المصادرات في عام ١٩٦١ ، التي تمت من اجل اقامة مستوطنة كرمئيل »٠٠

وهنا يضيف راهط على لسان نفس الشخص ، مزيفا اقواله ، للتدليل على صحة نظريته الدعائية : « ٠٠ وقد اقترحوا علينا في حينه مبالغ زهيدة ٠ اما هذه المرة ، فانني اعترف ، ان مديرية اراضي اسرائيل كانت اكثر عدلا ، وعندما تأكدنا من ذلك – ولكن

بعد الثلاثين من آذار في السنة الماضية ـ غيرنا رأينا بالنسبة للمصادرات ٠٠ ولذلك فاننا مستعدون الآن للدخول معها في مفاوضات » (معاريف ٧٧/٣/١٥) ٠

وكانت سلطات الاحتلال قد « صادرت عام ١٩٦١ ما مساحته ٥١٠٠ ـ٥٥٠٠ دونم من الاراضي التابعة لقرى دير الاسد والبعنه ونحف ومجدلكروم ، الواقعة في مركز الجليل لاقامة مدينة كرمئيل اليهودية عليها » (العرب في اسرائيل ص ١٨٣ ، معاريف ٧٧/٣/١٥) وكانت تلك المصادرة قد جوبهت بمعارضة شديدة من اصحابها ، وهي معارضة قل ان صادفت السلطات الاسرائيلية مثيلا لها ، وعرض الامر في حينه على الكنيست ، كما ودعا اهالي القرى التي صودرت ارضها الى « عقد مؤتمر احتجاج ضد مصادرة اراضيهم في اواخر آذار ١٩٦٢ ، الا ان الحاكم العسكري في الجليل اعلن القرى الاربع منطقة مغلقة يومها ، وبهذا منع دخول اي انسان اليها ، مما ادى الى الغاء عقد المؤتمر المذكور ٠ ثم عاد الحاكم العسكري وتصرف بالطريقة نفسها ، واحبط عقد مؤتمر احتجاج آخر كان من المقرر عقده في منتصف كانون الثاني ١٩٦٤ ٠ اما السكان فقد توجهوا بالشكوى ضد اوامر المصادرة الى المحكمة العليا التي اصدرت امرا تمهيديا بهذا الشأن في منتصف شباط ١٩٦٣ ، الا انه عند اجراء المحاكمة النهائية ، وبعد ان رفض قاضيان ، من قضاة المحكمة الثلاثة ، النظر في القضية ، لان السكان اعلنوا انهم « لا يثقون بهما » ، طلب الاهالي ابطال شكواهم وعدم البت فيها » (العرب في اسرائيل ص ١٨٤ ـ ١٨٥)٠

الا ان مناحم راهط يتجاهل في مقاله كل هذه الحقائق ، ويشير الى ان السلطات الاسرائيلية ، كانت قد اقترحت على اصحاب هذه الاراضي مبلغا يتراوح بين « ١٥٠ ـ ٤٥٠ ليرة اسرائيلية للدونم الواحد ، الا انهم رفضوا ذلك ، ولا زالوا يرفضون حتى الآن رغم انهم اقترحوا عليهم في المدة الاخيرة مبلغ ٢٥٠٠ ل٠ ٠ للدونم الواحد » ثم يعزز صدق ما ذهب اليه بأقوال اصحاب الاراضي على حد زعمه ، بقوله :« أليس ذلك مهزلة ، ان نعوض عن دونم البناء السكني ، بمبالغ زهيدة كهذه ؟ » (معاريف ٧٧/٣/١٥) ٠

وهنا ينتقل مناحم راهط الى ما يسميه بالتوجه الجديد لمديرية اراضي اسرائيل ، في تعاملها مع اصحاب الارض المصادرة بان تدفع لهم ، وفقا للقيمة الاستغلالية التي ستكون للارض في المستقبل ، وليس وفقا لسعرها واستعمالها يوم المصادرة ٠ اي ، وكأن الارض صودرت بعد ان اقيمت عليها اعمال البناء والتطوير ، الامر الذي يزيد من قيمتها ، وهكذا فان مديرية اراضي اسرائيل « تقترح هذه الايام لاصحاب الاراضي المصادرة في العام الماضي مبالغ حدها الاقصى ٢٠ الف ليرة اسرائيلية للدونم الواحد » ٠ (المصدر نفسه)٠

وعلى حد قول احد موظفي المديرية « ونحن نقترح التعويضات الآن وفقا للائحة اسعار جديدة ، تعتمد على قيمة الارض في المستقبل ، بعد اعمال التطوير وقبل البدء في البناء عليها واستغلالها استغلالا كاملا ، وليس ذلك وحسب ، وانما قررت مديرية اراضي اسرائيل ان تمكن كل من لا يريد تعويضاته الآن ، من الحصول عليها في المستقبل وفقا لقائمة التعويضات المقترحة الآن ، ولكن باسناد كامل لسلم غلاء المعيشة ٠٠ واننا في هذه الحالة لسنا اقل جودة ، من اي بنك تجاري »٠ (المصدر نفسه)

ومرة اخرى يتجاهل كاتب المقال ومعه الموظف في مديرية اراضي اسرائيل ، ان القضية لم تكن بتاتا قضية تعويضات ملائمة او غير ملائمة ، وانه في البحث الذي جرى في الكنيست الاسرائيلي في تاريخ ٧٥/١٠/٢٧ ، حول مشروع قانون يتعلق بالتعويضات عن

الارض المصادرة ، واقر تحويله الى اللجنة المختصة ، والذي لا يتعرض الى كمية التعويض الاساسي نفسه ، بل ينص هو الآخر على أنه اذا تأخر دفع التعويض لصاحب ارض مصادرة مدة من الزمن ، فيجب الاخذ بعين الاعتبار عند الدفع غلاء المعيشة ، الذي يحصل خلال فترة تأخير الدفع ٠ وقد رد في حينه عضو الكنيست توفيق زياد الذي شارك في النقاش ان « القضية ليست في كمية التعويضات ، وانما في المصادرة نفسها ٠٠ فالسكان العرب يرفضون بتاتا كل اقتراح بالتعويض مهما كان ، انهم يرفضون مصادرة اراضيهم ، فالارض بالنسبة لهم ، ليست مصدر رزق فقط ، انها وطن ايها السادة ، انها مستقبل شعب » ٠٠ (الاتحاد ٧٥/١٠/٣١)

ويضيف مناحم راهط ، انه بالاضافة الى ما اسماه بالتوجه الليبيرالي لمديرية اراضي اسرائيل ، تجاه المواطنين العرب لاقتلاع جذور الشك في نواياها ، فانها قد اتخذت اجراءات اضافية بحيث « تنتهج الآن سياسة اليد الممدودة لكل مواطن عربي يطلب امتلاك قطعة ارض للبناء الفردي في اطار قريته ، في حال ان هذه الارض تتبع في ملكيتها للمديرية ، او تعويضه عن ارضه المصادرة بأرض للبناء كهذه » (معاريف ٧٧/٣/١٥) ، « وبناء على ذلك فان المديرية خصصت حتى الان ما مساحته ٣٠٠٠ دونم ، لهذا الغرض ، بالاضافة الى قطع البناء التي تمنحها للمجالس المحلية العربية للابنية العامة كالمدارس والمصانع والمؤسسات العامة » (المصدر نفسه)

والارض التي تملكها مديرية اراضي اسرائيل في هذه الحالة ، والتي تساوم عليها ، هي اراضي المشاع القروي المحيطة بالقرى العربية والتي تعود ملكيتها اصلا لاهالي هذه القرى ، ولكنها كانت مسجلة باسم المندوب السامي في عهد الانتداب كوصي عليها في غياب سلطة محلية تمثلها ، الا ان شهية الاستيلاء على الاراضي العربية من قبل سلطات الاحتلال ، وجدت في هذا التسجيل منفذا للاستيلاء على اراضي المشاع القروي ، وسلخها، ثم ضمها الى ملكية الدولة ، مستندة في تنفيذ مخططها هذا إلى قانون املاك الدولة لسنة ١٩٥٣ حيث نص هذا القانون على ان « كل ارض مسجلة باسم المندوب السامي تكون ملكيتها تابعة لدولة اسرائيل » (الاتحاد ٧٥/١٠/١٠) ٠

ثم ينتقل مناحم راهط ، الى النتائج التي وصلت اليها هذه السياسة الجديدة التي تنتهجها المديرية العامة لاراضي اسرائيل ، بأنها اثبتت للعرب ان المصادرة كانت في النهاية لصالحهم ، وانها قد توصلت ـ بعد ان انتشر خبر « الاسعار الخيالية التي تدفعها مديرية اراضي اسرائيل في قرى الجليل » ـ « الى اتفاق للتعويضات على اصحاب ٢٠٠٠ دونم تقريبا من بين ٦٠٠٠ دونم صودرت في ٧٧/٣/٣٠ » (معاريف ٧٧/٣/١٥) ٠ كما وان « الكثيرين من اصحاب الاراضي المصادرة الاخرى ، قد حضروا بأنفسهم الى مكاتب المديرية في الناصرة ، وتل ابيب والقدس ، كي يفاوضوها على اعطائهم التعويضات » وان « ملايين الليرات قد سكبت على ايديهم حتى الان ، ومنهم من فضل ان يعوض عن ارضه بقطع ارض للبناء الفردي في حدود قراهم » ولكنه يستدرك انه « مع ذلك فان اصحاب ٤٠٠٠ دونم ما زالوا يرفضون حتى الآن الدخول في مفاوضات مع المديرية لتعويضهم لاسباب عقائدية » (المصدر نفسه)٠

الا ان المديرية تأمل بأن « السياسة الجديدة سوف تعمق الوعي عند اصحاب الاراضي المصادرة ، بأن المديرية لا تهدف الى سلبهم اراضيهم ، وانما ، تقصد تركيز اراضيهم من

اجل التطوير الشامل ، حتى ولو كان عن طريق المصادرة ، وهي طريقة مشروعة لتركيز الاراضي من اجل التطوير في كل دولة متطورة » (المصدر نفسه) ٠ واثباتا لذلك ، فان الاراضي المصادرة ليست ـ على حد زعمه ـ مخصصة لتطوير القطاع اليهودي فقط ، وانما للقطاع العربي ايضا ، ومثله في ذلك ما يجري في قرية المكر « حيث صودر ٢٠٠٠ دونم ، خصصت جميعها لبناء قرية الفلل الجديدة ، المخصصة للسكان العرب ، ولايواء عرب من عكا وقرى المنطقة الذين يقيمون في ظروف سكنية سيئة » (المصدر نفسه) ٠ ودون ان يذكر طبعا ان عرب عكا وقرى المنطقة هؤلاء ، هم الذين ترحلهم سلطات الاحتلال من عكا القديمة وقرى الضواحي لتفريغها من سكانها العرب لصالح المستوطنين اليهود ، كما ولم يذكر ان هذا « التطوير » الذي يتحدث عنه ، كان قد رفضه المؤتمر القطري الشعبي الممثل لكافة الاتجاهات بين الجماهير العربية ، المنعقد في ٧٦/١٠/١٨ ، والذي يهدف الى « تجريد الفلاحين العرب من اراضيهم وتحويل الشعب العربي في اسرائيل الى شعب بلا وطن بحجة « التطوير » و « التصنيع » و « الاسكان » (معاريف ٧٦/١٠/٢١)

ولكي يقنعنا مناحم راهط بصحة اقواله ، وبأن ما قاله ليس بدعة او اشاعة ، كان لا بد له من أن يورد ذلك على لسان « الكثيرين ممن صودرت اراضيهم » ، والذين لا يعترفون بشرعية تمثيل اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي ، لهم ، والذين اجابوا على اسئلته ويضمير المتكلم « ٠٠ لقد كنا نغلي في السنة الماضية ، وكانت المصادرات موضوع الساعة ، ولكن بعد مرور سنة كاملة ، استطعنا خلالها ان نهدأ ، لقد تحققنا ان المصادرات ليست عملا يوميا ، بل وبعضها (٢٠٠٠ دونم بالقرب من قرية المكر) كانت فعلا لمساعدة العرب ، كما وان سياسة مديرية اراضي اسرائيل بالنسبة للعرب ساهمت في تهدئة الخواطر ، والمديرية التي وافقت على ان تعوض اصحاب الارض ليس فقط بمبالغ طائلة ووفقا لقيمة الارض في المستقبل ، بل ووافقت على ان تخصص اراض بديلة لكل من يرغب في ذلك ، مما ساهم مساهمة كبيرة في تهدئة الخواطر في القرى التي صودرت اراضيها » (معاريف ٧٧/٣/٣٠)

واكثر من ذلك ، فان المجلس المحلي في ام الفحم قد عقد جلسة خاصة « للبحث في التطورات التي طرأت بشأن الاراضي ، والتي تدعي القرية ملكيتها لها » و « قد تقرر في نهاية الجلسة وقف الاضراب العام الذي كان مقررا ليوم ٣٠آذار، بعد التسوية التي توصل اليها المجلس مع مديرية اراضي اسرائيل » وذلك « لبناء مساكن شعبية ، ومساكن للازواج الشباب ، والمدارس والمصالح العامة » (معاريف ٧٧/٣/٢٥)

وحقيقة الامر ، ان السلطات الاسرائيلية ، بعد ان صادرت ما يقارب الـ « ١٤٠ الف دونم من اراضي ام الفحم منذ عام ١٩٤٨ ، ولم يبق لها سوى ٢٤ الف دونم ، عادت وصادرت منها ١٢ الف دونم محرش ٠٠ ثم عادت قبل عام وصادرت مرة اخرى مما تبقى ٤٠٠٠ دونم بأمر من وزير الداخلية ، وضمتها الى مجلس منشي اليهودي » (الاتحاد ٧٦/١٠/٢١) وكان المجلس المحلي « قد رفع قضية بشأنها ضد مديرية اراضي اسرائيل ، لمحكمة العدل العليا ، التي اجلت النظر بها الى ٧٧/٣/١٥ » (الاتحاد ٧٧/٢/٢٥) ٠وكانت هذه الارض « مسجلة باسم المندوب السامي البريطاني ، ثم نقلت على اسم مديرية اراضي اسرائيل ، وعندما وصلت المباحثات بشأنها الى طريق مسدود ، قرر المجلس المحلي اقامة اضراب شامل في بداية شهر آذار ، وكذلك في ٣٠ آذار ٠٠ هذا التاريخ الطافح بالمعاني ، « يوم الارض » كي يشكل وسيلة للضغط على اوساط مختلفة » (معاريف ٧٧/٣/٢٥)

من الواضح ، ان مناحم راهط ، مراسل صحيفة معاريف ، جند للقيام بهذه الحملة الدعائية ، التي تركز على السياسة الجديدة لمديرية اراضي اسرائيل ، بهدف طمس الحقائق · ومن اجل شق صفوف المجالس المحلية ، لمنعها من اتخاذ موقف موحد في مواجهة مصادرة الاراضي ، وتحويل « يوم الارض » من ذكرى قومية الى مجرد احتفالات تأبينية ·

ثم يضيف ، ان جميع العمال والتجار بل وكل الاهالي ، في قرى الجليل يطالبون السلطات بأن لا يجعلوا « من يوم الارض مشكلة » وخاصة من القرى الثلاث « التي كانت محورا للاحداث في « يوم الارض » في العام الماضي ، سخنين وعرابة ودير حنا ، وانه خلافا للتوتر الذي ساد قرى الجليل بشكل عام ، وقرى المثلث الجليلي الصغير ، بشكل خاص مساء ٣٠ آذار في العام الماضي ، فهذه السنة لم يلمس اي نشاط استعدادا لهذا اليوم » ، ولكنه لا ينسى طبعا « عدا نشاط المتطرفين الذي لم يحظ باستجابة كبيرة في اوساط الجماهير الواسعة » ، اذ لا بد في هذه الحالة من تصنيف العرب في الارض المحتلة الى متطرفين وغير متطرفين ، والمتطرفون هم القلة دائما ، ليكونوا الورقة التي تبرر استخدام العنف والعمليات الانتقامية ضد الاهالي ، ولذلك فان « زيارة واحدة في شوارع سخنين مثلا ـ والتي قتل ثلاثة شبان من سكانها في ٣٠ آذار الماضي في الاصطدامات التي حصلت مع قوى الامن ـ يترك انطباعا واضحا ، بأن القرية لن ترمي نفسها في وضع مشابه » وانه في الحوانيت والمقاهي والبيوت والمؤسسات العامة ، يؤكد الاهالي ، ان « هذه المرة سيكون كل شيء على ما يرام ، واننا سنحافظ على هدوئنا ولن نخضع للتحريض ·· ففي العام الماضي كنا ثائرين وغاضبين ، لاننا لم نعرف ماذا كان ينتظرنا ، واليوم ، والحمد لله ، تحققنا ان الامر ليس بالغ السوء ، وانه بالطبع لا يشبه ذلك الذي صورته لنا تحريضات المتطرفين » (المصدر نفسه) ·

اما الخط الاعلامي الثاني ، الذي انتهجته سلطات الاحتلال في مواجهة « يوم الارض »، فكان التشكيك بقيادة « اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي » وقيادة حزب راكاح ، لخلق البلبلة والغموض بين الاهالي ، بالنسبة للاضراب في الضفة الغربية وقطاع غزة واحتفالات الذكرى التأبينية التي قررتها « اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي » في الارض المحتلة منذ ١٩٤٨ ، والوصول بهم في النهاية الى عدم المشاركة الفعلية في احياء ذكرى يوم الارض ·

وقد ورد في صحيفة معاريف الصادرة في ٧٧/٣/٢٩ ان « معظم رؤساء اللجان المحلية في القرى العربية في الشمال ، ناشدوا مواطنيهم ان لا ينجروا خلف تحريض المتطرفين غدا » ، الا ان الصحيفة تستدرك مناقضة نفسها بأن هذه المناشدة لم تكن مناشدة منظمة من جانب « لجنة رؤساء المجالس المحلية العربية » ويعني لجنة الدفاع عن الاراضي ، ثم تعود الصحيفة لتبرر هذا التناقض والخلط بأنه « من المعروف ان معظم رؤساء المجالس المحلية يعارضون النشاط الفعال في القطاع العربي غدا ، ويفضلون ان يشترك المواطنون العرب في احتفالات هادئة لاحياء ذكرى الضحايا » (المصدر نفسه) ·

ومن المعروف ان اجهزة اعلام سلطات الاحتلال ، كانت قد انتهجت هذا الخط في تزوير الحقائق بالنسبة لموقف « لجنة الدفاع عن الاراضي » ورؤساء المجالس المحلية في العام الماضي ، حيث زورت قرارات مؤتمر رؤساء المجالس المحلية الذي عقد في شفا عمرو في ١٩٧٦/٣/٢٦ ، والذي خرج بقرار الاضراب باكثرية ٤٨ صوتا ضد ٦ ، الا ان اجهزة

الاعلام قلبت الحقائق ، مما دعا لجنة الدفاع عن الاراضي للقيام بحملة مضادة لكشف هذا التزوير ٠

وبالنسبة للتشكيك في موقف حزب راكاح من احياء ذكرى « يوم الارض » والداعي الى عدم اعلان الاضراب الشامل والاكتفاء باحياء احتفالات تأبينية فقط ، تقول الصحيفة ، ان « ثمة تفسيرات تشير الى تأثير الانتخابات القريبة على خطواته » وهنا تستشهد الصحيفة باقوال احد ابناء ام الفحم ودون تسميته ان « حزب راكاح لا يريد الوصول الى مجابهات وصدامات مع السلطة ، اذ قد يؤثر عليه ذلك في الانتخابات القريبة ، وهو بالتالي يتصرف كاي حزب سياسي آخر لعرب اسرائيل » (المصدر نفسه)٠

ومجرد المقارنة هنا بين حزب راكاح الشيوعي والمعارض لسياسة الحكومة بشكل عام ، ولسياسة مصادرة الاراضي ، وهو موضوع الساعة بشكل خاص ، بسائر الاحزاب التي ينضوي تحتها بعض العرب الموالين للحكومة في الارض المحتلة ، كحزب العمل الصهيوني ، او حزب حيروت او غيرهما من الاحزاب الصهيونية اليمينية يكفي للتدليل على عنف حملة التشكيك هذه ٠

وتضيف الصحيفة ان « ثمة غاضبين على هذا القرار ، ولكنهم يسلمون بالامر الواقع للاخيار » ومن هؤلاء الغاضبين « تلاميذ المدارس الثانوية والذين يعتبرون معقلا لليسار » ـ وهذا تبرير مسبق لما قد تنتهجه السلطات من اعمال انتقامية ضد التلاميذ ـ وكذلك رجال قائمة « ابناء البلد » المحلية المتطرفة في ام الفحم ، والتي يتزعمها محمد كيوان ، ان كيوان ورفاقه في القائمة « كانوا يريدون تنفيذ الاضراب ، وبما ان لجنة الدفاع عن الاراضي ، بما فيهم اعضاء حزب راكاح ، قررت ما قررته ، فانه يسلم بالامر الواقع » (المصدر نفسه) ٠ كما وانه « ثمة من خاب امله من مسلك حزب راكاح ، ويعتقدون ان هذا الحزب لم يعد بالنفع على القرية العربية ، ولم يجد حلا لمشاكلها »٠

وتدلل الصحيفة على صدق استنتاجها هذا بتعقيبها « اليست خيبة الامل من مسلك حزب راكاح هي التي حدت بعدد من رؤساء المجالس المحلية والشخصيات العربية المعروفة ، لاقامة حزب عربي جديد ، ليكون بديلا عنه ، وينافسه في الانتخابات للكنيست المقبلة ؟ » (معاريف ٧٧/٣/٣٠) وكشأنها في تثبيت اقوالها دائما ، تستشهد هذه المرة برئيس المجلس المحلي في كفرقرع ، المحامي محمد مصاروة ، الذي يجيب على السؤال الذي طرحته بالايجاب ٠ والذي « كان مشغولا في العام الماضي بالدعوة الى اضراب شامل في ٣٠ آذار ٠٠ اما السنة فهو مشغول بتشكيل قائمة جديدة ، تمثل الاكثرية الصامتة بين عرب اسرائيل » (المصدر نفسه) ٠

اما صحيفة دافار ، فتشير في عددها الصادر يوم ٧٧/٣/٣٠ ، الى تبني راكاح لمبدأ ترسيخ يوم الارض في ذاكرة الجماهير ، بهدف تعميق وضع الحزب كقوة رائدة في الشارع العربي ٠ وتضيف الصحيفة :« غير ان راكاح ، اتخذ منذ البداية موقفا حازما ضد خلق اجواء صدامية ٠ فهو في تصريحات قادته وفي ندواته الجماهيرية يؤكد على هذا الموقف »٠

ثم تشير الصحيفة الى وقوع خلاف بين من اسمتهم « بالمعتدلين » ـ راكاح ولجنة الدفاع عن الاراضي ـ من جهة ، وبين المتطرفين من الجماعات الصغيرة الملقبة « بأبناء البلد » وعلى رأس هؤلاء محمد كيوان ، احد اعضاء « حركة الارض » سابقا ٠ وان كيوان

واعضاء راكاح ، يعترفون بهذا الخلاف · ففي احدى المناسبات ، دعا كيوان الى صدامات دموية ، مما حدا برئيس مجلس سخنين المحلي جمال طربيه ، الى اجابته غاضبا : « نحن في سخنين يكفينا ما اصابنا في العام الماضي ، فاذا كنت تريد صدامات ، نظمها انت في ام الفحم »·

وتضيف الصحيفة :« من الواضح ان راكاح ، يخشى نتيجة حدوث اصطدامات دموية ، على رصيده الانتخابي ، وذلك لانه يحاول الحصول على الشرعية في الشارع اليهودي في اطار الجبهة الديمقراطية ، والتي تضعه الى جانب « الفهود السود » وحركتي شاسي وآكي·

ومن اجل تصعيد حملة التشكيك واثارة البلبلة ، لمحت دافار ، الى وجود خلاف داخل « راكاح » نفسه · فتوفيق زياد ، رئيس بلدية الناصرة ، دعا في الخطاب الذي القاه في كفركنا في ٧٧/٣/٢٩ ، الى الاضراب الشامل في يوم الارض · « يجب ان لا نكتفي بالقرارات التي اتخذت : احتفالات ذكرى ، الوقوف دقيقة صمت حدادا على الشهداء ، قرع الاجراس في الكنائس ، ورفع الاذان في المساجد » ·

ثم تتساءل الصحيفة اذا لم يكن زياد قد خرج على خط حزبه وحلفائه (دافار ، يديعوت احرونوت ٧٧/٣/٣٠)·

تشير هذه الحملة التشكيكية على حزب راكاح ومواقفه من يوم الارض الى نهج اعلامي وسياسي تتبناه سلطات الاحتلال ، ويهدف بالاضافة الى اضعاف وضع راكاح الانتخابي في الشارع العربي ، الى تمييع وبلبلة مواقف الجماهير العربية في يوم الارض ، فالسلطات تعرف ، ان راكاح ، يستمد قوته الاساسية من الشارع العربي ، نتيجة مواقفه الصلبة في مواجهة سياسة الاضطهاد القومي والاجتماعي للجماهير العربية ·

والجدير بالذكر ، ان هذا الخط الذي انتهجته سلطات الاحتلال ، ازاء حزب راكاح في يوم الارض لهذه السنة ، يختلف تمام الاختلاف عن الخط الذي انتهجته في يوم الارض للعام الماضي ، حيث حملت جميعها ، وبدون استثناء على حزب راكاح وقيادته « كان هو المسؤول الوحيد عن اثارة الجماهير ، ويقوم بحملة تحريضية ضد الدولة » ، وبالتالي فانه « المسؤول الوحيد عن الاصطدامات الدموية التي حصلت مع قوى الامن والتي راح ضحيتها ٦ قتلى و ٩٠ جريحا » (وزير الشرطة هليل ، دافار ، هآرتس ، معاريف ، يديعوت احرونوت ٧٦/٣/٣١)

اما الخط الاعلامي الثالث الذي انتهجته وسائل الاعلام الصهيونية في مواجهة يوم الارض فهو التظاهر باتباع سياسة متسامحة ، وصدر واسع تجاه الاحتفالات التأبينية التي اقرت ليوم الارض ، اذ انه قد « نشأ ما يشبه الاتفاق غير المكتوب ، بين السلطات ، وبين منظمي احتفالات الذكرى السنوية ، دون اتصالات منظمة او اية اتفاقية » وانه « ثمة تفاهم صامت معهم ان لا يدعوا اللجام يفلت من ايديهم » وان الشرطة قد « اعطت التصاريح الملائمة لاحياء هذه الاحتفالات التأبينية » (دافار،معاريف ، يديعوت احرونوت ٧٧/٣/٣٠)·

ولذلك فان وزير الداخلية والشرطة شلومو هليل ، والقائم بأعمال مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية بنيامين غور – اديبه ، وبقية الجهات المعنية بالامر توصلوا الى النتيجة بأن « ثمة احتمالات جيدة للمحافظة على الهدوء والنظام » وانهم يعتقدون بأن « يوم الارض هذه المرة سيمر دون احداث غير عادية » وان تقديراتهم هذه تعتمد على مجمل الحقائق التالية :

١ ـ يعترف الاهالي وزعماؤهم ، بأن اهوال السنة الماضية ، تدفعهم الى الامتناع عن السقوط في هوة مماثلة هذه السنة ٠

٢ ـ يخاف الكثير من المستخدمين ، من شبح طردهم من العمل ، في حال تجاوبهم مع دعوات الاضراب ، نظرا للحالة الاقتصادية المتردية ٠

٣ ـ تخصيص مساحات واسعة من الارض التابعة لمديرية اراضي اسرائيل ، لاغراض البناء الشخصي في القرى ، والمباني العامة بأسعار معقولة ، ومبادرة المديرية الى اقامة ضاحيات صناعية في عشرات القرى ٠

٤ ـ استعداد اسرائيل للسماح للعرب بالقيام بزيارات عائلية في الاردن ٠

٥ ـ « ان زيارات العرب الاسرائيليين لاقاربهم في لبنان ، جعلتهم يلمسون بأنفسهم ما يعانيه اقاربهم من وضع قاس ،بالمقارنة لاوضاع العرب المريحة ،واستمرار الاعمال الانسانية عند « الجدار الطيب » ٠ »

٦ ـ اعلان ليوتيد بريجنيف عن حق اسرائيل في الوجود ، ودعوة انور السادات للسلام مع اسرائيل ، مما ادى الى تخفيف التوتر لدى الجمهور العربي في اسرائيل ٠ (دافار ، معاريف ٣٠ /٣/ ٧٧) ٠

ووفقا لهذه التقديرات ، فقد « تقرر اتخاذ الخطوات التالية ، والتي شرع في تنفيذها منذ ٧٧/٣/٢٩ وهي :

١ ـ تركيز قوات احتياطية من الشرطة وحرس الحدود في حالة وقوع اعمال عنف واغلاق الطرق ، او مهاجمة المكاتب والاشخاص ، ولكن لن تكون ثمة مظاهرة قوة مكشوفة لا لزوم لها ٠

٢ ـ لن يكون هناك تدخل بوليسي داخل القرى ، حتى وان كانت ثمة مظاهرات في داخلها ، او احتفالات ، حتى لا يخلق ذلك اية استفزازات ٠

٣ ـ في حالة حصول ما يوجب التدخل ـ اعطيت التعليمات لقوى الامن باستخدام القنابل المسيلة للدموع ، ووسائل اخرى لتفريق المتظاهرين ، كي لا يحتاجوا الى السلاح الحي ، كما حدث في العام الماضي ٠

٤ ـ عدم توجيه انذارات للعمال والموظفين مماثلة للانذارات التي وجهت في « يوم الارض » السابق ، بفصل المضربين من عملهم ، او اية انذارات اخرى » ٠ (المصدر نفسه)٠

فالخط الثالث الذي انتهجته سلطات الاحتلال ووسائل اعلامها الصهيونية ، يحمل في داخله تهديدا سافرا باستعمال القوة ٠

ونظرة واحدة على الخطوات « المتسامحة » التي قرر شلومو هليل والسلطات اتخاذها ، تكفي لان تكشف النقاب عما انطوت عليه الاجراءات الفعلية من التهديد ، واستعراض العضلات ، عن النية المبيتة في قمع اي اضراب او تظاهرة ، سواء كانا هادئين او غير هادئين ٠

كتبت صحيفة هآرتس الصادرة في ٧٧/٣/٢٧ ، ان « قوى الامن تستعد لقمع الاضطرابات

في الضفة الغربية واحتمالات زيادة التوتر بتحريض من م٠ت٠ف » وان « اوساطا امنية في اسرائيل تعتقد ان محرضي م٠ت٠ف ، سيسعون الى تنظيم مظاهراتهم في اواخر هـذا الشهر وشهر نيسان ، في ٣٠ آذار ، اليوم الذي عينه العرب في اسرائيل كيـوم للارض ٠ وفي هذا اليوم ، سيحاول العرب في الضفة الغربية ، ان يؤكدوا تضامنهم وتلاحمهم مـع عرب اسرائيل » ٠

ولا تنسى الصحيفة هنا التنويه بأن « ما قد يجري في يوم الارض ليس له علاقة بمصادرة الاراضي او الاحتجاج عليها » ، بقدر ما هو « تحريض م٠ت٠ف التي تنوي اشعال نـار الاضطرابات في المناطق ، كي تخلق الانطباع ان ثمة **انتفاضة شاملة** » وان « ثمة قرارا في ذلك تضمنته النقاط الـ ١٥ التي اقرها المجلس الوطني الفلسطيني الاخير في القاهـرة » (هآرتس ٧٧/٣/٢٧)

كما وتربط الصحيفة ما قد يحدث في يوم الارض باضراب السجناء العرب الشامل في السجون الاسرائيلية عن الطعام ، وبمناسبة « محادثات الصليـب الاحمـر في جنيـف ، للمطالبة باعتبار السجناء الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية ، اسرى حرب » (المصدر نفسه) ٠

اما صحيفة معاريف فقد كتبت في عددها الصادر يوم ٧٧/٣/٢٩ ، عن «حالة الطوارىء التي اعلنت لمواجهة يوم ٣٠ آذار » وعن « قوى الامن التي تتأهب لمواجهة احتمالات عرقلة النظام غدا ، في عدة اماكن من القطاع العربي في اسرائيل بمناسبة يوم ٣٠ آذار » وعلى الرغم من انه « لا توجد أية دلائل على النية في عرقلة النظام والاخلال بالامن » ، الا ان السلطات « لا تسقط من حسابها ان يحاول بعض المتهورين اثارة اعمال الشغب » ، اذ ان « اوساطا متطرفة في قرى مختلفة تدعو الى نشاط مكثف في هذا اليـــوم ، وتطالـب التجار والعمال بالاضراب في ٣٠ آذار » ولذلك فان السلطات ستتدخل « لحماية الاكثريـة الصامتة في معظم القرى المعارضة لذلك » (معاريف ، دافار ٢٩ ـ ٧٧/٣/٣٠)٠

ولكي تبرر السلطات دفع اعداد هائلة من قوى الامن والجيش وحرس الحدود ، لقمـع اضطرابات او مظاهرات في فلسطين المحتلة ، فقد عمدت الى التهويل بأن « ثمة اعمـالا تخريبية سيكون مصدرها من خارج الحدود »٠ ولذا فان « حالة الطوارىء قد اعلنت فـي معسكرات الجيش ومراكز الشرطة وحرس الحدود ٠٠ وثمة قوات كبيرة من الجيش وضعت في حالة استنفار شامل » كما « واقيمت حواجز مشتركة من قوات الشرطة وحرس الحدود والجيش ، في جميع مفارق الطرق الرئيسية في الجليل » (المصدر نفسه) ٠

كذلك « استدعى الحكام العسكريون وعناصر الامن في ٧٧/٣/٢٩ رؤساء المجالـس المحلية والبلديات ، ورؤساء الغرف التجارية والمربين ، كي يحذروهم من استغلال يـوم الارض للتحريض على اسرائيل» ٠ كما «واصدرت وزارة التربية والتعليم اوامرهـا في ٧٧/٣/٢٩ للمعلمين في المدارس العربية في الجليل وسائر اجزاء البلاد ، ان يقيموا يوم دراسة عادي » (معاريف ، يديعوت احرونوت ، دافار ٢٩ ـ ٧٧/٣/٣٠) ٠

اما بالنسبة للعمال ، فلم تشير الصحف الى انذارات طرد وجهت اليهم ٠ لكنها ألمحت الى ذلك عبر تصريح شلومو هليل : بأن الكثير من المستخدمين يخافون من امكانية طردهم من العمل ، اذا انضموا الى اضراب وطني الدوافع ٠ (معاريف ٧٧/٣/٣٠)٠ او كما اوردت

معاريف الصادرة في ٧٧/٣/٢٥ على لسان عامل البناء من سخنين سعيد بركات الذي اجاب على سؤال وجه اليه « بالطبع سأذهب الى عملي ٠٠ ففي هذه الايام من الخطر ان يتحدى الانسان مصيره ٠٠ ولا اريد ان افقد مكان عملي »٠ وهذا ما يدل دلالة واضحة ، ان ثمة انذارات وجهت للعمال بطردهم من العمل ، وكذلك الموظفين ، رغم ادعاء الصحف بأن أحد القرارات التي اتخذها وزير الداخلية والشرطة شلومو هليل كان عدم توجيه انذارات للعمال والموظفين ، مماثلة للانذارت التي وجهت اليهم في يوم الارض السابق ، بفصل المضربين من اعمالهم ، أو أية انذارات اخرى » (دافار ، معاريف ٧٧/٣/٣٠) ٠

ومن ناحية اخرى ، فقد نشطت المحاكم في محاكمة معتقلي يوم الارض الماضي قبيل يوم الارض هذه السنة ، لكي تشكل تهديدا غير مباشر للاهالي ، وتخلق جوا ارهابيا ٠ اذ « حكمت محكمة كفار ـ سابا في اواسط شهر شباط ، على كل من عبد القادر عبد الرحيم ظاهر ، وحسام حسني ، وماهر حسني ، ومحمد زنديق ، وعبد الحفيظ فايز ، وعمر محمود ابو عيطة من رجال اليوم الخالد بالفي ليرة غرامة وحسن سلوك لثلاث سنوات ٠٠ وستجري محاكمة فؤاد عبد الحميد حاج يحيى في ٧٧/٣/١٣ ، وفي ٧٧/٣/٣٠ ستجري محاكمة دفعة اخرى » (الاتحاد ٧٧/٢/٢٥) ٠

واذا ما عدنا الى احداث يوم الارض في العام الماضي ، وجملة الاجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال لمواجهة يوم الارض ، ورغم كل ما حاولت تضليل الرأى العام به ، من اكاذيب وتسويف ، فاننا نرى انها نفس الخطوات تماما ، وان لم يكن ثمه تصريح واحد لشخصية رسمية بالنسبة لهذه الخطوات والاجراءات ٠ (انظر ، دافار ، معاريف ، يديعوت احرونوت ، هآرتس ٢٩ ـ ١٩٧٦/٣/٣٠) ٠

★★★

وهكذا اذن ، فقد اجمعت جميع الصحف الاسرائيلية الصادرة حتى يوم ٧٧/٣/٣٠ على ان « ثمة امكانية جديدة للحفاظ على الهدوء » وانه اصبح واضحا ان « جميع الاطراف تعمل كل ما في وسعها لمنع الاصطدامات ويأملون النجاح في ذلك » وان « الاهالي في قرى الجليل يؤكدون ان هذه المرة سيكون كل شيء على ما يرام » وان « يوم الارض هذه المرة سيمر بهدوء ودون احداث غير عادية » ، والى آخر هذه العناوين المطمئنة ٠٠

ولكـن ٠٠٠

« كان هذا الوجه الاول للعملة ، اما الوجه الآخر فيشير الى ان الوطنيين المتطرفين ، قد زادوا من نشاطهم في الايام الاخيرة في محاولة منهم لاثارة الاهالي ، واستنفار غضب الجماهير ، وتعميق احساسها بالقهر والاضطهاد ٠٠ وخاصة لدى طلاب الجامعات العرب الذين يميلون لابراز ميولهم القومية المتطرفة ، والذين يتوعدون بأن يرفعوا الشعارات الوطنية والقومية كشعار « بالروح بالدم » وان يهتفوا بها في الاحتفال الشعبي والمسيرة الاساسية لذكرى ٣٠ آذار التي ستقام بعد الظهر في قرية عرابة القريبة من سخنين » ٠ (معاريف ٧٧/٣/٣٠) ، وانه من المحتمل ان تؤدي أية شرارة صغيرة ، الى اشتعال شامل كما حصل في الماضي ، لا سيما وأن المتطرفين في القرى يحاولون اثارة الاهالي ويناشدونهم للتصدي لقوى الامن بالمظاهرات ، واقامة الحواجز ، واغلاق الطرق ، وما شابه ذلك » (المصدر نفسه) ٠

كما وانه « ليس من المستبعد ان تحاول عناصر متطرفة تنظيم المظاهرات في هذا اليوم ، وقد يجرون الاهالي لصدامات دموية مع قوى الامن ، اذ انه منذ الآن توزع ، وفي عدة قرى ، مناشير مجهولة الهوية ، وموقعة بأسماء عامة مثل « اللجنة التحضيرية » او « اللجنة الشعبية » والتي تناشد عرب القرى ان يخرجوا للشوارع في ٣٠ آذار » ، (معاريف ٧٧/٣/١٥) ، والتي تصف يوم ٣٠ آذار بـ « يوم الذكرى لارضنا الحبيبة كي نعبر بهذه الطريقة عن تشبثنا بها ، غير القابل للانتزاع ، ولتتوحد مع ذكرى الشهداء الذين سقطوا قبل عام على مذبح النضال من اجل الاراضي العربية الحبيبة » (المصدر نفسه) ٠

وفي الناصرة وجهت « الجبهة الديمقراطية » المنبثقة عن حزب راكاح الشيوعي ، وخريجي الجامعات ، نداء الى اهالي الناصرة تدعوهم فيه لان « يقفوا دقيقة صمت ، حدادا على شهداء الثلاثين من آذار ، في الساعة الثانية عشرة ظهرا ٠٠ كما دعت رؤساء الكنائس والمؤذنين ان يرفعوا الاذان في هذه الساعة ، وان يقرعوا الاجراس في الكنائس » (معاريف ٧٧/٣/٣٠) ٠ كما ودعا النداء ، اهالي الناصرة الى المشاركة الجماهيرية الواسعة من العمال والشبيبة والتلاميذ والجامعيين والتجار واصحاب المهن الحرة بل « وجميع ابناء شعبنا في المظاهرة الجبارة التي ستقام في عرابة ٠٠ ومواصلة النضال ضد السياسة التي لا تعرف الشبع في مصادرة الاراضي والاضطهاد ٠٠ وضد اخضاع شعبنا البطل ، ومواصلة المعركة للدفاع عن ارض وطنه » (المصدر نفسه) ٠
اما في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠٠

« فثمة حملة تحريض تتشكل منذ ايام للقيام باضراب شامل ، ومظاهرات في ٣٠ آذار ، وثمة اخبار بأن محرضين من حزب راكاح زاروا عدة اماكن في الضفة الغربية وغزة وحرضوا على القيام باضراب شامل في هذا اليوم » (معاريف ٧٧/٣/٢٩) ٠

كما تم توزيع منشورات كتبت بأيدي تلاميذ المدارس تدعو جميع الاهالي ، الى « شل حركة التجارة في المنطقة ، ولا شك ان العناصر المتطرفة في الضفة الغربية والذين يستغلون كل مناسبة ضد اسرائيل ، للقيام باضرابات ومظاهرات ، تعمل الآن كل ما في وسعها لعرقلة الحياة غدا » (المصدر نفسه) ٠

وكانت سلطات الاحتلال قد قامت بحملة اعتقالات وقائية واسعة في جميع مدن الضفة الغربية ، ومعظمهم « من الشبان الصغار وتلاميذ المدارس المشبوهين بالتحريض وتوزيع المنشورات التي تدعو الاهالي الى الاضراب العام والمظاهرات ، والى دحر الاحتلال الصهيوني ، كما وزعت منشورات اخرى تدعو الى الاضراب موقعة باسم « فتح » و « التنظيم الفلسطيني الشيوعي » ، كما و « رجم الشبان في مخيم بلاطة سيارة عسكرية بالحجارة فأطلق الجنود عليهم النار لتفريقهم» (دافار ، معاريف ٧٧/٣/٣٠) ٠

اما ايهود يعاري مراسل صحيفة دافار للشؤون العربية ، فقد كتب يقول صبيحة يوم الارض ٣٠ آذار « ٠٠ واثناء تجوالي في قرى الشمال والمثلث ، قبل اسبوع ، قيل لي في كل مكان ، انهم سيحيون ذكرى يوم الارض في آذار ، بالحجارة والاطارات المشتعلة »٠

وهنا يخترق ايهود يعاري جدار الصمت والتعتيم ، الذي مارسته جميع الصحف ووسائل الاعلام الاسرائيلية ، عما يجري في احتفالات الذكرى ، التي كانت قد اقرتها « اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي » في القرى والمدن العربية في فلسطين المحتلة ، ويكشف لنا في معرض حديثه ، عن بعض الحقيقة ، انه « قد تم اعتقال عشرات الشباب

في قرية جت في المثلث قبل ٣ ايام (٧٧/٣/٢٦) ، الذين استعدوا لاعمال العنف في يوم الارض ، فسارع رفاقهم الى اعلان الاضراب ، وفي الحال نشأ المصدر الاول للتوتر والمواجهة » ، وانه « وفي نفس المساء (٧٧/٣/٢٦) ، اضرمت النار في باص في قرية الطيبة مما ساهم في زيادة التوتر » (دافار ٧٧/٣/٣٠) ٠

ويضيف ايهود يعاري كاشفا الستار لاول مرة ايضا عن انه قد « اقيمت في ٧٧/٣/٢٦ يوم السبت ، الاحتفالات السنوية ليوم الارض في شفا عمرو وكفر كنا » وانها قد تمت دون اية احداث ، وبأعداد ضئيلة نسبيا ، اذ شارك فيها ما « يقارب ٤٠٠ شخص في شفا عمرو ، و ٨٠٠ شخص في كفر كنا » وانه « تم احتفال مشابه في ٧٧/٣/٢٩ ، في قرية الطيبة في المثلث دون اية احداث » كما كان « احتفال آخر في أم الفحم » (المصدر نفسه)٠

وينتهي ايهود يعاري الى تلخيص مجمل الاوضاع والاجواء السائدة لما سيحدث في يوم الارض ٣٠ آذار ، بأن « النية الطيبة لقوى الامن وللقائمين على تنظيم يوم الارض للحفاظ على النظام ومنع الصدامات ، تقف في الامتحان نتيجة لنشاط المتهورين والطائشين ، مما يتطلب الحذر والمراقبة الدائمين » وكذلك الامر بالنسبة « للضفة الغربية وقطاع غزة ٠٠ حيث تنوي قوى الامن اتباع خط مشابه للخط في الجليل والمثلث » ويلخص يعاري هذا الخط بأنه « ضبط النفس ، والامتناع عن الاستفزازات ، وفي حالة الاستعداد لاعمال العنف ، فليكن تدخلا سريعا وحاسما » ولذلك فان « وزير الشرطة شلومو هليل سيشرف على الوضع بنفسه من غرفة العمليات الخاصة في الناصرة ، كي يمنع التدهور في حال نشوب صدامات » (دافار ٣٠-٣-١٩٧٧) ٠

ومن الجدير بالذكر ان وزير الشرطة شلومو هليل قد اتبع نفس الطريقة في يوم الارض السابق ، حيث « وصل في ٢٩ - ٣ - ٧٦ الى مدينة الناصرة كي يترأس بنفسه غرفة العمليات الخاصة التي ستتولى تنسيق عمليات قوات الشرطة والجيش » (دافار ٣٠-٣-١٩٧٦) ، وقد اشرف بنفسه على الأحداث الدامية التي ميزت يوم الارض الماضي ٠

ثم ينهي ايهود يعاري تحليله للوضع عشية يوم الارض بأن « هذه هي الصورة الصحيحة حتى الامس ٢٩ - ٣ - ٧٧» ثم يتساءل « فهل تكون صحيحة لهذا اليوم ، الثلاثين من آذار » (دافار - ٣٠-٣-٧٧) ٠

★★★

وفي يوم الارض ٣٠ آذار

اذا كانت الصحف الاسرائيلية ووسائل الاعلام قد عمدت ، وقبل شهر من يوم الارض ، الى تزييف الحقائق ، واسدال ستار كثيف على حقيقة ما يجري من استعدادات ليوم الارض ، مشاركة في حملة التضليل التي اعتمدتها سلطات الاحتلال ، التي منعت هذه المرة ، كما تقول وكالة رويتر ، المصورين ورجال الصحافة التقدمية والعالمية ، من الاقتراب من القرى والمدن الفلسطينية العربية ، الى حد اقامة الرقابة الشديدة على الصحف والاخبار المرسلة الى الخارج ، بل واغلاق بعض الصحف العربية الصادرة في الارض المحتلة ، التي نشرت اخبار الاحتفالات التأبينية التي اقيمت في بعض المدن والقرى

الفلسطينية طيلة الاسبوع السابق ليوم الارض ، في سبيل انتهاج سياسة طمس كاملة لما سيجري يوم الارض من احتفالات قد ترافقها صدامات مع رجال الشرطة والجيش وحرس الحدود ، ومن اعمال عنف في كافة انحاء فلسطين المحتلة · وخاصة الاحتفال التابيني الرئيسي ، الذي اقرته « اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي » في المثلث والجليل ، عرابة وسخنين ودير حنا في ٣٠ اذار ، والتي كانت مسرحا للاحداث الدامية في يوم الارض في العام الماضي ·

فلا عجب اذن ، ان تطالعنا اذاعة اسرائيل – والتي التزمت طيلة اسبوع الارض دون ان تذكر خبرا واحدا عما جرى في ام الفحم والطيبة وكفر كنا وغيرها من المدن والقرى العربية في فلسطين المحتلة – في برنامجها العبري « شخصيات واحداث في الاخبار » صبيحة الثلاثين من آذار بأن « التقارير الاولية تفيد بأن الحياة في القطاع العربي تسير حتى هذه الساعة بشكل تقليدي » ، وان « جميع العمال توجهوا الى اعمالهم » ، وحتى الساعة السادسة صباحا لم يسجل سوى « حادث واحد شاذ وطفيف في قرية طمرة في الجليل الغربي » اذ « اضرم مجهولون النار باطارات السيارات في ساحة القرية في الساعة الرابعة من فجر اليوم » وتضيف انه « لم يعتقل اي شخص حتى الان ولم يعرف الفاعل » (ر٠ف٠ ١٩٧٧/٣/٣٠) ·

وفي برنامج الظهيرة اذاعت انه « كان اليوم ·· يوم الذكرى السنوية الاولى « ليوم الارض » ، وقد مر هادئا في المناطق العربية في شمال البلاد وفي المثلث ، وان شيئا لم يحدث حتى ساعات الظهيرة ، ولكن جرت بعض المحاولات لسد الطرق امام السيارات المؤدية الى بعض القرى العربية ، وذلك باحراق الاطارات على الشارع ، وقد حدث ذلك في قرية طمرة في الجليل وقرية جت في المثلث » (ر٠ف٠ ٧٧/٣/٢٩) ·

وكذلك الامر في نشرتها المسائية ، حيث اوردت ان « الذكرى السنوية الاولى ليوم الارض قد مرت بهدوء ، وفي بعض القرى ، في الجليل والمثلث » ، واضافت انه « لم تحدث اية اصطدامات او اضطرابات » (المصدر نفسه) ·

ولقد لخص مراسل الاذاعة يوئيل دار احداث يوم الارض بانها « جرت بهدوء تقريبا ، فالحياة في القطاع العربي سارت كعادتها ، ودقيقة الصمت التي اعلنت عنها لجنة الدفاع عن الاراضي العربية لم تحترم في الناصرة على الاقل » وان مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية بالوكالة بنيامين غور – اريبه ، « كان راضيا تماما لان الامور لم تصل الى حد المواجهة والصدام ، وكذلك اعرب قائد اللواء الشمالي في شرطة اسرائيل المفوض مردخاي رون عن ارتياحه » (المصدر نفسه) ·

وكان المفوض رون ، قد صرح بأن يوم الارض كان « كما توقعنا » · وان كان الشعار « يجب ان تكون الاعمال كالمعتاد ، وبالفعل ، ففي كل مكان خرجوا الى العمل كالمعتاد ، والدراسة في جميع المدارس في القطاع العربي سارت كالمعتاد » (المصدر نفسه) ·

وهذا ما اوردته جميع الصحف المسائية التي كتبت على صفحاتها الاولى وبعناوين كبيرة « هذا الصباح ساد الهدوء في الجليل ومعظم العمال العرب خرجوا الى مواقع عملهم ··· وحركة السير في طرق الجليل كانت كالمعتاد البارحة واليوم · وهذا الصباح خرج مئات العمال من قراهم الى اماكن عملهم ، ودون اعتداء من جانب المتطرفين عليهم ··· وكذلك في الضفة الغربية ، خرج جميع العمال للعمل ، والمواصلات العامة تسير

بانتظام » (معاريف ، يديعوت احرونوت ٧٧/٣/٣٠) ٠

اما معلق اذاعة اسرائيل فيلخص يوم الارض بأنه « لم يترك آثاره على الشباب ، وقد امضى ١٥ ألف شاب وشابة يومهم في نزهات في جبال الجليل والجـــولان (ر١٠١٠ ٣٠ معاريف ٧٧/٣/٣١) ٠

ولكي نقف على مدى التنسيق بين هذه الصحف واجهزة الاعلام الاخرى ، وسلطات الاحتلال الصهيونية ، على تزوير الحقائق والتعتيم عليها ، وعلى تشويه حقيقة احـــداث يوم الارض في فلسطين المحتلة ، ولكي نلتقط ولو صورة النضال الرائعة لشعبنا في هذا اليوم ، فلا بد وان نستعرض ما حدث في مدن وقرى فلسطين المحتلة في يوم الارض ، من خلال ما وقعت فيه هذه الصحف ، رغم تنسيقها ، من ارتباك وتناقض فيما نقلته ٠

ففي الناصرة

نقل مراسل الاذاعة الاسرائيلية يوئيل دار ، وصفا حيا لما يجري قائـــلا : « وقفـــت مجموعات من الشباب ، كما وقفنا نحن ، ولكن حبا للاستطلاع فقط ، وهكذا فاننا لم نشاهد اي شخص يقف مستعدا في الساعة الثانية عشرة ظهرا كما كان مخططا ٠٠٠ كما ان اجراس الكنائس لم تقرع ٠ دقة حزن واحدة قرعتها كنيسة الروم الارثوذكس ، قبل دقائق من اجل موت احد افراد الطائفة ، وليس من اجل يوم الارض ، والصلاة اقيمت في مسجد السلام قبل الموعد المحدد بربع ساعة » (ر١٠١٠ ٧٧/٣/٣٠) ٠

الا ان صحيفة يديعوت احرونوت تقول « وفي الناصرة اصدرت البلدية بيانا تقول فيه انه « في هذا اليوم تجسدت وحدة الشعب العربي وارادته القوية والحاسمة ، في متابعة النضال من أجل حقوقه المشروعة على أرضه ووطنه » (يديعوت احرونوت ٧٧/٣/٣٠)٠

وتعقب الصحيفة على ان «هذه هي المرة الاولى التي تتحدث فيها جهة عربية اسرائيلية عن حقوق في الوطن ، مما اثار ردود فعل عنيفة لدى الاوساط اليهودية » (المصدر نفسه)٠

وتنفي الصحيفة هنا ان تكون الاجراس قد قرعت ، « فالاجراس لم تقرع في المدينة بالمرة » حتى ولو دقة حزن على أحد الاموات كما ذكر يوئيل دار كما لم تذكـر ما اذا كان المؤذنون قد نادوا للصلاة ، وسواء كان ذلك قبل الوقت او في الوقت ، ولكنها تحدثت عن « رواد المقاهي الذين لم يقف منهم احد » وعن « حديث الساعة في هذه المقاهـــي عـن الاحداث التي لم تقع » ولكنها لم تذكر بتاتا ما هي الاحداث التي لم تقع في الناصرة ، والتي راح رواد المقاهي يختلقونها ٠ لتأتي صحيفة معاريف بعدها وتؤكد هي الاخرى ان « الكنائس لم تقرع اجراسها » ولتؤكد ، وخلافا للتقرير الاذاعي ، ولما جاء في صحيفة يديعوت ان « المؤذنين اذنوا » ولكنها استدركت « لصلاة الظهر كالمعتاد فقط » (معاريف ٧٧/٣/٣١) ٠ ولكن صحيفة دافار الرسمية والصادرة صبيحة اليوم التالي ليوم الارض ٧٧/٣/٣١ لم تذكر شيئا عن الناصرة ٠

قرية طمرة ٠

وعما دار في قرية طمرة افادت الاذاعة انه « حتى الساعة السادسة صباحا لم يسجل سوى حادث واحد وطفيف « اذ اضرم مجهولون النار باطارات السيارات في ساحة القرية

وانه لم يعتقل أي شخص » (ر١٠١٠ ٧٧/٣/٣٠) ٠ الا أن صحيفة معاريف تقول أن حاجز الاطارات المشتعلة كان في « مدخل القرية » بينما تقول يديعوت احرونوت انه كان في « مدخل الشارع المؤدي الى القرية » (معاريف يديعوت احرونوت ٧٧/٣/٣٠) ٠ وفي اليوم التالي ذكرت الصحيفتان ان الحدثين الوحيدين في الجليل كانا في « قرية طمرة وقرية كابول » ، وليس في قرية طمرة وحدها كما ذكرتا قبل يوم ٠ ثم تأتي صحيفة دافار فتكتفي بذكر ان كل ما حدث في الجليل هو « فقط في مدخل قرية طمرة ، اكتشفت الشرطة حاجزا فازالته » (دافار ٧٧/٣/٣١) ، ولم تذكر حتى اي نوع من الحواجز كان ٠

الاحتفال الرئيسي في عرابة وسخنين ودير حنا ٠

وبالنسبة للاحتفال الرئيسي ، في قرية عرابة ، صرح آمر لواء الشمال المفوض رون في رده على سؤال وجهه له مراسل الاذاعة الاسرائيلية « اما في عرابة ، فقد جرى الاحتفال الشعبي كما خطط له ، وبموجب ترخيص ٠ وكانت المشاركة أقل بكثير من تقديرنا ٠ وحسب **تعدادنا** كان هناك ما بين ٢٠٠٠ ـ ٢٢٠٠ رجل ، وفي الوقت نفسه رأينا اشخاصا آخرين يعملون في الحقول المحاذية للاجتماع نفسه » (ر١٠١٠ ٧٧/٣/٣٠) ٠

ويقول يوئيل دار مراسل الاذاعة في تقريره الصوتي ، ان هذه المقابلة اجراها مع المفوض رون ، في الساعة الخامسة بعد الظهر ، وانه كان قبل ذلك في قرية عرابة ، حيث جرى الاحتفال الرئيسي ، وان « المشاركين في الاحتفال جاؤوا مشيا على الاقدام ، وبالسيارات وبينهم بعض المجموعات اليهودية » وان الجماهير كانت تهتف « بالروح بالدم نفديك ياجليل » و « بالروح بالدم حنكمل المشوار » ، ويضيف دار ان هذه الجماهير كانت تهتف وهي « تلوح بشارة الانتصار عندما مرت طائرة عمودية من فوق رؤوسها » (ر١٠١٠ ٧٧/٣/٣٠) ٠ وكان رئيس المجلس المحلي في عرابة محمود نعامنه قد اتهم السلطات في الخطاب الذي القاه ، انها « دفعت اجهزة الاعلام لتشوه صورة موقفنا وعدالة قضيتنا ، لكي تبرر التصرف ضدنا » واضاف « لقد رفعنا اصواتنا ٠٠ فقالوا : متطرف يعمل ضد القانون والدولة ٠٠ ان كل هدفنا هو الحيلولة دون مصادرة الاراضي ، لان الارض هي مصدر بقائنا » ٠ اما الخطباء الاخرون فقد « تحدثوا بنفس اللهجة » (المصدر نفسه)٠

اما صحيفة معاريف الصادرة في ٧٧/٣/٣١ ، فتقول ان الاحتفال الرئيسي الذي اقيم في ساحة مدرسة عرابة اشترك فيه ٣٠٠٠ رجل تقريبا وان المنظمين لهذا الاحتفال قد عبروا « عن خيبة املهم لهذا العدد القليل » وتضيف الصحيفة واصفة ان « سيارات المشتركين في الاحتفال تحركت على الطرق بشكل تظاهري ، وباضواء عالية ، وابواق متواصلة » وان المشاركين تجمعوا في البداية « في ساحة القرية حيث وضعوا اكاليل الزهور على النصب التذكاري الذي اقيم لذكرى شهداء يوم الارض الستة » ومن هناك واصلوا طريقهم بانتظام ، في قافلة طويلة في ازقة القرية ، وهم « يزأرون بشعار بالروح بالدم نفديك يا جليل » ولم تذكر الصحيفة من خطاب رئيس المجلس سوى انه قال « يجب الاسف على كل ما حدث في هذا اليوم من العام الماضي » وان « كل اهدافنا كانت منع مصادرة الاراضي التي هي مصدر عيشنا » اما عن الخطباء الاخرين فتقول ان بعضهم « دعوا الى التعايش بين الشعبين ، والبعض الاخر تكلم عن قدسية الارض العربية » (معاريف ٧٧/٣/٣١) ٠

وتقول يديعوت احرونوت انه « بين **الالاف** التي تدفقت الى القرية ، منهم من جاء بالسيارات ومنهم من جاء ماشيا ، وفي ايديهم اكاليل زهر ويافطات ، ونصب لذكرى

شهداء يوم الارض في السنة الماضية » وانه قد «برز عدة عشرات من اليهود اليساريين» وأثناء المظاهرة تعالت الهتافات « بالروح بالدم نفديك ياجليل » « وكلنـــا فدائيون ·· كلنا ثوار » و « فلسطين عربية » (يديعوت احرونوت ٧٧/٣/٣١) · وتضيف الصحيفة معلقة « ولكن رغم هذا النغم المعادي جدا ، الذي اتبعه الخطباء في الحفل التأبيني ، تفرق المشتركون بهدوء ، ودون ان يضطروا قوى الامن التي كانت تضرب طوقـا حـــول القرية ، للتدخل » (المصدر نفسه) ·

ثم تأتي صحيفة دافار الرسمية لتذكر ان عـــد المشاركيـن في الاحتفال الرئيسي كـان « ١٠ **الاف شخص** » وان الخطباء كانوا « رئيس المجلس المحلي في سخنين ، ورئيس المجلس المحلي في عرابة . ورئيس بلدية الناصرة توفيق زياد وخطباء اخرون » وانهم تكلموا ضد مصادرة الاراضي » وانه قد « سمعت في الاحتفال شعارات ضد مصادرة الاراضي وضد اقامة المستوطنات اليهودية عليها » · وانه الى جانب المنصة « وضعت اكاليل الزهور لذكرى الضحايا الستة قبل عام » ودون ان تذكر شيئا عـــن النصـــب التذكاري ·

اما بالنسبة لقريتي دير حنا وسخنين . فلم تذكر وسائل الاعلام عنهما شيئا ·

الطيرة والطيبة وجلجولية وكفرقاسم وقلنسوة

وفي هذه القرى العربية « مر يوم الارض بهدوء وبدون احداث خاصة ، مما يبرر تدخل قوات الشرطة وحرس الحدود ، باستثناء بعض الحواجز الصغيرة من الحجارة التـي اقيمت البارحة على ايدي شبان صغار في طريق كفرقاسم ـ مسحه ، وطريق الطيبة ـ قلنسوة · وقد ازيلت هذه الحواجز **على ايدي الاهالي انفسهم** » (معاريف ٧٧/٣/٣١) ·

اما صحيفة دافار الصادرة في ٧٧/٣/٣١ فتقول ، ان « ثمة اطارات اشعلت بالقرب من الطيبة في ساعات الصباح ، بعد ان اقام حزب راكاح احتفالا مسـاء الثلاثاء مخصصا ليوم الارض ، وشارك فيه مواطنون من خارج القرية بما فيهم يهود من راكاح » وتضيف الصحيفة ان رئيس المجلس المحلي في الطيبة ، عبد الحميد ابو عيطة قد « القى خطابا هاجم فيه الدولة » وانه قال « نحن لن نحرق الاطارات وحسب ، وانما سنحرق **الطائرات** ايضا » وانه «هدد في ان يتعرض لاحد رجالات الدولة بالاذى ، ودعا الـــى التظاهـر والاضراب في يوم الارض » (دافار ٧٧/٣/٣١) · ولكن الصحيفة لم تذكر لماذا هذه اللهجة العنيفة في خطاب رئيس المجلس المحلي في الطيبة ، ولماذا ستنتقل المجابهة من حرق الاطارات الى حرق الطائرات : هل لان سلطات الاحتلال استعملت الطائرات في قمع المظاهرات كما تقول رواية رويتر ، ام لانها كانت تحلق فوق الاحتفال استعدادا لقمـــع اية مظاهرة كما حلقت فوق الاحتفال في عرابة للارهاب · بل لم تذكر الصحيفة كيف يمكن لرئيس مجلس محلي ان يهدد علنا وباحتفال شعبي باغتيال احد رجالات الدولة ، فهل كان ثمة تهديد من سلطات الاحتلال بالتعرض لحياته ، ام كان ذلك تمهيدا لاعتقاله واتهامه بالتهديد بالاغتيال ، ومن ثم محاكمته !؟ وهذا ما لم تتطرق اليه الصحيفة ، ولكنه كان واضحا ·

اما في كفرقاسم فتقول الصحيفة « وفي كفرقاسم في المثلث ، اضرب معظم التلاميذ عن الدراسة ، وقد اشعل التلاميذ المضربون الاطارات في مداخل القرية ، ومنعوا الوصول

اليها ، كما واضرب التجار ايضا » (المصدر نفسه) ٠

اما في الطيرة والقرى المجاورة لها فقد « حرض اليساريون الاهالي وذكروهم بمذبحة تشرين ١٩٥٦ (مذبحة كفرقاسم) » وانه في ساعات الصباح ، عندما وصلت الباصات لنقل التلاميذ الى المدرسة الثانوية في الطيرة ، واجهوها بالحجارة والاطارات المشتعلة ٠ ولم يذهب التلاميذ الى المدارس ، والعمال لم يخرجوا » الا ان « قوى الامن التي كانت في المكان لم تتدخل » (المصدر نفسه) ٠

باقة ـ الغربية وجت

واخيرا ورغم حملة التعتيم وتشويه الحقائق لما جرى من احداث في يوم الارض ، حتى في الصحف الصادرة بعد يوم الارض ، ورغم كل ما اتخذته سلطات الاحتلال من اجراءات لمنع تسرب الاخبار عن عملياتها الانتقامية وما رافقها من صدامات دامية ، ضد المواطنين العرب في الارض المحتلة ، كان لا بد لها وان تتكشف ، فللدم لون لا يخفى ، وللغضب صوت يخترق كل الحواجز ، وان كانت من حديد ونار ٠

ففي الوقت الذي كانت قرية باقة الغربية كلها ساحة معركة ، وكذلك قرية جت ، بين قوات الشرطة والجيش وحرس الحدود ، ومنذ الساعة العاشرة من صباح ٣٠ اذار يوم الارض ، كانت اذاعة اسرائيل تذيع في برنامج الظهيرة ان « بعض الشبان الصغار في باقة الغربية ، حاولوا سد الطريق المؤدية الى المدرسة هناك ، ولكن رئيس المجلس طلب من الشرطة المحلية ان تعالج الموضوع ، دون اي تدخل من الخارج » ٠ اما في قرية جت « فقد قدم رئيس المجلس شكوى بسبب قطع اسلاك الهاتف في القرية ، وبشكل اجمالي لم يحدث أي شيء ، حيث ذهب العمال الى أعمالهم ، وكذلك المزارعون الى حقولهم » (ر٢٠٦٠ ٧٧/٣/٣٠) ٠

ثم عادت الاذاعة ونقلت في المساء تقريرا صوتيا لمراسلها يوئيل دار ، ولا بد لنا من نقل ما جاء في التقرير كما ورد بالنسبة لهاتين القريتين :

« المذيع روعيه ـ مرت الذكرى السنوية الاولى ليوم الارض بهدوء ، وفي بعض القرى، في الجليل والمثلث ، جرت عدة محاولات لسد الطرق ، واحرقت الاطارات ، ولكن كما قلنا لم تحدث **اصطدامات ولا اضطرابات** ٠ يوئيل دار يلخص احداث اليوم : »

«يوئيل دار ـ مرت احداث هذا اليوم بهدوء تقريبا ، فالحياة في القطاع العربي سارت كعادتها ٠٠٠ وكان مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية بالوكالة بنيامين غور ـ اريبه راضيا تماما ، لان الامور لم تصل الى حد **المواجهة والصدام** ٠ وكذلك اعرب آمر اللواء الشمالي في شرطة اسرائيل المفوض مردخاي رون عن ارتياحه بقوله :

« المفوض مردخاي رون ـ تماما وكما توقعنا ، فقد كان شعارنا « يجب ان تكون الاعمال كالمعتاد » ، وبالفعل ففي كل مكان خرجوا الى العمل كالمعتاد ، والدراسة في جميع مدارس القطاع العربي سارت كالمعتاد ٠ لقد عقدت تجمعات هنا وهناك ، ووقع بعض اعمال خرق للنظام من جانب بعض الشباب او الفتية الطائشين ٠٠٠ **وجرى بعض اعمال الشغب في باقة الغربية وجت** ٠»

« يوئيل دار ــ ما الذي حدث في هاتين القريتين ؟ »

«المفوض مردخاي رون ــ قام الاولاد هناك ، **وخلافا لرأي الكبار** ، بمحاولة لسد الطرق الداخلية ، واشدد على كلمة **داخلية** ، حيث انه لم يسد اي طريق رئيسي في دولة اسرائيل· وبسبب ذلك تدخلت قوات الشرطة لفتح هذه الطرقات » ·

« يوئيل دار ــ هناك **شائعة** تقول ان افراد الشرطة استخدموا القوة في قرية باقة ــ الغربية ، فما الذي حدث هناك في الحقيقة ؟ »

« المفوض مردخاي رون ــ قام هناك عدد من الفتيان بمحاولة لسد طريق داخلي في القرية ، ومن ناحية اخرى **طلب الكبار مساعدة الشرطة** لفتح الطريق · وهكذا دخلت قوات الشرطة وفرقتهم كما يقضي القانون ·· ومن الواضح ان كل من يحاول رجم الشرطة بالحجارة يعرض نفسه للخطر » · (ر١٠١٠ ٧٧/٣/٣٠) ·

اما صحيفة معاريف المسائية الصادرة في ٣٠ آذار يوم الارض ، فلم تذكر عما حصل في قريتي جت وباقة سوى انه « في قرية جت اعتقل البارحة احد المحرضين » ، بينما لم تذكر صحيفة يديعوت احرونوت الصادرة في نفس اليوم عن ذلك شيئا ، مما يشير الى الارتباك الذي وقعت فيه هاتان الصحيفتان لعنف ما حصل فعلا ، الا انهما عادتا وذكرتا في اليوم التالي ليوم الارض ان « بؤرة التوتر كانت في قريتي باقة الغربية ، وجت في المثلث ··· اذ اقام التلاميذ في قرية جت ، حواجز من الاطارات المشتعلة والحجارة على طريق طول كرم باقة الغربية ، واشعلوا الاطارات داخل القرية ، وقطعوا خطوط الهاتف ، وقد وصل رجال الشرطة وحرس الحدود الى المكان ، وفرقوا تجمعات الطلبة التي كانت في قرية جت » (معاريف ، يديعوت احرونوت ٧٧/٣/٣١) · وتضيف الصحيفتان ممعنتين في تزوير الحقائق واختلاق الاكاذيب لتبرير مهاجمة قوات الشرطة والجيش للقرية ، بأن « وجهاء واعضاء المجلس المحلي في باقة الغربية ، عجلوا على تهدئة الخواطر في القرية، ولكن دون فائدة » ، وان « عضو المجلس المحلي منصور عتامنه جاء بنفسه الى تجمع قوى الامن حيث كان أمر لواء الشارون حاضرا وطلب اليه عدم دخول القرية بقواته ، وان يترك الامر للوجهاء والمحليين لازالة الحواجز وتهدئة الخواطر » وان الفرصة « قد اعطيت للوجهاء ولعضو المجلس مرتين » وان « حرس الحدود ابعد من المكان » الا ان عضو المجلس منصور عتامنه « عاد في النهاية واعلن بأنه فشل في جهوده **لتفريق المتظاهرين** » ولذلك « اعطيت عندها الاوامر لمهاجمة المتظاهرين ، واندفع رجال الشرطة يتقدمهم جرار ثقيل لتسوية الشارع أمامهم ، بينما راح المتظاهرون يمطرونهم بوابل من الحجارة » (المصدر نفسه) · وتضيف الصحيفتان منهيتين وصف ما حدث ، بانه « خلال هذا الصدام جرح عدة متظاهرين ، ونقلوا الى مستشفى هليل يافيه في الخضيرة » وان التوتر قد استمر حيث حدث اخلال بالنظام عدة مرات ، الا انها كانت حوادث فردية » (المصدر نفسه) · ثم تعلق يديعوت احرونوت ان « تصرف الشرطة العنيف هو الذي منع اعمال الشغب في القرى الاخرى » (يديعوت احرونوت ٧٧/٣/٣١) ·

ولكن صحيفة دافار الرسمية علقت تقول « في جت اغلق صباح أمس مدخل الشارع المؤدي الى القرية ، الا ان الشرطة ازالت الحواجز وفرقت المتظاهرين » واضافت «وبالقرب من محطة البنزين في باقة الغربية اشعلت عدة اطارات الا ان هذا الحادث صفي ايضا وعادت الحياة الى طبيعتها » (دافار ٧٧/٣/٣١) ·

الا ان هعولام هازيه كتبت في عددها الصادر في ٧٧/٤/٦ تحت عنوان « ما الذي حدث في باقة الغربية » تقول (بعد ان فندت أكاذيب الصحف الاخرى والناطقين باسم الشرطة عن الهدوء الذي ساد يوم الارض والاعمال التي جرت كالمعتاد) : « ٠٠٠ خلافا لكل التقارير الرسمية ، ففي الساعة التاسعة اقتحم القرية ما يزيد على ٥٠٠ من افراد الشرطة والجيش وحرس الحدود » ٠ واضافت الصحيفة « ٠٠ وقد اقتحم الجنود مقهى ابراهيم فارس ابو منع الذي كان يعج بالزبائن ، وراحوا يحطمون كل ما في طريقهم ، كما واقتحموا مطعم « شراغ باقة » ، وسرعان ما القي في الشارع سبعة جرحى ، ينزفون دما ، نقلوا بعدها الى المستشفى حالا » وتضيف المجلة واصفة « ٠٠٠ لقد كان المشهد رهيبا : دماء تسيل ، واطفال جرحى ملقون في عرض الشارع ، وولولات امهات فزعات » وان « معظم الجرحى كانوا من تلاميذ المدرسة ، وكذلك المعتقلون » (هعولام هازيه ٧٧/٤/٦) ٠

وتضيف المجلة ان « الاهالي المذعورين سارعوا للاختباء في بيوتهم ، والقرية بدت كلها وكأنها مدينة اشباح » الا ان هذا الهدوء الذي خيم على القرية « لم يخفف من شهية الجنود وحرس الحدود للانتقام ، فقد استمروا في الاندفاع في ازقة القرية ، وهم يقذفون القنابل المسيلة للدموع ، وقنابل الدخان داخل البيوت » ، لم يتركوا القرية الا « في الساعة السابعة مساء » (المصدر نفسه) ٠

ثم علقت المجلة بقولها «٠٠٠ وفي اليوم التالي ليوم الارض ، بدأت حملة الدعاية الكاذبة في الصحف ووسائل الاعلام » وكانت احدى هذه الاكاذيب التي نشرتها الصحف تقول « ان احد اعضاء المجلس في القرية منصور عتامنه ، تفاوض مع الاهالي لتهدئة الخواطر باسم الشرطة ، وانه بعد ان اعلن عن فشله في وساطته ، اقتحم الجنود القرية وفرقوا المتظاهرين » الا ان « هذا الخبر الذى سارع الناطقون باسم الشرطة لتزويد الصحف به ، كان مجرد خبر خيالي ، اذ ان منصور عتامنه لم يكن في ذلك الصباح في باقة الغربية مطلقا » (المصدر نفسه) ٠

كما وكتبت الصحفية يوئيلا هار ـ شفي في نفس المجلة في عددها الصادر يوم ٧٧/٦/١٣ ، رسالة مفتوحة الى رئيس المجلس المحلي في باقة الغربية جاء فيها « ٠٠٠ اخي جلال، لم اعرف لان احدا لم ينقل الي ذلك ، لا في الصحف ، ولا في الراديو ولا في التلفزيون ٠ اعرف انك تعرف ذلك ، لكنني لا اعرف كيف كان ذلك ممكنا ، في باقة الغربية التي لا تبعد عن نتانيا سوى بضعة كيلومترات تهبط طائرة عمودية في ساحة المدرسة اثناء الدراسة ، والجنود وحرس الحدود يهاجمونها بالقنابل المسيلة للدموع ٠ كيف استطيع ان اشرح ولو لنفسي ، ان ٢٠٠٠ طالب يندفعون من غرف صفوفهم ذاهلين ويتراكضون في اتجاه القرية ، والجنود يطاردونهم ـ ومواطنو اسرائيل لا يعرفون ٠٠ لا يسمعون الصراخ ، ولا يرون المشهد ! » واضافت « اعرف انه لم يكن لديك الوقت لترى الصحف ، ولكن جميعها قالت ان المواطنين العرب خيبوا آمال المتطرفين ولم ينجروا خلف تحريضاتهم ، ولكنني لم اكن اعرف انه في اللحظة التي نشر هذا الخبر فيها ، عن هدوء عرب اسرائيل ، كان الجنود وحرس الحدود يقبرون فيها المدرسة الثانوية في باقة الغربية » (المصدر نفسه) ٠

وتنهي يوئيلا هار ـ شفي رسالتها بقولها « اخي جلال ٠٠ اعترف انني خائفة ٠ خائفة كما لم اخف في اية مرة ٠ لا في عام ١٩٤٨ ، ولا في يوم الغفران ، حتى ولا في ايام الانتظار التي سبقت حرب الايام الستة » (المصدر نفسه) ٠

اما مراسل صحيفة عل همشمار قاسم زيد ، والذي زار القرية في اليوم التالي ليـــوم الارض ، فقد كتب في ملحق عمل همشمار الصادر يوم ٧٧/٤/٨ ان « قوات كبيـرة من الشرطة وحرس الحدود ، ترافقها المصفحات البرمائية وعشرات الآليات اقتحمت القرية » وانه في الاتصال الذي تم بين رئيس المجلس المحلي جلال ابو طعمه ، والذي كان خارج القرية ، وليس كما ادعى آمر لواء الشمال في حديثه في الاذاعة ، امر أبو طعمـه نائبـه مراد قعدان أن « يغلق مكاتب المجلس حالا ، اذا لم تخل الشرطة القرية » ٠

الا ان « قوات الشرطة تمركزت الى جانب المدرسة حيث يدرس ٢٠٠٠ تلميذ ، كانوا منهمكين تلك الساعة في دروسهم النظامية ، وفجاة حطت طائرة عمودية في ساحة المدرسة٠ واقتحمت قوات حرس الحدود المبنى وهي تلقي القنابل المسيلة للدموع ، مما اذهل التلاميذ، وكل توسلات مدير المدرسة ومعلميها امام قادة « العملية » ، ان يكفوا عن مهاجمتهم ، ذهبت ادراج الرياح » ٠٠٠ وبعد الساعة الثانية عشر ظهرا ، اقتحمت قوات اضافيـة القرية ، وهاجمت الحوانيت المفتوحة وبيوت السكن ، وراح الجنود يقذفون البيوت والمارة من نساء واطفال وعجائز بالحجارة ٠٠٠ مستعملين كل وسائل التحقير والاذلال ، موجهين كل الشتائم القذرة للنساء والاطفال ، ولم يتركوا بيتا واحدا في القرية المنتشرة علـى مساحة واسعة الا ودخلوه » وهذه القوات « بقيت حتى ساعات المساء مكررة نفس العملية بعد الظهر ، حيث كان الهدف هذه المرة ، العمال العائدين من اعمالهم ، حيث كمنـوا لهـم في المحطات ، وانهالوا عليهم ضربا حين نزلوا من السيارات » ولم تكتف قوات الشرطة بكل ما فعلته بل اقتحمت القرية مرة اخرى ، وراحت تقذف جميع البيوت بالغاز المسيل للدموع ، وطاردت الاهالي بالمجنزرات البرمائية ، وسيارات الشرطة وخراطيم الميـــاه الملونة » ٠

ويضيف الصحافي العربي قاسم زيد أن « الجنود اقتحموا بيت الارملة عائشة بيادسة ـ والتي كان المجلس المحلي قد منحها جائزة الام المثالية لهذه السنة ـ وانهالوا على ولديها ابراهيم وجلال عبد الرازق بيادسة اللذين كانا يتناولان طعامهما ، بالضرب المبرح امام عيني والدتهما ، ثم جروهما الى الخارج واوثقوهما الى مؤخرة سيارة الجيب العسكرية، التي راحت تطوف بهما شوارع القرية ، بينما كان قائد الجيب يعطي اوامره للسائق بالدوس على الفرامل بشكل مفاجيء ، كلما استطاع الاخوان التعلق بمؤخرة السيارة ، بينما كانت والدتهما تجري خلفهما وتتوسل الى الشرطة ان تطلق سراح ولديها ، الا ان جواب رجال الشرطة الوحيد على توسلاتها كان الشتائم الاباحية القذرة » (عل همشمـار ٧٧/٤/٨) وكانت قوات الشرطة تعتقل الشبان ومن بينهم الجرحى وتنقلهم ، بعـد ان توسعهم ضربا ، الى « مكان تركيز الاسرى » ٠

وقد روى قاسم زيد الكثير من القصص التي حدثت ولكنه يقول ان ذلك كان « جزءا صغيرا فقط من عشرات القصص التي حدثت » ويضيف ان « كل اولئك الذين حققوا بدوافع الهجوم ، اكدوا على انه كان مبيتا ومخططا له سلفا ، وان بقاء قوات الشرطة وحرس الحدود في القريتين باقة الغربية وجت ، حتى المساء ، يكفي دليلا على انها كانت عملية انتقامية من جميع الاهالي ، وليست قصاصا لمجموعة من الزعران والطائشين الذين اغلقوا الشارع كما تدعي السلطات » (المصدر نفسه) ٠

وفي اليوم التالي عقد رئيس المجلس في باقة الغربية وجت مؤتمرا صحفيا ، وفي البيان الذي اصدره المجلس المحلي روى رئيس المجلس في باقة الغربية ، تفاصيل عملية اقتحام

قوات الشرطة والجيش ، وحرس الحدود للقرية ، ومهاجمة المدرسة الثانوية التي يتعلم فيها اكثر من ٢٠٠٠ ، بعد هبوط الطائرة العمودية في ساحتها ، متهما السلطات بأنهـــا كانت « قد اعدت لهذه العملية سلفا وانها كانت عملية انتقامية مبيتة » (عل همشمار ٧٧/٤/٨) ، كما وعرض على الصحافيين « بعض الجرحى القادرين على الحركة » ، وبعد المؤتمر الصحافي «زار الصحافيون الجرحى الاخرين في بيوتهم حيث تكشفت لاعينهم صور مفزعة » (المصدر نفسه) ٠

وقد اثارت هذه العملية الانتقامية في قريتي باقة الغربية وجت ، موجة مـــن السخط والاحتجاجات لدى الجماهير العربية في الارض المحتلة ، واعلن رئيسا المجلسين المحليين في القريتين يوم ٧٧/٤/٤ اضرابا عاما احتجاجا على « الهجوم الوحشي الذي شنته قوات الشرطة وحرس الحدود على الاهالي » (معاريف ٧٧/٤/٥) ، كما وتقدما بطلب الى السلطات « بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية لتقصي الحقائق بالنسبة لما حدث في ٣٠ آذار » (المصدر نفسه) ٠

وبالفعل ، فقد « عم الاضراب باقة الغربية وجت في ٧٧/٤/٤ » ، وتوافدت علـــى القريتين « عشرات الوفود من قرى الجليل والمثلث » وقد اعلن اعضاء هذه الوفود ، انهم « سيبحثون امكانية الاعلان عن اضراب شامل في قرى الجليل والمثلث اذا لم تستجب السلطات الى الطلب الذي تقدم به وجهاء القريتين لتشكيل لجنة برلمانية للتحقيق » (المصدر نفسه) « وان الاضراب قد نفذ « بانضباطية مثالية ، ومحافظة متناهية علـــى تعليمـــات الوجهاء والشخصيات المعروفة ، ان لا ينجرفوا خلف استفزازات السلطات واعمال العنف » (المصدر نفسه) ٠

وكانت احداث يوم الارض قد اثرت على بناء المجلسين المحليين في باقة الغربية وجت ، ففي باقة الغربية « اعلن المجلس المحلي عن قيام ائتلاف مجلسي كامل » وفي جت « أقيل رئيس المجلس المحلي اثر اتهامه بالعجز عن مواجهة الاحداث » (المصدر نفسه) ٠

الضفة الغربية

اما عن كيفية مرور هذا اليوم في الضفة الغربية ، فيقول مراسل الاذاعة في تقريره الصوتي ، وبنفس اللهجة التي تقلل من شأن ما حدث ، ان « الظاهرة البارزة في احداث الذكرى السنوية الاولى ليوم الارض في الضفة الغربية ، كانت الاضراب التجاري العام في المدن الكبرى من جنين في الشمال وحتى اريحا في الجنوب » وان « الحوانيت في هذه المدن لم تفتح على الاطلاق صباح اليوم ٠ وفي المدارس جرت عرقلات كبيرة وكثيرة للتدريس » (ر٠١٠ ٧٧/٣/٣٠) ٠

ويستطرد مراسل الاذاعة اريبه جوس ، انه « على الرغم من التحريض الشديد مـن الدول العربية ، ومن داخل الضفة ، فان الجمهور لم يخرج الى الشوارع في تظاهرات » وان « الشعارات التي كتبت على الجدران والمنشورات التي وزعت اكدت على التضامن مع عرب اسرائيل ، والنضال ضد الاحتلال » ٠ ولكنه يستدرك بأن الهدف الاساسي ، وهو « تحريض الضفة الغربية كلها واشعالها لم يتحقق » لان « معظم العمال توجهوا الى العمل في اسرائيل ، واولئك الذين لم يتوجهوا اعتبروا ذلك يوم عطلـــة » ، وان السيارات الاسرائيلية قد مرت في الضفة الغربية « دون اية مضايقة » واكتفى السكان العـــرب

بالنظر « الى ما يجري في الشوارع الخالية » (المصدر نفسه) ٠

ويضيف المراسل ، ان الحياة في القدس الشرقية «سارت كالمعتاد » ، باستثناء «حادث واحد » قام به بعض الجنود « باطلاق النيران في مداخل المدينة بعد ان رجموا بالحجارة »٠ وان السياح قد « تجولوا في شوارع المدينة القديمة دون مضايقة ٠ وجميع الحوانيت كانت مفتوحة » ٠ (المصدر نفسه) ٠

ثم يستثني المراسل اريبه جوس ، بعض المدن التي قام الشبان فيها « باحراق الاطارات وسد الطرق » ، الا ان قوى الامن « فرقتهم بسرعة » ، و« اعمال الشغب » هذه حدثت في « الخليل ورام الله ونابلس ، حيث قذف القتية رجال الامن بالحجارة داخل ازقة القصبة » (ر٠١٠١ ٧٧/٣/٣٠) ٠

وقد لخصت الصحف الصادرة في ٣١-٣-٧٧ ما حدث في « يوم الارض » في الضفة الغربية كالتالي :

في القدس

« لم يظهر اي دليل للاضراب في التجارة والمدارس » وان حادثة واحدة سجلت فقط ، عندما « قام تلاميذ برجم سيارة عسكرية بالحجارة ٠٠ وقد اطلق الجنود النار عليهم » (دافار ـ معاريف ٧٧/٣/٣١) ٠

في الخليل

وفي الخليل « ساد اضراب تجاري شامل ولكن ما يقارب ٦٠٪ من العمال قد خرجوا الى اعمالهم » ، وكان حوالي ٥٠٠ تلميذ قد تظاهروا بانهم ذاهبون الى المدرسة في الصباح، ولكنهم « سرعان ماانتظموا وانطلقوا في مسيرة من ثانوية الحسين ، وقد استطاعوا الوصول الى مستديرة الشرطة في قلب المدينة وبدأوا يشاغبون » ، وحين طلبت قوى الامن اليهم « ان يتفرقوا اجابوها بوابل من الحجارة » فسارعت قوى الامن الى « مهاجمتهم بالقنابل المسيلة للدموع وفرقتهم بالقوة واعتقلت عددا من المحرضين » (دافار ، يديعوت احرونوت ـ معاريف ٧٧/٣/٣١) ٠

كما وذكرت هذه الصحف ان عبوة ناسفة ، كانت قد « انفجرت في مدخل مطعم المستوطنين بالقرب من مغارة المكفيليه ، وتسببت باضرار جسيمة » (المصدر نفسه) ٠

رام الله

وفي رام الله « تجمع عشرات الشباب في المقبرة الواقعة جنوب المدينة ، وحاولوا تنظيم مظاهرة من هناك ، ولكنهم فرقوا ، واعتقل عدد منهم » (المصدر نفسه) ٠

قرى بتما وبتونيا والخضر

جرت فيها « عدة محاولات لاقامة الحواجز في الشوارع واغلاق الشارع الرئيسي

المؤدي الى الخليل ، الا ان قوى الامن ازالت هذه الحواجز · وفرقت المتظاهرين » (المصدر نفسه) ·

طولكرم

كان ثمة « اضراب ومظاهرات ، ورجم المتظاهرون باصات شركة دان بالحجارة » (المصدر نفسه) ·

قلقيلية وجنين

في قلقيلية وجنين ساد « اضراب هادىء » · (المصدر نفسه) ··

قريتا هيلار ، وعزون

في هاتين القريتين « اقيمت حواجز من الاطارات المشتعلة ، ورجمت سيارة باص تابعة لشركة دان بالحجارة » كما « ورجمت سيارة شحن اسرائيلية ، واعتقل بعض الشباب » (المصدر نفسه) ·

نابلس

اما في نابلس ، فقد جرت « محاولة للتجمع من ٢٠٠ شخص ، حاولوا التظاهر » الا ان « طريقهم سدت والمظاهرة فرقت ·· ولكنهم فروا الى ازقة المدينة القديمة ـ القصبة ـ وتمركزوا في مداخل القصبة وراحوا يمطرون الحجارة في كل اتجاه بعد ان اغلقوا مداخل القصبة بالسيارات المحلية » ·

وتضيف الصحف ان الاهالي في نابلس قد « فرضوا على انفسهم حظر تجول طوعي » وان الشوارع « كانت خالية » ·

كما « واغلقت جميع المدارس . وانهمك التلاميذ الثائرون في رجم قوات الامن بالحجارة· وخاصة التلاميذ الذين خرجوا بمظاهرة من مدرسة قدري طوقان » ، وان « كل المحاولات لاشعال الاطارات قمعت حالا » (معاريف ، يديعوت احرونوت ، دافار ٧٧/٣/٣١) ·

غزة

وفي غزة « لم يكن من احداث سوى اغلاق شارع مخيم الشاطىء » (المصدر نفسه) ·

المستعمرات الاسرائيليّة في الضفة الغربيّة

د. نافذ يوسف نزال *

يهدف هذا البحث الى وصف نمو المستعمرات الاسرائيلية التي اقيمت في الضفة الغربية منذ حزيران عام ١٩٦٧ ، كما يهدف الى تحليل الاستراتيجية العامة لهذه المستعمرات ·

تضخيم القدس :

التضخيم Fattening, up اصطلاح كثر استعماله في الصحف الاسرائيلية لوصف المستعمرات التي تنوي اسرائيل انشاءها في الضفة الغربية بالقرب من القدس · ويستعمل هذا الاصطلاح لهذه المستعمرات مع ما يسمى بالقدس الموحدة « القدس الكبرى » ، التي من المفروض ان تقسم الضفة الغربية الى مقاطعتين شمالية وجنوبية دون اي خطوط جغرافية فاصلة ·

بالرغم من السياسة المنظمة لضم القدس والمحاولات المستمرة لوضع القدس العربية في اطار اقتصادي طبيعي ، الا ان اهم اسلوب تتبعه اسرائيل لتأمين وحدة القدس بما فيها السكان العرب هو اقامة مناطق سكنية لليهود في شمال وجنوب المدينة ··

ان فكرة الاستيطان بدأت بعد الاحتلال مباشرة وذلك بتعمير منطقة جبل سكوبس التي تقام عليها الجامعة العبرية ومستشفى هداسا · استمرت حركة الاستيطان هذه خلال الفترة ما بين ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ بالاستيلاء على ٣٥٠٠ دونم من الاراضي العربية الممتدة من منطقة

---

* استاذ التاريخ والعلوم السياسية ورئيس دائرة دراسات الشرق الاوسط في جامعة بيرزيت ـ الضفة الغربية ·

جبل سكوبس مارة بمنطقة الشيخ جراح حتى منطقة سنهدريا التي كانت ضمن الحدود الاسرائيلية قبل حزيران ١٩٦٧ · لقد صمم لهذه المنطقة انشاء بنايات سكنية لاستيعاب ٠٠٠ر١٠٠ يهودي · ومع العلم بأن الاراضي ما بين جبل سكوبس والشيخ جراح كانت خالية من السكان قبل حزيران ١٩٦٧ لان معظمها كان ضمن منطقة الحرام · الا انها ممتلكة من قبل ثلاث جهات :

ثلث للعرب ، وثلث آخر لليهود، والبقية اراض حكومية عربية ولمؤسسات خاصة · وخلال شهر سبتمبر ١٩٦٩ استقرت اول موجة يهودية على هذه الاراضي وشملت ٢٠٠ عائلة يهودية حلت بمنطقة رامات اشكول التي امتدت فيما بعد حتى وصلت مستعمرة جفات هامفتار والتل الفرنسي ·

لقد تسارع نمو هذه المستعمرات عام ١٩٧٠ خوفا من تنفيذ مشروع روجرز والذي كان سيؤدي الى استعادة القدس العربية · اكتسحت هذه المشاريع طريق القدس ـ رام اللهوبهذا فصلت منطقة القدس العربية عن ضواحيها الشمالية : شعفاط ، عناتا ، بيت حنينا ·· الخ · ونتيجة اتصال هذه المستعمرات المذكورة مع منطقة جبل سكوبس تكون حزام في شمال القدس من المستعمرات اليهودية ·

هناك عدة مستعمرات في شمال القدس منها : راموت (النبي صموئيل) ، رامات اشكول ، التل الفرنسي والنبي يعقوب· لقد اعيد بناء منطقة النبي يعقوب (حيث ان هذه المنطقة كانت مركزا عسكريا للجيش الاردني قبل حزيران ١٩٦٧ وكان معظمها خاليا من السكان) ببنايات سكنية · ومنطقة النبي يعقوب اكبر مستعمرة تبعد عن القدس حوالي ١١ كلم · وفي خلال عام ١٩٧٣ تم بناء ٤٠٠٠ وحدة سكنية· وهناك مخطط لتوسيع مستعمرة النبي يعقوب لربطها بمستعمرة التل الفرنسي التي أسست عام ١٩٦٩ والتي تبعد عنها حوالي٣ كلم الىالجنوب· ان هذا المشروع يتضمن بناء ٠٠٠ر١٠ وحدة سكنية خلال خمس سنوات لاستيعاب ٠٠٠ر١٦٠ يهودي ·

ومستعمرة النبي يعقوب محمية بمخيم عسكري اسمه « متسودات كفير » (قلعة الشبل ، وهو المركز الرئيسي للمنطقة المتوسطة التي تسيطر عليها اسرائيل (٢) ·

ان هذه البناية التي تشبه القلعة يمكن رؤيتها من بيوت العرب المجاورة ، وحوالي الساعة الخامسة مساء يمكن رؤية عدد كبير من اليهود بزي مدني وعسكري مغادرين البناية لبيوتهم في مستعمرة النبي يعقوب ·

تقع مستعمرة النبي يعقوب في واد محاط من ثلاث جهات بالقرى العربية : عناتا ، جبع ، وحزما ، وبمنطقتي بيت حنينا وشعفاط من الجهة الغربية · وهذه المستعمرة تتكون من صفوف من البنايات كل بناية تتراوح بين ٤ ـ ٦ طوابق مبنية على شكل قلاع فيها شبابيك صغيرة وقريبة على بعضها البعض · كثير من الناس الذين يزورون هذه المستعمرة يشكون من اجوائها المكتومة لان داخلها يبدو كأنه سجن مترف محاط بصفوف من الجدران ·

والشقق فيمستعمرة النبييعقوبليستمرتفعةالثمنولذلك فاليهودالجددفياسرائيليفضلون

---

(٢) المنطقة المتوسطة تمتد من البحر الابيض المتوسط الى نهر الاردن ومن منطقة الجليل في الشمال الى منطقة بئر السبع في الجنوب ·

السكن فيها · ولكن ليس كل يهودي يستطيع ان يسكن في هذه المستعمرة لانه يتم اختيـــار المستوطنين من قبل وزارة الاسكان الاسرائيلية حسب الجدول التالي : ٤٥٪ يهود اسرائيليون من الدول المتطورة ، ٤٥٪ يهود اسرائيليون من دول اكثر تطورا (اشكنازيم ـ اي يهود من الدول الاوروبية) ثم الـ ١٠٪ الباقية يهود من جميع انحاء العالم ·

ان هذه المعادلة صممت لكي لا تعطي فرصة لكثير من اليهود الشرقيين ان يحصلوا على بيوت جيدة ورخيصة · ويجب الانتباه الى المصطلح المستعمل « الدول المتطورة » ، انه مصطلح مصمم على نفس هذا المجرى او الخط · فمثلا ، المدن الكبيرة في الاتحاد السوفيتي التي يعيش فيها اليهود (الاشكنازي) تعتبر متحضرة او متطورة · لكن يهود منطقتي جورجيـا وبخارى ايضا في الاتحاد السوفيتي الذين يشبهون اليهود الشرقيين بعاداتهم يعتبرون غيـر متطورين · ومؤخرا في اغسطس عام ١٩٧٦ قامت مظاهرة في المستعمرة احتجاجا عـــلى سياسة الحكومة لانها تريد نقل اليهود الشرقيين من الاحياء الفقيرة في القدس الى مستعمرة النبي يعقوب · وبسبب هذه السياسة يلجأ بعض المستوطنين من اليهود الاوروبيين الى تـرك بيوتهم وتأجيرها لتكون مصدر دخل شهري لهم · هذه العملية (عملية تأجير البيوت) مع انها ممنوعة قانونيا الا انها شائعة كثيرا · فمثلا ، كثير من الامريكان الذين يصلون الى اسرائيل بزي « المهاجرين الجدد » يحصلون على ملكية مغرية كهذه الشقق ويعودون الـــى امريكا حيث يؤجرون هذه الشقق ليهود فقراء او طلاب بمعدل ٨٠٠ ـ ٨٥٠ ليرة اسرائيلية (٨٠ ـ ٨٥ دولارا) شهريا لشقة من غرفتي نوم وصالون الخ (يشمل ايجار الشقة المصاريف الاخرى كالتدفئة المركزية) مع العلم ان نفس الشقة في القدس العربية او الاسرائيلية لا تؤجر باقل من ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ ليرة شهريا دون المصاريف الاخرى المذكورة ·

وفي عام ١٩٧٢ تم بناء مستعمرة راموت (النبي صموئيل) شمال غرب القدس ، وهناك مخطط لربط هذه المستعمرة بمستوطنة رامات اشكول التي أسست عام ١٩٦٨ الى الجنوب من النبي صموئيل ·

اما في جنوب القدس فقد بدأ مشروع بناء مستعمرة جيلو عام ١٩٧٣ · وتقع هذه المستعمرة تحت قرية بيت صفافا بالقرب من مدينة بيت لحم · وعندما ينتهي بناء هذه المستعمرة سيكون هناك حوالي ١٠٫٠٠٠ وحدة سكنية ·

ان منطقة جفات همسوآه الحديثة ستربط جيلو بمنطقة كريات هايوفال · وبهذا يكون هناك مجال لقيام مستعمرات اخرى في الجهة الجنوبية من القدس · كذلك هناك مخطط لجنوب شرقي القدس وهو بناء فنادق فخمة ومنتزهات وفيلات فخمة لكن تنفيذ هذا المشروع توقـف لانه تبين ان المنطقة المذكورة جبل Evil Counsel هي ملك هيئة الامم · كذلك هناك مخطط لمد منطقة الطالبية ومنطقة ابو طور شرقي القدس وربطها بمنطقة جبل Evil Counsel

ويجري حاليا العمل في مشروع لتوسيع مستعمرة جيلو باتجاه القدس · ولقد عبد طريق جديد ليصل هذه المستعمرة بالقدس مباشرة ليحل محل الطريق الفرعي بيت لحم ـ القدس · هذا المشروع واجه بعض العوائق · فهناك بيت لاحد السكان العرب واسمه داوود عليان ، يقع في منتصف الطريق الجديد ، ولكن الحكومة ما زالت مصممة على بناء الطريق حول هـــذا البيت ، وأي شخص يزور المنطقة يرى بوضوح كيف ان الطريق يحوط هذا البيت (٣) ·

---

(٣) يقال ان الحكومة الاسرائيلية عرضت على السيد عليان ٤ ملايين ليرة اسرائيلية مقابل ترك البيت لكنه رفض وما زال بيته في منتصف الطريق ·

مستوى البنايات في مستعمرة جيلو عال جدا ، والشقق جذابة جدا وغير غالية بالمقارنة مع ما هو معروض في القدس للعرب ولليهود · لهذا قبل كثير من اليهود السكن هناك مع العلم انهم يعرفون ان جيلو تقع وراء الخط الاخضر اي خارج اسرائيل ·

وفي اقصى جنوب مدينة القدس بجوار مدينة الخليل المنطقة التي تسمى (يهودا) تم انشاء سبع مستعمرات منذ حزيران ١٩٦٧ اربع منها هي الون شفوت ، العازار ، كفار عتسيون ، وروش تسوريم تؤلف المنطقة المعروفة « ببلك عتسيون » · لقد تم بناء مستعمرة الون شفوت في عام ١٩٦٩ لتكون مركزا لدراسة الديانة اليهودية · وفي الوقت الحاضر يذهب اليها طلاب اسرائيليون في المرحلة الثانوية لقضاء عدة اسابيع لدراسة الديانة اليهودية · كذلك يوجد هناك قسم خاص للطلاب الامريكيين المختصين بدراسة الديانة اليهودية · وفي مارس عام ١٩٧٧ تم افتتاح كنيس على شرف رئيس دولة اسرائيل افرايم كتسير ·

اما مستعمرة العازار فقد أسست في اكتوبر عام ١٩٧٥ وهي الآن مركز للابحاث العلمية خصوصا في مادتي الفيزياء والكيمياء · اما المستعمرتان الاخريان في « بلوك عتسيون » فقد خطط لهما ان تكونا مناطق زراعية ·

وبالنسبة للمستعمرات الاخرى فهي كريات اربع ، متسفيه شاليم ، وناحال تيكوع ، وتطل مستعمرة كريات اربع على مدينة الخليل ويقطنها يهود متدينون · ان وزارة الاسكان الاسرائيلي تنفق اموالا طائلة على هذه المستعمرة وذلك لقوة نفوذ رجال الدين الاسرائيليين على الحكومة · ومن الجدير بالذكر ان وحدات السكن في مستعمرة كريات اربع افضل بكثير مما هو الحال في اي مستعمرة في الضفة الغربية · وبالنسبة لمستعمرة متسفيه شاليم فتقع على شاطىء البحر الميت ويسكنها ايضا متدينون وهي منطقة زراعية · واخيرا هناك مخطط لبناء طريق يبدأ من مستعمرة كريات اربع مارا بمستعمرة ناحال تيكوع الزراعية الواقعة شرقي « عتسيون » لتصل الى المنطقة الصناعية ميشور ادوميم على طريق القدس أريحا ·

ان الهدف من بناء هذه المستعمرات السبع هو ملء الفراغ في منطقة يهودا Judea الصغيرة المساحة والسيطرة عليها ·

وفي شرقي القدس بدأت اسرائيل في عام ١٩٧٥ ببناء منطقة صناعية في الخان الاحمر في منتصف طريق القدس ـ اريحا واسمها معاليه ادوميم · وفي شهر فبراير ١٩٧٧ تغير اسمها واصبح ميشور أدوميم · ان الاستعدادات لهذه المنطقة الصناعية ضخمة جدا ، فلقد تمت تسوية الاراضي ، ووصل جهاز ري وكهرباء وخطوط هاتف بالاضافة الى عمل طرق فرعية داخلها · وفي شهر مارس ١٩٧٧ تمت اقامة ثماني بنايات للمصانع التي ستقوم في المنطقة · وهناك ايضا مخطط لبناء وحدات سكنية للعمال ، كذلك هناك منطقتان عسكريتان كبيرتان شرقي وغربي المنطقة الصناعية المذكورة على التلال المجاورة والمطلة على المنطقة · بالاضافة الى كل هذا هناك مخطط لبناء طريق وخط حديد بين تل ابيب ـ القدس ابتداء من اللد مارا شرقا نحو مدينة الرملة الى رام الله حيث يصل الى طريق رام الله القدس الحالي مقابل مستعمرة النبي يعقوب · وسيتم بناء طريق فرعية من هذا الخط ليصل الى المنطقة الصناعية ميشور أدوميم ·

اما في البلدة القديمة لمدينة القدس فتقوم السلطات الاسرائيلية بتجديد وتطوير الحي

اليهودي · ففي ١١ حزيران ١٩٦٧ هدمت السلطات ١٣٥ بيتا كان يسكنها ٦٥٠ عربيا تقع بالقرب من الحائط الغربي للبراق حتى تصبح المنطقة ملائمة لاقامة الصلوات اليهودية علما بأن هذه البيوت ملك للاوقاف الاسلامية · وفي ١٤ حزيران هدمت السلطات ٢٤ بناية اخرى في نفس المنطقة لانشاء ساحة امام حائط المبكى · كذلك في اغسطس عام ١٩٦٧ شرعت اسرائيل باقامة مؤسسات يهودية في الحي اليهودي مثل محكمة دينية · وهناك مخطط لاعادة الحي اليهودي الى الحجم الذي كان عليه عام ١٩٠٠ (وهو ضعف الحجم الذي كان عليه الحي عام ١٩٤٨) · ولهذا صادرت اسرائيل في ابريل عام ١٩٦٨ حوالي ٦٠٠ بناية عربية في الحي اليهودي تشمل مسجدين ومقرين اسلاميين واربع مدارس و ٤٠٠ مخزن وبيوت لستة الاف عربي · ومن الجدير بالذكر ان هذه المنطقة المصادرة تعادل حوالي ٢٠٪ من مجموع مساحة القدس القديمة · وفي هذه المنطقة تخطط اسرائيل لاستيعاب ٦٠٠ عائلة يهودية بمن في ذلك ١٠٠٠ طالب من الطلاب المتدينين · وتعود ملكية المنطقة المذكورة لاهلها العرب الى عدة قرون وان العديد من السكان العرب في هذا الحي يقطنونه قبل عام ١٩٤٨ ومنذ مدة طويلة ·

حاول بعض السكان العرب مقاومة مصادرة الاراضي لكن معظمهم اضطر للخضوع نتيجة لضغط السلطات كالحرمان من الماء والكهرباء ومن ثم هدم اقسام من بيوتهم مما اضطرهم الى قبول تعويضات او مساكن بديلة في مناطق اخرى او النزوح دون قبول اية تعويضات ·

وبدأ الحي اليهودي يضايق ويكتسح الحي الارمني المجاور له في الجهة الغربية والحي الاسلامي في الجهة الشمالية حيث تهدد الحفريات الاسرائيلية القائمة حتى الآن العديد من الابنية بالانهيار بما في ذلك ابنية لمؤسسات اسلامية ·

مستعمرات غور الاردن تصعد الجبال :

يوجد في غور الاردن ومنطقة السامرة ٢٧ مستعمرة يهودية · منها ست وعشرون شرعية او قانونية من وجهة نظر الدولة ومستعمرة واحدة غير قانونية تدعى كفر قدوم (٤) ·

ان اغلبية المستعمرات في غور الاردن لا تقع في الوادي ولكن على الجبال التي تطل على

---

(٤)ان جميع المستعمرات الشرعية وغير الشرعية مدعومة ماديا من قبل الحكومة · يبلغ عدد سكان مستعمرة كفر قدوم حوالي ٢٠٠ شخص معظمهم ينتقلون يوميا الى اعمالهم في مدينة تل ابيب واماكن اخرى · اما باقي السكان فيعملون في المصانع الصغيرة التي انشئت هناك كمصنع الادوات الدينية Mezuzah التي تباع محليا وخارج البلاد تحت اشراف جيش الدفاع الاسرائيلي · في بداية الامر قيل للمستوطنين ان يقيموا في المناطق العربية التي صودرت شرقي نابلس ، لكنهم رفضوا ذلك واصروا على البقاء في كفر قدوم· ذكرت جريدة معاريف الاسرائيلية في شهر اغسطس عام ١٩٧٦ ما يلي :« ان الطرق في كفر قدوم قد عبدت، لقد مدت الكهرباء وانتهى بناء مجاري المياه كذلك ازهرت البساتين حول المنطقة · ان المؤسسات العامة كمركز الصحة والتعليم والمكتبة قد بدأ العمل فيها كذلك بدأ العمل في مصنع الحديد ومصانع اخرى صغيرة لصنع الثياب واشياء اخرى ·· كل ذلك يكون القاعدة الاقتصادية لمنطقة كفر قدوم ·

الوادي · وفي الحقيقة يمكن للفرد ان يميز ثلاثة خطوط من المستعمرات من الشمال الى الجنـــوب ·

الخط الاول يقع في منطقة وادي غور الاردن ويتكون من المستعمرات الثلاث عشـــرة الآتية:محولة ،ناحال روعيه،(بقاعوت ب)، ارجمان،مسؤه،بتسائيل، تومر،جلجال،نتيف هجدود، مفتسيم ، ناحال نعران (يطاف) (٥) ، الموج ، قليه ، متسفيه شاليم ·

اما الخط الثاني فهو مبني على الجبال العالية حول طريق خاص اسس حديثا ويســـمى « بالطريق الاوسط » (٦) (كفيش هبينايم) ، ويتكون من المستعمرات الاحدى عشرة التالية: بقاعوت ، حمره ، مخورا ، جتيت ، معاله افرايم ، جفعات ادوما (مفوشيلو) ، كوخاف هشاحر ، ريمونيم (ملتقى طريق الون : القدس ـ اريحا) ، مشور ادونيم ، قليه ب ، وناحال تيكوع ·

اما الخط الثالث فما زال غير كامل مع العلم انه تم مصادرة ارض لهذا الخط في جبل الطويل جنوب شرقي رام الله ـ البيرة وفي مناطق شرقي مدينة نابلس وشرقي مدينـــة طوباس · ويمتد هذا الخط بمحاذاة طريق رام الله ـ نابلس وسيضم المناطق والمستعمرات التالية : عفره ، ناحال ملكيشوع · وحديثا صودرت اراضي قرية مسحة لهذا الهدف (٧) ·

لقد اثبت الاستقصاء الشخصي لهذه المناطق أن اغلبية المستعمرات لها مميزات عديدة مشتركة · كل واحدة منها بما فيها المستعمرات المدنية محاطة بسياج ضخم الحجم وقـرب كل مستعمرة هناك أبراج مراقبة ومخيم جيش مرتبط بطريق فرعي مع الطريق العمومـــي لتلك المستعمرات ·

والمستعمرات صغيرة نوعا ما وتتكون عادة من ٢٠ ـ ١٠٠ بيت ولكن الاموال التـــي انفقت عليها كبيرة جدا · فمثلا ، كل بيت يحتوي مكيف هواء والبيوت المبنية في وادي الاردن مزودة بجهاز قوي خصوصي للتكيف مع حرارة المنطقة · ان لكل بيت واحيانـــا لكل بيتين ملجأ يحتوي على مكيف هواء مثبت بالارض وموصل بواسطة طريق معبد الـى ساحة كل بيت · هناك ايضا صفوف من الاضواء الكهربائية داخل المستعمرة وحول سياجها يفتخر المستوطنون بأنها تظل مضاءة طوال الليل · أما داخل المستعمرة فهناك في وسطها

---

(٥) منذ شهر ديسمبر ١٩٧٦ أصبحت المستعمرة للسكان المدنيين ولهذا تغير اسمها الـى يطـــاف ·

(٦) قام وزير خارجية اسرائيل مؤخرا بجولة في الطريق الاوسط واعلن انه يوجد مخـطط لانشاء مدينتين في منطقة غور الاردن ، وقال : « النهر ، الوادي ، التلال ، والجبـــال جميعها تكون استراتيجية عظيمة »· ومنذ ذلك الوقت سميت منطقة الطريق الاوســـط « بطريق الون » · جريدة عل همشمار الاسرائيلية · ديسمبر ١٩٧٦/٢٩ ·

(٧) تقع قرية مسحة على بعد ٣٤ كلم جنوب غربي مدينة نابلس وتحيط بها اراضي قرى بديا وسيزرية والزاوية · تبلغ مساحة القرية حوالي ٨٢٦٣ دونما منها اربعة دونمات للطرق والوديان· يزرع فيها بعض الحبوب لكن حوالي ١٣٤٥ دونما من اراضيها مغروسة بأشجار الزيتون و ٢٥٠ دونما مغروسة بأشجار الفواكه واكثرها من التين واللوز · جريدة القدس ، عدد ٣ مارس ١٩٧٧ ·

أرض مغطاة بالحشيش الاخضر وبسبب الطقس شبه الصحراوي تستخدم كمية كبيرة من الماء وقدرا كبيرا من العمل المتواصل لابقاء الحشيش اخضر · انّ أول عمل يقوم به المستوطنون هو عرض هذه المنطقة للزوار بافتخار ·

الخدمات الاجتماعية في المستعمرات كالمطابخ والنوادي وغرف الجلوس والطعام كلها مزودة بمكيفات هواء واشياء ترفيهية وممتعة موجودة في كل مستعمرة مهما كانت صغيرة · ان قاعة الطعام مثلا في مستعمرة جتيت تتسع لـ ٣٠٠ عائلة · ان عدد سكان معظم المستعمرات صغير لان معظم المستوطنين يتركون المستعمرات بعد وقت قصير من مجيئهم · لكن الحكومة الاسرائيلية تعد مستوطني هذه المستعمرات بزيادة عدد سكانها ·

جميع المستعمرات موصولة بالشارع الرئيسي بشوارع معبدة حديثا وتصل فقط الى هذه المستعمرات · ان أغلبية المستوطنين يظهرون أغنياء بالمقارنة مع المستوى الاسرائيلي · وعند البحث عن مصدر معيشة المستوطنين سألنا بعضهم وأعطينا عدة اجابات : في مستعمرة « نتيف هجدود » البالغ عدد سكانها حوالي ١٧ عائلة يهودية مثلا ، قيل لنا بفخر ان الحكومة اعطت كل عائلة في المستعمرة ٣٠ دونما من أراضي غور الاردن العربية على شرط ان يبقوا هناك وكثير من المستعمرات أعطيت هذه الاراضي بهذه الطريقة ·

وقد ذكر لي احد المستوطنين ان القلائل منهم الذين يضحون ويستقرون في هذه المستوطنات حاليا على ثقة من ان الاقبال على سكن هذه المستوطنات سيزداد خلال السنوات الخمس القادمة وان ذلك سيؤدي الى ارتفاع اسعار الاراضي ، وانه هو وربما غيره ايضا من المستوطنين الاوائل سيبيع أرضه في المستوطنة آنذاك ويعود ليستقر في احدى المدن الاسرائيلية ·

من الجدير بالذكر انه يمكن الملاحظة بأن القوى العاملة في بعض هذه المستوطنات هي من العمال الفلسطينيين العرب الذين أحضروا من جهات بعيدة لهذه الغاية · والمستوطنون اليهود لقلة عددهم يعملون فقط كمراقبين أو يعملون لتشغيل الآلات الميكانيكية الثقيلة أو كحراس · ولكن وبدون شك لا يوجد لدى المستوطنين القدرة لحماية مستعمراتهم · ولذا يوجد في كل مستعمرة تقريبا قوة من جيش الاحتياط الاسرائيلي (ومعظمهم اكبر سنا من المستوطنين الذين تتراوح أعمارهم عادة بين ٢٠ ـ ٣٥ سنة) تقوم بمساعدة المستوطنين في حراسة مستعمراتهم ·

ويوجد لدى بعض المستعمرات مصانع تكون في معظم الاحيان مرتبطة بوزارة الامن · فمثلا يوجد في مستعمرة « مخورا » المبنية على الجبال مصنع لتصدير الاقفال لوزارة الامن · كذلك يصنع في مستعمرة «عفرة» العاب للاولاد الصغار وبافطات وبلوزات للسواح الاجانب مكتوب عليها « السامرة في قلب اسرائيل ، وعفرة مستوطنة عاملة في السامرة »· ان هناك التزاما من قبل الحكومة الاسرائيلية لتوفير الشروط المريحة لجميع المستعمرات الشرعية أو غير الشرعية بغض النظر عن الربح الاقتصادي الناتج عن صناعات هذه المستعمرات ·

يمكن تلخيص الوضع في الضفة الغربية كما يلي : نشرت الحكومة الاسرائيلية خريطة للضفة الغربية بحدودها قبل حزيران ١٩٦٧ في الجريدة الاسرائيلية يديعوت أحرونوت ١٢/ ٥ / ١٩٧٦ والخريطة تظهر ان الضفة الغربية مقسومة الى جزيرتين · المنطقة الشمالية

يحدها خط من المستعمرات يوازي خط طريق رام الله / البيرة ـ نابلس ـ طوباس ـ جنين · كذلك يحد هذه المنطقة منالجنوب خط شرقي ـ غربي من المستعمرات يمر من جنوب رام الله / البيرة تقريبا · وأخيرا يحدها من الاتجاه الآخر الخط الاخضر (اسرائيل) ·

هذه المنطقة تسمى حاليا من قبل الحكومة بالسامرة samarie وهي محاطة كليا بمستعمرات يهودية أسست على أراض عربية منذ حزيران عام ١٩٦٧ ، ومحاطة باسرائيل من جهة الغرب · وهذا هو الوضع تماما بالنسبة للمنطقة الجنوبية للضفة الغربية التي تسمى رسميا يهودا ·

هاتان المنطقتان الشمالية والجنوبية مفصولتان حاليا بما يسمى منطقة « القدس الكبرى » التي هي ايضا محاطة بحزام من المستعمرات اليهودية ·

ان كل هذه العمليات الاستيطانية ، وبناء الطرق المختلفة وكذلك استثمار الاموال الطائلة في هذه المستعمرات لهي ظاهرة بأن الاستيطان الاسرائيلي دائم · فاسرائيل ماضية في سياستها المعروفة والتي تتلخص في خلق واقع جديد لصالحها لوضع العرب والعالم امام الامر الواقع ·

المستوطنات المستقبلية المحتملة :

أ ـ **وادي الاردن** : يوجد في الوقت الحاضر ، حوالي ٩٠٠ مستوطن يهودي في الوادي مقابل ١٨٫٠٠٠ عربي في منطقة اريحا وحوالي ٢٫٠٠٠ عربي على طول الطريق بالقرب من نهر الاردن (معظمهم في العوجا) ومع ذلك فان حوالي ٧٠ـ٨٠٪ من اراضي الوادي في العوجا شمالا مرورا ببردلا تعتبر مصادرة لاقامة مستوطنات اسرائيلية عليها ، ومعظم هذه الاراضي هي من اراضي الحكومة الاردنية سابقا او في املاك الغائبين · وقد وافقت لجنة الاستيطان الوزارية ، في حزيران ١٩٧٦ ، على اقامة مستوطنة جديدة قرب كاليا (رقم ١٨) ومستوطنتين جديدتين قرب كوخاف مشاحر (رقم ١٧) على طريق « حدود الاستيطان » · وسوف تكون هذه المستوطنات بمثابة مستوطنات حراسة (ناحال) بشكل رئيسي ·

ب ـ **مجمع اتزيون** : مستوطنة خامسة (مغداد ١٠٫٠) هي قيد الانشاء وهناك مستوطنة سادسة (افرات) في مرحلة التخطيط ·

ج ـ **بيت جالا ـ هارجيلو** : اقترحت وزارة الاسكان اقامة هذه المستوطنة لاستيعاب ٢٠٠ ـ ٥٠٠ عائلة في هارجيلو بالقرب من مدرسة تدريب اسرائيلية على الجانب الغربي من بيت جالا · ولقد تمت مصادرة ٨٠٠ دونم في تشرين الاول ١٩٧٥ وتم « اغلاق » ٤٠٠ دونم اخرى في ايلول ١٩٧٦ · وسوف تمر بالقرب من هارجيلو الطريق الشمالية ـ الغربية التي تصل القدس ـ جيلو بمجمع اتزيون والتي هي قيد البحث الان ·

د ـ **المنطقة التي تربط اللطرون ومدعين من جهة وجيب ـ حيفون والبيرة من جهةاخرى:** اقرت وزارة الاسكان وادارة الاراضي الاسرائيلية والمنظمة الصهيونية العالمية وسلطات القدس ، خططا مختلفة لاقامة مجمع مستوطنات على طول الشريط الشمالي للقدس القديمة (ما قبل ١٩٦٧) · والبلدة المحتملة ستكون في (جيب) جيفون او الى الغرب اكثر في منطقة بيت حورون (جبل القطم) ، على بعد كيلو مترين شمالا من « الخط الاخضر » ·

وبالنسبة لهذه المنطقة تدرس الان امكانية الاوتستراد وخط سكة الحديد الجديد الذي سيصل القدس بالساحـــل ٠

تم (اغلاق) ارض جبل الطويل على الطرف الشرقي للبيرة في ايلول ١٩٧٦ حيثقررت وزارة الاسكان انشاء مستوطنة ٠ وكذلك قررت الوزارة اقامة مستوطنة جديدة على المنحدر الشمالي للنبي صموئيل (قرب راموت ، رقم ٣٤) ، اما ادارة الاراضي الاسرائيليـــة فانها تود اقامة مناطق سكنية في المنطقة الفاصلة بين نعني يعقوب وفرينش هيل ، خطـة استيطان خماسية تشمل مستوطنة شمال شرق مدعين ٠

هـ ـ **السامرة** : خطة استيطان خماسية (تشرين الاول ١٩٧٦) تشمل اقامة مستوطنة قرب جنين ومستوطنة اخرى شرق طولكرم ، ومن المحتمل اقامة مستوطنة (ناحال) فـي شيلوه حيث تم « اغلاق » مساحة ٤٠٠ دونم من جانب القيادة العسكرية ايلول ١٩٧٦٠

و ـ **سامو (اشتامو)** : لتعزيز مجمع بئر السبع ـ ديمونـــا ـ اراد ، قررت ادارة الاراضي الاسرائيلية في اذار ١٩٧٦ اقامة مدينة في اشتامو على بعد ٥ كيلو متـــرات شمال « الخط الاخضر » في مرتفعات يهودا الجنوبية ٠

المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية :

١ ـ أ ـ ناحال مالكي يشوع

١ ـ ب ـ ميمولا

٢ ـ ناحال روعيه (قيد الانشاء) ٠

٣ ـ بيقيعوت

٤ ـ حمدة

٥ ـ ميخوراه

٦ ـ ارجمـــان

٧ ـ حقل للطيران (قيد الانشاء)

٨ ـ متســوآه

٩ ـ جيتيت ٠

١٠ ـ معاليه افرايم (مركز اقليمي) ٠

١١ ـ فتسائيـــل

١٢ ـ تومـــر (قيد الانشاء) ٠

١٣ ـ جلجســال

١٤ ـ ناتيف هاجدود (قيد الانشاء) ٠

١٥ ـ ميغانسيم (مزمع انشاؤها) ٠
١٦ ـ ناحال نعاران (تبدل الاسم حديثا فاصبح يطاف) ٠
١٧ ـ كوخاف هشاحر
١٨ ـ كاليا وكاليا «ب» ٠
١٩ ـ معالي ادوميم ، ميشور ادوميم (القطاع الصناعي) ٠
٢٠ ـ عوفرا (« معسكر عمل ») ٠
٢١ ـ بيت ايل (قيادة عسكرية حكومية وليست مستوطنة) ٠
٢٢ ـ مفو ـ حورون (مستوطنة « غير شرعية ») ٠
٢٣ ـ ميفو هورون ٠
٢٤ ـ كندا بارك (منتزه وطني) ٠
٢٥ ـ متسفين شاليـــم
٢٦ ـ ناحـال تكوع
٢٧ ـ اليعـازر
٢٨ ـ روش تسوريم
٢٩ ـ الـون شفوت
٣٠ ـ كفـار عبتسيون

غوش اتزيون : المستوطنة الخامسة ، مغداد أ٠ر٠ قيد الانشـــاء ٠ المستوطنـة السادسة ، افرات ، قيد التخطيط ٠

٣١ ـ كريـات اربـع
٣٢ ـ عطاروت (القطاع الصناعي) ٠
٣٣ ـ نفيه يعقـــوب
٣٤ ـ رامـــوت
٣٥ ـ رامات ايشكول
٣٦ ـ فرينش هيل
٣٧ ـ غيلو

، ضواحي ، حول القدس ٠

٣٨ ـ تلفيوت الشرقية
٣٩ ـ الحي اليهودي (المدينة القديمة) ٠
٤٠ ـ المـــوج
٤١ ـ جفعاه ادوماه ـ مفو شيلو
٤٢ ـ ريمونيـم ٠
٤٣ ـ فشـــا ٠

اسم المستوطنة	تاريخ انشائها	موقعها	تصنيفها	القاعدة الاقتصادية	اصحاب الارض الاصليون
١ – أ – ناحال مالكي يشوع	كانون الثاني ١٩٧٦	جنوب جبل جلبوا : على الطريق القادم من بيت شيعان	ناحال	(غير محدد)	——
١ – ب – ميحولا	شباط ١٩٦٨ (انشئت أساساً على الخضبة)	الطرف الشمالي لوادي الأردن تغطي الطريق إلى طوباس	ناحال حتى تشرين الثاني ١٩٦٩ ثم تحولت إلى موشاف ن.ر.ب. (هابويل ها مزراحي)	ثمار مختلفة ، عنب ، مزارع ديوك رومية ، معمل للمعادن؛ فيها ٨٠ – ٩٠ شخصاً من شمال أفريقيا	١٥٠٠ دونم من بردالا بالإضافة إلى أرض من تل البيضا ؛ ويذكر أن آبار ميحولا تستهلك مياه القريتين المذكورتين بكاملها .
٢ – ناحال دوعيه	آذار ١٩٧٤	الطرف الشمالي لطريق « حدود الاستيطان»	ناحال كانت تدعى في السابق بيقيعوت « ب »	——	——
٣ – بقيعون	تموز ١٩٧٢	الطرف الشمالي لطريق « حدود الاستيطان »	موشاف (أحود)	دواجن ، خضار حمضيات خضار ، أزهار .	–
٤ – حمره	أيار ١٩٧١	طريق « حدود الاستيطان» طريق جسر دامية – نابلس	موشاف (أحود)	دواجن ، حمضيات وهناك معمل للمعادن ، يقطنها ٨٠ – ٩٠ شخصاً	واقعة في وادي لوش : الأرض من قرية اب النقب

اسم المستوطنة	تاريخ انشائها	موقعها	تصنيفها	القاعدة الاقتصادية	اصحاب الارض الاصليون
٥ – ميخوراه	آذار ١٩٧٣	«حدود الاستيطان» جنوب همراه	ناحال حتى تموز ١٩٧٦ ثم تحولت إلى موشاف (احود تشتمل على ١٧ – ١٨ وحدة سكنية ثانية).	٢٠٠ دونم من الخضار، وفاكهة في الوادي	الأرض من باب النقب، بيت دجن، بيت فوريك وقد تم تشييد مصنع أقفال فيها.
٦ – ارجمان	تشرين الثاني ١٩٦٨	طريق الوادي بالقرب من نهاية طريق دامية – نابلس	ناحال حتى أيار ١٩٧١ ثم تحولت إلى موشاف (حيروت)	خضار، فاكهة، وهناك ٤٠٠ دونم تم استصلاحها لزراعة أشجار الفاكهة.	الأرض من مرج النجا (١٠٠٠ دونم ؟).
٧ – حقل للطيران	١٩٧٦ (قيد الانشاء)	تجاه جفتلك في وادي الأردن.	———	———	———
٨ – ميسوآه	كانون الثاني ١٩٧٠	تجاه جفتلك على طريق الوادي.	ناحال حتى أيار ١٩٧٤ ثم تحولت إلى كيبوتز ليبرالي مستقل.	خضار، بركة سمك. يقطنها ٦٠ – ٨٠ شخصاً من شمال افريقيا	

٩ – جيتيت	آب ١٩٧٢	طريق (حدود الاستيطان) بالقرب من طريق وادي عقربة	ناحال حتى كانون الاول ١٩٧٥ ثم تحولت إلى موشاف (حيروت)	خضار ، ثمار مختلفة ، يقطنها ١٠٠ مستوطن		الأرض من عقربة ، ٥٠٠ دونم مقفلة ومرشوشة بمبيدات عام ١٩٧٢ .
١٠ – معاليه افرايم	تموز ١٩٧٢	طريق (حدود الاستيطان) بالقرب من طريق وادي عقربة .	عاش مستوطنو فتيسائيل هناك حتى منتصف عام ١٩٧٥ ثم أصبح هناك فريق صيانة مؤقت حتى عام ١٩٧٦ يعمل على إنشاء المركز الاقليمي ، حيث تشمل المرحلة الأولى منه على بناء ١٥٠ وحدة سكنية والمرحلة الثانية ٥٠ وحدة سكنية تكتمل في أواخر عام ١٩٧٧			–
١١ – فتسائيل	كانون الأول ١٩٧٠	طريق الوادي ، تغطي الطريق من عقربة .	موشاف ؛ كانوا سابقاً في معالي افرايم حتى نيسان ١٩٧٥	خضار شتوية للتصدير ، ثلاثة آبار ، سعة كل منها ٦٠٠ متر مكعب . تقيم فيها ١٠٠ عائلة		جزء من الأرض من فتسائيل .
١٢ – تومر	١٩٧٦ (قيد الانشاء)	طريق الوادي ، بين فتسائيل وجلجال .	——	——	——	——
١٣ – جلجال	كانون الثاني ١٩٧٠	طريق الوادي .	ناحال حتى أيار ١٩٧٣ ثم تحولت إلى كيبوتز .	خضار ، حمضيات ، دواجن ، وثمار		–

اسم المستوطنة	تاريخ انشائها	موقعها	تصنيفها	القاعدة الاقتصادية	اصحاب الارض الاصليون
				مختلفة ، ٣٣٠ دونماً ، ٣٠ مبنى ، ١٢ – ١٥ منهم للسكن اعتمادهم على الماء من وادي الأردن .	
١٤–ناتيف هاجدود	١٩٧٦ (قيد الانشاء)	طريق الوادي إلى الجنوب من جلجال .	ناحال ومن المنتظر أن تصبح موشاف .	٣٠ وحدة سكنية (قيد الانشاء) لتصبح موشاف	—
١٥ – ميغا تسيم	١٩٧٦ (تقرر انشاؤها)	طريق الوادي بالقرب من العوجا التحتا .	—	—	—
١٦ – ناحال نعاران أو يحطاف	كانون الأول ١٩٧٠	إلى الغرب من الوادي بالقرب من العوجا الفوقا .	ناحال حتى تشرين الأول ١٩٧٦ ثم تحولت إلى كيبوتز	خضار ، وثمار مختلفة في الوادي	الأرض من العوجا الفوقا والعوجا التحتا ١٢ وحدة سكنية ثنائية
١٧ – كوخاف هشاحر	١٩٧٥	طريق « حدود الاستيطان » ، شمال شرقي رام الله .	موقع عسكري سيصبح ناحال وبالتالي كيبوتز	المياه من عين سامية التي تشكل المصدر الوحيد لمياه رام الله .	الأرض من دير جرير ومن كفر مالك .

١٨ – كاليا وتدعى أيضاً الموج	شباط ١٩٦٨ ثاني مستوطنة في الوادي	شمال غرب شاطيء البحرث الميت (نقلت غرباً في أيار ١٩٧٥) . برك سمك في عين فشكا ، ٧ كيلومترات إلى الجنوب . المياه من وادي كيلت إلى الغرب من أريحا .	ناحال ثم أصبحت كيبوتز في عام ١٩٧٥	خضار ، زراعة الأشجار ، ديوك رومية ، مزارع الدواجن ، كروم العنب .	مستوطنة يهودية ١٩٣٦ – ١٩٤٨ ثم أصبحت معسكراً للجيش الأردني .
١٩ – معالي أدوميم	تشرين الثاني ١٩٧٤ (بموافقة الحكومة)	طريق القدس – أريحا الطرف الجنوبي لطريق « حدود الاستيطان » .	مركز صناعي ؛ يقطنها ٥٠ مستوطناً من جويش أمونيوم ، وهناك قاعدة عسكرية ومخطط اسكان لاستيعاب ٢٥٠٠ عامل .	هناك حوالي ٦٠ مستوطناً قدموا في أواخر عام ١٩٧٥	« أغلق » صندوق التنمية الاسرائيلي مساحة ٧٠,٠٠٠ دونم . في تشرين الأول ١٩٧٢ كانت الأرض بمعظمها حكومية . تمت مصادرات جديدة في نيسان وتموز ١٩٧٥ وذلك من أملاك أبو ديس وعزاريا .
٢٠ – عوفرا (وتدعى أيضاً بعال حتسور)	أيار ١٩٧٥	طريق رام الله – أريحا	« معسكر عمل » : المستوطنون من جوش أمونيوم	مشاغل ؛ كان يقطنها ١٠٠ شخص في أيار ١٩٧٦	قاعدة عسكرية أردنية . من أراضي عين يبرود ؛ ٥٠ دونماً من الأراضي الزراعية .

اسم المستوطنة	تاريخ انشائها	موقعها	تصنيفها	القاعدة الاقتصادية	اصحاب الارض الاصليون
٢١ – بيت – إيل	١٩٦٧	على طريق نابلس – رام الله ، إلى الشمال من رام الله .	قيادة عسكرية – حكومية	–	مجمع طبي حكومي أردني
٢٢ – قدوم (ايلون موريه)	كانون الأول ١٩٧٥	بين نابلس وقلقيلية : في « قلب » السامرة .	مستوطنة غير شرعية أقامتها جوش أمونيم	مشغل عسكري كان يقطنها ١٢٠ شخصاً في نيسان ١٩٧٦.	قاعدة عسكرية أردنية ؛ من أراضي كفر قدوم
٢٣–مفو– حورون	كانون الثاني ١٩٧٠	قلعة اللطرون .	موشاف دينية (حركة أزرا) يقطنها حوالي ٨٠ شخصاً أو أكثر متنزه الصندوق القومي اليهودي	ثمار مختلفة ، وأشجار فاكهة. ٤٢٠٠ دونم (بما فيها ١٥٠٠ دونم من أشجار الفاكهة) من يالو ، عمواس وبيت نوجا .	يالو ، عمواس ، بيت نوجا؛ وهي القرى التي دمرها الجيش الاسرائيلي بعد حرب حزيران ١٩٦٧.
٢٤ – كندا بارك	نيسان ١٩٦٧ (الافتتاح الرسمي)	قلعة اللطرون .			
٢٥ – متسفيه شاليم	كانون الأول ١٩٧٠	الشاطيء الغربي للبحر الميت .	كيبوتز ناحال	أشجار نخيل ، خضار	الأرض الزراعية بمحاذاة البحر الميت .
٢٦ – تكوع	حزيران ١٩٧٥	جنوب شرق بيت لحم	ناحال دينية	القاعدة الاقتصادية غير محددة السكان بأكملهم يرتدون زيا موحداً .	أرض مصادرة .

٢٧ – اليعازر	تشرين الأول ١٩٧٥	شمالية – معظم الاستيطان في جوش .	موشاف دينية (بني آكيفا)	مختبر كيماوي مصنع للالعاب (قيد التخطيط) كان يقطنها في أيار ١٩٧٦ ، ٢٠ عائلة (٩٠ شخصاً) من الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا .	٣٥٠ دونماً من الأراضي المزروعة بالكروم مصادرة من قرية حضر عـــام ١٩٧٣
٢٨ – روش تسوريم	تموز ١٩٦٩	مجمع اتزيون	كيبوتز ديني ؛ يقطنها ١١٠ أشخاص	مزرعة ديوك رومية	كانت مستوطنة يهودية قبل عام ١٩٤٨ : عين تزوريم .
٢٩ – الون شفوت	تموز ١٩٦٩	مجمع اتزيون	مركز اقليمي ، دبي . يقطنها ٢٢٥ طالباً و ١٠٠ عائلة .	لا قاعـــدة اقتصادية ، افتتحت في أواخر عام ١٩٧٢	١٢٠٠ دونم مصادرة عام ١٩٦٩ .
٣٠ – كفار عتسيون	أيلول ١٩٦٧	مجمع أتزيون	كيبوتز ديني	مزرعة ديوك رومية ، مصنع . كان يقطنها ٢٠٠ شخص في ربيع عام	مستوطنة يهودية ١٩٤٣ – ١٩٤٨ ثم تحولت إلى قاعدة عسكرية أردنية .

اسم المستوطنة	تاريخ انشائها	موقعها	تصنيفها	القاعدة الاقتصادية	اصحاب الارض الاصليون
				١٩٧٥ (١٠٠٠ شخص في المجمع ككل بما فيهم ٢٢٠) طالباً في مدرسة دينية .	
٣١ – كريات أربع	١٩٧٠ (مستوطنة غير شرعية منذ نيسان ١٩٦٨) .	الخليل	دينية ، مدينة	مصانع تتعامل تجارياً مع القدس ؛ كان يقطنها في أيلول ١٩٧٦ ، ١٥٠٠ شخص ، كذلك أنجز بناء ٤٠١ وحدة سكنية منها ٨٩ وحدة خالية .	قرب المركز اليهودي الذي كان قائماً قبل عام ١٩٤٨ ؛ الأرض مصادرة من مواطنين عرب من الخليل وحلحول.
٣٢ – عطاروت	–	شمال القدس ؛ بالقرب من اقارات ، مطار قلندية .	قطاع صناعي	٢٠ مصنعاً . أثاث ، حقائب اسمنت . سوف تمتد غرباً حيث ستتضاعف مساحتها.	الأرض مباعة أو مصادرة.

٣٣ – نفيه يعقوب	١٩٧٣	شمال القدس ، بالقرب من شعفاط .	منطقة سكنية ؛ كان يقطنها في آب ١٩٧٦ ؛ ٨٠٠٠ نسمة .	—	كانت مستوطنة يهودية قبل عام ١٩٤٨ .
٣٤ – راموت	١٩٧٣	شمال غرب القدس قرب النبي صموئيل .	منطقة سكنية . مخطط لانشاء ٨٠٠٠ وحدة سكنية تم انجاز ٤٣٦ وحدة منها في تموز ١٩٧٦	٧٥٠ عائلة في عام ١٩٧٦	الأرض مباعة أو مصادرة
٣٥ – رامات أيشكول	١٩٦٨	شمال القدس .	منطقة سكنية . مخطط لانشاء ٢٤٠٠ وحدة سكنية ، تم انجاز ١٨٠٠ وحدة منها في تموز ١٩٧٥ ووصل العدد إلى ٢١٠٠ في تموز ١٩٧٦ .	—	مصادرة بكاملها
٣٦ – فرينش هيل	١٩٦٩	شمال القدس ، على الطريق إلى رام الله ، تتصل بجبل المكبر .	منطقة سكنية	—	الأرض مصادرة (عام ١٩٦٨ – ١٩٦٩ تمت مصادرة ٣٥٠٠ دونم لرامات ايشكول وفرينش هيل : الثلث أراض عربية. الثلث أراض يهودية. الثلث من أراضي الحكومة الأردنية أو أراضي

اسم المستوطنة	تاريخ انشائها	موقعها	تصنيفها	القاعدة الاقتصادية	اصحاب الارض الاصليون
					مؤسسات خاصة . كذلك تمت مصادرة ١١,٦٨٠ دونماً في آب ١٩٧٠ وذلك « للضواحي » في شمال وجنوب القدس .
٣٧ – غيلو	١٩٧٣	جنوب القدس ، بين بيت صفافا وبيت جالا	منطقة سكنية ؛ مخطط لانشاء ١٠,٠٠٠ وحدة سكنية	تم انجاز ٧٧٩ وحدة سكنية في تموز ١٩٧٥ وصل العدد إلى ١٠٠٠ وحدة . من المتوقع افتتاح نزل للمهاجرين	
٣٨ – تلبيون مزراح	١٩٧٣	القدس الشرقية ، المنحدر الجنوبي للمرتفع الحكومي بالقرب من أبو طور وسورباهر	منطقة سكنية ؛ مخطط لانشاء ٣,٠٠٠ وحدة سكنية ، تم انجاز ٦٣٧ وحدة منها في تموز ١٩٧٥ ووصل العدد إلى ١,٠٠٠ وحدة في تموز ١٩٧٦ .	—	—

٣٩ – الحي اليهودي (المدينة القديمة)	١٩٦٧	مدينة القدس القديمة	منطقة سكنية ويشيفوت ؛ كانت تقطنها في نيسان ١٩٧٦ ، ٣٠٠ عائلة .	–	الوقف الإسلامي ، الوقف العربي الخاص ، أراضي عربية ويهودية خاصة . تم تدمير ١٦٠ منزلا في حزيران ١٩٦٧ . تمت مصادرة ٦٠٠ مبنى في نيسان ١٩٦٨ ، تم تهجير ٢,٠٠٠ عربي حوالي عام ٧١ .
٤٠ – الموج	١٩٧٧	بالقرب من وادي الأردن .	كيبوتز	زراعية	–
٤١ – جفعاه – أدو ماه	١٩٧٧	واقعة على طريق الون بين جيتيت وكوهاف هاشاهار .	مدنية	–	–
٤٢ – ريمونيم	١٩٧٧	جنوب كوهاف هاشاهار على طريق الون حيث تتقاطع مع طريق رام الله – اريحا .	عسكرية	–	–
٤٣ – قسا	١٩٧٧	٣٤ كيلومتراً جنوب غرب نابلس .	زراعية	–	سكان القرية العرب .

مراجعات

تحليل نفساني لتاريخ الصهيونية

Jay Y. Conen, **A Psycho History of Zionism,**
(A Meridian Book : New American Library, U.S.A. 1975)

بعد التأويل اللاهوتي للصهيونية ، ظهر التأويل القومي لها كحركة من حركات التحرر في العالم ، تلاه بعد ذلك التأويل الفلسفي معتمدة تارة على الفلسفة الوجودية وتارة اخرى علىفلسفة الظواهر، واخيرا وليس اخرا طلع علينا التأويل النفسي للصهيونية واسرائيل ·

وكما نرى فان المنظرين الصهاينة يستعينون باخر الادوات العلمية لايقاف النظرية الصهيونية على قدميها ، اي يستعملون كل ما هو جديد لتجميل وجه قديم ، وبذلك تتحول كل التأويلات الصهيونية الى عمل براجماتي هادف في خدمة الصهيونية، وتصبح النظريةمهما كانت جدتها وجديتها مجرد اداة لتبرير السياسة الصهيونية وتاريخها ، وتشوه النظرية وتحرف وتجهض كي تصبح موائمة لخدمة سياسة باطلة ، فبطلان السياسة يعكس نفسه على النظرية فتصبح باطلة ·

من هذا المنطلق طلع علينا جاي غونين بكتابه «تحليل نفساني لتاريخ الصهيونية» ·

ولد غونين في حيفا عام ١٩٣٤ ثم هاجر الى امريكا وحصل على الجنسية الامريكية واصبح مدرسا في احدى الجامعات هناك ·

وقد تكون هجرة غونين من اسرائيل الى الولايات المتحدة احد الاسباب التي دعته الى تاليف كتابه ، فشرح الصهيونية وتأويلها ضروري خارج اسرائيل لا داخلها ·

وينطلق غونين في دراسته من مقولة تميز اليهودي في التاريخ ومكانه وسط التيارات الثقافية والحضارية التي عاش فيها وتركت فيه اثرا معينا اي ركزته كيهودي ، وانتجته كذات معينة ذات سلوك معين وبنيان نفسي معين ·

يستعرض غونين تاريخ اليهود منذ البدء ثم يسهب في شرح اسباب نشوء الحركة الصهيونية في اوربا ، فيحللها من الناحية النفسية والثقافية والسياسية ، الى ان يصل الى تأسيس دولة اسرائيل في فلسطين فيبحث في المشاكل الاساسية التي تواجهها اسرائيل كدولة ، والنتائج التي قد تتأتى

من اهمال السياسة الاسرائيلية لكثير من الامور الهامة التي يمكن ان تعطي نتائج مدمرة لاسرائيل والصهيونية ·

يحلل غونين نفسية اليهود طبقا لنظريات فرويد في التحليل النفسي· فاليهود بالنسبة لغونين مصابون بعقدة اوديب التي تكمن في المزاحمة والتنافس ما بين الاب والابن على الام · فالصبي يريد ان يستأثر بالام وحده دون الاب · ويحب الام بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ·اي ان الابن بالنسبة لفرويد يكن لامه الحنان ويحبها ايضا جنسيا وحسيا ،لكن خوفه من الاب الذي قد يقتله اذا احب امه جنسيا او اظهر هذا الحب يقمع في الطفل الشعور الجنسي تجاه امه ويخبئه في لاوعيه ويظل القسم الاخر اي الحنان ظاهرا ومعترفا به ·

وبعد تحليله لنفسية اليهود يجد غونين ان مجتمعهم مبني على الركيزة الابوية (Patriarchy) ، فالاب هو المسيطر على العائلة ، وخوف الاولاد من الاب جعل هذا المجتمع اليهودي ينقل صورة الاب الى اله · فرب اليهود قوي للغاية ، محب ولكنه ايضا ينتقم من اولاده ، اي اليهود ، ان هم اساءوا اليه ، ولهذا شعر اليهود بان عليهم تقديم الضحايا الى يهوه كي يظل راضيا عنهم ان هم ارتكبوا خطأ مع الام · ورمز الام هو الارض او ارض اسرائيل ·

اذا عقدة اوديب التي تظهر جليا في المجتمعات الابوية هي ذاتها في المجتمع اليهودي الذي امن باله هو الاب الروحي وهو المنقذ وهو الذي اختار شعبه · ولكن اليهود (اي الاولاد) غالبا ما يتخلون عن الاب ويمالئونه بتقديم الضحايا · وهناك ادلة كثيرة تؤيد هذه النظرية · ومثال ذلك قصة ابراهيم في التوراة وكيف حاول ارضاء يهوه بتقديم ابنه قربانا على المذبح. وكذلك علاقة الختان بالدين اليهودي · فغونين يميل الى الاعتقاد بأن الختان ليس الا أستبدالا للقتل او الخصي ·

وكما ان يهوه هو رمز الاب المضخم ، فرمز الام هو اسرائيل ، فاسرائيل بمثابة البيت ـ الوطن ، وكل ما هو دافيء ، آمن ومحب · اذا ، التقاليد العائلية لدى اليهود اتخذت طابعا دينيا ذا ابعاد خطيرة· فايمان اليهود بانهم شعب الله المختار ، وبأن هناك عهودا وعقودا لا تفصم ما بينهما ، ادى بالتالي الى اعتقادهم الراسخ بانهم سيعودون الى ارضهم ، واصبح هذا الاعتقاد خلال فترة « التشرد » حلمهم الدائم · والحلم كما هو معروف مغاير للواقع ، ولكنه في الوقت ذاته غير مقيد بزمان ومكان ،ولذلك استطاع اليهود البقاء كيهود مشتتين لانهم تعلقوا بالحلم ـ حلم عودتهم الى ما كانوا عليه قبل التشرد وهذا مما ساعد الصهيونية فيما بعد ، اذ ان الحلم بعث جديدا تحت مضامين ومفاهيم عصرية · وبنيت جسور حديثة امتدت الى الماضي البعيد ·

وكما ساعد الحلم في ترسيخ الصهيونية ، كانت له كذلك نتائج سلبية · فايمان اليهود بانهم شعب واحد من جهة ، ووجودهم في اوروبا مشتتين ، متناثرين من جهة اخرى ادى بهم الى حالة انفصام في الشخصية · ويصور لنا غونين حالة اليهود النفسية إبان التشرد بانها نفسية مضعضعة،مريضة· فاليهوديعتقدون بان لهم تراثا غنيا خلاقا وفريدا يميزهمعن غيرهم· وفي الوقت نفسه فهم لا يملكون اية قوة سياسية يستطيعون من خلالها ان يوجهوا دفة مصيرهم · وبما ان القوة الفعلية كانت في ايدي امم اخرى في اوروبا ،فلقد حاول الكثيرون من اليهود مجاراة المسيحيين ، اما بالتزلف اليهم واما بمسايرتهم والتطبع بعاداتهم الى درجة كره فيها اليهودي يهوديته وحاول التخلص منها ، وتمسكن وتذلل ليبقى على قيد الحياة · وهذا شعور اليهود بالاضطهاد

الى الاعتقاد بان اية حادثة تاريخية في العالم ، او اي تغيير او اية ثورة لا علاقة لها اساسا بالشعب اليهودي ومصيره ، سلبا كان ام ايجابا · ويرجع غونين هذا الشعور بالاضطهاد الى نفسية اليهودي الذي يحس بقلق عميق ازاء مصيره،وخوفه الشديد مما يخبئه له المستقبل ، وعدم ثقته بنفسه · وينتج عن ذلك ردة فعل قوية لدى اليهودي تتمثل بالكراهية والعداوة والانتقام وحب المنافسة والغلبة· وهكذا نجد عند اليهود عامة عاطفتين متناقضتين تتنازعان : كراهية يقابلها خضوع وخنوع ، وحب انتقام يقابله شعور بالنقص ، ومحاولة للوصول الى مبتغاهم يقابله عدم الثقة بالنفس ·

وهناك شخصيتان لليهودي ابان تشرده: اليهودي خارج بيته وكيفية مواجهته للمجتمع الذي يعيش فيه ، واليهودي داخل بيته وفي بيئته المعينة · والشخصيتان غير منسجمتين بل متناقضتين وهذا مما ادى الى انفصام في شخصية اليهودي · وازاء هذه الحالة وبعد اضطهاد اليهود في عديد من المرات في اوروبا كما يقول غونين ، احسوا انهم اذا لم يحركوا ساكنا ولم يحاولوا تغيير مصيرهم فانهم لا بد مندثرون ، وكان الحل نشوء الصهيونية· وبالرغم من ان الصهيونية هي حل سياسي بحت الا ان ركائزها دينية · لكنها في الوقت ذاته واجهت معاندة وتصلبا من رجال الدين اليهود الذين يؤمنون بان عليهم ان ينتظروا الحل من يهوه والا يتدخلوا في تقرير مصيرهم ·

ويمعن غونين في تحليل نفسية مؤسس الصهيونية : تيودور هرتسل ، فيؤكد على نزعتين عند هرتزل · اولاهما انه كان يحب امه حبا جما لكنه لا يستطيع ان يحبها حسيا ، فعوض عن ذلك بحبه اللامتناهي لاسرائيل · وثانيهما ان هرتزل كان مقامرا من الدرجة الاولى ، انغمس في لعب الميسر كتعويض عن المشاكل العاطفية التي جابهته ، ومقامرته الكبرى كانت فكرة الصهيونية وتأسيس دولة اسرائيل ·

الا ان غونين يتحيز ويتطرف حين يهاجم اعتراضات اليسار الذي يؤمن بأن الصهيونية حركة استعمارية ورجعية · فغونين يعتبر الصهيونية « حركة ثورية » بنيت على ركائز ديمقراطية ، لا بل هي « الحركة الثورية الوحيدة التي نجحت في العالم » ! (انظر ص ٥٩ ـ ٦١) ·

اذا ، ليست الصهيونية بالنسبة لغونين حركة سياسية بحتة بل هي ثورة · ومدلول الثورة كما نعرفه هو قلب جذري لبنى المجتمع وللمفاهيم السائدة وتحقيق العدالة الاجتماعية واحترام الفرد مهما كان وضيعا وتأمين مستوى ادنى من المعيشة للجميع· والمفاهيم الثورية عادة تتخطى قوميات معينة وتستطيع تطبيقها في اي بلد من البلدان ، فاين هي هذه المفاهيم الثورية التي قدمتها الصهيونية للعالم ؟ وان كان غونين يعتبر ان تغيير مصير اليهود وايجاد وطن لهم في فلسطين ثورة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، فالرد واضح :

اولا ، كيف ننعت حركة غريبة احتلت وطنا بالقوة وهجرت اهله ؟ الا يسمى ذلك استعمارا ؟

ثانيا ، هل كانت معاملة الصهيونيين للفلسطينيين معاملة ثورية ؟ الم يشرد الفلسطيني ؟ الم يعامل من بقي منهم معاملة من هم ادنى من اليهودي ؟ الا تسمى تلك عنصرية ؟

ثالثا ، الم يستعمل الصهيوني على ارض فلسطين نفس الاساليب التي استعملت ضده في الغرب والتي كان اليهود يشكون منها وينبذونها ؟

رابعا ، ما مصير اليهود انفسهم في اسرائيل ؟هل يعاملون كلهم بنفس

السوية ؟ اوليس هناك تفرقة فاضحة ما بين اليهودي القادم من الغرب واليهودي الشرقي ؟ وغونين لم يتطرق الى هذه المشكلة البتة وكأنها غير موجودة ٠

ويندد المؤلف بالاساليب التي تستعملها اسرائيل ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة اذ انه يخاف ان يأتي يوم يستعمل فيه الاسرائيليون الاساليب نفسها ضد اليهود !

ويرى غونين ان الحركة الصهيونية تواجه مشاكل عديدة داخلية اهمها :

اولا ، كيفية التوفيق ما بين اسرائيل التي تريدها الصهيونية دولة عصرية ، مدنية من جهة والتراث الديني اليهودي من جهة اخرى ٠

ثانيا ، بما ان اسرائيل لم تتخذ موقفا واضحا ازاء ما تعتبره حدود اسرائيل وما هو خارج اسرائيل ، يظل السؤال حول القبول بحدود اسرائيل كما كانت قبل عام ١٩٦٧ او المبالغة في المشاريع التوسعية التي قد تمتد من النيل الى الفرات قائما ٠

ثالثا ، ما هي سياسة اسرائيل تجاه العرب ؟ وكيف تعامل الفلسطينيين ؟

رابعا ، الى اي مدى تأثرت النفسية اليهودية بالحملة النازية ؟

يشدد الكاتب على فكرة ان ما يجمع اليهود ويشدهم بعضهم الى البعض هو التراث الديني اليهودي الذي برزت منه فكرة الامة اليهودية او اسرائيل ٠ وهناك تياران يتصارعان في اسرائيل وقد يؤديان الى « ثورة ثقافية » : فمن جهة نشأ في اسرائيل جيل جديد ، جيل « الصبرا » الذي لا يؤمن كثيرا بالدين اليهودي ، ويرفض تراث اليهود طوال فترة التشرد ٠ فالجيل الناشىء لا يريد ان يعتبر تاريخ اليهود في اوروبا جزءا منه اذ ان هذا التاريخ يعطي صورة سلبية للغاية عن نفسية اليهودي فهو مشرد ، مسكين ، منبوذ وذليل ٠ فالاسرائيلي الذي ولد وترعرع في اسرائيل لديه شعور بالقوة والسيطرة وهذا الشعور كان مفقودا ما بين يهود العالم ٠ وغالبا ما يتساءل الشباب الاسرائيليون ، لماذا لم يتحدى الشعب اليهودي النازية في المانيا ؟ ولماذا استسلم دون ان يقاوم ؟ ولماذا ذهب الى الموت وكأنها مشيئة الهية ؟ واذ ذاك يرفض الصبرا الاعتراف بأن هناك صلة حميمة ما بين الماضي والحاضر ٠ ومن جهة اخرى، تيار ديني محافظ يعتبر ان الصهيونية تابعة لليهودية وليس العكس ٠

ولقد تصدى المفكر أحد هاعام لهذه المشكلة في كتاباته العديدة وحاول ان يصور ما قد تنتهي اليه اسرائيل ان هي تخلت عن تراثها وحضارتها اليهوديتين ٠ ويعتقد هاعام بانه اذا طغت النزعة الصهيونية السياسية البحتة دون الاهتمام بالنواحي الروحية والثقافية فان مستقبل اسرائيل مظلم للغاية ٠

ويخلص غونين الى القول بأن على الاسرائيليين ان يقبلوا بتراثهم الديني كله والا يرفضوا قسما ويرضوا بالاخر ٠ فالكثيرون منهم يتعصبون مثلا للغة العبرية ويرفضون ان يسموا يهودا ويستبدلون ذلك بكلمة عبرانيين ومنهم من بالغ في ذلك مثال « حركة الكنعانيين » التي تؤمن بأنه لم يكن هناك امة يهودية بل امة عبرية تمتد من النيل الى الفرات وتشمل كل من تكلم العبرية انذاك ٠ فمفهوم الامة بالنسبة لهم يرتكز على ارض ولغة مشتركتين والدين ليس من مقومات الامة ولهذا ترفض الحركة الدين اليهودي وكذلك الصهيونية لان هذه الاخيرة بنيت على افكار دينية ٠

ولا يتساءل غونين على اي اساس

تطالب هذه الحركة الكنعانية بما يسمى « اسرائيل الكبرى » اذ انه لم تكن هناك في يوم من الايام امة عربية تمتد من النيل الى الفرات بل ان مفهوم الامة لم ينشأ ويتبلور الا مؤخرا · ولكن الكاتب ينوه الى ان ظهور افكار متطرفة كهذه قد تؤدي الى عواقب وخيمة وانفصام خطير في الشخصية الاسرائيلية يتبعه انفصام داخل المجتمع الاسرائيلي ما بين رافضي الدين اليهودي والمتدينين ويبين التناقض ما بين موقف اليهودي الذي يطالب اينما حل في العالم بفصل الدين عن الدولة الا في اسرائيل حيث يكرس الدين الدولة ·

ويطالب الكاتب الاسرائيليين ان يكونوا معتدلين في تعاملهم مع العرب وان يكونوا واقعيين تجاه الفلسطينين ويكفوا عن التكلم وكأن لا وجود للفلسطينيين وكأنه لم تكن هناك ارض اسمها فلسطين · ولكنه يعترف بأن الاسرائيليين غير مهيئين نفسيا للتفاوض بعد المصائب التي حلت بهم في اوروبا وخاصة ايام النازية وبعد تاريخ طويل من القهر ادى باليهودي الى اتخاذ موقف مشابه لموقف شمشون الذي هدم المعبد عليه وعلى اعدائه فانتصر بالموت ، او فضل الانتحار كما حدث في « مسادا » كي لا يفاوض ·

والاهم من ذلك ان المفاوضة ستجبر الاسرائيليين على اعلان خططهم فيما يتعلق بحدود اسرائيل وهذا ما يحاولون التهرب منه · فهناك تواطؤا ما بين رجال الدين والصهيونيين داخل اسرائيل يستغله الصهيونيون للامعان في مشاريعهم التوسعية التي لا تفسر الا على اسس دينية بالنسبة الى ارض الميعاد وايضا لاستدرار عطف يهود العالم عليهم وحثهم على العودة الى الوطن الوحيد الذي يستطيعون فيه ان يكونوا احرارا كيهود ·

ويطالب الكاتب كذلك الفلسطينيين بان يكونوا واقعيين وان يتنازلوا قليلا عن حقوقهم ويرى ان بتنازل كل طرف عن بعض حقوقه نصل الى السلم · الا ان غونين ينسى ان بتنازل الفلسطيني عن وطنه يتنازل عن هويته وعن حقه في الوجود ·

ان غونين يحاول ان يكون موضوعيا ، لكن موضوعيته تبقى زائفة مبتسرة ، ناقصة ، وهو لا يقدم في نهاية الامر الا تثبيتا للصهيونية وموقفا اخلاقيا بالنسبة للفلسطينيين ، موقف غير قادر على اعطاء اي حل او شبه حل مشخص ·

د· صفية سعادة

كاريكاتور ناجي العلي

(كتاب السفير ، بيروت ، آذار ١٩٧٦)

الفصول العشرة في كتاب « كاريكاتور ناجي العلي » ، تحمل في عناوينها صيغة النداء ، لكنها في جوهرها ، خطوطها وكلماتها ، تحمل حدة السكين ، وبهجة البسمة ، وحرقة الحزن ·

والرحلة في داخل الكتاب تأخذ شكل الدائرة ، نقطة البدء فيها فلسطين ، ونقطة النهاية هي فلسطين · وتظل فلسطين ، ارضا وقضية ، هما يحمله الفنان ويلازمه في رحلته ، ويتغلغل في مسامات رؤيته لقضايا العالم كله، الاجتماعية والسياسية·

ينأى ناجي العلي في كاريكاتيره عن تضخيم الاشياء الموصل الى الاضحاك ، فان كانت الكثير من رسوماته تنتزع منك الضحكة ، فان الكثير منها ايضا يعكس حزنا جمعيا ينبع من واقع موضوعي وظروف تاريخية محددة ·· يجمع هذا الحزن بصعوبة وباحساس عميق ومعاناة ، ثم يعيد اختزاله بيسر وسهولة عبر خطوط واشكال ·

وعندما يجتمع الحزن مع البسمة داخل عمل واحد ، صورة واحدة ، تظهر بدقة قدرة الفنان على الامساك بالقطبين الموجب والسالب، وفي لقاء القطبين يحدث التفجير الذي اراده الفنان ان يكون تحريضا علنيا ضد الاعداء الصهاينة والامبرياليين والانظمة الرجعية والبورجوازيات العربية المستسلمة والطبقات المستغلة والقوى الانعزالية ·

نظرة الفنان الثاقبة تتقمص شخصية طفل نراه في اكثر المواقع مراقبا ، يمنحنا ظهره الذي يبسط في نهايته ساعدين مسترخيين، كأنما الدهشة غائبة عن ملامح الوجه الطفل الذي غالبا ما لا نراه ·

طفل ناجي الذي يبدو لوهلة محايدا ، هو على النقيض من ذلك ـ تماما كما الفنان ذاته ـ ، فهو عين الفنان ورؤيته الثاقبة ، وهو ، اضافة الى ذلك ، يمثل الحس الشعبي العام الذي استطاع الفنان ،ن يلتقطه بقدرة فائقة ليختزله بالخطوط والكلمات المقتضبة ، فيحوله الى وعي يتوجه به الى جماهير الشعب ذاتها التي يعبر عنها وعن همومها ·

ظاهريا ، لا يبدو الطفل كقوة ايجابية ماعلة في الغالب ، اذا ما قفزنا عن فعله الدائم في التعرية، تلك التي تظهر اكتشافه لموقع الجرح من خلال انتقائه عنوان صحيفة ، او من خلال نظرة لفعل امامه من المفترض موضوعيا ان يثير الدهشة . فلا يدهشه · لكن هذا الطفل ، عندما يفعل، فانه يتفجر كالقذيفة ، ينتقم بلا رأفة من اعدائه ، يشتم بلا خجل ، يحاور من موقع الاقوى ، ويستعيد صوت الشاعر الشعبي ليلعب دور المعبىء والمحرض ·

واذا كان الطفل هنا يمثل الحس الشعبي العام ، فان ذلك لا ينفي ان للطفل ذاته خصوصية فلسطينية مميزة ، تماما ، كما الفنان ناجي العلي ذاته ، يظل ممثلا للحس الشعبي العام دون ان يجهز ذلك على خصوصيته الفلسطينية او ينقص منها ·

ففلسطين بالنسبة لهـــذا الفنان هـــي المحـــور ، وهي كل شـــيء · انهـــا الذاكرة ، والمخيم ، والمقاتل ، والامل · فرغم الحواجز المصنوعة من اسلاك شائكة، فان مفاتيح البيوت المتروكة منذ الخروج الاول ما زالت تحتفظ لديه بوهج الحـلم المستقبلي ·

وحول فلسطين تلتف مخاوف الفنـان وهواجسه وشكوكه ، فمع كل حدث يتنسـم فيه رائحة المؤامرة ، تستيقظ المخاوف · واحيانا تتضخم تلك المخاوف بشكل ورمي، بحيثيثيرها الانتصار كما تثيرها المؤامرة، ويسيطر الهاجس في ان يتحول الانتصار الى هزيمة (قبول منظمـــة التحريـــر الفلسطينية عضوا مراقبا في الامم المتحدة مثلا) ·

وتتخذ المخاوف احيانا شكل الكابوس ، بحيث تنعكس على صورة تشويهات بدنية رهيبة · فالثورة تبدو كساعـد مقطـوع نازف بالدماء يقدمه عـــرب اميركا الى الاعداء على طبق ، وتنازلات الانظمـــة المستسلمة تتمثل في شكل غابة من اجساد الجنود الموؤودين في رمـــل الصحراء ، والسكين في طبق التسوية تنغرس فـــي ذراعي جندي مقطعة · وتتشال الصـــور الكابوسية، ويظل بطلها المغدور هو الجندي المقاتل الذي يظهر مقطع الاطراف او الرأس بينما الانصال الحادة تنغرس في جسده ، كما يظهر الفدائي المبتور القدمين والمسلوب شارته المتمثلة في ثياب ممزقة ·

ورغم المؤامرات الكابوسية التي تضغط على صدره ، فان ناجي العلي يظل قادرا على الحلم ، وعارفا للطريق الموصل الـى تحقيق الحـــلم (فلسطين ذات القرط ـ القنبلة) ·

ويزاوج ناجي العلي القضية السياسية بالقضية الاجتماعية من منظور الصراع الطبقي ، فالفلسطيني الفقير والمعدم يحمـــل سمات الفدائي في كفاحه من اجل لقمة العيش ، فلا ينفصل لديه الصراع السياسي عـــن الصراع الاجتماعي ·

تتجلى هذه المزاوجة في رؤية الفنان للاحداث اللبنانية التي اكسبته معايشتها تبلورا في رؤيته الطبقية ، فهو ينفي طائفية الصراع ويؤكد مضمونه الطبقي ، كما يؤكد على لقاء مصالح البورجوازية المسلمـــة والبورجوازية المسيحية في النهاية ، ورغبة هؤلاء في تحويل الصراع الى صراع طائفي اداته الطبقة المسحوقة التي ستكون هـــي الخاسر الوحيد في اي صراع طائفي (فقير مسلم وفقير مسيحي معلقان على صليب واحد · بورجوازيان يشربان نخباً علـــى طاولة فوقها ساعدين مقطوعين ومتصافحين يمثلان فقراء المسلمين وفقراء المسيحيين· الكتائب تركب صليبا يحمله فقير مسيحـــي ·· وغيرها)·

حول هذا المحور، السياسي والاجتماعي، تلتف هموم الفنان ، وعلى موقعه هـــذا ، ينصب متراسا يشن منه حربه عـــلى المستسلمين والرجعية العربية والطائفيين والصهاينة والامبرياليين وقوى الاستغـلال الطبقي ·

وفي حربه ، يتوســـل ناجي ادوات تعبيرية ، تشكيلية ولغوية مبسطة ، تساعده في عملية التواصل · ولعل اهم ادواته هي التحويرات الشكلية · فهو يطمح ، مـــن خلال تحويراته لاشكال معروفة ، الى جعل الخطوط لغة للتواصل ، ليصل بذلك الـى ارقى درجة تعبيرية لفن الكاريكاتير ، حيث تتحرك الخطوط والاشكال وحدها ، ودون تدخلات لغوية ، لتعبر عن الفكرة التـي ارادها الفنان ، بحيث يمكن فهمها كونيا ·

وتبدو قدرة ناجي العلي الفائقة فـــي اعطائه تحويرات متعددة لشكل واحد ، اذ يبقى الشكل محتفظا بدلالته الاصلية مـع

اكتسابه دلالة جديدة نابعة مـــن الشكل الجديد المحور ٠

فالعلم الاميركي مثـــلا ، يتحور في رسومات متعددة ليصبح بحـــرا تارة ، وحجاب امرأة تارة اخرى ٠ وتتعـــدد الاشكال المحورة عن العلم الاميركي : شعر رجل ، خطوط ترسمها الاظافر على الوجه. اثار على الارض لدبابات العدو ، سجادة لصلاة المستسلمين ٠٠ الخ ٠

وتدخل تحويرات على الصليب ، ليتحول مرة الى خنجر ، ومرة الى متاهة ، ومرة الى مصيدة ، واخرى الى شارة علـــى الطريق ٠

ويستفيد ناجيمن ملابس الفدائي الموهة في تحويرات متعددة ٠ مثلا ، ملابس الفقير المرقعة تأخذ شكل ملابس الفدائي الموهة ، وتمويه ملابس الجائع الذي يخرج شاهرا سلاحه يتخذ اشكال الاطعمة ٠

وتمتد التحويرات الى اشكال كثيرة : قبة الصخرة تتحول كأسا ، والعيون الـى عيدان كبريت ، والحذاء الى قذيفة ، والهزم الى شجرة ارز ٠

كل ذلك يتم من خلال التقاط الفنـــان لاوجه التشابه بين شكلين مختلفين ، فيعيد صياغة الشكلين في شكل واحد تندمـــج فيه مزايا الشكلين معا ، لكن الشكل الجديد يأتي حاملا من الدلالات ما يتجاوز دلالة كل شكل على حدة ٠ ثم يأتي الفعل او الحركة ليضيف الى الصورة دلالات اخرى جديدة٠ كما يلعب التعليق اللغوي مثل هذا الدور ، وهنا تحتل التحويرات اللغويـــة مكانـــة هامة ٠

فعلى الرغم من ان طموح ناجي العلي يكمن في الوصول الى شكل دون تعليق ، الا ان هذا الهدف لم يتحقق له حتى الان الا جزئيا ، فما زالت اللغة المنطوقة تحتـل مكانا في رسوماته ٠

واللغة لا تكون مستوية لديه دائما ، فقدرته على ادخال تحويرات على اللغة لا تقل عن قدرته على ادخال تحويرات على الشكل ٠

وكما في الشكل ، يلتقط ناجي العلـــي اوجه التشابـــــه في نطق كلمتين رغـم مضمونهما المختلف والمتناقض احيانـــا ، ويستبدل كلمة باخرى بحيث توفي بهدفه الساخر والتحريضي ٠ او انه يشق الكلمة الى كلمتين لتبدو بمضمون جديـــد ، او يلتقط كلمة مزدوجة المعنى ، بحيث يفهم كل معنى منفردا او يفهم المعنيين معا٠ واحيانا يستفيد من قول متداول او اسم شائع ، فيحوره ليكسبه معنى اخر ٠

الامثلة على كل ذلك متعددة :

ـ الكلمة مزدوجة المعنى : نجد ذلك فـي صورة الام المثالية ٠٠٠ « كان عندهـــا اربع شباب كلهم نالوا الشهادة » ، مـــع التأكيد هنا على كلمة « الشهادة »التي قد تعني شهادة جامعية ، لكنها هنا تعنـــي الاستشهاد ٠

ـ تحوير كلمات او اقوال شائعة بتغيير ترتيب الحروف او استبدال بعضها: فشعار « ثورة حتى النصر » يتحور على لسان الرجعية العربية الى « ثروة حتى النصر » ، وعبارة « كثر الضغط يولـــد الانفجار » تتحور فيها الكلمة الاخيرة الى « الانفراج » و « بورسعيد » بعد تحويلها الى منطقة حرة يصبح اسمها « بار سعيد » ٠

ـ تقطيع الكلمة : فعبارة « شعب الله المختار » تتحول مع صورة اسرائيلي مرتبك الى « شعب الله الخ ٠٠ طار » و « لبنان الاخضر » الى « لبنـــان الاخ ٠٠ ضر » و « بارليف » الى « بار ٠٠ ليف » ٠

ـ التعبير عن الكلمة بشـــكل له نفس التسمية ومعنى مغاير : نرى ذلك في صورة شربل قسيس يتعبد للتقسيم وقـــد انزل

الصليب ووضع مكانه اشارة القسمة (÷)، والى جانبه كلمة « التقسيم » ٠

وتتجلى القدرة اللغوية لدى الفنان في حواریاته الشعرية الشعبيـــة والمواويـــل التحريضية ، واغاني الاطفال المحورة لغاية التحريض ٠ ورغم التحوير ، فان هـــذه الاشعار تظل محتفظة بروحها الشعبية ، ويظل اللحن الشعبي الخفي يشع من خـلال الكلمات ٠

في حوارية شعرية يتصاعد فيهـــا التحريض مع كل مقطع وتتم بين شربـل قسيس والطفل ، يغني الطفل :

فطومة غنت موال

ردت حنه قرادي

وانا ما عندي حصيره

وشربل عنده سجاده

فيرد شربل :

انا عندي سجاده

للصلاة والعباده

ابعد عني يا مسخوط

وبعطيك ياها شحاده

ويرد الطفل :

شحاده مش بالعاده

بالقوة بحصل عمرادي

وان جد الجد وراسي احتد

بعمل هالكرش وسادة

ويستمر الحوار محرضا ومعريا اعداء الفنان واعداء الشعب ٠

يستفيد ناجي العلي من مطلع القصيدة الشعبية الشائعة او من اللحن الشعبي ، فيمســـك باطراف الخيط الـــذي يصله بالجماهير التي يتوجه اليها ، ثم يقـــود هذه الجماهير في تظاهرة تحريضية ٠

هكذا طوع الفنان الفولكلور الشعبي لخدمة اغراض سياسية فتحولت « طاولة الزهر » في يده الى اداة تحريض ، والعاب الاطفال الى ادوات اخرى ، ومثلها تحول « صندوق الدنيا » ٠٠٠

شوف اتفرج على عنتر

عنتر من تل الزعتر

جوعان وعميتمرمر

وبوقت الشدة لا يقهر

واذا كان الشعر الشعبي اداة اتصال مضمونة النتائج مع الجماهير ، فماذا يفعل فنان حرفته اصلا الخطوط لا الكلمات ؟

نستشعر بالمعضلة التي تواجه ناجي العلي في بحثه الدائم عن سبل تجديـــد خطوط التواصل بينه وبين جمهوره ، دون التعالي عن هـــذا الجمهور او الانصياع برومانسية لمستوى الوعي الشعبي السائد ، فهو يهدف في النهاية الى الارتقاء بالوعي السياسي والاجتماعي لجمهوره من خـلال الادوات الفنية التي يمتلكها ٠

وتجنبا للسقوط في المباشرة وفجاجـة التحريض ، يلجأ ناجي الى الرمز الايحائي المبسط الذي لا ينأى عن ثقافة الجمهور ، متجنبا في ذلك التسطيح والتعقيد معا ٠ فالصليب ، والعلم ، والحـذاء ، وملابس الفدائي المرقطة ، وبئر النفط ، والهرم ، هي مثال للرموز المستخدمة بوفرة لديه ، وتكرار استخدامها في رسومات متعـددة يساعد المطلع العادي على فهم دلالاتهـا ضمن السياق الذي تجيء فيه ٠

ففي استخدامه للرمز ، لا يقطع ناجي صلته بالحس الشعبي العام ، وابرز مثال على ذلك عندما نراه يرمز لـ « فورد » بسيارة ٠ فكلمة « فورد » قبل ان تعني لنا اسما للرئيس الاميركي ، كانت تعني نوعا

من انواع السيارات ، وحال توارد الكلمة الى اسماعنا تستجلب من اللاشعور الجمعي صورة مترسبة لسيارة من هذا الطراز · وحتى عندما ينحصر الحديث في الرئيس الاميركي « فورد » ، تظل الصورة القديمة هي المرشحة للتداعي · هكذا يتمثل « فورد » في رسومات ناجي كنوع من انواع السيارات ، تماما كما الكلمة تعني في اللاشعور الشعبي الجمعي ·

يعبر ناجي عن الصعوبة التي يواجهها في الجمع بين التبسيط والعمل الفني ، فرغم تعمده اللجوء الى الرموز المبسطة ، الا انه يكون احيانا مضطرا الى اللجوء لرمز صعب نسبيا لاغراض تعليمية بحتة · يقول: «ان بعض الرموز الصعبة التي استخدمها قد تكون ذات فائدة تعليمية للجماهير · مثلا عندما اضع العقال العربي فوق رأس المسيح بدل الهالة العادية ، اقدم لجمهور واسع من الفقراء المسلمين العرب فكرة جديدة ·· انه رمز تعليمي (حديث مع ناجي العلي ـ مجلة « الحرية » اللبنانية ـ ١٩ـ٤ـ١٩٧٦) ·

والملاحظ لدى ناجي انه يحاول تحطيم دلالات بعض الرموز الشائعة وتحميلها دلالات جديدة مناقضة ، نابعة من رؤية الفنان لامتهان الدلالة الاصلية للرمز ·

ابرز الامثلة على ذلك رؤية ناجي لرمز الحمامة وغصن الزيتون الذي يحمل دلالة شائعة تعبر عن السلام · فهذا الرمز في رسومات ناجي يحمل دلالة مناقضة ، اذ يعبر فيه عن الاستسلام · فمرة نرى الحمامة التي تحمل في منقارها غصن الزيتون راقدة فوق عانة امرأة تمثل اسرائيل ،ومرة اخرى نرى شعارا مرسوما على « باص التسوية » الذي يقوده كيسنجر · اما غصن الزيتون فنراه ينبت كذيل في مؤخرة مستسلم ، وفي صورة اخرى يؤدي نمو غصن الزيتون الى تحطيم خوذات الجنود · كما يطل غصن الزيتون ، في وضع آخر، من رقبة جندي ازيل رأسه ·

ذلك هو ناجي العلي ، الشقي بوعيه ، والعنيد بشكوكه ومخاوفه ، برفضه وحدته، بصمته وصخبه · اولئك هم اعداؤه ، وتلك هي حربه ·

قد نختلف معه احيانا ، عندما يرى اكثر واعمق مما يجب لكننا لا نملك الا ان نعجب به ، وان نعشق طفله المشاغب ·

ان القيمة اليومية والآنية لرسومات ناجي العلي تكمن في ممارستها لفعل التحريض والتوعية · واذ تتجمع هذه الرسوم بين دفتي كتاب ، فانها تكتسب قيمة مستقبلية ، حيث تشكل وثيقة سياسية وتاريخية مصاغة بلغة الفن ، تسجل لمرحلة تاريخية ما زلنا نعيشها حتى اللحظة ·

فاروق وادي

من الأجنحة

Sir Alec Kirkbride, From the wings, (Frank Cass, London : 1976)

السير اليك كيركبرايد ، هو أحد الشقيقين « كيركبرايد » ـ الن واليك ـ اللذين عملا كموظفين في وزارتي المستعمرات والخارجية البريطانية خلال العهد الكولونيالي الذهبي للبريطانيين في الشرق الاوسط ، كلاهما خدم لفترة طويلة وهامة في شرق الاردن ٠

والسيد اليك كيركبرايد جاء الى المنطقة بالاساس كواحد من مجموعة ضباط الاستخبارات ، برتبة ميجور ، كانت الحكومة البريطانية قد اوفدتهم الى المنطقة مع نهاية الحرب العالمية الاولى لتمهيد الطريق لاستعمارها ٠ في اثناء تلك الفترة القصيرة للحكم الفيصلي خلف الميجور كيركبرايد الميجور كلنفتك في رئاسة ما سمي بـ « المجلس العالي في الحكومة المؤابية » التي تكونت في الكرك كواحدةمن الحكومات المحلية التي قامت في المنطقة اثناء وبعد سقوط الحكم الفيصلي سنة ١٩٢٠ وذلككنتيجة لغياب السلطة المركزية، وقد سجل كيركبرايد مذكراته عن تلك الفترة في كتاب سابق اسماه « خشخشة الاشواك » . (Crackle of Thorn)

بعد تأسيس امارة شرق الاردن عمل كيركبرايد معتمدا لبلاده في شرق الاردن ثم وزيرا مفوضا بعد الاستقلال وذلك حتىترك الاردن عام ١٩٥١ ، ويكون بذلك قد عمل في المنطقة حوالي ٣٤ سنة وهي اطول مدة يمكن ان يكون قد قضاها بعد ـ جونباجت كلوب ـ احد ذلك « الطاقم » من الموظفين الذين عملوا بجد ليس في تنفيذ السياسة البريطانية في المنطقة فحسب ، بل ساهموا في وضع اللمسات العملية والنهائية لها ٠

الكتاب الجديد لكيركبرايد هو من كتب المذكرات (Memoire) ، كسابقه حيث يسجل هنا مذكراته في عمان بين اعوام ١٩٤٧ ـ ١٩٥١ ، وهي فترة هامة في حياة القضية الفلسطينية وتلقي مزيدا منالضوء حول السياسة البريطانية في تلك الاثناء وكذلك حول الدور الذي قدر للنظام الاردني القيام به ضمن تلك السياسة ٠ لعل الميزة المشتركة لتلك الكتب العديدة التي نشرها « طاقم » الموظفين البريطانيين الذين خدموا في المنطقة ـ بما فيها كتابكيركبرايد موضع البحث ـ هو تحاشيها الحديث عن حقيقة واتجاهات السياسة البريطانية التياشرفوا على تنفيذها تجاه القضية الفلسطينيةوهم يجهدون على الدوام في محاولة اظهار تلك السياسة وكأنها من صنع عملائهم في المنطقة ـ الملك عبد الله هنا ـ ، ثم ينبرون للدفاع عنها باعتبار انها تمثل « المواقف الاكثر اعتدالا وتعقلا » (ص ٣) ، مقابل الاتجاهات « الراديكالية ، الغير مجدية »٠ ضمن هذا السياق يمكن فهم الاعتبارات التي حدت بالحكومة البريطانية الى عدم الافراج عن الوثائق الخاصة بالقضية الفلسطينية والمحفوظة في مركز الوثائق

البريطانية رغم انقضاء المدة المقررة عادة ـ ٥٠ عاما ـ اذ لا زالت دوافع الاحتفاظ بسرية تلك المعلومات قائمة في تقدير الحكومة البريطانية !

ان كيركبرايد عندما يستعرض بعض الاحداث والمواقف « الخاصة بالملك عبد الله» ويدافع عنها : كسعيه للتفاهم مع قادة الحركة الصهيونيةولقاءاته معهم، ثم موقفه من دخول الجيوش العربية الى فلسطين ومعارضته لها ، ثم سعيه الى بناء ما يسمى بـ « مملكة سوريا الكبرى » بعد ضم الجزء المتبقى من فلسطين اليها ،انما يؤكد حقائق معروفة · الا ان الصياغة الحذرة التي انتهجها في محاولة اخفاء اتجاهات السياسة البريطانية لم تمنع من ورود اشارات واضحة في الكتاب من شأنها ان تلقي بعض الضوء على تلك السياسة· فهو يذكر مثلا ان سعي عبد الله للتفاهم مع الحركة الصهيونية كان قائما منذ سنة ١٩٢١ (ص ٣)بمعنى انه كان ملازما للموافقة البريطانية على انشاء الامارةالتي وضعت لمساتها في مؤتمر القاهرة ثم فيلقاء عبد الله ـ تشرشل في القدس في نفس العام · وهنا يبدو جليا سقم ذلك التفسير من ان عبد الله قد عجل على انقاذ ما يمكن انقاذه بالحاقه الجزء المتبقي من فلسطين خلال لقاءاته مع شاريت وجولدا مايرسون عام ٤٧ ، ليس اكثر منه سقما سوى ترديده في كتب « طاقم» الموظفين البريطانيين في مناسبات سابقة · ان تبني السياسة البريطانية ومباركتها للصفقة الهاشمية ـ الصهيونية في التخلي عناكثر فلسطين مقابل الحاق الجزء المتبقي منها في « مملكة سوريا الكبرى » تجد اشارات كافية للتدليل عليها في كتاب كيركبرايد (انظر ص ٥٧) ·

ان المنطق الاستعمارييحدو بالكاتب الى تجاهل الحديث عن الفلسطينيين كوحدة قومية وشعب له حقوقه وهو في الوقت الذي يعترف فيه بان اكثرية الفلسطينيين كانت تحبذ اقامة دولة مستقلة لها في الجزء المتبقي من فلسطين الا انه يجهد نفسه على مدار ثلاث صفحات (٦٦ـ٦٩) باقناع القارىء ان ذلك الاتجاه غير عملي وقد يكون من المفارقة ان يورد فى التدليل على رأيه بعض الحجج التي تطرح اليوم حول غياب المقومات الاقتصادية لتلك الدولة ! ان اطراف المؤامرة الاستعمارية في فلسطين يدركون ان الشعب الفلسطيني هو عدوهم الرئيسي المشترك · وكيركبرايد يلخص المسألة ببساطة شديدة عندما يذكر أن نقطة اللقاء الاولى في اجتماعات عبد الله ـ بالقادة الصهاينة كان اعتبارهم للحاج أمين الحسيني عدوهم المشترك (ص ٤) · ويذكر ايضا انه كان لا بد من تجريد فرق « الجهاد المقدس » من سلاحها ـ في الوقت التي لا زالت فيها المعركة قائمة مع العدو الصهيوني ـ « خوفا من طعن الجيش الاردني من الخلف » (ص ٥٩) !

اضافة الى ذلك ففي عرض الكاتب وحديثه عن الفلسطينيين ما يستوقف اي قارىء موضوعي ، هو ذلك النفس المعادي المزوج بالاحتقار والسخرية فهو يستنكر عليهم ادعائهم الثقة بالنفس مثلا (ص ٣٧) وهو حانق ايضا لان الانظمة العربية وتناقضاتها فيما بينها كان يعط الفلسطينيين فرصة الاستفادة من تلك التناقضات (ص ٣٧) ، وعندما يقوم بعض افراد الجيش الاردني بدفن احد القتلى من اليهود لا يفوت هذه الفرصة بتذكير القارىء « بان الفلسطينيين لا يحترمون القتلى ولا يقومون بالشيء نفسه» (ص ٧٦) ·

ان ذلك النفس المعادي حكم أيضا موقفه تجاه حركة التحرر العربية عموميا، كتقييمه لجيش الانقاذ وقائده فوزي القاوقجي (ص ١٧) حديثه عن الجيشين السوري والمصري (ص ٦١ـ٦٢)

والمساهمة الشعبية المتواضعة للشرق اردنيين غير مساهمتهم في حرب فلسطين (ص ٢٩) ٠

يبقى ، انه من المفيد للقارىء أن يعقد المقارنة بين الظروف التي تمت فيها اتفاقيات الهدنة مع اسرائيل والدول العربية في رودس وبين الظروف التي تعيشها المنطقة العربية اليوم حيث يذكر الكاتب « ان كل دولة عربية كانت تنظر الى مصالحها الخاصة ، لم تكن هناك قضية مشتركة بينها ، وان العراق سحب جيشه وقرر عدم توقيع اي اتفاق وذلك بسبب عوامل داخلية وبغية تسجيل موقف » (ص ٩١) ٠ لقد مكن ذلك عبدالله من المساومة مع الصهاينة على منطقة المثلث التي فرغت بانسحاب الجيش العراقي ٠ وجرى التنازل عن مناطق واسعة من اراضي المثلث لاسرائيل !

ان اليك كيركبرايد يمثل مرحلة اللورد ايفون (انطوني ايدن) ، من جيل الكولونياليين البريطانيين الذين دخلوا متحف التاريخ الان لكنهم لا زالوا يشعرون بالاسى في اخلاء الساحة للسيطرة على العالم امام الامبريالية الاميركية ، ولم يخف كيركبرايد ملاحظته على ذلك في التهكم من جهل الاميركيين خلال الحفلة التي اقيمت على شرفه في اسرائيل قبيل مغادرته للمنطقة سنة ١٩٥١ في نهاية كتابه ٠ أجل لقد جاءت بداية الخمسينات لتشهد انحسار السيطرة البريطانية وبدء مرحلة جديدة في تاريخ المنطقة ، وهو ما يرفض أن يستوعبه كيركبرايد ٠

عباس مراد

تقـــاريـــر

يوم جنبلاط اللبناني - العربي - العالمي

في الاول من ايار ، بين سواعد الفقراء المرتفعة والدماء التي تغطي الانهـــار · كانت المناديل البيضاء والاعلام الحمراء والسوداء ترتفع بين الاهازيج والهتاف · وكانت صور الشهيد القائد كمال جنبلاط ترتفع في الايدي الى جانب صور عبـــد الناصر · وكان الحداد الجنائزي يختلـط بالهتافات السياسية ليعلن ان راية الفقراء ستبقى مرتفعة ، وان الايدي التي تقبض على السلاح ، تقبض على العناد الوطني ولا تنحني الا امام الموت ·

يوم الطبقة العاملة العالمية ، كان فـي بيروت يوما للشهداء · لكل الذين صنعوا خلال سنتين من القتال ، ملحمة الوحدة الشعبية اللبنانية الفلسطينية · يوما لوحدة الدم، حيث يقف كمال جنبلاط قائدا وشهيدا الى جانب كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف النجار · وحيث ينتصب ابو علـي اياد ، وحوله جميع الذين ولدوا في مدرسة الكفاح الشعبي المسلح ، معلنين بصـوت الجماهير ان الثورة مستمرة · فالفقراء حين يمسكون موتهم بايديهم فانهم يمسكون الحياة ·

عيد الطبقة العاملة ، كان هذا العام عيدا لجميع الوطنيين على امتداد هـذا الوطن المليء بالاحلام الشاسعة والخيبات المتتالية· عيد الخيار الجماهيري العربي، الذي لا ينتظر ، بل يصنع من انتفاضاته تراثا دمويا سوف يغرق فيه جميع الذين تلوثت ايديهم بدماء الوطن ·

من قاعة الاونيسكو في بيروت ، الـى جميع قرى لبنان ، كان ايار يمتـــد · وجاءت الجراح لتلتقي بالجراح ، والبحر الجماهيري الذي فاق جميـــع التوقعات جاء ممتلئا بدمه · شعارات الحركـــة الوطنية وشعارات الثـــورة الفلسطينية كانت شعارا واحدا ، يمتد من النبعة الى تل الزعتر ومن الشوف الى صنين · من الدم الى الدم · و « العهد هو العهد» و «الميثاق هو الميثاق » والنصر لا يكون ســـوى النصر ·

هتافات ، مظاهرات ، اهازيج ، البسة

كاكية ، والبسة سوداء · اعلام ، بكاء ورقص ، مناديل بيضاء ترتفع في الافق كانها التحدي · وصفوف من المناضلين الوطنيين بلباس القتال ، هم التحدي · وكشافة وفرق موسيقية · ونساء من مختلف الاعمار · ورجال جاؤوا ووجوههم تشبه الارض بانحناءاتها وقسوتها · وايدي لا تسقط ولن تنكسر · شوارع مليئة بالناس ، واصحاب البطاقات يدخلون القاعة الكبيرة التي امتلات شرفاتها ، وارتفع فيها كمال جنبلاط رمزا لهذا الامتداد اللبناني الى داخل العروبة المقاتلة · ووفود شقيقة وصديقة من كل مكان في الارض · تحول الحشد من مجرد احتفال تكريمي ، الى اكبر مظاهرة قوة شعبية في تاريخ لبنان السياسي قبل الحرب الاهلية الوطنية وبعدها · من قلب افريقيا الى فرنسا · ومن الاتحاد السوفياتي الى مصر · كلهم وقفوا امام هذه الجماهير التي نزفت خلال سنتين تاريخ العرب الحديث بأسره ، لكنها لم تسقط · وقفت بكل الكبرياء الذي يحتقر الهزيمة ، لانه يعرف ان الراهن زائل ، وان الشعب هو وحده الذي يصنع تاريخه · كانت الجماهير وهي تودع كمال جنبلاط تودع معه لبنان الذي مات · وتستعد لاستقبال الفجر الذي ظهرت بداياته على فوهات بنادق الفقراء ، وسيأتي ، لان بنادق الفقراء لم تسقط· هكذا تحول اغتيال كمال جنبلاط من نهاية ، كما اراد القتلة ، الى بداية جديدة ·

النضال العربي والنضال اللبناني

حدد محسن ابراهيم في كلمة المجلس السياسي المركزي للاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، النقاط الرئيسية للتحرك السياسي الوطني في المرحلة الحالية :

١ ـ الاصرار على متابعة النضال من اجل الاهداف الوطنية التي سقط جنبلاط في سبيلها ، الغاء الطائفية السياسية ، والنضال من اجل عروبة لبنان ·

٢ـ التشديدعلى الخطر الذييشكلهالجيب الفاشي الصهيوني في الجنوب ، ليس على لبنان فحسب ، بل على الامة العربية ، « واذا استمر اصحاب المشروع التقسيمي الطائفي العنصري المرتبط بالخطط الصهيونية حيال لبنان والمنطقة العربية ، فلن يكون امامنا سوى القتال دفاعا عن عروبة الجنوب وعروبة لبنان ·

٣ ـ الدعوة الى حل متوازن ، عبر الدعوة الى جبهة واسعة تضم جميع المعادين للمشاريع التقسيمية · « لسنا طلاب استمرار لهذا الصراع الطاحن الذي يدفع شعبنا ثمنه والذي يفتح في خاصرة الوضع العربي نزيفا ، يريد له التحالف الامبريالي الصهيوني ان يستمر ، من اجل اضعاف قوى المقاومة والتصدي في امتنا وفرض الحلول الاستسلامية على شعبنا»·

هذا التحديد اللبناني الدقيق ، لظروف المرحلة ، وللشعارات التي يجب ان ترفع مركزة على وحدة لبنان الادارية والسياسية وعروبته ، لا تأخذ معناها الفعلي الا عند وضعها في اطاريها الاخرين ، عربيا وفلسطينيا ·

وجاءت كلمة لطفي الخولي ، باسم الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية ، لتضع استشهاد كمال جنبلاط في اطاره التاريخي الفعلي ، بوصفه وجها للهجوم اليائس الذي تشنه الامبريالية ، ثم يضع النضال الوطني اللبناني ـ الفلسطيني ، في موقعه كجزء لا يتجزأ من النضال العام الذي تخوضه الجماهير العربية « واذ نلتزم بالرجل المقياس ، كما جسده حيا وشهيدا كمال جنبلاط · تعلن الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية ، انها معكم ، شعبا وحركة

وطنية وتقدمية وثورة فلسطينية وحزبا تقدميا اشتراكيا ، رفاق خندق واحد ومصير واحد · فلم يعد ممكنا في عصر التحول الكيفي التاريخي في عالمنا ، ان يتجزأ النضال العربي الديمقراطي التقدمي الوحدوي في مواجهة الهجوم اليائس الاخير للامبريالية والصهيونية والرجعية»·

ثم اتى التجسيد الفعلي للوحدة الشعبية اللبنانية الفلسطينية ، عندما عانق الاخ ابو عمار وليد جنبلاط ، ثم القى كلمة الثورة الفلسطينية · ووسط الجماهير اللبنانية الفلسطينية الواحدة ، ليعلن : « ومثلما بكى كمال جنبلاط ، جبل صنين والشوف وجبل عامل · فان جبل النار في نابلس ووادي القف وجبل الزيتون في القدس ، بكوا القائد والمعلم كمال جنبلاط» · « وانني اقول لاخي وليد جنبلاط ولرفاقه في الحركة الوطنية اللبنانية ، واقول لكل الشرفاء والاحرار في هذه الارض اللبنانية ان العهد هو العهد والقسم هو القسم · فاليد ستظل مشدودة الى اليد بكل قوة وصلابة حتى تحقيق الاهداف التي استشهد من اجلها كمال جنبلاط » ·

الرهان الخاسر

كانت الرصاصات التي وجهت الى كمال جنبلاط ، تعتقد انها باغتياله ، تستطيع ان تحقق هدفين رئيسيين دفعة واحدة :

١ ـ شق صفوف الحركة الوطنية اللبنانية ، وبلبلتها تمهيدا للاجهاز على التحالف اللبناني ـ الفلسطيني · وهذا يعني عمليا ، اجهازا كاملا عليها كطرف وطني لبناني ·

٢ـ اخراج القوى الدرزية الوطنية التي يمثلها كمال جنبلاط من معركة النضال الوطني اللبناني الفلسطيني · وهذا يعني ازالة العقبة الرئيسية التي تقف في وجه التقسيم · هكذا يحقق العملاء ، ما عجزت القوى الضاربة التي حشدت في وجه الثورة والحركة الوطنية عن تحقيقه · فبرصاصات قليلة، اعتقدوا انهم يستطيعون القضاء على تراث نضالي طويل ·

لكن الرهان كان خاسرا سلفا · فالجماهير اللبنانية ـ الفلسطينية ، تعلم ان تحالفها لا يمكن ان ينفصل · فهذا التحالف، هو وحده طريق كسر المؤامرات· وهو ، عبر قتال طويل ، قد اثبت ان الوحدة العربية الحقيقية لا تصنع الا بالنضال الواحد ، ضد العدو الواحد · لذلك لم تكن هذه الرصاصات ، سوى بداية جديدة، لترسيخ التحالف اللبناني الفلسطيني ، وترسيخ وحدة الحركة الوطنية ، في وجه التقسيم ودعوات التقسيم ، والعمل من اجل التقسيم الذي يرعاه العدو الصهيوني·

فحين وقف وليد جنبلاط ، وسط الجراح، ليلقي كلمته ، كان واضحا ان هناك خيارا واحدا : الاستمرار في النضال· واستمرار الحزب التقدمي الاشتراكي على رأس الحركة الوطنية اللبنانية ، وترسيخ التحالف اللبناني ـ الفلسطيني · وسط دموع الحزن الذي يمتزج بالحقد والفرح الاتي ، اكد وليد جنبلاط على النقطتين المركزيتين التي على جميع الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين افشالهما · «ان برنامج الحركة الوطنية يشكل المدخل الصحيح والرؤيا الصحيحة للبنان الواحد، لبنان الغد · فلا يوجد فكر سياسي متناسق وواضح خارج برنامج الحركة الوطنية» · « لقد استشهد الكثيرون من اجل الارض المقدسة، وطريق الصليب الى القدس طويل، وما كمال جنبلاط الا شهيد اثار متعرجات هذا الطريق · وسيبقى التنكر للثورة الفلسطينية وطموحاتها الوطنية مستودعا للعنف والاضطراب في هذه البقعة من العالم » ·

لم يكن مهرجان التكريم الذي اقيم وفاء لذكرى كمال جنبلاط، مهرجانا ووفاء لرجل

غاب · كان مهرجانا نضاليا ، اثبتت فيه الجماهير ، انها هي وحدها من يقرر شكل المستقبل ·

كما اثبت التحالف اللبناني – الفلسطينية ، الا تأكيد جديد ، على ان فالقضية الوطنية ، هي التي توحد الجماهير · والنضال الوطني هو النضال الفعلي الذي يفرض العدل العربي فرضا · وما الوفود الشقيقة والصديقة ، التي جاءت من كل مكان ، لتعلن وقوفها مع الشعب اللبناني المناضل ، ومع الثورة الفلسطينية ، الا تأكيد جديد ، على ان النضال الوطني العربي ، لا يزال في طليعة نضال شعوب العالم الثالث من اجل الاستقلال الوطني ، وطرد الامبرياليين ، وازالة الكيانات العنصرية الطائفية ·

في الاول من ايار ، احتفلت الطبقة العاملة العربية على طريقتها ، احتفلت بالنضال الوطني ، لانها هي ، الطبقة القائدة للنضال الوطني الجذري· وتعانقت الاعلام الفلسطينية والوطنية اللبنانية ، معلنة ان الوحدة الجماهيرية بدأت · وان القتال الشعبي هو الطريق الوحيد الى النصر الحاسم · واثبتت جماهير لبنان ، ان اي حل سياسي للازمة اللبنانية ، لا يأخذ الوزن الفعلي للحركة الوطنية في اعتباره هو تعقيد للازمة وليس حلا لها ·

انور خالد

السجون الاسرائيلية : واقع ونضالات

تشكل السجون الاسرائيلية واقعا ماديا ملموسا تجري فوقه مختلف اشكال القمع والاضطهاد والتمييز العنصري · واذا كانت السجون تعكس الصورة الحقيقية لعنصرية الكيان الصهيوني واساليبه القمعية والفاشية ضد الوجود العربي الفلسطيني ، فان نضال السجناء والمعتقلين العرب يؤكد من جهة اخرى ارادة الشعب الفلسطيني في الصمود والتصدي للاحتلال الصهيوني في اطار الكفاح المشروع التي تخوضه جماهير الوطن المحتل لنيل حقوقها الوطنية ·

سنعرض في هذا التقرير صورة عامة عن السجون الاسرائيلية كما سنتناول اوضاع السجناء والمعتقلين العرب ومختلف الصعوبات التي تواجههم · كما سنلقي الضوء على النضالات التي يقومون بها ضد سياسات العدو القمعية والعنصرية وابعاد هذه النضالات محليا وعربيا ودوليا ·

السجون الاسرائيلية (١)

وصل عدد السجون التي خصصتها سلطات الاحتلال الصهيوني للسجناء الى ثلاثين سجنا معظمها من مخلفات سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين ، حيث قامت سلطات الاحتلال ببعض الترميمات

والتوسيعات عليها · وفيما يلي عرض موجز لاهم السجون ·

● **سجن عسقلان :** يقع جنوب فلسطين، ويعتبر من اخطر السجون في نظر سلطات الاحتلال ، وهو مخصص للمحكومين بالمؤبد · يحيط بالسجن سور حجري مرتفع اضافة الى سور اخر من الاسلاك الشائكة يبلغ عرضه ستة امتار مزروع بالالغام ، كما تقوم قوة كبيرة من الجنود على حراسة السجن · ولا يستوعب السجن اكثر من ١٠٠ معتقل لصغر حجمه وضيق مساحته · الا انه يستوعب حاليا اكثر من ٤٠٠ سجين عربي بعد ان ازداد عدد المعتقلين الفلسطينيين الذين صدرت بحقهم احكام مدى الحياة · الامر الذي جعل الحياة داخل السجن لا تطاق بسبب شدة الازدحام · ويعيش السجناء في زنزانات ضيقة يحشر فيها ما بين ١٠ ـ ٣٠ معتقلا، بحيث يفسح للمعتقل الواحد مساحة لا تتجاوز المتر او مترين مربعين يعيش وينام فيها · (٢)

● **سجن ومعتقل صرفند :** وهو من اخطر السجون الاسرائيلية فهو مخصص للسجناء العرب والموقوفين الاداريين ، الذين يخضعون للتحقيق قبل تقديمهم للمحاكمة ، وتمارس في هذا السجن كافة اشكال التعذيب التي نسمع عنها ، كما انه مجهز باحدث اجهزة التعذيب الوحشية · والجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال ما زالت تنفي امام المحاكم الاسرائيلية وجود هذا السجن الذي يعيش بين جدرانه ما لا يقل عن الفي عربي وعربية تحت التحقيق ·

● **سجن المسكوبية :** يقع في مدينة القدس ، وهو سجن كبير من مخلفات سلطات الانتداب البريطاني ، وتقع بجواره مكاتب المخابرات الاسرائيلية « الشين بيت » كما يوجد فيه غرف خاصة للتعذيب · ويضم السجن الموقوفين والذين يقضون فترة احكام قصيرة · صممت زنزانات هذا السجن بطول ١٥٠ سم طولا و ٨٠ سم عرضا وعلى ارتفاع ٤ امتار منها شباك حديدي (متر × ٨٠ سم) مفتوح صيفا شتاء ، ويظل الضوء الكهربائي ساطعا داخل هذه الزنازين ليلا نهارا ·

● **سجن الخليل :** بني في عهد الانتداب البريطاني ويقع على قمة جبل مرتفع وهو مجاور لمبنى يسمى « العماره »، حولته سلطات الاحتلال بعد ١٩٦٧ الى مركز شرطة · وقد وصلت عدد زنزاناته الى مئة بعدما شيد العدو طابقا جديدا فوقه · يقسم السجن الى قسمين ، الاول للرجال والثاني للنساء ، ويعتبر اكثر السجون الاسرائيلية ازدحاما ويشكل فاق الازدحام الحاصل في سجن عسقلان ، حيث « لا يتمتع المعتقل في سجن الخليل الا بمساحة قدرها متر مربع واحد فقط » · (٣)

● **سجن بئر السبع :** بني هذا السجن في عهد سلطات الاحتلال وسط صحراء قاحلة منعزلة على الطريق الى ميناء ايلات ، وقد بني على ايدي السجناء العرب المحكومين بالاشغال الشاقة المؤبدة ومعظمهم من سجن عسقلان · ويحيط بالسجن سور عال له اربعة ابراج مراقبة حجم كل برج ٤ × ٤ متر ، ومحاط باسلاك شائكة من الخارج ، وفيه ساحة رملية واسعة يعمل فيها السجناء العرب في عدة ورش ومشاغل للخياطة والنجارة والحدادة · ويقدر عدد السجناء العرب في هذا السجن ب ٧٠٠ معتقل يصل في بعض الاحيان الى ١٠٠٠ معتقل يعمل معظمهم في صنع صناديق الفواكه والخضار ·

● **سجن نابلس :** بني في عهد الانتداب البريطاني ، وقامت سلطات الاحتلال ببناء عدد من الزنازين حوله ·

ويضم السجن ما لايقل عن ٥٠٠ معتقل وسجين عربي لا تزيد مدة محكوميتهم عن خمس سنوات · وبالاضافة الى ما يعانيه السجن من شدة الازدحام فهو مشهور باوساخه وحشراته وجرذانه ·

● **سجن الرملة :** وهو ايضا من مخلفات الانتداب البريطاني وهو سجن واسع مؤلف من طابقين ويضم بين جدرانه ثلاثة الاف سجين ومعتقل يهودي وعربي ، وقسم السجن الى اربعة اقسام حسب الاحكام الصادرة بحق السجناء ·

● **سجن نفي ترتستا :** ويقع على بعد ٢ كيلومتر تقريبا من سجن الرملة ، وقد بني حديثا في عهد الاحتلال ، وهذا السجن مخصص للنساء فقط، وتسجن فيه المناضلات العربيات الى جانب المومسات الاسرائيليات والمصابات بامراض معدية ، وكثيرا ما تحدث فيه معارك وصدامات بين الفتيات العربيات والاسرائيليات · ويوجد في السجن قسم خاص للتعذيب · وفيه نحو ١٠٠ زنزانة ·

● **سجن التلمون (كفاريونا) :** يقع بالقرب من سجن بيت ليد وقد شيدته سلطات الاحتلال خصيصا للاحداث من الفتيان العرب واليهود · ويقسم الى قسمين ، قسم للاحداث الذكور والاخر للاحداث الاناث · وفيه ما لا يقل عن ٥٠٠ فتى عربي الى جانب ٣٠٠ فتى يهودي ·

● **السجون الاخرى :** وهي : سجن بيت شمشي ، سجن البصة ، سجن النبي صالح ، سجن طولكرم ، سجن رام الله ، سجن جنين ، سجن كفاريونا ، سجن الجلمة ، سجن معسلياهو ، سجن الدامون ، سجن ابو كبير ، سجن شطا سجن العفولة ، سجن روش بينا ، سجن صفد ، سجن عكا ، سجن الناصرة ، سجن حيفا ، سجن غزة ، سجن رفح ، سجن خان يونس ، سجن عتليت· اضافة الى هذه السجون «الرسمية» هناك معتقلات عديدة اينما وجدت معسكرات جنود الاحتلال · (٤)

سياسات العدو الصهيوني ازاء السجناء والمعتقلين العرب

ينظر العدو الى المعتقلين الفلسطينيين على انهم مجرد « ارهابيين » او « مخربين » تعتبر جرائمهم افظع من الجرائم العادية · وينطلق العدو في تعامله مع السجناء العرب من الزاويا التالية :

الاولى : عنصرية ، ويتجسد ذلك من خلال سياسة التمييز بين السجناء العرب واليهود · والمعاملة ···

الثانية : سياسية ، وهي رفض اي اتجاهات تحاول اضفاء صفة اسرى الحرب على المعتقلين الفلسطينيين · وقد عبرت صحيفة الهيرالدتربيون الامريكية عن هذه الناحية فقالت « ان مسالة اطلاق صفة اسرى حرب على المعتقلين الفلسطينيين امر غير وارد بالنسبة لاسرائيل ، اذ ان منحهم هذه الصفة يعني اعتراف اسرائيل بشرعية الكفاح المسلح وبشرعية « منظمة التحرير الفلسطينية » التي ينتمون اليها » (٥) ·

الثالثة : امنية · وتتعلق بالاجراءات المشددة التي يفرضها العدو على السجون، من خلال تقوية الحراسات واحاطتها باسوار شائكة وحقول الغام واستخدام الكلاب المتوحشة ·· الخ من جهة وفرض قيود مشددة على الزيارات تحت ضغط الخوف من امكانية اتصال السجناء بالخارج من جهة اخرى · ومن الجدير بالذكر ان نسبة هروب السجناء والمعتقلين العرب من السجون الاسرائيلية تكاد تكون معدومة ، وهذا يعتبر ظاهرة غريبة بالنسبة

الى بقية السجون في العالم · وقد عبر عن ذلك مدير السجون الاسرائيلية عندما قال « ان نسبة الهروب من السجون الاسرائيلية هي اقل نسبة في العالم حيث بلغت (نصف في المائة سنويا) · (٦)

وفيما يلي عرض اهم مظاهر السياسة الصهيونية المتعلقة بالسجون والمعتقلين العرب ·

١ ـ الازدحام

اعترف مدير عام السجون الاسرائيلية حاييم ليفي بأن « عدد النزلاء في السجون الاسرائيلية بلغ حدودا لا يمكن السكوت عليها » وحسب تقديره فقد « بلغ عدد المعتقلين العرب ب ٥٨٥٢ سجينا منهم ٣٢٢٧ متهما بالاضرار بأمن الدولة (فدائيون فلسطينيون) اي بزيادة قدرها ٢١٠٢ سجين عن العام السابق (١٩٧٦) » · * (٧)

وعن قضية الازدحام اشار مديرالسجون الاسرائيلية الى « ان المساحة المتاحة لكل نزيل هي ٢ر٢ مترا مربعا في المتوسط على حين انها ٩ر٩ مترا مربعا في المتوسط في سجون معظم الدول الاخرى ، و ١١ مترا مربعا في هولندا ، ٢ر١١ مترا مربعا في الولايات المتحدة » · وقال المسؤول الصهيوني ان هذا المتوسط « لا يعكس حقيقة الاشياء تماما لان المساحة المتاحة لكل نزيل في سجن الخليل اقل من متر مربع واحد » (٨) ·

ويمكن تصور مدى تأثير هذا الازدحام على المعتقلين الفلسطينيين خاصة وانهم يحشرون في غرف صغيرة موصدة في وجه الضوء والهواء طيلة « ٢٢ ساعة في اليوم » (٩) ·

٢ ـ سوء التغذية

يشكو المعتقلون العرب من النقص الكبير في كميات الطعام المخصصة لهم اضافة الى فقدانها المواد الضرورية واللازمة لتغذية الجسم · ومن المعروف ان الطعام الذي يقدم للسجناء العرب هو غير الطعام الذي يقدم للسجناء اليهود سواء من ناحية الكم او النوع · وقد اشار تقرير للصليب الاحمر الدولي نشر في اوائل العام الحالي الى هذه المسألة عندما قال ان سلطات الاحتلال لم تلب مطالب السجناء في توفير « الطعام الصحي » (١٠) وقد سبب ذلك في تفشي العديد من الامراض داخل صفوف المعتقلين العرب ، مثل فقر الدم وضعف النظر وبعض الامراض الجلدية · وبهذا الصدد نشرت صحيفة هآرتس الاسرائيلية مقالا عن اوضاع السجون اعترفت فيه بأن « نسبة كبيرة من بين السجناء من المناطق (المحتلة) يعانون من امراض خطيرة منها مرض السل » · (١١)

٣ـ سوء العلاج الطبي

تضع سلطات الاحتلال ، العديد من القيود ، لمنع تقديم العلاج الطبي اللازم لمعالجة حالات المرض المختلفة التي يعانيها معظم السجناء العرب · ولقد لاقى الكثير من السجناء مصرعهم نتيجة الاهمال

---

* يقدر عدد السجناء والمعتقلين العرب باضعاف الاحصاءات الرسمية الصهيونية· والتقديرات تشير ان عدد المعتقلين العرب بلغ نحو ١١ الف معتقل ويزيد هذا الرقم اذا اخذنا ازدياد عدد المعتقلين المحكومين اداريا ·

الطبي * · كما ان مئات منهم مهددون بالموت بسبب حاجتهم الى العلاج الضروري · وبهذا الخصوص اشارت صحيفة «الاتحاد» الى سوء العلاج الطبي « حيث يصبح الاسبرين دواء لكل علاج » (١٢) وطالما شكا المعتقلون من عدم كفاءة الاطباء الاسرائيليين المشرفين على حالاتهم الصحية · الامر الذي دفع بالمعتقلين العرب الى المطالبة بتخصيص اطباء من الضفة الغربية للاشراف على معالجتهم · ويطالب المعتقلون العرب « بعناية صحية تكفل لهم الفحص المستمر والتي تتوجب تعيين اطباء اكفاء مع تقديم الاطعمة المناسبة لكل مريض كما يطالبون بسرعة نقل من يستدعي نقله الى المستشفيات » · (١٣)

٤ ـ صعوبة الحياة داخل السجون الاسرائيلية

لا يتمتع السجناء العرب بالمزايا التي يتمتع بها المجرمون العاديون سواء بالنسبة الى ظروف الاقامة او من النواحي الثقافية والتعليمية وبعض الامور الاخرى ·

فمن ناحية **الاقامة** ، يعطى السجين العربي فراشا من المطاط لا تتعدى سماكته سنتيمترا واحدا ، في حين يعطى للسجين اليهودي سريرا للنوم · وفي حين يتناول السجناء العرب طعامهم على الارض من « سطول » مخصصة لذلك توضع داخل الزنازين ، نجد ان للمجرم العادي مائدة للطعام · وفي تبريرهم لذلك قال مسؤولو السجون « انهم لم يخصصوا اسرة لسجناء « الامن » لانهم قد يحطموها او يستعملوها كاسلحة !! » واشار بعضهم ان السبب الحقيقي في ذلك يعود الى « عدم وجود فراغ للاسرة في الزنزانات » (١٤) ·

ومن ناحية **العمل** ، فان السجناء العرب يجبرون على العمل الاجباري في الورش التابعة لسلطات الاحتلال مقابل اجور شكلية لا قيمة لها ابتداء من ٦ ـ ١٠ سجاير يوميا (ومن النوع الرديء) وتتلخص مجالات العمل في الحقول القريبة من السجون وفي صناعة شباك التمويه للدبابات والدروع والمدافع الاسرائيلية ، وبعد ان قوبل هذا العمل بنضال عنيد من قبل المعتقلين العرب ،فقد تركز عملهم على صناعة صناديق البرتقال والفاكهة وبناء سجون ومنشآت وغيرها ، اضافة الى اجراء ترميمات ودهانات داخل السجون تحت الضرب والحراسة المسلحة (١٥) ·

ومن ناحية **الثقافة والتعليم** فقد عمدت سلطات الاحتلال الى استخدام سياسة التجهيل لالاف من السجناء العرب وذلك عن طريق منعهم من القراءة والكتابة ومن سماع الاذاعات ونشرات الاخبار ،اضافة الى حرمانهم من الصحف والمجلات والكتب الثقافية · ويستخدم العدو هذه المسألة عادة وذلك في محاولة اخضاع المعتقلين العرب او اكراههم على قبول سياساته وكوسيلة من وسائل العقاب · وفي هذا الصدد ذكرت صحيفة القدس « ان سلطات الاحتلال تعتزم حرمان الطلاب الفلسطينيين ممن اعتقلوا في الضفة الغربية المحتلة من التقدم لامتحانات الشهادة الثانوية لهذا العام، وذكرت ان قرار الحرمان سينفذ بحق

---

* يقدر عدد الذين استشهدوا في السجون الاسرائيلية ب ٤٧ معتقلا وسجينا ·

الطلبة الفلسطينيين الذين اعتقلوا مؤخرا اثناء المظاهرات والذين ستصدر بحقهم احكام بالسجن بتهمة التظاهر » (١٦) ٠

واذا كانت سلطات الاحتلال قد سمحت في بعض الاحيان بدخول بعض الكتب الى السجون فان هذه الكتب تكون خاضعة لمراقبة مسبقة ومنتقاة بعناية بحيث تهدف الى توجيه السجناء وفق ما ترتئيه سلطات الاحتلال ٠ كما انها تسمح عادة بسماع الاخبار عن طريق الاذاعة الاسرائيلية فقط ٠ ان هذه القيود مفروضة فقط على السجناء العرب ،حيث نجد ان السجناء اليهود يتمتعون بامتيازات تكفل لهم حق المطالعة والحصول على الصحف والمجلات اضافة الى مشاهدة « التلفزيون والافلام السينمائية » (١٧) ، كما يحق لهم ارتياد المكتبة والاطلاع على ما يشاؤون من مطبوعات وهو امر محرم على سجناء « الامن » (١٨) ٠

ومن ناحية الزيارات ، فقد فرضت سلطات الاحتلال قيودا على الزيارةبحيث « لا يسمح بزيارة الاهل للسجناء العرب الا مرة واحدة كل شهر ، ولمدة نصف ساعة فقط » (١٩) في حين انها بالنسبة للسجناء اليهود « مرتان كل شهر وفي وقت مفتوح نسبيا » (٢٠) ٠

وتتم زيارة المعتقلين العرب عبر شبكة حديدية لا تمكن الواحد منهم من تبين ملامح ذويه وغالبا ما تتم تلك الزيارات بمصاحبة حراس السجن ٠ وفي معظم الاحيان تحرم سلطات الاحتلال السجناء العرب من هدايا واطعمة ذويهم ، حيث يجبر ذووهم على شراء ما يرغبون تقديمه لابنائهم من متاجر ملحقة بالسجون وباسعار مضاعفة (٢١) ٠

من جهة اخرى اعترف مدير السجون الصهيوني بأن هناك مزايا اخرى يتمتع بها السجناء اليهود عن السجناء العرب منها « ان السجناء العرب غير مؤهلين لتخفيض فترة سجنهم لسبب سلوكهم الحسن ، كما لا يسمح لهم باستخدام اطلاق السراح المؤقت بعد انقضاء ثلث فترة سجنهم كما يسمح بذلك للمجرمين العاديين » ٠ (٢٢)

من هم اسرى الحرب بنظر سلطات الاحتلال ؟!

يفرق العدو بين السجناء « الامنيين » من المناطق المحتلة ، وبين السجناء « الامنيين » من الخارج ، والمقصود بعبارة « من الخارج » السجناء الذين ينتمون الى الدول العربية والاجنبية ، فهؤلاء يخضعون لرعاية الصليب الاحمر الدولي باعتبارهم اسرى حرب ، وعادة ما يحصل الصليب الاحمر على تسهيلات من جانب سلطات الاحتلال لزيارتهم بصورة دائمة ويجتمعون مع كل سجين يطلب اجراء مقابلة ٠ ويحق للسجين « الامني » من الخارج ان يكتب ست رسائل شهريا ، كما يحق له ان يتلقى عددا مماثلا من ذويه في الخارج ، و « يوزع الصليب الاحمر على هؤلاء السجناء ، الذين تقطن عائلاتهم خارج اسرائيل رزم هدايا مرة كل شهر » ٠ (٢٣)

اما السجناء من المناطق المحتلة فهم يعاملون باعتبارهم مواطنينعربا يخضعون للقوانين والاجراءات الصهيونية الخاصة بمعاملة جماهير الوطن المحتل ٠ ولهذا فان سلطات الاحتلال تمنع على الصليب الاحمر زيارتهم الا ضمن حالات استثنائية وتحت اشراف سلطات السجون ، ولغرض دعائي بحت ٠ والجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال مستمرة في رفض اي طلب من الهيئات الدولية والحقوقية لزيارة السجناء والمعتقلين العرب والاطلاع على اوضاعهم ٠ فقد رفضت سلطات الاحتلال السماح لوفد من رابطة الحقوق الدولية

بزيارة الاراضي المحتلة للاطلاع على اوضاع المعتقلين فيها · (٢٤)

ومنعت مرارا تنفيذ قرارات مجلس السلم العالمي واللجنة الدولية لحقوق الانسان فيما يتعلق بالاطلاع على اوضاع المعتقلين العرب · واشار اخر تقرير للصليب الاحمر الدولي (نشر في اوائل العام الحالي) الى ان سلطات الاحتلال « منعت الصليب الاحمر من التدخل في اضراب عسقلان » · (٢٥)

قضالات السجناء والمعتقلين العرب في السجون الصهيونية

اعترف المسؤولون الصهاينة ـ في مناسبات عديدة ـ بفشل سياساتهم التي تهدف الى طمس القضية السياسية للمعتقلين العرب وخصوصا من ناحية انتمائهم القومي والوطني · وقد تناول هذه المسألة المعلق الصهيوني المعروف داني روبنشتاين عندما قال « ·· في مجتمع عادي ينتمي كل واقع المعتقل والسجين الى هامش المجتمع ، الى مجموعة صغيرة من العالم السفلي ·· انه غير ذلك في الضفة الغربية والقدس الشرقية وفي قطاع غزة والى حد ما بين عرب اسرائيل ايضا ··· ان السجناء والمعتقلين الامنيين وما شابههم لا يأتون من طبقة هامشية معينة من المجتمع العربي ، بل هم ابناء اغنياء ، مثقفون ، تلامذة ثانويون وفلاحون وابناء عمال ايضا · وباختصار فان جميع جوانب المجتمع ممثلة في السجون ·· انهم ليسوا مجموعة غريبة وبعيدة لفظها المجتمع العربي من داخله ، وانما قطعة من لحم الشعب العربي الذي يعيش في البلد ، ويصطلح على تسميتهم بشكل عام « معتقلون سياسيون » ولا يعتبرهم الشارع العربي مجرمين » · (٢٦)

ومما لا شك فيه ان عمق الانتماء القومي والوطني والتحام المعتقلين بالثورة الفلسطينية هو الذي حول السجون الى حلبة صراع قوي بين السجناء العرب من جهة وسلطات الاحتلال الصهيوني من جهة اخرى · فالصمود داخل السجون هو شكل اخر من اشكال النضال ، له صفاته ومميزاته وخصائصه · فالسجناء العرب هم ابناء تنظيمات ثورية مسلحة ، وهم بالتالي ينظمون انفسهم عبر خلايا وحلقات تناقش الاوضاع السياسية وتطرح قضايا التثقيف والتنظيم وتبادل الخبرات ·· لذا فان السجون تحولت الى مدرسة نضالية · كما ان المعتقلين ينظمون انفسهم ويستخدمون كافة الوسائل للارتقاء بمستوى نضالاتهم · كما ان لهم وسائل اتصال خاصة مع السجون الاخرى وايضا مع الخارج (الارض المحتلة) · ويحاول العدو استخدام مختلف الوسائل لمراقبة اوضاع المعتقلين عن طريق دس عملائه وجواسيسه · كما انه يلجأ الى نقل المعتقلين العرب الى سجون اخرى بهدف تفتيت الروابط التنظيمية التي تنشأ فيما بينهم · وقد شهدت السجون تصفية عملاء للعدو الصهيوني · كما اكتشفت اكثر من مرة محاولات يقوم بها المعتقلون للهرب من السجن · كان اخرها محاولة اربعة من المعتقلين العرب للهرب من سجن شطا · (٢٧)

ومن اجل تأكيد شخصيتهم السياسية قام السجناء العرب بمقاومة محاولات العدو الصهيوني وضعهم في سجون مشتركة مع المجرمين الصهاينة · ولا زالت بعض السجون تشهد حالات عنيفة من التصادم بين المعتقلين العرب والمجرمين الصهيونيين · حيث يرفع المعتقلون العرب مطالب وضعهم في سجون خاصة بهم ، مؤكدين هويتهم السياسية والوطنية باعتبارهم مناضلين واصحاب قضية سياسية ·

من جهة اخرى يتعرض مئات من

المعتقلين الفلسطينيين لضغوط مختلفة من قبل سلطات الاحتلال تهدف الى ابعادهم عن ارض الوطن المحتل · كما يحاول العدو مساومة بعض المعتقلين لقبول مغادرتهم ارض الوطن مقابل الافراج عنهم · وفي الاونة الاخيرة ذكرت انباء من الوطن المحتل « ان ١٨ فلسطينيا في سجون العدو الصهيوني رفضوا منذ اكثر من ٣٣ شهرا عرضا من سلطات الاحتلال باطلاق سراحهم شرط مغادرتهم الوطن · ونظرا لصمود هؤلاء المعتقلين قررت سلطات الاحتلال تمديد مدة اعتقالهم ستة اشهر اخرى » · (٢٨)

ثمة اشكال مختلفة لنضالات المعتقلين العرب في السجون الاسرائيلية منها رفض استقبال الزوار ورفض الخروج الى مزاولة العمل ، والبقاء في السجون وامتناعهم من التمتع بفرص الخروج ، والقيام باضراب جزئي ، واحيانا يعبرون عن نضالهم بعدم حلاقة ذقونهم ورفض تغيير ملابسهم ، وباضراب جزئي عن الطعام ···

انتفاضة السجون · اضراب السجناء والمعتقلين العرب عن الطعام

منذ اكثر من ستة اشهر واخبار اضراب السجناء والمعتقلين الفلسطينيين عن الطعام تتفاقم وتنقل لنا وللعالم ماساة ما يعانيه هؤلاء من تعذيب واضطهاد · بدأ الاضراب الاول في سجن عسقلان في شهر تشرين الثاني ١٩٧٦ وبلغ ذروته في ١٠ / ١٢ / ١٩٧٦ عندما شمل الاضراب ما يزيد عن ٤٥٠ سجينا ومعتقلا فلسطينيا في سجن عسقلان ·· وقد امتد الاضراب ٤٧ يوما وانتهى في ٢٥ / ١ / ١٩٧٧ بعد ان وافق مدير سلطة السجون الاسرائيلية على الاجتماع بممثلي المضربين « للبحث الجدي »في مطالبهم ، وقد تبع ذلك السماح بزيارات الاهل لهم · وقال ناطق باسم المعتقلين « اننا ننتظر ان يبر مدير السجون بوعده ، نحن لا نطالب باخلاء سبيلنا ، ولا حتى باعتبارنا اسرى حرب ، ان كل ما نطلبه هو معاملة معقولة كتلك التي يتمتع بها اي سجين يهودي ، اي تحسين الطعام والسماح بالزيارات وتلقي العلاج الطبي اللازم ، وادخال الكتب والصحف والفسحة اليومية واعطاءنا اسرة نوم ·· فنحن آدميون ونطالب بمعاملة انسانية ولن نقبل باقل من ذلك » · (٢٩)

الا ان سلطات الاحتلال الصهيوني نكثت بوعودها التي لم تكن سوى وسيلة لتطويق الاضراب وانهائه ، خاصة بعد ان اكتسبت قضية المعتقلين ابعادا سياسية محلية وعربية ودولية · وقد ادت مماطلة العدو الى دفع السجناء والمعتقلين الفلسطينيين الى استئناف اضرابهم بعد شهر واحد من الاضراب الاول ·

بدأ الاضراب الثاني يوم ٢٦ / ٢ / ٧٧، حين اعلن سجناء عسقلان اضرابهم عن الطعام مرة اخرى احتجاجا على عدم وفاء السلطات الاسرائيلية بوعودها ،ولم تكد اخبار استئناف الاضراب تنتشر حتى تجاوب معهم المعتقلون في السجون الاخرى ·

قابل العدو هذا الاضراب كغيره من الاضرابات السابقة باللامبالاة وتشديد الاجراءات القمعية ضد المضربين وبالتعتيم على اخبارهم · وفي محاولة لانهاء الاضراب قام العدو بتوزيع معتقلي سجن عسقلان على السجون الاخرى ، والقيام باجبار المعتقلين المضربين على تناول طعامهم بالقوة ، ومن خلال التغذية الصناعية بواسطة انابيب مطاطية ، وقال سجناء لوفد من الصحفيين الاسرائيليين الذين سمح لهم بزيارة المعتقلين العرب « انهم يبتلعون انابيب التغذية هذه لانهم يشعرون بانهم جعلوا وجهة نظرهم معروفة

عن طريق رفض تناول الطعام بصورة عادية ، ٠ (٣٠)

وقد ادت اجراءات سلطات الاحتلال هذه الى الحاق عاهات دائمة بعدد من المضربين وبموت عدد اخر منهم وباختفاء اخرين ٠ وكان من بين المصابين بعاهات دائمة كل من : محمود منهلي ـ الذي اصبح ضريرا وعبد اللطيف الدويده ـ بعد ان اصبح مصابا بالشلل وقرحة في المعدة ٠ ويوسف احمد الخطيب ـ الذي اصبح مهددا بالعمى الكامل ، وعبد القادر عبد ربه الذي اصبح مصابا بقواه العقلية ، وعبد القادر مقين ـ الذي اصبح مصابا بعموده الفقري وبالتورم ٠ (٣١) ومنذر ملحس وسليم فريتح اللذان اصيبا بالهزال والاعياء الشديدين ٠ (٣٢)

كما ان من بين الذين استشهدوا متأثرين مما لحق بهم من قلة العناية الطبية كل من : عمر شلبي ، وعدنان ابو حية ٠ وكان من بين الذين اختفت اثارهم كل من السجينين جبر عمار وعبد العزيز شاهين ٠ (٣٣)

صدى الاضراب في الاوساط الصهيونية

اثار الاضراب غضب وقلق المسؤولين الصهاينة خاصة وان اجراءاتهم القمعية ومحاولاتهم كسر الاضراب باءت بالفشل من جهة ، وساعدت على انتشار الاضراب الى السجون الاخرى في نابلس والرملة وجنين ورام الله وبئر السبع ٠واشار وزير الشرطة الصهيوني شلومو هليل الى خطر هذا الاضراب حيث قال « ان اضراب المعتقلين يلفت نظر الرأي العام ويضر بسمعة اسرائيل » ٠ (٣٤) وبمناسبة اخرى قال وزير الشرطة « ان السجناء الذين حاولوا المس بالكيان الصهيوني بواسطة القنابل الى درجة القتل والتدمير يحاولون المس باسرائيل بواسطة قنابل اعلامية » ٠ (٣٥)

صدى الاضراب في الاوساط المحلية والعربية والعالمية

على **الصعيد المحلي** ، قام اقارب واهالي المعتقلين والسجناء العرب بالدرجة الاولى بسلسلة اعتصامات وتقديم مذكرات احتجاج والقيام بمظاهرات متعددة في مختلف مدن وقرى الوطن المحتل ،احتجاجا على المعاملة الوحشية التي يتعرض لها السجناء العرب ، وطلبوا من كافة الهيئات الوطنية والبلديات ورجال الدين التدخل لنصرة قضايا المعتقلين في السجون الاسرائيلية ٠

من جهة اخرى فقد ساند الاضراب رجال الدين والبلديات والهيئات الحقوقية والنقابات المهنية والجمعيات الخيرية والنسائية في جميع مدن وقرى فلسطين المحتلة بدون استثناء ، عبر توجيه مذكرات وبرقيات الى سلطات الاحتلال ، وقناصل الدول الاجنبية بالقدس ، وللسكرتير العام لهيئة الامم المتحدة وللصليب الاحمر الدولي ، والى لجنة حقوق الانسان ، يشرحون فيها مأساة الاضراب وحياة السجناء المهددة بالمرض والموت ، وطلب الاسراع بالتدخل من اجل تلبية مطالبهم العادلة ٠

وقد عمت مظاهرات صاخبة مدن الضفة الغربية وخاصة نابلس ورام الله وجنين وطولكرم احتجاجا على سياسة القمع التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد المعتقلين العرب ، واعرابا عن تضامن الجماهير الفلسطينية مع المعتقلين المضربين ٠

وقد ذكرت وكالات الانباء ٢٨ / ٢ / ٧٧ ان ما يزيد عن خمسين طالبا عربيا يدرسون في الجامعة العبرية بالقدس نظموا اضرابا عاما عن الطعام لمدة ثلاثة ايام تأييدا للسجناء العرب المضربين عن الطعام في سجن عسقلان . وقال الطلاب

« انهم سيمتنعون عن تناول الطعام ويعتصمون في فناء الجامعة لكي يلفتوا الانظار الى الظروف السيئة للسجناء » · (٣٦)

وعلى الصعيد المحلي ايضا فقد تضامن المحامون العرب في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ مع رابطة الحقوقيين الديمقراطيين وقاموا بزيارة المضربين في سجن عسقلان كما عقدوا ندوات صحفية في كل من الناصرة وتل ابيب واصدروا بيانات اوضحوا فيها قضية المعتقلين ومطالبهم وكشفوا عن اوضاع المعتقلين والسجناء العرب داخل السجون الاسرائيلية ·

وعلى **الصعيد العربي** ، سارعت الهيئات النسائية والدينية والخيرية والنقابية في الاردن (٣٧) وايضا في باقي الدول العربية الى ارسال برقيات ومذكرات احتجاج ضد سياسة العدو العنصرية واساليبه القمعية ضد المعتقلين العرب ، معلنين تضامنهم مع نضالات السجناء في سجون العدو · كما سارع السفراء العرب في الامم المتحدة من جهة اخرى بارسال مذكرات وبرقيات احتجاج واستنكار لكل من السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة وللجنة حقوق الانسان ولهيئة الصليب الاحمر الدولي وللعديد من الهيئات الدولية الاخرى ، ناشدوهم فيها التدخل لدى السلطات الاسرائيلية لتحسين احوال المضربين وتأمين سلامتهم وفق المبادىء الانسانية والمواثيق الدولية ·

وعلى **الصعيد العالمي** ، طالبت جميع الهيئات الدولية والانسانية بالتدخل لتأمين الحقوق الانسانية للمضربين وانقاذهم · (٣٨) من جهة اخرى فقد تدخلت منظمة « أمنستي الدولية » ومركزها لندن ،فارسلت برقية الى المستشار القضائي الاسرائيلي اعربت فيها عن اهتمامها بما يجري في السجون الاسرائيلية ، وخاصة الاضراب عن الطعام في عدد من السجون ، كما اشارت الى وفاة احد المعتقلين وطلبت العمل على تلافي حوادث الموت ، والعمل على تحسين ظروف السجون الاسرائيلية · (٣٩)

يوم السجين

أعلنت الثورة الفلسطينية ان يوم ١٧ نيسان هو يوم السجين الفلسطيني ، ودعت جماهير الارض المحتلة والجماهير العربية الى القيام بحملة اعلامية واسعة تضامنا مع المعتقلين والسجناء العرب في سجون الاحتلال الصهيوني · وتضامنا مع يوم السجين شهد الوطن المحتل اضرابا شاملا ومسيرات جماهيرية بهذه المناسبة ، كما « اعلن جميع المعتقلين العرب في سجون الاحتلال الاضراب عن الطعام حتى تتحقق مطالبهم التي تتلخص باعتبارهم اسرى حرب ، وتحسين اوضاع السجون وادخال الصحف والكتب الى السجناء ، والافراج عن المعتقلين الاداريين ، وتشكيل لجان فرعية وحقوقية عالمية لزيارة السجون والافراج عن المعتقلين الذين يتهددهم الموت » · (٤٠) وبهذه المناسبة بعث رؤساء البلديات في الضفة الغربية المحتلة مذكرة الى هيئة الصليب الاحمر الدولي ناشدوه فيها التدخل لوقف المعاملة الوحشية واللاانسانية والاساليب القمعية الارهابية التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد المعتقلين الفلسطينيين ، كما طالبوا في المذكرة بالعمل على تطبيق اتفاقية جنيف على المعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية · (٤١) ومن جهة ثانية فقد خصصت الصحف الصادرة في الارض المحتلة مقالاتها الافتتاحية لاحداث يوم السجين ·

وتضامنا مع يوم السجين اصدرت « لجنة انقاذ القدس » بيانا بهذه المناسبة جاء فيه « ان لجنة انقاذ القدس درست احوال هؤلاء الاخوان ، وهي اذ تعلن

تضامنها مع السجناء والمعتقلين العرب في مطالبهم العادلة وتضامنا مع سائر الاخوان العرب في المناطق المحتلة ، تحيي صمودهم وبطولاتهم وصبرهم وجلدهم » ، كما ناشدت اللجنة السكرتير العام للامم المتحدة وجميع الهيئات الدولية للعمل على حمل السلطات الاسرائيلية على مراعاة حقوق الانسان العربي وفقا للمواثيق والاعراف الدولية والقضاء على التمييز العنصري (٤٢) · وفي يوم السجين وجه اسقف الطائفة اللاتينية في الاردن المونسنيور سمعان نداء الى الامم المتحدة طالب فيه « العمل على رفع الظلم الواقع على المواطنين الفلسطينيين في الارض المحتلة ، ومعاملة المعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية كاسرى حرب » (٤٣) كما دعا الاتحاد العام لعمال الاردن كافة المنظمات العمالية العربية والدولية لاظهار الدعم للمناضلين المعتقلين ·

وبهذه المناسبة ادلى ناطق باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بتصريح جاء فيه « ان يوم التضامن مع السجين الفلسطيني يأتي ليؤكد ادانة عالمية ودولية للنظام العنصري الصهيوني في الوطن المحتل ·· » ·

قرار جديد وهام للصليب الاحمر الدولي

في المؤتمر الاخير لهيئة الصليب الاحمر الدولي الذي عقد في جنيف تم الموافقة على تمديد فاعلية الاتفاقية الدولية لعام ١٩٤٩ المتعلقة باسرى الحرب · كما وافق الاعضاء على اضافة مادة جديدة تقضي باضفاء صفة اسرى الحرب على «المحاربين الذين ليسوا في مصاف الجنود النظاميين والذين لا يخضعون لقيادة وطنية » · وقد صوت لصالح المادة الجديدة ٦٦ وفدا من بينهم وفد منظمة التحرير وعارضت هذه المادة : اسرائيل والبرازيل فقط · وقد وصف مندوب الكيان الصهيوني هذا القرار بأنه « وضع نهاية للقانون الانساني ! » وادعى ان المادة الجديدة « سوف تمد نطاق حماية الصليب الاحمر ومنزلة اسرى الحرب الى اي ارهابي في اي دولة » · من جهة اخرى اشارت وكالات الانباء الى ان مصادر اسرائيلية عبرت عن موقف العدو من هذا القرار بالقول « ان اسرائيل لن تلتزم بهذه المادة الجديدة التي اضيفت الى اتفاقية جنيف » · (٤٤)

ونرى أن قرار هيئة الصليب الاحمر الدولي يشمل المعتقلين السياسيين ضمن اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ ، ورفض الكيان الصهيوني لهذا القرار يؤكد حقيقتين اساسيتين :

الاولى ، ازدياد التأييد العالمي لقضايا المعتقلين والسجناء العرب في السجون الصهيونية باعتبارهم مناضلين سياسيين واصحاب حقوق مشروعة ·

الثانية ، ادانة الكيان الصهيوني وسياساته القمعية ووضعه في مصاف الدول العنصرية وتأكيد هذه الصفة من خلال امعان العدو في فرض سياساته القمعية ورفضه كافة القرارات الدولية المتعلقة بالحقوق الشرعية والانسانية للشعب الفلسطيني بشكل عام ، وللمعتقلين والسجناء العرب داخل السجون الصهيونية بشكل خاص ·

صبحي طه

* * *

هوامش :

١ ـ انظر : دراسة عامة عن السجون الاسرائيلية ، صحيفة تشرين السورية ٣ / ٤ / ١٩٧٧ ·

٢ ـ الدستور الاردنية، ٥ / ٢ /١٩٧٧ ٠

٣ ـ النـــداء اللبنانيـــة ١٠ / ٢ / ١٩٧٧ ٠

٤ ـ صحيفة تشرين السورية ٣ / ٤ / ٧٧ ٠

٥ ـ مجلة فلسطين المحتلة العدد : ٨٣ ، ٢٠ / ٤ / ١٩٧٧ ٠

٦ ـ النداء اللبنانية ٥ / ٢ / ٧٧ ٠

٧ ـ الدستور الاردنية ٥ / ٢ / ٧٧ ٠

٨ ـ النداء اللبنانية ٥ / ٢ / ٧٧ ٠

٩ ـ الاتحاد ـ ١٨ / ١ / ١٩٧٧ ٠

١٠ ـ فلسطين المحتلة العدد : ٨٣ ، ٢٠ / ٤ / ٧٧ نقلا عن صحيفة الهيرالد تربيون الاميركية ٠

١١ ـ هآرتس ١٧ / ١٠ / ١٩٧٤ ٠

١٢ ـ الاتحاد ٢٥ / ١ / ١٩٧٧ ٠

١٣ ـ الدستور الاردنيـــة ٢٨ / ١ / ١٩٧٧ ٠

١٤ ـ الثورة السورية ٣١ / ٣ / ٧٧ ٠

١٥ ـ صحيفة تشرين السورية ٣ / ٤ / ٧٧ ٠

١٦ ـ مجلة فلسطين المحتلة العدد : ٨١ ، ٦ / ٤ / ١٩٧٧ ٠

١٧ ـ هآرتس ١٧ / ١٠ / ٧٤ ٠

١٨ ـ الثورة السورية ٣١ / ٣ / ٧٧ ٠

١٩ ـ الاتحاد ٢٥ / ١ / ١٩٧٧ ٠

٢٠ ـ مجلة فلسطين المحتلة العدد : ٨٣ ، ٢ / ٤ / ١٩٧٧ ٠

٢١ ـ صحيفة تشرين السورية ٣ / ٤ / ١٩٧٧ ٠

٢٢ ـ الثورة السورية ٣١ / ٣ / ٧٧ ٠

٢٣ ـ هآرتس ١٧ / ١٠ / ١٩٧٤ ٠

٢٤ ـ النداء اللبنانيـــة ١٨ / ١ / ١٩٧٦ ٠

٢٥ ـ صحيفة الشعب المقدسية ١٣ / ١ / ١٩٧٧ ٠

٢٦ ـ دافار ٢٥ / ٧ / ٧٥ ٠

٢٧ ـ المحرر ٢٤ / ٢ / ٧٧ نقلا عـن اذاعة اسرائيل ٠

٢٨ ـ المحـرر اللبنانيـــة ١٧ / ٢ / ١٩٧٧ ٠

٢٩ ـ الاتحاد ١ / ٢ / ١٩٧٧ ٠

٣٠ ـ الانوار اللبنانيـــة ١٠ / ٣ / ١٩٧٧ ٠

٣١ ـ الدستور الاردنيـــة ٢٨ / ١ / ١٩٧٧ ٠

٣٢ ـ الاتحاد ١٨ / ١ / ١٩٧٧ ٠

٣٣ ـ الاتحاد ، العددان ٢٥ ، ٢٨ / ١ / ١٩٧٧ ٠

٣٤ ـ السفير اللبنانيـــة ٢٠ / ٣ / ١٩٧٧ ٠

٣٥ ـ مجلة فلسطين المحتلة العدد ٨١ ، ٦ / ٤ / ٧٧ نقلا عن صحيفة عل همشمار٠

٣٦ ـ المحرر اللبنانية ١ / ٣ / ١٩٧٧ ٠

٣٧ ـ الدستور ٢٨ / ١ / ١٩٧٧ ٠

٣٨ ـ الاتحاد ١٨ / ١ / ١٩٧٧ ٠

٣٩ ـ الدستور ٤ / ٢ / ٧٧ ٠

٤٠ ـ فلسطين المحتلة العدد ٨٤ ، ٢٧ / ٤ / ١٩٧٧ ٠

٤١ ـ المصدر السابق ـ

٤٢ ـ المصدر السابق ـ
٤٣ ـ المصدر السابق ـ
٤٤ ـ فلسطين الثـــورة ٢٥ / ٤ / ١٩٧٧ ·

مؤتمرات الطيران المدني العربي
باشراف
مجلس الطيران المدني للدول العربيّة

لما كانت دول العالم وبدون استثنـــاء الغني منها والفقير ، المتطورة والمتخلفة قد اولت قطاع الطيران المدني الاهمية الكبرى المرجوة في مجالاته المختلفة لتسهيل عملية ربط البلدان بعضها ببعض لتنشيط التعاون فيما بينها وتشجيع تبادل الزيارات وعلـى كافة الاصعدة وفي شتى المجالات لارسـاء قواعد ثابتة من التعاون والتفاهم فيمـــا بينها · ولما كانت البلاد العربية قد قطعـت مراحل متقدمة في مجالي تضامنها ووحدتها لتعزيز امنها وتقدمها وازدهارها في كافـة الميادين الاجتماعية والسياسية والزراعية والاقتصادية . قام مجلس الطيران المدنـي للدول العربية
(Civil Aviation Council of Arab States) (C.A.C.A.S)

الذي اتخذ القاهرة مقرا له والذي تـــم تشكيله بتاريخ ١١ ـ١١ـ١٩٦٧بموجبقرار صادر عن مجلس جامعة الدول العربيـــة بعد ان صادقت على اتفاقيتـه اربـع دول عربية هي مصر والاردن والعراق وسوريا وكان الهدف من انشاءه ، تحقيق اقصـــى ما يمكن من التعاون بين الاقطار العربيـة في حقل الطيران المدني وتعزيز وسائـــط النقل الجوي بينها ضمانا لمستقبلها ودعما لسمعتها ومكانتها بين الامم في العالم ·

ومذ تأسيسه لم يأل مجلس الطيـــران المدني للدول العربية جهدا الا ووضعه في خدمة هذا المرفق الهام ، ان كان ذلك في شكل الدعوة لعقد المؤتمرات البناءة ، او الاعداد للدراسات في كافة مجالات هـــذا الحقل الهام ، او في اعداد الملاحـــــق والاتفاقات اللازمة · وقد ساعدالمجلسعلى ارساء وتقوية العلاقات بين العاملين فـــي حقل الطيران المدني في الدول العربيـــة توخيا لبلوغ الاهداف والمصالح العربيـــة المشتركة في هذا الميدان · ويقوم المجلـس اليوم ببذل الجهود لمواجهة التحديـــات والمشكلات والتبعات التي فرضتهاالمتغيرات الدولية في المجالات الاقتصادية والفنيـــة التي تنعكس باثارها على صناعة النقـل الجوي المدنـي ·

والذي يساعد المجلس في تحركه الناجح التزامه بمبادىء اساسية تنسجم مع نشاطاته ومشاريعه ، طبقا لاولويات الخطة الموضوعة ٠

ان تعديل اتفاقية المجلس الذي تم باغلبية ثلثي الاعضاء استنادا الى المادة (١١) من اتفاقية المجلس تضمن الفصل بين رئاسة السلطتين التشريعية والتنفيذية وتشكيل الهيكل التنظيمي لجمعية عمومية يجري انتخاب رئيسها بصفة دورية من الاقطار العربية ، ومكتب يتكون من رئيس المجلس واربعة اشخاص من مختلف الاقطار العربية ، وامانة دائمة يشرف عليها الامين العام ٠ ان ذلك لا شك سيقود المجلس الى الارتفاع الى المستوى المنشود ويسهل عملية ممارسته لاختصاصاته ومسؤولياته بالمرونة التي تقتضيها المرحلة الراهنة لوضع اسس تطوير صناعة هذا المرفق الهام ٠

ومما لا شك فيه ان المجلس قد نجح في المجالين الدولي والعربي الاقليمي ومن الامور التي حققها المجلس في هذين المجالين يمكن تلخيصها بالاتي :

المجال الدولي :

١ ـ اصبحت اللغة العربية احدى اللغات المستخدمة في اجتماعات المنظمة الدولية للطيران المدني
(International Civil Aviation Organization) (I.C.A.O.)
والمنظمة الافريقية للطيران المدني (افكاك)
(African Civil Aviation Commission) (AF. C.A.C)

٢ ـ تمت الموافقة على اعداد قاعة عربية بالمبنى الجديد للمنظمة الدولية للطيران المدني بمونتريال تبلغ مساحتها (٢٥ × ٥٠) مترا وسيتم زخرفتها وتاثيثها على نمط الفن المعماري العربي الاصيل ٠

٣ ـ تم قبول منظمة التحرير الفلسطينية كمراقب في اجتماعات الجمعية العمومية للمنظمة الدولية للطيران المدني التي مقرها مونتريال ـ كندا ٠

٤ ـ صدور قرار من منظمة الطيران المدني الدولي (I. C.A.O) يمنع اسرائيل من استخدام مطار القدس العربي ٠ فقد كانت اسرائيل تنوي استخدامه كمطار دولي تستقبل فيه طائرات شركات النقل الاجنبية، بحيث تهبط مباشرة فيه ، لما فيه من مضاعفات خطيرة على عروبة المطار (سياسيا) والتاثيرات المضرة بالحقلين السياحي والاقتصادي والمعنوي (عربيا)٠

٥ ـ حصول الدول العربية على ثلاثة مقاعد في مجلس المنظمة الدولية علاوة على تسلم عربي لرئاسة مجلس المنظمة ٠

المستوى العربي (الاقليمي)

١ ـ ساعد المجلس على اصدار اتفاقية التعاون بين الدول العربية في مجال البحث والانقاذ وهو عامل مهم جدا بالنسبة لسلامة الركاب والمسافرين العرب والاجانب ويعطي ثقة اكبر في هذا المرفق عربيا ودوليا ٠

٢ ـ تم اعداد تشريعات الطيران المدني الموحدة والتي تقوم الدول العربية باصدار قوانينها الوطنية الخاصة التي تحدم مجالات تحرك مديريات الطيران المدني فيها ٠

٣ ـ تم اعداد المشروع النموذجي لرسوم المطارات والخدمات الملاحية واصدار نسخا مترجمة بالعربية عن معاهدات الطيران المدني الدولية وملاحقها ٠

٤ ـ صدور (اعلان مراكش) لاطلاق الحريات الجوية بين البلاد العربية الذي ساعد في ربط المشرق العربي بالمغرب العربي بخطوط جوية عربية مباشرة ٠ بعد ان كان المسافر العربي يضطر للسفر من المشرق الى المغرب وبالعكس عن طريق القارة الاوروبية وبوسائط نقل جوية اجنبية ٠

٥ ـ قرار المجلس بانشاء الاكاديمية العربية للطيران المدني التي ستكون بمستوى جامعة تخصص في حقل الطيران المدني ٠

مؤتمرات الطيران المدني

عقد مجلس الطيران المدني للدول العربية ستة عشرة دورة لحد الان منذ تأسيسه ٠ وكانت الدورة الثانية عشر التي عقدت بمدينة مراكش في المملكة المغربية هي الدورة الاولى التي دعي لحضورها وفد من منظمة التحرير الفلسطينية ٠ وكان حدول الاعمال حافلا بالمواضيع والقضايا ذات العلاقة بصناعة الطيران المدني ٠ وقد تم في هذه الدورة صدور (اعلان مراكش) لاطلاق الحريات الجوية بين البلاد العربية، انطلاقا من ايمان الجميع بضرورة ارساء قواعد اساسية وثابتة للتعاون بين الاقطار العربية في حقل النقل الجوي لاتاحة الفرصة امام مؤسسات وشركات النقل الجوي العربي لربط البلاد بشبكة قوية من الخطوط الجوية المنتظمة دون قيود او عراقيل ٠ان ابرز ما تضمنه الاعلان من بنود هو اطلاق الحريات الثالثة والرابعة والخامسة ٠ وتدعيم شبكة الخطوط الجوية العربية داخل المنطقة العربية عن طريق ربط جناحي الوطن العربي مشرقه ومغربه بخطوط جوية مباشرة ٠ كما اوصى المجلس في دورته الثانية عشر انشاء صندوق برأس مال عربي لتمويل شراء الطائرات والمعدات الارضية واجهزة المساعدات الملاحية للمطارات العربية ٠ ومن جهة اخرى استعرض موضوع الحوار العربي الاوروبي ذي الطابع الفني في حقل الطيران وما احرزته المباحثات الجارية بين الطرفين العربي والاوروبي من تقدم ٠ كما تم عرض مواضيع مختلفة تتعلق بحقل الطيران تمت الموافقة على بعضها في حين ارجىء النظر في البعض الاخر وتمت الموافقة على احالتها للدراسة في الدورة اللاحقة ٠

وعلى صعيد النشاط الفلسطيني في المجلس اقر المجلس ورقتي العمل اللتين تقدم بهما وفد فلسطين حيث تمت الموافقة عليهما بالاجماع ٠ وجاء بالقرارين :

اولا : القرار رقم (د ١٢ ـ بند رقم « ٤٤ » ـ ورقة العمل رقم «٤٤») مجلس الطيران المدني للدول العربية ٠

بما ان هيئات ومصالح الطيران المدني العربية تقاطع مطارات العدو وتمنع الطائرات التي تهبط في اراضيها من التوجه مباشرة من مطاراتها الى الاراضي الفلسطينية المحتلة ٠

ونظرا لقيام بعض الشركات بايصال السواح الى اراضي بعض الدول العربية ثم ينقلون عبر الحدود العربية الى الارض الفلسطينية المحتلة ٠

ونظرا لما يشكله ذلك من تشجيع للسياحة لدى العدو ويعزز بالتالي امكانياته الاقتصادية ، قرر المجلس :

١ ـ يكلف المكتب الدائم بعرض موضوع عبور السياح المسافرين الاجانب من والى فلسطين المحتلة على مجلس جامعة الدول العربية لاتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ قرار منع هذا الانتقال وذلك عملا باحكام قانون مقاطعة اسرائيل ٠

٢ ـ تلتزم كافة مؤسسات الطيران العربية بعدم نقل السواح المسافرين الاجانب الراغبين في اجتياز حدود الدول العربية من والى الاراضي الفلسطينية المحتلة ٠

ثانيا : القرار رقم (د ١٢ ـ بند «٤٥» ـ ورقة العمل رقم «٤٥») مجلس الطيران المدني للدول العربية ٠

نظرا لان شركة العال ـ مثلها مثل كثير من المؤسسات الاسرائيلية ـ تعتبر مؤسسة عسكرية ، ذلك لان طياريها عسكريون مسجلون في قوائم الاحتياط العسكري ، كما ان الطائرات التابعة لها

تقوم بنقل السلاح والعتاد الغربي والمتطوعين ، كما حصل في حرب اكتوبر ١٩٧٣ كما ان ورش الصيانة التي تملكها هذه الشركة تقوم باصلاح وصيانة الطائرات الحربية بالاضافة الى اعمال القرصنة الجوية التي تمارسها دولةالكيان الصهيوني مما يعرض سلامة وامن الطيران المدني الدولي في المنطقة للخطر ٠

لكل هذه الاعتبارات ولان هذه الشركة مؤسسة من مؤسسات دولة الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ولانطابعها العسكري عدواني يتنافى مع عضويتها في المنظمة الدولية للطيران المدني ويعرض امن وسلامة المسافرين للخطر ، قرر المجلس :

١ ـ يقوم المكتب الدائم ، واعتبارا من تاريخه بمراجعة مؤسسات الطيران المدني العالمية لاطلاعها على وضع وطبيعة هذه المؤسسة وارتباطها بالاجهزة العسكرية في فلسطين المحتلة ٠

٢ ـ تقوم الدول الاعضاء في المجلس بالتعاون مع مؤسسات الطيران المدني الصديقة بتبني طرد اسرائيل من عضوية الجمعية العمومية في المنظمة الدولية للطيران المدني في دورة انعقادها القادمة ٠

٣ ـ يكلف المكتب الدائم برفع توصية لجامعة الدول العربية ، تقضي باتخاذ قرار بمقاطعة شركات الطيران التي تتعامل مع مؤسسة « العال » او مع المطارات في فلسطين المحتلة ٠

وفي العام ١٩٧٥ حضرت منظمة التحرير الفلسطينية الدورة الرابعة عشر لمجلس الطيران المدني للدول العربية التيعقدت بمدينة طرابلس في ليبيا ٠

وكان من اهم المسائل التي اقرها المجلس انتخاب رئيس جديد له بعدانتهاء مدة رئاسة السيد المهندس محمد سليمان الحكيم التي دامت (٨) سنوات ٠

وبعد الاقتراع فاز مرشح سوريا السيد ناهض ضاني برئاسة المجلس للسنوات الاربع القادمة وهي المدة المقررة٠ ثم انتقل المجلس الى بحث مشروع موازنة المكتب الدائم المقترحة للسنة المالية ١٩٧٧ البالغة (٦٥٠ر٣٣١) دولارا فاقرها باجماع الاصوات ٠ وكان للمجلس دور في انتقاء (**يوم الطيران المدني العربي**) للاحتفال به في كافة انحاء الوطن العربي ٠ وبعد المناقشة وافق الجميع على اختيار مناسبة مولد **الرائد العربي عباس بن فرناس** لتكون **يوما للطيران** تحتفل به كافة الاقطار العربية في آن واحد ٠

وفي **الدورة الرابعة عشر** وافق المجلس على مشروع **تعريب افلام الطيران** التي تنتجها المنظمات الدولية والاقليميةوعرضها فيمحطات تلفزيونات الدول العربية٠ البالغ عددها (١٧) محطة وذلك بالتعاون معاتحاد اذاعات الدول العربية الذي ابدى موافقة على ذلك ٠

ومن جهة اخرى اكد المجلس في هذه الدورة على القرارات السابقة التياصدرها بشان **نشر وعي الطيران بين الشباب العربي لما يعود به من فوائد على الشباب** وعلى هذه الصناعة في مختلف ارجاء الوطن العربي ٠ وكان المجلس قد اقر في **دورته السادسة** زيادة امكانيات نوادي الطيران لتتمكن من تحقيق الاتي :

(١) انشاء معاهد للطيران الشراعي وتشغيلها ورعايتها (٢) نشر هواية نماذج الطائرات في المدارس (٣) نشر فرق الكشافة الجوية في المدارس (٤) نشر الكتيباتوعقد المسابقات (٥) الاشتراك في الاجتماعات والمسابقات الدولية ٠ وفي **دورته الرابعة عشر** اقر توصيات اخرى تتعلق بالموضوع نفسه تطالب المكتب الدائم بتحقيق الاتي :
(١) تجميع ما صدرمن كتيبات وكتبتساعد على نشر وعي الطيران وتعميمها علىباقي الدول العربية (٢) البدء في اعداد وطبع

وتعميم كتيبات في فروع الطيران بغرض نشر الوعي الجوي وذلك في حدود موازنته السنوية ٠

كان من ضمن سلسلة القرارات التي اصدرها المجلس في دورته الرابعة عشر ثلاث قرارات قدمها الوفد الفلسطيني تم اقرارها بالاجماع ٠

وهذه القرارات الثلاث هي :

اولا : القرار رقم (د ١٤ ـ ٤٨) ٠

اوضح رئيس وفد فلسطين (منظمة التحرير الفلسطينية) انه بمناسبة انشاء القاعة العربية في المقر الجديد للمنظمة الدولية في مونتريال وقيام الدول العربية بتزويد هذه القاعة بقطع اثرية اسلامية وعربية فان وفد منظمة التحرير الفلسطينية يسره ان يعلن استعداد المنظمة تزويد هذه القاعة بقطع اثرية عربية فلسطينية من انواع لها قيمة سياحيةواثرية كبيرة، كما يرجو ان يتكرم المجلس بالموافقة على ادراج اسم (فلسطين) ضمن لائحة اسماء الدول العربية التي ستشارك فيهذه القاعة والتي ستدرج اسماؤها في اللائحة المذكور ٠ وقد وافق المجلس على ذلك بالاجماع ٠

ثانيا القرار رقم (د ١٤ ـ ٤٩) ٠

استعرض رئيس وفد منظمة التحرير الفلسطينية (فلسطين) ورقة العمل رقم ٤٨ في شأن دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى مهرجانات الثقافة الجوية التي يدعو اليها مجلس الطيران المدني بالاشتراك مع الدول العربية وذلكمشاركة من المنظمة في مثل هذه المهرجانات التي تهدف الى نشر الوعي الجوي وقد وافق المجلس على ذلك بالاجماع ٠

ثالثا ـ شرح رئيس وفد فلسطين (منظمة التحرير الفلسطينية) ورقة العمل المقدمة منه في شأن توفير فرص التدريب والمعونة الفنية للمنظمة مشيرا الى ان المجلس الموقر سبق وان اقر في دورته العاشرة بالدوحة عام ١٩٧٢ تخصيص ميزانية لصندوق المعونة الفنية ٠ وانه بالنظر الى ان منظمة التحرير الفلسطينية تقوم باعداد الكوادر الفنية وغيرها اللازمة في كافة المجالات ومن بينها الطيران المدني، فانها ترجو اعتبار منظمة التحرير من بين الجهات التي يحق لها الاستفادة من هذه المعونة ومن معاهد ومؤسسات التدريب التابعة للدول العربية ، فضلا عن ان العناصر التي سيجري تدريبها في مثل هذا المرفق الحيوي سوف تحتاج الى ممارسة العمل بشكل مستمر للمحافظة على الاهلية واكتساب الخبرة الضروريةوبالتالي اهمية اتاحةفرص الاستخدام لهذه العناصر الفلسطينية المؤهلة بالبلاد العربية ٠

وبعد المناقشة وافق المجلس على اصدار القرار الاتي :ـ

قرار رقم (د ١٤ ـ ٥٠) ٠

(١) الموافقة على الرغبة التي ابدتها منظمة التحرير الفلسطينية الاستفادة من المعونة الفنية لمجلس الطيران المدني للدول العربية في تأمين المنح لتدريب عناصر فلسطينية مرشحة من قبلها في مجال الطيران المدني ٠

(٢) حث الدول الاعضاء على افساح المجال لتدريب عناصر فلسطينية مرشحةمن قبل المنظمة في مجالات الطيران المختلفة في المعاهد ومؤسسات التدريب المتوفرة لديها مع تأمين ما يمكن من معونة في هذا المجال ٠

(٣) حث الدول الاعضاء على توفير فرص الاستخدام لهذه العناصر بعدتخرجها في المؤسسات والشركات والادارات التي تراها مناسبة بغية محافظة هذه العناصر على كفاءتها واهليتها الفنية ٠

الدورة الخامسة عشر لمجلس الطيران المدني للدول العربية ·

عقدت في القاهرة في الفترة ما بين ١١ـ١٦ـ١٢ـ١٩٧٦و تغيب وفد فلسطين (منظمة التحرير الفلسطينية) عن حضور جلساتها ·

الدورة السادسة عشر لمجلس الطيران المدني للدول العربية ·

عقدت في مدينة الدار البيضاء في المملكة المغربية وكانت عبارة عن اجتماعين ·

الاجتماع الاول خصص لدراسة **مشروع اتفاقية الاكاديمية العربية للطيران المدني** وامتد من ١٩ـ٢١ـ اذار (مارس) ١٩٧٧· حضرته وفود عن (٧) دول عربيةبالاضافة الى الوفد الفلسطيني · وقد تم في هذه الاجتماعات اقرار الشكل النهائي لبنود الاتفاقية وجرى التوقيع عليها بالاحرف الاولى من قبل رؤساء الوفود · وجرى تسليم كل وفد نسخة عن الاتفاقية على ان تحفظ نسخة اخرى في المكتب الدائم · وتتكون الاتفاقية من (٢٦) مادة ، نصت الاولى على تسمية الاكاديمية بـ **(الاكاديمية العربية للطيران المدني)**
(ARAB CIVIL AVIATION ACADEMY)

اما اهدافها فهي العمل على تحقيق رسالتها العلمية في تدعيم وتطوير صناعة الطيران المدني والنقل الجوي في الدول العربية الاعضاء في المجلس ·

اما الاجتماع الثاني فقد امتدت اجتماعاته من ٢٢ ـ ٢٤ اذار (مارس) ١٩٧٧ ، وضم وفودا عن (١٣) دولة عربية بما في ذلك وفد منظمة التحريرالفلسطينية، ووفود (١٢) شركة ومؤسسة طيران عربية من الشركات الاعضاء في الاتحاد العربي للنقل الجوي · فقد تناول المجتمعون في مناقشاتهم البندين الرئيسيين في جدول الاعمال ، حيث بحثوا في الاول موضوع **« الخطوط الجوية العربية العالمية »** التي دعا الى تأسيسها **مجلس الوحدةالاقتصادية للدول العربية** في العام ١٩٧١ ·

والجدير بالذكر فان تاريخ الموافقة على فكرة تكتيل جهود الدول العربية في مجال النقل الجوي ترجع الى العام ١٩٤٦ حيث وافقت الدول العربية على هذا المبدأ في مؤتمر عاليه بلبنان ،وفي ايار (مايو) ١٩٥٧ كلفت جامعة الدول العربية (المجلس الاقتصادي) باعداد مشروع انشاء « شركة عربية للنقل الجوي » · واعدت الدراسة على اساس المقارنة بين انشاء اتحاد شركات الطيران العربية على نمط (كونسورتيوم) (Consortium) الدول الاسكندنافية واخر لانشاء مؤسسة الخطوط الجوية العربية العالمية · وفي اجتماع بغداد عام ١٩٦١ استقر الرأيعلى تفضيل مشروع مؤسسة الخطوط العالمية · وفي ١٧ـ٤ـ١٩٦١ وافق المجلس الاقتصادي لجامعة الدول العربية على المشروع · وفي ٢١ـ٣ـ١٩٦٥ وافق مجلس جامعة الدول العربية على الفكرة · وفي العام ١٩٦٧بعد تشكيل مجلس الطيران المدنيللدول العربية احيل المشروع اليه لانجازه وابداء الرأي فيه من وجهة النظر الفنية · وفي الجلسة الاخيرة التي عقدت في الدار البيضاء في الفترة بين ٢٣ـ٢٤ اذار (مارس) ١٩٧٧ تقرر بالاجماع تجميد مشروع الخطوط الجوية العربية العالمية واعتماد مبدأ التشغيل المشترك بين شركات الطيران العربية · كما تقرر في الاجتماع المشترك اتخاذ ثلاثة خطوط عالمية للتسيير المشترك بين شركات الطيران العربية بشكلمرحلي· **الخط الاول** عمان ـ دمشق ـ نيويورك وبالعكس وستعمل على هذا الخط طائرات شركتي عاليه والسورية بشكل مشترك · **الخط الثاني** الدار البيضاء ـ ريو دي جانيرو وتعمل حاليا علىهذا الخط طائرات الخطوط الجوية المغربية الخط الثالث القاهرة ـ طوكيو وتعمل عليه حالياطائرات

شركة مصر للطيران · وكانت من اهـــم الرسائل التي تليت في الاجتماع رسالة الملك حسين حيث تقدم فيها بمطار عمان الدولي بكامل منشاآته ومدارجه واجهزته ليكـــون مقرا للاكاديمية العربية للطيران المدني ·

وسيقوم المكتب الدائم بالاتصال بالجانب الاردني لبحث الموضوع وتقرير ما هـــو مناسب · ومن جهة اخرى وزع الجانـــب الاردني دعوة للوفود المشتركة لحضـــور مؤتمر للطيران تقرر عقده في عمان فـــي الفترة بين ١٥ـ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧ سيخصص لبحث سلامة وازدهـــار عمليات الطيران المدني في الشرق الاوسط·

اما البند الثاني من محضر الجلســة فقد شمل موادا تتعلق بمؤتمر منظمة الطيران الدولية المقرر عقده في مونتريال بكندا في الفترة بيـــن ١٣ـ٢٦ ـ نيسان (ابريل) ١٩٧٧ · وقد دارت المناقشات في الاجتماع لتنسيق جهود الوفود العربية المشتركـــة بالمؤتمر الدولي وتوحيد ارائها ووجهـــات نظرها فيما يتعلق ببعض قضايا الطيـــران المدني والنقل الجوي المطروحة على بســاط البحث في المؤتمر المذكور

الرائـد الطيار

حسين عويضة

رسائل

رسالة بودابست :
علامة على طريق طويل

حين يدور الحديث عن النضال الجاري على النطاق العالمي تضامنا مع الشعب العربي الفلسطيني تمر في خاطري ذكرى شخصية متواضعة · لقد أقمنا قبل فترة غير بعيدة في أحد بيوت الثقافة الجديدة في حي كوبانيا العمالي ذي التقاليد الثورية العريقة معرضا للصور عن كفاح الشعب العربي الفلسطيني تحت شعار « شعب يبحث عن وطن » · وقد سنحت لي فرصة المشاركة في افتتاح المعرض الذي زرته بعد ذلك اكثر من مرة · وخلال تلك الزيارات حصلت على الانطباع العميق والكبير فقد كنت شاهدا على مشاعر التضامن النابعة من سويداء القلب التي يكنها شعبنا ·

وطبيعي ان هذا التفهم النشيط والفعال لا ولن يقتصر على معرض واحد او على الاثر الذي يتركه مثل هذا المعرض · ففي جمهورية المجر الشعبية تصدر بشكل منتظم كتب ودراسات ومقالات تحث على اقرار الحقوق الوطنية الفلسطينية دون تأخير باعتبار ذلك الحل الممكن الوحيد العادل للمشكلة الفلسطينية التي تعتبر قطب الرحى في أزمة الشرق الاوسط · كما قام مراسلو الصحف المجرية مؤخرا وبشكل منتظم بنشر أنباء اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة والتعريف بالقرارات الصادرة عنه على نطاق واسع · وتتردد على شاشة التلفزيون المجري بشكل منتظم ايضا تصريحات القادة الفلسطينيين البارزين ، والتصريحات الهامة التي ادلى بها ياسر عرفات في اكثر من مناسبة كانت مصدر سعادة خاصة بالنسبة لنا · وعلاوة على ذلك فهناك برنامج شهري يبثه التلفزيون المجري تحت عنوان « المنبر » تكمن شعبيته في حقيقة ان المشاهد يمكنه ان يطرح اسئلته من خلال الهاتف على الخبراء في الشؤون الخارجية الموجودين في الاستوديو لهذا الغرض ·· ويمكن قياس مدى اهتمام المواطن المجري في هذا الميدان من خلال عدد الاسئلة المطروحة · وقد قدم المئات حتى الان خلال هذا

البرنامج اسئلة تتعلق بتفصيلات مختلفة تدور حول التعرف على كفاح الفلسطينيين العرب ٠

ومن جهة اخرى فحين تناقش اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري ومجلس رئاسة جمهورية المجر الشعبية ومجلس الوزراء والجمعية الوطنية بشكل منتظم قضية الشرق الاوسط وتعرض وجهات نظرها ، فهي تفعل كل ذلك استنادا الى اوسع قاعدة من المساندة والمشاركة الشعبية معبرة بذلك عن رأي وارادة شعبنا ٠ وعلى غرار ما يتصل بالقضايا الاخرى فان وجهات نظر ومواقف جماهير الشعب المجرى والاجهزة القائدة له تلتقي في وحدة لا يمكن ان تنفصم ٠

وفي هذا المجال اود ان اقتطف بعض ما جاء في البيان الصادر عن اجتماع اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري في الثالث عشر من نيسان المنصرم بصدد الوضع في الشرق الاوسط : « ان اللجنة المركزية لتؤكد مجددا ان الوضع في الشرق الاوسط ما يزال معقدا وخطيرا اذ لم تتحقق بعد اية خطوة جدية لحل الازمة ٠٠ فالدوائر الاستعمارية والرجعية بدأت بشن حملة واسعة ضد القوى التقدمية العربية ٠٠ وتسعى هذه الدوائر لتفسيخ وضرب القوى الاجتماعية التقدمية في بلدان الشرق الاوسط ولتصفية منظمة التحرير الفلسطينية ٠ ان اللجنة المركزية لتؤكد مجددا بأن تسوية أزمة الشرق الاوسط يجب ان تتم بالطرق السلمية وبشكل شامل ومن خلال اشتراك جميع الفرقاء المعنيين ٠ وان شروط التوصل لذلك تكمن في انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وفي ضمان الحقوق الوطنية الشرعية للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وتقديم الضمانات بصدد استقلال وأمن جميع دول المنطقة ٠ ان اللجنة المركزية لتقدر بالغ التقدير المقترحات الاخيرة للاتحاد السوفيتي التي تخدم بشكل جيد قضية التوصل لتسوية سياسية » ٠

وبروح السياسة السلمية المبدئية الدؤوبة هذه وقف وفد جمهورية المجر الشعبية في جميع المناسبات خلال مناقشات منظمة الامم المتحدة داعما ومؤيدا جميع القرارات التي اتخذت في اطار الدفاع عن مصالح الشعب العربي الفلسطيني ولترسيخ الجبهة المعادية للاستعمار ٠ ويعبر ممثلو ومندوبو وطننا عن هذا الرأي نفسه في جميع المحادثات التي يشاركون بها سواء اكانت ثنائية ام متعددة الجوانب مع مختلف الاطراف وعلى جميع المستويات ٠

ومن الطبيعي انه لكي تصبح الصورة واضحة متكاملة فانهم يقومون بعرض موقف المجر في جميع المحافل الديبلوماسية ذات الصفة الشعبية التي تزداد اهميتها في عصرنا الراهن ٠ ونحن نعتبر مثل هذه المحافل عنصرا جوهريا من مثل النشاطات الواسعة المدى لحركة السلام العالمية وحركات التضامن الدولية واجتماعات منظمة شعوب آسيا وافريقيا حيث تبرز المساندة للشعب العربي الفلسطيني بشكل متزايد اكثر قوة وحزما ووضوحا ٠

ترى ما هو السبب في كون الشعب المجري بملايينه العشرة والنصف وبرقعة بلاده الصغيرة نسبيا في وسط اوروبا يكن مثل هذه المشاعر العميقة تجاه قضية عرب فلسطين ؟ انه لمن الواضح لنا جميعا أن قضية السلام والامن والانفراج الدولي كل لا يتجزأ ، فعناصرها المتعددة ترتبط بعضها بعضا بشكل لا ينفصم ٠٠

والامر الذي اثار السرور والرضا فينا انه على اثر الجهود التي استمرت سنين طويلة نجحت البلدان الاشتراكية من خلال سلسلة من المبادرات بجعل الوثيقة الختامية لمؤتمر الامن الاوروبي امرا مقبولا · ان ما تقدم يشير الى ان الوقائع القائمة في القارة الاوروبية تأخذ مجراها عمليا وحتى ولو لم يتم ذلك دون تعكير او تراجعات كما تحدث موازين القوى الفعلية فيها اتجاها جوهريا للانفراج ·

ومع ذلك فان اوروبا ليست قارة معزولة او قائمة بذاتها اذ يمكن الحديث فقط عن أمن أوروبي حقيقي راسخ وثابت اذا اما اكتمل الانفراج السياسي بانفراج عسكري ايضا واذا ما تم الحفاظ على قواعد التعايش السلمي في كل مكان ووضع حد لبؤر الازمة التي تنذر بالخطر في كوكبنا · ويكفي ان نلقي نظرة على الخارطة لنرى ان الشرق الاوسط هو أقرب بؤرة للازمة بالنسبة لاوروبا ، وهذه المنطقة تقع على ملتقى القارات الثلاث وذات أهمية بالغة من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية· وتخيم على هذه المنطقة منذ عقود حالة خطرة مستعصية بسبب العدوان الاستعماري وحيث يجري انكار حق شعب ذي تاريخ عريق في وطنه المستقل ·

اننا ندرك جيدا ان غشاء سميكا من الاحكام المسبقة والتناقضات الثانوية يغطي نزاع الشرق الاوسط ·الا ان الجبهة الرئيسية هنا هي كذلك بين الاستعمار والقوى المعادية للاستعمار · ومهما كانت صعوبة حل التناقضات القومية والدينية وغيرها الا انها ممكنة الحل واقعيا من خلال دحر الاستعمار وابعاده وعزله سياسيا · ولذا فنحن نعتبر الكفاح من اجل التسوية في الشرق الاوسط وفي سبيل الحل السلمي العادل جزءا لا يتجزأ من الكفاح الشامل المعادي للاستعمار على نطاق العالم بأسره · ونحن في هذا الموقع الكفاحي نناضل كتفا لكتف مع جميع الشعوب وبينها جماهير الشعب المجري العامل والشعب العربي الفلسطيني · اننا متضامنون مع بعضنا بعضا وهو امر يجب ابرازه وتأكيده بمنتهى القوة اذ ان التضامن ليس طريقا وحيد الاتجاه فهو في افضل معانيه يمثل مصالح متبادلة بل ويمكن القول انه يخدم مصالح ذاتية · فنحن حين نساند المطامح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني فاننا بذلك ندعم أنفسنا ونسير بخطوات الى امام على طريق اهدافنا المشتركة · اننا لا نخدم بالتضامن اصدقاءنا فحسب بل وانفسنا ايضا ·

انني أعتقد أن العالم الشعوري للشعب المجري الشغيل يتغذى ويترعرع من نسغ تجارب تاريخية ايضا فقد كافح وطننا طيلة قرون اربعة في سبيل الاستقلال والحرية ·· اذ أنه منذ القرن السادس عشر جرى تمزيق وطننا اكثر من مرة واستولى الغزاة الاتراك والمحتلون النمساويون على اجمل مقاطعاتنا واخصب أراضينا وعانت ألوف المدن والقرى المجرية من أحذية الغزاة الاجانب · ولم يتورع هؤلاء عن تسعير الخلافات والنزاعات الداخلية وكان نصيبنا التأخر والعبودية · وخلال القرون الطويلة كثيرا ما انفجرت ثوراتنا وانتفاضاتنا الوطنية في سبيل استعادة الاستقلال ، ولكن الرجعية الخارجية والداخلية كانت تسحقها ابدا نظرا لكونها كانت تتمتع بقوة طاغية · ولم تطل شمس الحرية على وطننا الا في منتصف هذا القرن حين انجزت رسالة الاتحاد السوفيتي التحريرية والكفاح المتفاني الملىء بالتضحيات لخيرة الوطنيين المجريين في الرابع من شهر نيسان عام ١٩٤٥ صفحة جديدة مشرقة في تاريخنا · ولقد أصبح بأمكاننا منذ

ذلك التاريخ أن نصعد نحو النور حيث اختار الشعب المجري الكادح بقيادة حزب العمال الاشتراكي المجري الطريق الرائع لبناء الاشتراكية · ·وهكذا نكون قد تحررنا مرتين مرة من القهر الاجنبي الخارجي واخرى من القهر الطبقي والاستغلال والفسق الرجعي · ترى هل يمكننا ان ننسى المساعدة التي حصلنا عليها خلال نضالنا من اجل الحرية وفي ساعات تحررنا الاولى وحين سرنا على طريق بناء الاشتراكية من اصدقائنا ومن العالم التقدمي ؟· وهل يمكننا ان نتناسى التزاماتنا الاممية النبيلة التي تستوجب ان نساهم بكل قوانا بمساندة كل شعب يكافح من اجل حريته واستقلاله لتحقيق اهدافه باسرع ما يمكن وفقا لامكانياتنا وطاقاتنا ووسائلنا ؟· وعلاوة على ذلك فأن التجارب التاريخية قد علمتنا بأن هناك شروطا خارجية وداخلية لا غنى عنها لكل نضال ظافر · فلقد حاق الفشل بنضالنا اكثر من مرة وما كانت التضحيات والدم المسفوك ليكفي لو لم تقدم موازين القوى الدولية والوحدة الوطنية التقدمية الخلفية الملائمة لذلك الكفاح · فلقد تكلل نضالنا بالظفر حين تغيرت موازين القوى لصالح قوى التقدم الاجتماعي والسلام على صعيد السياسة العالمية وحين هب الشعب المجري الشغيل متحدا مطالبا بالتقدم · وحين نصوغ هذه الحقائق لا نفعل ذلك على اساس المواد المسجلة في كتب التاريخ بل استنادا الى تجاربنا المرة منها والحلوة ونحن نعتقد انها تلتقي وتنسجم مع مصالح جميع الشعوب الاخرى ·

وفيما يتعلق بالمبادىء التي يجب ان تقوم عليها التسوية في الشرق الاوسط فقد التزمنا وما نزال بحقيقة ان على اسرائيل ان تنسحب من جميع الاراضي العربية المحتلة وبضرورة تأمين حق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه وحقه في اقامة دولته المستقلة · اننا لمقتنعون بان عقد مؤتمر جنيف للسلام يقدم الاطار المناسب لمناقشة جميع هذه القضايا بشكل عملي شامل ·· الا ان مؤتمر جنيف يمكن ان يكون ناجحا فقط في حالة مشاركة ممثلي العرب الفلسطينيين في أعماله منذ البداية وبالتحديد وفد منظمة التحرير الفلسطينية · ولقد قدمنا مع الرأي العام العالمي التقدمي كل مساندة لهذا الغرض ولن نبخل بجهودنا في المستقبل ايضا ·

وهناك قضايا جوهرية اخرى يجب الحديث عنها خاصة وان عناصر جديدة خطرة تنذر بعواقب وخيمة قد برزت على مسرح الاحداث في الشرق الاوسط خلال السنوات الاخيرة · فالاستعمار الذي حاول من قبل عن طريق العدوان المكشوف صرف البلدان العربية عن السبيل الذي اختارته لنفسها غالبا ما يلبس في الوقت الراهن بزة صديق الشعوب العربية ويسعى بمختلف المناورات والاساليب لتخدير يقظة البلدان العربية المعادية للاستعمار · وقد كتبت صحيفة النيويورك تايمز صراحة تقول ان سياسة واشنطن تسعى الى تسوية سلمية امريكية تخدم في جوهرها مصالح الولايات المتحدة · وفي اطار مثل هذه التسوية تواصل دون ادنى تغيير تقديم المساعدات الاقتصادية وصفقات السلاح لاسرائيل التي غزت الارض العربية وما تزال تحتل مساحات عربية شاسعة ·· وجنبا الى جنب مع ما تقدم تستغل الاتجاهات اليمينية التي ذر قرنها في العالم العربي وتسعى من خلال الوعود والضغط حمل القوى الاخرى على الانصياع لهذه التسوية ·

لقد انتظر الجميع باهتمام بالغ مسألة فيما اذا كانت الادارة الامريكية الجديدة التي تسلمت مقاليد السلطة رسميا

قادرة ـ والى اي مدى على قطع علاقاتها بالماضي ، وفيما اذا كانت تستطيع وترغب في اتخاذ موقف متعقل · ولم نسمع حتى الان فيما عدا الكلمات المعسولة العامة التي لا تلزم بشيء سوى ان جيمي كارتر يريد تأمين « حدود يمكن الدفاع عنها لاسرائيل » وكونه يعتبر « الوطن الفلسطيني » امرا ممكنا ·· ومما لا شك فيه ان التعديل الذي جرى على صياغة المواقف الامريكية يعكس في المقام الاول التغيرات التي حدثت على ميزان القوى والوقائع القائمة وان كان ذلك بصورة مشوهة احيانا ·· ولكن ترى لم يتحدث الرئيس الامريكي عن « حدود يمكن الدفاع عنها » في حين أن مختلف القرارات والوثائق الدولية تنص على ان الحدود لا يمكن أن تكون موضوع مساومة وان على اسرائيل ان تنسحب من جميع الاراضي العربية المحتلة · فالحدود التي يمكن الدفاع عنها حقيقة هي الحدود السلمية اذ ان الاحتلال والسلام لا يمكن تصورهما معا في آن واحد · ولم يتحدث الرئيس الامريكي عن « وطن للفلسطينيين » بصورة غائمة ضبابية ؟· مع ان عليه ان يعلن بوضوح بوجوب اقامة دولة فلسطينية مستقلة بقيادة حركة التحرير الفلسطينية تماما كما تتفق على ذلك الى ابعد مدى الغالبية الساحقة من الدول الاعضاء في الامم المتحدة ومؤتمرات القمة العربية والمجلس الوطني الفلسطيني ·

وهكذا يمكننا ان نطرح السؤال التالي: ترى هل وصلت المؤامرة ضد شعوب الشرق الاوسط الى نهايتها ام انها ـ وهو الارجح والواقع ـ تستمر باشكال اخرى اكثر تعقيدا وتلونا ؟· ان ماحدث حتى الان سواء اكان اتفاقية سيناء العجيبة والحرب الاهلية في لبنان والضربات التي كيلت لحركة التحرير الفلسطينية كل ذلك يحملنا على الاستنتاج بأن التدخل الاستعماري مستمر لم يتغير ولم يفقد شيئا من خطورته · اننا نقيم الوضع القائم على انه هجمة استعمارية موجهة اولا وقبل كل شيء ضد البلدان العربية التقدمية وضد حركة التحرير الفلسطينية في نهاية المطاف · ولهذا السبب فأن على العالم كله أن يبرز ويقدر وزن الشعب العربي الفلسطيني واهمية كفاحه ودوره ومسؤوليته البارزين ، وفي الوقت نفسه يحفزه على تقديم المساندة والتضامن بشكل أكمل وباشكال اكثر تنوعا وتشعبا ·

أما بصدد علاقاتنا العملية ـ وهي العلاقات التي تعيشها حركة التضامن ـ فقد تطورت بشكل خاص خلال السنوات الخمس الاخيرة وغدت اكثر غنى واكبر محتوى · وتاريخ الثاني عشر من شهر حزيران عام ١٩٧٢ تاريخ هام حسب رأيي حين قام ممثلو اتحاد المعلمين الفلسطينيين بتخويل من منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة لجنتنا حيث اجريت معهم شخصيا محادثات شاملة · وخلال العام التالي وجهنا رسالة الى ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لزيارة المجر · وهكذا ففي الثاني والعشرين من شهر شباط عام ١٩٧٣ اقتصرت علاقتنا المباشرة على لقاء قصير معه في مطار بودابست · اما في شهر تشرين اول عام ١٩٧٤ فقد قام وفد فلسطيني برئاسة ياسر عرفات بزيارة رسمية لبودابست استمرت ثلاثة ايام حيث اجرى محادثات مع بيلا بيسكو سكرتير اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري ومع قيادة الحزب والدولة ومع شخصيات عديدة مسؤولة في وزارة الخارجية ولجنة التضامن · وبروح من الصداقة والتفهم المتبادل تمت المشاورات وجرى التوصل الى اتفاق بصدد افتتاح مكتب دائم لمنظمة التحرير الفلسطينية في

عاصمة وطننا بهدف تطوير العلاقات في المستقبل · وكانت منظمات فلسطينية متعددة اخرى قد أجرت مفاوضات في بودابست حول افتتاح المكتب كما زار فاروق القدومي وطننا مرتين ·

وفي السابع والعشرين من شهر حزيران عام ١٩٧٥ تسلمت أوراق اعتماد عبد الرحيم أبوجياب كرئيس لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بودابست وهكذا بدأت البعثة الفلسطينية عملها على غرار المثليات الاجنبية الاخرى المعتمدة في بودابست · وفي تلك المناسبة التقينا بالسيد خالد الفاهوم بصفته رئيسا للمجلس الوطني الفلسطيني حيث كان قد أجرى من قبل محادثات مع القادة المجريين في أكثر من مناسبة ·

وفيما يتعلق بنشاط التضامن الذي نقوم به علي ان أقدم بعض الامثلة عنها · فوطننا المجر تمشيا مع قدراته وامكانياته قد قدم من المساعدات المادية خلال ثلاث سنوات ما قيمته سبعة ملايين فورينت · وعلاوة على ذلك يدرس في المعاهد المتوسطة والعليا المجرية ثمانية عشر شابا فلسطينيا كحاملي منح من المجر · ومن جهة أخرى فنحن ندرك أن الكثيرين يصابون بجراح خطيرة خلال النضال والقتال ولذا فنحن نستقبل في كل عام مجموعة من الجرحى المناضلين الفلسطينيين بشكل منتظم بهدف توفير العلاج لهم ·· ولا شك ان كل تلك الخطوات والاجراءات هي مجرد علامة على طريق المرحلة الطويلة اذ يمكن لاصدقائنا العرب الفلسطينيين ان يحسبوا حساب مساندتنا طبقا لما يقوله المثل المجري الصديق عند الضيق · انني لاشعر بشرف المهمة التي اوكلت الي حين اعبر باسم لجنة التضامن والشعب المجري العامل بأسره عن وجهة نظرنا وأستعرض بايجاز المجهودات والخطوات العملية التي نقوم بها ·· ومن الطبيعي أنه لا يمكن لاية مقالة مهما بلغ حجمها ان تتناول جميع التفاصيل · فنحن أولا وقبل كل شيء نعيش مشاعر الصداقة والاخوة والتضامن ونطبقها في الواقع العملي خلال عملنا اليومي · ولهذا فلن اختم مقالتي هذه بكلمات وداع نظرا لان تضامننا مستمر يتعمق ويترعرع ·· وكما تعودنا ان نلتقي في الماضي سنلتقي في المستقبل ايضا في موقع النضال المشترك وفي جبهة الكفاح ضد الاستعمار·

شاندور هارماتي

نقلها الى العربية اسد محمد قاسم

رسالة واشنطن :
الحملة الصهيونية على المجلس الوطني

فور انتهاء المجلس الوطني الفلسطيني، قامت الصحافة الصهيونية والاسرائيلية بحملة اعلامية واسعة لتشويه الموقف الفلسطيني والقاء اللوم على منظمة التحرير في عرقلة جهود السلام · وظهرت هذه الحملة بشكل واسع في امريكا ، خاصة في الصحف الصهيونية والاسرائيلية ·

واصدرت السفارة الاسرائيلية بتاريخ ٢٨-٤-٧٧ دراسة تحليلية لقرارات المجلس ، وتهدف النشرة الى اظهار الموقف الفلسطيني على انه يريد القضاء على اسرائيل والشعب اليهودي، واختارت النشرة مقاطع معينة من الاعلان السياسي للمجلس · وركزت على فقرات معينة منها «التمسك بالميثاق» و«الكفاح المسلح» ، و«رفض قرار ٢٤٢» و«رفض الاعتراف باسرائيل واقامة سلام معها» وذلك لتظهر الموقف الفلسطيني بانه متطرف ومسؤول عن استمرار القتال والمواجهة ·

كما ركزت النشرة على فقرات من ميثاق المنظمة في محاولة لاظهار هدف المنظمة بانه القضاء على اليهود في فلسطين ، كما استشهدت بتصريح لجورج حبش (نشر في جريدة واشنطن بوست بتاريخ ٧ -٤- ٧٧) لتؤكد بان الفلسطينيين ماركسيون ارهابيون يريدون الاستمرار في الحرب·

كما نشر (هركابي) رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق مقالا في جريدة معاريف بتاريخ ٢٥-٤-٧٧ ركز فيه على ان منظمة التحرير وقراراتها الاخيرة «متطرفة» وليس معتدلة وبانها مصممة على تحرير كامل فلسطين ·

كما نشرت المجلة الصهيونية New East Report والتي توزع على اعضاء الكونجرس الامريكي مقالا بتاريخ ٣٠-٤-٧٧ عرضت فيه نقاط الاعلان السياسي وعلقت عليها وذلك للاهداف التالية :

١ - اظهار المنظمة بانها ارهابية مستمرة في اعمال العنف ·

٢ - بان الدولة الفلسطينية ستكون قاعدة لاستمرار القتال ·

٣ - بان المنظمة اصبحت ضعيفة الان بسبب الصراعات الداخلية ·

٤ - بان المنظمة لاتزال تصر على خرق سيادة لبنان والدول العربية الاخرى ·

٥ - بان القيادة الفلسطينية تحاول الخروج من العزلة الحالية وذلك عن طريق مخاطبة الاصدقاء واليهود التقدميين ·

ورددت الصحف الامريكية الكبرى ، ومنها واشنطن بوست ونيويورك تايمز ، بعض هذه الاطروحات الصهيونية ولكن ليس بهذا العنف · فاشارت الواشنطن بوست في افتتاحياتها بان المنظمة لم تعدل الميثاق ولم تصدر بيانا يعترف بحق اسرائيل وبذلك لم تتقدم نحو السلام ، وهاجم جورج ويل ، المعلق الصحفي الامريكي ، منظمة التحرير وعرفات واتهمهم بالاستمرار في سياسة

الارهاب ومحاولة القضاء على اسرائيل ·

كما ظهر من تصريحات المسؤولين الامريكيين ، خاصة خلال زيارة السادات . بان الحكومة الامريكية كانت ترغب في تعديل الميثاق والاعتراف بحق اسرائيل ، وان عدم حدوث هذا في المجلس الوطني معناه ان المنظمة وقيادتها لاتزال متصلبة·

من الواضح ان هدف الحملة هو القاء اللوم على المنظمة والفلسطينيين ، فيحين ان اسرائيل تستمر يوميا في اعمال معادية للسلام وتخالف حقوق الانسان وتقاتل في جنوب لبنان ، لذلك لابد من حملة اعلامية مضادة تركز على التالي :

١ ـ شرح حقائق السياسة الاسرائيلية الحالية ، والتدخل العسكري الاسرائيلي في الجنوب ، والتسلح الاسرائيلي ، ومخالفات اسرائيل لحقوق الانسان والارهاب والقمع في الاراضي المحتلة ·

٢ ـ التركيز على رغبة شعب فلسطين ومنظمة التحرير وقياداتها في احلال السلام والتركيز على مقررات المجلس التي تظهر هذا الاتجاه ، وتوضيح مفهوم السلام المبني على العدل والمساواة وعلى انهاء الاحتلال الاسرائيلي والعنصرية الصهيونية وبناء مجتمع تقدمي عادل يتساوى فيه اليهود مع المسلمين والمسيحيين ·

ولقد بدأت حاليا حملات اعلامية في امريكا على هذه الاسس ، منها حملة للدفاع عن حقوق الانسان في الارض المحتلة ويشارك فيها تحالف يضم الجمعيات الامريكية الدينية ومنظمات السلام والجمعيات اليهودية الانسانية بالاضافة الى لجان التضامن مع فلسطين ، وستقوم بحملة اعلامية واسعة خلال الاشهر القادمة · كما قامت المنظمات والجمعيات العربية والصديقة بحملات اعلامية خلال يوم الارض (شهر ابريل) وخلال شهر مايو (يوم فلسطين) القادم بحملات اعلامية واسعة لشرح شرعية منظمة التحرير ودورها نحو السلام وحق شعب فلسطين في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة ·

من جهة اخرى تحاول بعض الجهات احضار وفود فلسطينية (محمود ابوشلباية حاليا يحاضر بدعوة من معهد الدراسات العالمية بجامعة هارفرد) لطرح موقف فلسطيني مغاير لمنظمة التحرير يدعو للاعتراف باسرائيل والتفاوض عن طريق الاردن ، كما ان بعض الجهات الامريكية تشجع هذا الاتجاه كبديل لمنظمة التحرير، ولكنه اتجاه ضعيف ومعزول ولا يجد تجاوبا ·

من ناحية اخرى ، هناك استعداد امريكي شعبي لسماع وجهة نظر منظمة التحرير ، ولم تعد كلمة «منظمة التحرير» تخيف احدا ، كما ان المجال اصبح مفتوحا للتحرك الاعلامي لشرح اهداف المنظمة ودورها السياسي والانساني والاجتماعي الراهن ، وهذا يتطلب تصعيد العمل الاعلامي الفلسطيني حاليا وكسب هذه الفرصة السانحة · ومع ان الحكومة الامريكية لاتزال تفرض قيودا على ممثلي منظمة التحرير ، الا انه يمكن الاعتماد على الشباب الفلسطيني المحلي للتحدث باسم المنظمة وعنها والمساهمة الفعالة في هذه الحملة الاعلامية ·

لذلك لابد من تصعيد الاعلام الايجابي لمنظمة التحرير ومحاولة تثقيف الجالية العربية والفلسطينية واعلامها عن المكاسب التي حققتها المنظمة وخلق روح الوحدة والتضامن من اجل التوجه نحو العدو المشترك ·

واشنطن ٢٠ـ٤ـ٧٧

نبيل حاتم

مناقشات

ردّ على ردّ

خلال الحرب اللبنانية عزت اعداد « شؤون فلسطينية » في مصر ، لدرجة لم يعد قراؤها في القاهرة يلتقون بها الا مصادفة واختلاسا · اذ انقطع وصولها الى مصر منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٥ ، ولم تعد تصل الا مع بعض المسافرين · وشحت اعدادها ، بما يشبه الانقطاع ، اثناء اشتداد القتال في لبنان ، فيما بين حزيران (يونيو) وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٦ ·

وأمس فقط اقتنصت نسخة من عدد حزيران (يونيو) ١٩٧٦ · فقرأت فيها ردا من الاخ موسى خليل البديري على تقرير لي كانت شؤون فلسطينية قد نشرته في العدد ٥٣ / ٥٤ ، حول « وفاة اول امين عربي للحزب الشيوعي الفلسطيني » ·

وابدأ بشكر الاخ موسى على اهتمامه بما اكتب ، كما أرجو أن يتسع صدره للاحظاتي التالية على رده :

● بالنسبة الى والتر لاكير ، فما من مهتم بالحركة الشيوعية في الوطن العربي الا ويعلم ارتباطاته وميوله السياسية · وامره مكشوف لهؤلاء منذ امد طويل · ومن هنا فكتبه غير موضوعية في أغلب استنتاجاتها وتقييماتها · وما من باحث موضوعي ، الا ويتعامل مع هذه الاستنتاجات والتقييمات في منتهى الحذر والشك · اما اذا قال لاكير ان مؤتمر الحزب الشيوعي الفلسطيني السادس انعقد عام ١٩٢٤ ، فهذه معلومة وليست استنتاجا أو تقييما ، وبالتالي فلا يمكن أن تخفي غرضا خبيثا من أغراض الصهيونية والمخابرات المركزية الامريكية !

وبالمناسبة ، فانني لم استق أية معلومة عن المرحوم رضوان الحلو من لاكير ، بل من رفاق الحلو الذين عاصروه أو عملوا معه ·

● شعار التعريب لم تكن أغلبية قيادة الحزب جادة في سلوكه أو تطبيقه طوال الاعشرينات · ·

● في سنوات العشرينات الاربع الاخيرة ، ارسل الحزب حوالي ثلاثين عربيا فلسطينيا الى موسكو ، لتلقي أسس الماركسية اللينينية في جامعة كادحي الشرق (حصلت على هذه المعلومات من الاخوة : محمود الاطرش ، محمد دويدار ، ومن كتابي لاكير عن « الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط » وعن « الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط » · ويمكن الرجوع الى الدراسة التي كتبتها عن « الحزب الشيوعي الفلسطيني والحركة الوطنية » ، ونشرت على ثلاث حلقات في مجلة « الكاتب » المصرية ، أعداد آذار ونيسان وحزيران ١٩٧١) ·

أما تأكيد المرحوم رضوان الحلو لكم بان « الحزب كان مهتما بايجاد عناصر بروليتارية لايفادها الى موسكو ، ولم يكن يبحث عن عناصر مغامرة من أبناء ملاكي الاراضي والبرجوازية الناشئة » · فهو تأكيد مبالغ في حسن نوايا صاحبه ، استنادا الى ما قاله لي كل من الاخوين دويدار والاطرش (وكانا ضمن الدارسين العرب في موسكو آنذاك) ، وقد حكى لي الاخ دويدار أن أبوزيان ـ سكرتير عام الحزب آنذاك ـ حضر الى جامعة كادحي الشرق ، وعندما آحس باشتداد الحملة المطالبة بضرورة التعجيل بتعريب الحزب الشيوعي الفلسطيني ، استدعى دويدار ، وأخذ يقنعه بعدم اهلية عرب فلسطين لاستلام زمام قيادة الحزب ، ولكي يؤكد له هذه الفرية ، نادى أبو زيان على عربي فلسطين من الدارسين وناوله خطابا في مظروف عليه طابع بريد ، وطلب اليه أن يلقيه في الصندوق ، فما كان من ابراهيم ـ وهذا هو اسم الدارس ـ الا أن القى الخطاب في صندوق قمامة المكتب ! وهكذا توهم « الرفيق » أبو زيان أنه دلل على صحة زعمه · في حين أن هذه الحادثة أكدت ما ذهبت اليه أنا ـ اعتمادا على جلساتي مع الشيوعيين المعاصرين للحلو والذين درسوا في جامعة كادحي الشرق ـ من أن العناصر الصهيونية ، التي نجحت في الوصول الى مراكز القيادة في الحزب ، عملت على ارسال عناصر غير كفؤة الى جامعة كادحي الشرق ، أغلبها من خدم بيوت هؤلاء « القادة » ومن العتالين وماسحي الاحذية ، أي من عناصر البروليتارية الرثة ، غير الصالحة للعمل الحزبي الثوري · ولم يكن يمت بصلة الى البروليتاريا من بين هؤلاء « الدارسين » سوى شخص واحد ، يعمل خبازا ، اضافة الى بعض المثقفين ، الذين سرعان ما انقلب أغلبهم على الحزب بمجرد تخرجهم من « جامعة كادحي الشرق » ، فتعاون احدهم مع الشرطة البريطانية في فلسطين ضد الحزب (حسن صدقي) ، وانضم آخر الى النازية (عبد الغني الكرمي) ، في حين ساهم ثالث في الدعاية المعادية للشيوعية في وطننا العربي ولا زال (نجاتي صدقي) !

والقصص التي تؤكد الميول الصهيونية لبعض قادة الحزب ذوي الديانة اليهودية كثيرة ، ويمكنك الرجوع الى دراستي في الكاتب والى الاخوين دويدار والاطرش · وفي دراستي المشار اليها اثنيت على بعض القادة اليهود في الحزب ، لانني لست متعصبا ضد اليهودية ، بل **اعتبر الشيوعيين ذوي الديانة اليهودية في مستوى الانبياء ، اخلاصا وتضحية** ·

وتشبيه اتهاماتي ، المعتمدة على اساس موضوعي ، باتهام ستالين لتروتسكي وزينوفيف وتوخانشوفسكي بالخيانة ، فأمر يدعو للدهشة ، ولا أجد له ما يبرره ·

● اما هبة البراق (آب ١٩٢٩) ، فان جوزيف بيرجر الذي كتب عنها كان ضمن ذوي الميول الصهيونية في قيادة

الحزب الشيوعي الفلسطيني ، ومقالـــه الذي نشره في مجلة انترناشونال برســس كورسبندنس (١٩ / ١٠ / ١٩٢٨) يثبت ذلك ، فهو يتحدث عن « التعطيل الوحشي » لاحتفالات المستوطنين اليهـــود بعيـد الغفران ، صيف ١٩٢٨ ، واعاد «الرفيق» بيرجر الى الاذهان كون « فلسطين هـــي البلد التي أكدت بريطانيا العظمى وعدهـا بايجاد وطن قومي لليهود فيها » · ووصف تصدي الشرطة البريطانية للمحتفليـــن اليهود بالبوجروم الصغير (المذابح التـي اقيمت في روسيا القيصرية لليهود فـــي ثمانينات القرن الماضي) ! أي أن **بيرجـر متمسك بوعد بلفور !**

● وبالنسبة لنصيحتك للباحثين بعـدم الرجوع الى «المجلات السوفياتية الصادرة في تلك الحقبة » فأمرها محير ، اذ بهـذه الطريقة تحصر مراجعنا في « الرفيـق ، جوزيف بيرجر ، أطال الله عمره ! وان كنت معك في ضرورة مراعاة ميل هـذه المجلات الى الاسراف في توجيه التهم ، وهو أمر لا بد وأن يأخذه الباحث فـي الاعتبار ، دون أن ينأى بنفسه عن مثـل هذه المجلات ·

● على أنني اقدر للاخ موسى هـذا الاهتمام الاكاديمي الجاد ، وهذه الدوافع الاخلاقية النبيلة التي دفعته للدفاع عـن المرحوم رضوان الحلو ، صديق والـده ، الشخصية الوطنية الديمقراطية الفلسطينية المعروفة : خليل البديري ·

ولم أكن بصدد تعداد أخطاء الحـزب الشيوعي الفلسطيني ، بل كنت معنيـا بتقديم عرض مقتضب لحياة المرحوم الحلو من خلال عرض المعالم الرئيسية لتطـور الحزب الشيوعي الفلسطيني · أما تقييمي للمرحوم الحلو ودوره ، فهو أمر أتحمـل مسؤوليته وحدي ·

● وقد غضب الاخ البديـري لمجـرد وصفي موقف المرحوم الحلو بالعجز عـن اتخاذ موقف حاسم ومحدد حيال الخلاف المستفحل داخل الحزب أواخر ثورة ٣٦ – ١٩٣٩ الوطنية القلسطينية ، والذي انتهى بخروج الشيوعيين العرب من الحـزب ، مكونين حزبهم الخاص : « عصبة التحرر الوطني » · ويؤسس الاخ اليديري غضبه على كون الحلو رفض قيام تنظيم شيوعي عربي · وما قيمة رفض الحلو مـا دام دفعه الى اعتزال العمـل السياسـي والانسحاب الى المنزل ، بعد أن لم تعـد الامور في الحزب تروق له · وهذه سلبية لا تليق بقائد شيوعي ، الا اذا كان محدود القدرات الفكرية والعملية ، كما سبـق وأشرت في تقريري سالف الذكر ·

أما مؤتمر الحزب (١٩٤٠) ، فقـد عرف باسم المؤتمر الثامن ، بالرغم من عدم شرعيته ، لعدم شموله كل منظمـات الحزب ، ولكونه انعقد بدون دعوة اللجنة المركزية أو نصف اعضاء المؤتمر كمـا ينص نظام الحزب الداخلي · أما مؤتمـر ١٩٤٤ فقد انعقد عقب خروج الشيوعيين العرب في خريف ١٩٤٣ ·

وعندما وقعت النكبة (١٩٤٨) لم يكن في الضفة الغربية كلها سوى ثمانية من أعضاء العصبة ، ولم يكن المرحوم الحلو منهم · كما لم ينضم اليهم ولا للحـزب الشيوعي الاردني ، الذي تشكل في أيـار ١٩٥١ ، نتيجة اندماج العصبة في الضفة الغربية مع الحلقات الماركسية في الضفـة الشرقية للاردن ·

القاهرة ـ عبد القادر ياسين

شهريّات

(١) المقاومة الفلسطينية

يواجه الوضع الفلسطيني بعد توقف الحرب اللبنانية مشكلات عديدة نابعة من اثار تلك الحرب وذيولها · وتمتد هذه المشاكل من العلاقات الداخلية ، الى العلاقات مع قوات الردع ، مرورا بالعلاقات مع السلطة اللبنانية والاطراف الاخرى في الازمة اللبنانية ·

فعلى صعيد العلاقات الداخلية تجري عملية اعادة نظر في هذه العلاقات على ضوء المواقف السياسية التي مورست اثناء فترة القتال ، ترافقها احيانا حالات من التوتر التي تحتاج الى رؤيا عميقة واعية من اجل تجاوزها بما يحفظ اواصر الوحدة الوطنية الفلسطينية ·

وعلى صعيد العلاقات مع قوات الردع فان بقاء بعض القضايا الاساسية التي تحتاج الى اتفاق ، وبروز العديد من التفاصيل التي لا يمكن ضبطها او التنبؤ بها سلفا ، وكذلك وجود بعض الخلافات، يخلق سلسلة من الاشكالات التي لا يمكن تخطيها بترو الا على قاعدة من النوايا الحسنة لدى الطرفين يكون مضمونها التوافق في وجهات النظر ، وهو ما لا يتوفر في بعض الاحيان ، كما ان توفره يقود الى مواقف ايجابية كما حصل بالنسبة للوضع العسكري في الجنوب ·

أما على صعيد العلاقات مع السلطة اللبنانية فان نوع الامور المختلف عليها

يتسم بالحساسية ، اضافة الى ان بعض الاطراف اللبنانية لها مواقف معادية من مبدأ وجود المقاومة في لبنان ، وهو ما يشكل حالة ابتزاز مستمرة للمقاومة في مفاوضاتها مع السلطة ، حيث المفاوضات هنا لها ابعادها العربية ، وبأوزان لا يستهان بها ٠

وما نقدمه هنا هو محاولة استخلاص لابرز اتجاهات الحوار والجدل الدائرين باتجاه ايجاد قاعدة للتفاهم داخل اطار شبكة العلاقات اللبنانية والعربية والفلسطينية المعقدة ٠ وهي اتجاهات محصورة في اطار زمني يمتد من ٢٠ نيسان الى ٢٠ ايار ٠

الوضع الفلسطيني الداخلي

شهد الوضع الفلسطيني الداخلي في هذه الفترة بعض الانفراجات كما شهد بعض الازمات ، وكان هناك في الحالتين جهد قيادي دؤوب لحل الاشكالات من خلال إلتفاهم ، تجنبا لاي توتر قد يؤدي الى اضعاف التلاحم الداخلي ، او زعزعة الصلابة الفلسطينية في التعامل مع الاوضاع العربية ٠

والانفراج الاول الذي يمكن تسجيله هنا هو لقاء المقاومة لاول مرة مع « الجبهة القومية » ، وهي الجبهة التي تضم مجموعة الاحزاب التي ايدت الموقف السوري في فترة الخلافات ، وتتزعمها بشكل رئيسي منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي ٠ عقد الاجتماع يوم ٢٣ ـ ٤ وحضره ممثلون عن فتح (ابو عمار ـ ابو اياد) والصاعقة (زهير محسن ـ العقيد مصطفى سعد الدين) والجبهة القومية (عاصم قانصوه ـ عصام المحايري ٠٠ واخرون) : وهو اجتماع يهدف الى عودة التعامل بين كافة الاطراف الوطنية بما يؤدي الى تخطي حساسيات مرحلة الصدام السابقة ٠

والانفراج الثاني كان نجاح المقاومة بايجاد حل ديمقراطي لخلافات (الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة) الداخلية ٠ ففي اليوم نفسه عقدت قيادة المقاومة برئاسة عرفات اجتماعا بحثت فيه خلافات الجبهة واعلنت انها « اتخذت القرارات المناسبة بهذا الصدد » ، ثم عقدت المقاومة برئاسة عرفات اجتماعا ثانيا يوم٢٦ ـ ٤، واعلنت انه على ضوء توصيات المجلس الوطني وبوجود طرفي الجبهة ، تم بموافقتهما التوصل الى الاتفاق التالي :

١ ـ انهاء الخلافات بين الطرفين على اساس احتفاظ التنظيم الذي يمثله احمد جبريل باسم « الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة » ، ويعمل الطرف الاخر في الجبهة الذي يمثله ابو العباس تحت اسم « جبهة التحرير الفلسطينية » ٠

٢ ـ اطلاق سراح المحتجزين لدى الطرفين ، ووقف كل الاعمال الإستفزازية٠

٣ ـ الحرص من الجانبين على علاقة التضامن ٠٠٠٠ ومنع كل ما يعوق وحدة الثورة الفلسطينية ٠

وكان هذا الخلاف بين طرفي الجبهة قد بدأ في العام الماضي وتطور الى حد الصدام المسلح بسبب الخلاف على الموقف السياسي الذي يتناول علاقات المقاومة مع سوريا ٠

وقد اعلنت « جبهة الرفض الفلسطينية » في بيان اذيع يوم ١٤ ـ ٥ فصل « الجبهة

الشعبية ـ القيادة العامة » من عضوية جبهة الرفض · واوضحت جبهة الرفض في بيانها انها تعتبر « جبهة التحرير الفلسطينية عضوا كامل العضوية ، حيث ان ممثليها يحتفظون بمناصبهم في الهيئات الفلسطينية مثلما كان الوضع ساريا قبل تغيير اسم الجبهة » ·

وقد تخلل هذه الاحداث صدام مسلح بين المقاومة وقوات الردع في منطقة محاذية لكورنيش المزرعة في بيروت ، كان لفريق ابو العباس داخل الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة دور فيها ، قبل توصل المقاومة الى صيغة لحل هذا الخلاف بينهما ، وقد استمرت هذه الاشتباكات من ٢٢ ـ ٤ حتى ٢٦ ـ ٤ ، ثم انتهت بالتفاهم وبتوقف قوات الردع عند الامكنة التي وصلت اليها قريبا من مستشفى المقاصد · وبعد مضي يومين على الاشتباكات (٢٤ ـ ٤) اصدرت قيادة قوات الردع بيانين حول الحادث · قال البيان الاول انه في ٢٢ ـ ٤ وفي منطقة الشياح ، قام ٤ عناصر من تنظيم منشق (ابو العباس) باستدراج اثنين من جنود الردع وقتلهما · وقد تحركت القوات وسدت المنافذ على القتلة واشتبكت معهم وتمكنت في الساعة الثالثة من صباح الاحد ٢٤ ـ ٤ من القبض على القتلة الاربعة · وتابعت قوات الردع محاصرة المنطقة التي كان يختبىء فيها القتلة في حي السبيل الكائن جنوب كورنيش المزرعة وتمشيطه بحثا عن الذين ساندوهم في اثناء الاشتباكات ، ولا تزال عملية التمشيط مستمرة · وقال البيان الثاني انه في ٢٤ ـ ٤ تعرضت في كورنيش المزرعة مفرزة سعودية لرمايات من حي السبيل حيث توجد عناصر تابعة لتنظيم عصام العرب (تنظيم لبناني موال لاتجاهات الرفض) ، وجرح ٣ من جنود المفرزة · وقد حوصر المكان ، ولوحق مطلقو النار داخل الحي حتى السادسة مساء ، واسفرت عملية التمشيط عن توقيف عدد من الاشخاص ، ومصادرة بعض الاسلحة المختلفة ، وجرح ٣ عسكريين ، ووقوع اصابات بين المسلحين، وكذلك بعض المواطنين ·

وبعد وقت قصير اصدرت قيادة المقاومة بيانا اوضحت فيه موقفها من تفاصيل الحادث الذي ادى الى الاشتباك · قال بيان المقاومة انه في ٢٢ ـ ٤ وفي الشياح ، ارتكب عنصران جريمة الاعتداء على اثنين من الجنود السوريين ولاذوا بالفرار ، وقد اجتمعت قيادة المقاومة وصدر قرار بالبحث عن الفاعلين ، وبعد ظهر يوم ٢٢ ـ ٤ اعتقل الكفاح المسلح احد الفاعلين وسلم الى قوات الردع ، وفي ٢٣ ـ ٤ اعتقل الثاني وسلم · وقد شاركت قيادة التنظيم الذي ينتمي اليه الفاعلان في الملاحقة والاعتقال . بينما كان عنصران اخران محتجزين منذ ليلة الحادث عند الردع بسبب مرافقتهما للفاعلين عند ارتكاب الجريمة ، واعتبرت المراجع المختصة ان الحادث اصبح منتهيا بعد اعتقال الفاعلين ·

وبعد سرد هذه الوقائع ، ذكر بيان المقاومة ان القيادة فوجئت ببيان قوات الردع الذي يتحدث عن عملية عسكرية باسم البحث عن الفاعلين ومن ساندوهم، علما ان الحادث وقع في الشياح، والعملية العسكرية في منطقة مستشفى المقاصد ·

وختم بيان المقاومة قائلا : ان قيادة الثورة تتابع اتخاذ الاجراءات للسيطرة على الموقف وعدم تدهوره بالتعاون

مع الجهات المسؤولة ٠

وبعد صدور هذه البيانات ، ومن خلال استمرار الصدام ، كانت الاتصالات مستمرة لايجاد حل ، وكانت الاجراءات العملية تتخذ لوقف الاشتباكات : ففي ٢٥ ـ ٤ اعلنت قيادة المقاومة انها تدارست اسس الوضع الذي ادى الى الاشتباكات مع الردع واتخذت اجراءات السيطرة على الموقف ، وتم وضع نقاط ثابتة من الكفاح المسلح في كافة المناطق الساخنة ، واكدت القيادة على ضبط النفس ، ثم اصدرت القيادة بيانا يطلب من كافة المسلحين الانسحاب من الشوارع ومن أسطح البنايات ، وكلف الكفاح المسلح مدعوما بالقوة المشتركة (من المنظمات) بتنفيذ ذلك ٠ ويبدو ان هذا البيان كان نتيجته الوصول الى اتفاق على وقف الاشتباك الاساسي ، ولكن ذيول هذا الاشتباك استمرت في اليوم التالي فأصدرت قيادة المقاومة بيانا اخر (٢٦ ـ ٤) قالت فيه ان مجموعات غير منضبطة قامت بافتعال اشتباكات حول مخيماتنا ٠٠٠٠ وتمكنت قيادة الثورة من السيطرة على الموقف بتوزيع مفارز الكفاح المسلح ٠ وفي اليوم نفسه اعلنت قيادة قوات الردع ان العملية العسكرية في بيروت قد انتهت ، واعلن وزير الداخلية صلاح سلمان ان الحالة الامنية عادت الى وضعها الطبيعي ٠

وقد انفردت منظمة الصاعقة باصدار بيان خاص بها عن الاحداث (٢٤ ـ ٤) ، روت فيه ان الحادث بدأ في الشياح ، وامتد الى منطقة المقاصد ٠ واعلن البيان « انه لا بد من التأكيد ان تواجد الرفض في مناطق حمد والمقاصد والكورنيش والسبيل انما هو تواجد مسخر فقط للاخلال بالامن ٠٠٠٠ » ،

وان اجتثاثه ضرورة وطنية ٠

وردا على هذا البيان صرح مصدر اعلامي (٢٧ ـ ٤) بان وكالات الانباء تناقلت ان اشتباكات حدثت بين قوات الردع العربية وجبهة الرفض الفلسطينية٠

ونود ان نوضح انه لم تحصل اشتباكات مع اي جبهة فلسطينية ، وان المشكلة التي حدثت في اليومين الماضيين كانت مع قوات الردع وعناصر لا علاقة لها بالثورة الفلسطينية ٠ واسدل بذلك الستار على هذا الحادث ٠

لقاء براغ

□ وبعيدا عن هذه الاجواء ، وفي اطار النشاط السياسي لمنظمة التحرير ، جاء حدث حظي باهتمام فلسطيني وعربي واسع ، وذلك حين اعلن لاول مرة عن لقاء رسمي بين وفدين من منظمة التحرير الفلسطينية ووفد من الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) ٠ وقد جاءت بوادر التمهيد لهذا اللقاء في خبر عابر نشرته وفا (٢٩ ـ ٤) قال : ان ناطقا رسميا باسم راكاح اكد ان الحزب يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي لشعب فلسطين ، كما يعترف بحق الشعب الفلسطيني باقامة دولته المستقلة ، ويعتبر قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة عشرة ، هي القرارات السياسية المعتمدة ٠ وبعد ايام من نشر هذا التصريح ، وفي يوم ٣ ـ ٥ تم هذا اللقاء بين الوفدين رسميا في براغ واستمر لمدة يومين ، وحضره عن الجانب الفلسطيني ماجد ابو شرار رئيسا ، وعزمي عواد وعبد الله حوراني وعصام عبد اللطيف ، وعن راكاح اميل توما عضو المكتب السياسي رئيسا وعوزي بوزنشتاين وعلي عاشور وولف

ايرليـــــخ · وقالـــت وفـــا (٥ ٥) ان اللقاء تم « بهدف تنسيق العلاقـــات من اجل اشكال العمل المشتـــرك ضـــد الصهيونيـــة العنصريـــة واطماعهـــا التوسعية » · ووجهت الصحف السورية في اليوم التالي مباشرة (٦ ـ ٥) نقدا شديدا لهذه الاتصالات ، وضع في صيغة التساؤل عن جدوى اللقاءات بين منظمـة التحرير وراكاح ، وعن السر في توقيتهـا الان : وذكرت « المراقبون يعربون عـــن الدهشة الممزوجة بالاستغراب حيال هذا الامر » · وقد اوضح محمود عباس (ابو مازن) في حديث لصحيفة الاتحاد في ابو ظبي ان محادثات براغ تمت بناء علـــى قرار المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الـ ١٣ ، مشيرا بذلك الى البند الرابع عشر في توصيات المجلس والذي يقـــول « يؤكد المجلس الوطني الفلسطيني علـى أهمية العلاقة والتنسيق مع القوى اليهودية الديمقراطية والتقدمية في داخل الوطـن المحتل وخارجه ، التي تناضـــل ضـــد الصهيونية كعقيدة وممارسة ···· » ·

اما على الصعيد التنظيمي الداخلـي لمنظمة التحرير ، فقد اجتمعت اللجنـــة التنفيذية في دمشق (٣٠ ـ ٤) وشكلـت المجلس المركزي الفلسطيني ، ورفعت عدد اعضائه من ٤٤ عضوا الى ٥٥ عضوا · وجرى توزيع مقاعد المجلس علـى الشكل التالي : ١٤ للمنظمات الفدائيـــة ، ١٣ للمستقلين ، ٤ للاتحادات الشعبية ، ٨ لفلسطينيي الاردن ولبنـــان ومصـــر ، بالاضافة الى اعضاء اللجنة التنفيذيـــة الـ ١٥ ، يضاف اليهم رئيس المجلـس الوطني · وفي ١٥ ـ ٥ اجتمع المجلـس المركزي في دمشق ايضا وقرر لاول مرة اقرار نظام عمل داخلي له ، وتشكيـــل لجان دائمة له ، وكلف رئيس اللجنـــة التنفيذية ورئيس المجلس الوطني باختيار رؤساء هذه اللجان ·

لبنان واتفاق القاهرة

الجدل الدائر في لبنان حول اتفـاق القاهرة هو جدل فريد من نوعه · فبينمـا تنطلق السلطة الشرعية اللبنانية من مبـدأ التمسك بالاتفاق والاستعداد لتطبيقه حسب تفسير وضعه الرئيس الياس سركيس لهذه الغاية ، تنطلق « الجبهة اللبنانية » مـن جملة من المبادىء المتناقضة التي تلتقـي على قاعدة رفض هذا الاتفاق والسعـي لالغائه دون الاعلان عن ذلك رسميا بشكل دائم · فبعض مواقف الجبهـــة يدعـــو لالغائه ، والبعض الاخر يدعو لتطبيقـــه بشكل منضبط ، او حســـب التفسيـــر اللبناني ، او بدون وجود مسلح ، الـــى اخر ما قد يتفتق عنه الذهن من حجج · وكان من نتيجة ذلك ان الصحف اللبنانية تنشر يوميا عددا هائلا من التصريحـات حول اتفاق القاهرة ، تصـــوره وكأنـــه كارثة الكوارث التي حلت بلبنان والتـــي لا خلاص الا بالغائها : حيـــث لا مجـال لرد هذا القدر القاهر ·

واللجنة العربية الرباعية التي تشكلت بعد مؤتمري الرياض والقاهرة ، هـــي المكلفة رسميا بالتعاون مـــع الرئيـــس سركيس للاشراف على تطبيق الاتفاق ، وقد اضطرت بسبب الحملـــة العنيفـــة واليومية ضد الاتفاق ، ان توسع دائـــرة عملها وان تعقد لقاءات عديدة وكثيفة مع مختلف اطراف « الجبهة اللبنانية » ومع السفراء الاجانب في لبنان ، وان تعـود في بعض الاحيان الى حكوماتها للتـداول والتشاور ·

اما بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، فهي تلتقي مع الرئيس سركيس حول مبـــدأ تطبيق الاتفاق ، ولكنها تطلب ان يكون تفسير الاتفاق تفسيرا مشتركا ومتفقـــا عليه · وعمليا ··· كان هامش الخلاف بين تفسيرها وبين التفسير اللبناني ضيقا

بحيث يمكن التغلب عليه بالحوار ، وهو ما استنكرته « الجبهة اللبنانية » بشدة ، وكادت ان تخلق باستنكارها هذا جوا متوترا يصعب معه الوصول الى حل ٠

وقد كان موقف « الجبهة اللبنانية » هذا مدعوما بموقف عسكري في جنوب لبنان ، اعتبرته المدخل للوصول الى هدفها بالغاء اتفاق القاهرة ، والغاء الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان ، ومنعه من ممارسة نشاطه ضد الكيان الصهيوني ٠ وقد قامت قوات « الجبهة اللبنانية » بمساندة ودعم اسرائيل باحتلال محاور الطرق هناك واحتلال بعض القرى ذات الموقع الاستراتيجي وصولا الى هدفها هذا ، وبما ان ميزان القوى كان يميل لصالحها في الجنوب ، فان تشددها في المطالبة بتطبيق الاتفاق في المدن والمخيمات كان يعني بالنسبة لها الوصول الى الغاء واقعي كامل لاتفاق القاهرة ٠ (شؤون فلسطينية العدد ٦٦ ص ٦٠) ٠

وفي مواجهة هذا المخطط ، كانت المقاومة الفلسطينية تصر على أن تطبيق اتفاق القاهرة يحتاج الى امرين : اولا ايقاف القتال في الجنوب ، ثانيا الاتفاق على تطبيق الاتفاق في كافة الاراضي اللبنانية ٠

وبسبب هذه الصورة المعقدة طال الحوار حول تطبيق الاتفاق وتعقد ، وهو لم يمض عمليا نحو الحل الا بعد ان تم تجميد الوضع العسكري في جنوب لبنان اثر عملية عسكرية مضادة ساهمت فيها قوات المقاومة الفلسطينية وقوات الحركة الوطنية بمساندة قوات الردع السورية وموافقتها ٠وفيما يلي ابرز مراحل الحوار حول هذه القضية :

الحوار مع سركيس : ينطلق الرئيس سركيس في سعيه لتطبيق اتفاق القاهرة من الاقرار بمبدأ الاعتراف بالاتفاق واعلان الاستعداد لتنفيذه ،وهو وضع لهذه الغاية تفسيرا « لبنانيا » للاتفاق لم تعلن بنوده ٠ ويمكن الاستنتاج مما اعلن فقط ان تفسيره يدعو لان يحدد عدد رجال الميليشيا الفلسطينيين داخل المخيمات وبالتالي عدد قطع السلاح التي بحوزتهم بنسبة ٧ بالالف ، وهي النسبة التي يقول التفسير اللبناني أنها نسبة عالية لعدد رجال الشرطة الى عدد السكان ، باعتبار ان مهمة رجال الميليشيا هي حماية المخيمات ٠ وقد عارضت المقاومة الفلسطينية هذه النقطة بالذات ، وحولها دار الجزء الاكبر من حوار الخلاف بين المقاومة والسلطة اللبنانية ، وكان رأي المقاومة يتلخص بما يلي :

١ ـ ان نسبة الـ ٧ بالالف هي نسبة الاوضاع الطبيعية لحفظ الامن ٠ اما الشعب الفلسطيني فهو في حالة ثورة ، ويحتاج الى تعبئة شعبية كاملة لاداء مهمات الثورة ، وهي تعبئة تصل الى حدود ٣٠ بالالف واحيانا ٤٠ بالالف في حالات التعبئة العامة ٠

٢ ـ ان تكثيف تسليح المخيمات سواء برجال الميليشيا او بالاسلحة الثقيلة (مدفعية وصواريخ) لم يأت عفوا بل كانت له ظروفه التاريخية ٠ فهو جاء اساسا كرد على الغارات الجوية الاسرائيلية على المخيمات (مخيم النبطية) ، وكرد على بعض الهجمات الجوية (مخيم صبرا) ٠ كذلك فان جو عدم الثقة الذي كان سائدا بين المقاومة والسلطة اللبنانية في العهد السابق لعب دورا بارزا في تسليح المخيمات بهدف حماية النفس ٠ وقد تدخلت اللجنة الرباعية في محاولة ايجاد حل لهذا التضارب في وجهات النظر ، كما ان بعض السياسيين اللبنانيين مثل الرئيس رشيد

كرامي كان لهم دور في السعي للوصول الى حل ٠

وهنا طرح على اللجنة الرباعية سؤال هام : هل مهمة اللجنة : الاجتهاد ، وبالتالي التفسير ، ام ان مهمتها فقط هي تطبيق اتفاق موضوع ؟ وقد اقتضى هذا السؤال من السفير الكويتي عبد الحميد البعيجان ان يعود الى حكومته للتشاور ، حيث اجتمع هناك مع مسؤولين كويتيين ، ثم مع مسؤولين فلسطينيين في محاولة للوصول الى جواب وحين عاد من الكويت (١٩ـ٤) روت مصادر مطلعة (النهار) ان الكويت تعتبر تفسير (ملكارت) الذي وضع عام ٧٣ بين المقاومة والسلطة اللبنانية هو التفسير الصالح لاتفاق القاهرة ٠ والبعيجان نفسه قال بعد الاجتماع مع الشيخ بيار الجميل في اليوم نفسه ان اللجنة الرباعية لا علاقة لها بالاجتهاد « فنحن نطبق ما يتفق عليه الطرفان » ، ان عمل اللجنة هو تطبيق الاتفاق وليس الاجتهاد ٠ فكان لا بد اذن من وصول المقاومة والسلطة اللبنانية الى اتفاق فيما بينهما حتى تستطيع اللجنة الرباعية ان تمضي في عملها بتفاهم وانسجام ٠

وقد تمت المحاولة الاولى عبر الرئيس رشيد كرامي الذي زار القصر الجمهوري (٢١ ـ ٤) وخرج بعد ذلك بموقف علني احدث اهتماما واسعا اذ قال « ان ما نفذ من اتفاق القاهرة يصل الى حدود ٩٠ بالمئة . فلماذا هذه الاجواء الصاخبة حول تنفيذه ٠ ان اتفاق القاهرة هو ممارسه يومية ، فكل يوم مطلوب تنفيذ اتفاق القاهرة ، ولا يصح ان تقف الحياة في لبنان بحجة الوصول الى تنفيذ هذا الاتفاق دفعة واحدة وشاملة ، هذا غير منطقي وغير عملي » ٠ وفي اليوم التالي (٢٢ ـ ٤) اجتمع عرفات مع كرامي ، حيث ابلغه كرامي نتائج اتصالاته مع سركيس ، وعلم أن جهود كرامي تستهدف تجميد نقطة الخلاف بالنسبة لتفسير الاتفاق ، اي نسبة المسلحين الذين سيتواجدون داخل المخيمات ، ثم التوصل الى اتفاق بوقف حملة التضخيم الاعلامية ، ووضع ترتيبات لعقد لقاء لبناني ـ فلسطيني ٠ وفي ٢٩ ـ ٤ نجحت وساطة كرامي وتم اللقاء في القصر الجمهوري بين الرئيس سركيس وياسر عرفات وبمشاركة صلاح خلف (ابو اياد) ، وجرى الاتفاق على صيغة مزدوجة لحل نقطة الخلاف : قبول فلسطيني بصيغة الـ ٧ بالالف ، وربط ذلك بضرورة وضع خطة مشتركة لبنانية ـ فلسطينية للدفاع عن المخيمات ٠ وبالنسبة للقضايا الاخرى فقد تم الاتفاق حسب المعلومات الصحفية على :

١ ـ الموافقة على نقل المهجرين الفلسطينيين المقيمين في الدامور الى منطقة البيسارية قرب صيدا ٠

٢ ـ السعي لاحياء اللجنة العسكرية اللبنانية ـ الفلسطينية المشتركة ٠

٣ ـ تنفيذ اتفاق القاهرة في منطقة الجنوب بهدوء وعلى مراحل ، واعتبار التنفيذ في بيروت وضواحيها هو المرحلة الاولى ٠

وجرى استكمال هذه المحادثات التي اجراها عرفات بلقاء اخر بين الرئيس سركيس وصلاح خلف (١٤ ـ ٥) ، ثم عاد عرفات واجتمع (١٦ ـ ٥) مع اعضاء اللجنة الرباعية للغرض نفسه واعلن سفير الكويت بعد لقائه مع سركيس « ان اتفاق القاهرة ليس مجمدا وهناك عمل يهيأ لحل المشاكل » ٠ وقال السفير السعودي علي الشاعر (١٩ ـ ٥) « بفضل النوايا الحسنة من جميع الاطراف تتجه الامور نحو الحلول المرضية والانفراج التام » ٠ وفي ٢١ ـ ٥ اجتمعت

اللجنة الرباعية برئاسة سركيس وسط اجواء تشير الى نجاح الجهود التمهيدية التي بذلتها ، حيث سيبقى التفسير اللبناني قائما وتضاف اليه بنود تتعلق بخطة حماية المخيمات ٠

مواقف « الجبهة اللبنانية » : لقد كانت مواقف « الجبهة اللبنانية» من الكثرة بحيث يصعب احصاؤها ٠ ولذلك سنختار نماذج منها فقط توضح اهدافها ٠

الشيخ بيار الجميل يقول باسم « الكتائب » بعد لقاء مع السفير الكويتي (١٩ ـ ٤) ان « اتفاقية القاهرة لا يمكن ان تنفذ الا من البند الذي ينص على سيادة لبنان ٠٠٠٠ هذه السيادة هي التي تملي التفسيرات ، ومنها التفسير اللبناني، الذي يرفض بعض اعضاء اللجنة الرباعية الاخذ به ٠ اللجنة مطلوب منها ان تشرف على تنفيذ هذا التفسير ، ولا يحق لها ان تعترض عليه او تتحفظ والا فقدت مبرر وجودها ٠ ولا يحق للجنة ان تسعى الى حل اي حل يرضي جميع الاطراف » ٠

اما بشير الجميل فهو ينتقل من النقد الى التهديد فيقول (٢٦ ـ ٤) ان « الجبهة اللبنانية حددت مهلة معينة، واذا لم تنفذ اتفاقية القاهرة ضمنها فالامر يعود عند ذلك لقرار سياسي » وردا على سؤال حول موقف كرامي الذي يقول بان ٩٠ بالمائة من الاتفاقية قد طبق يجيب بشير الجميل ان « بعض الزعماء لم يتعلموا شيئا من الاحداث » ٠

ومرة اخرى يعود بيار الجميل ليقف ضد الاتفاقية من اساسها (٢٦ ـ ٤) فيقول « ما هي الفائدة من هذه الاتفاقية للفلسطينيين ، وهل هي مفيدة للبنان والعرب ؟ انا اجيب قائلا لا » ٠

وينتقل دوري شمعون باسم « الاحرار » للمطالبة بالغاء الوجود المسلح للفلسطينيين فيقول لاذاعة مونت كارلو (٣ ـ ٥) ان « الذين يحبون لبنان ويؤمنون بالقضية الفلسطينية بالفعل عليهم ان يتحركوا بسرعة اكبر وبايجابية اكبر لاقناع الفلسطينيين بأن لبنان غير قادر على ان يتحمل وجودهم المسلح فيه » ٠

ويشارك في الحملة الأباتي شربل قسيس (٤ ـ ٥) فيقول « انا لا ارى ان اتفاقية القاهرة طبقت ولو بنسبة ١ بالمائة ٠ البند الرئيسي الذي ترتكز عليه الاتفاقية هو السيادة اللبنانية ، فهل يستطيع الذين يدعون أن اتفاقية القاهرة طبقت ان يقولوا لنا كيف طبقت في الجنوب والمخيمات » ٠

وتهدد جريدة « العمل » بالتدويل اذا لم يطبق اتفاق القاهرة فتقول (٦ ـ ٥) ان بيان « الجبهة اللبنانية » بعد اجتماعها الاخير لم يتطرق لذكر الاتفاق لانه تقرر اعتماد اسلوب جديد « قد يتخطى النطاق الاقليمي » وربما ترتب على ذلك دخول القضية اللبنانية ٠٠٠ محافل دولية ٠

اما الرئيس شارل حلو الذي وقعت الاتفاقية في عهده فانه يطرح تفسيرا غريبا لقانونية الاتفاق (٧ ـ ٥) اذ يقول ان « اتفاق القاهرة لم يلزم الا الحكومة الكرامية التي طلبت الثقة على اساسه ٠٠٠٠ وهناك اكثر من سبب يؤدي الى اعتبار اتفاق القاهرة لاغيا » ٠

وحين يصل الحوار بين السلطة والمقاومة الى حل ما مثل تشكيل لجنة التنسيق يقول بيار الجميل (٨ ـ ٥) ان « هذه الاقتراحات من جملة العمليات التي يقصد بها الالهاء » ٠

ولا تتناقض هذه المواقف المعبرة عن اطراف الجبهة اللبنانية مع مواقف السلطة اللبنانية فحسب ، بل هي تتناقض ايضا مع مواقف مسؤولين لبنانيين اخرين ٠

فالمرئيس صائب سلام يقول بعد اجتماع له مع السفير الكويتي (٢٠ ـ ٤) ان « اتفاق القاهرة ليس نصا وحرفا مجردا ٠٠٠٠ انه يقوم على النيات الحسنة المتوافرة عند فريقين ٠ الاتفاق ينفذه الفريقان ، وفيه المحافظة على اخواننا الفلسطينيين ، كما فيه المحافظة على السيادة اللبنانية» ٠ وفي (٢٣ـ٤) قال سلام بعد اجتماعه مع السفير السعودي ان « الضجيج حول اتفاق القاهرة يسيء الى مسيرة السلام » ، وفي ٣ ـ ٥ يعلن كرامي ان « القصة لا تحتاج الى كل هذه الضجة لو لم تكن هناك مآرب اخرى » ، وفي (٤ـ٥) يعلن الامام موسى الصدر ان « هناك نقاطا جد قليلة باقية ربما لا تتجاوز كلمة او كلمتين بالنسبة لتفسير اتفاق القاهرة » ، وعاد الرئيس سلام مرة اخرى ليقول (١٤ ـ ٥) بعد لقاء مع الرئيس سركيس « فلنكشف عن المتاجرة باتفاقية القاهرة » ٠

واللجنة الرباعية نفسها كانت تعيش اجواء مشابهة فالسفير الكويتي يقول (١٩ ـ ٤) « اظن انه يمكن تنفيذ اتفاق القاهرة في كل لبنان اذا تجاوزنا بعض الاشياء البسيطة ٠٠٠٠ هناك اختلاف تافه » ، والعقيد محمد الخولي ممثل سوريا في اللجنةالرباعية يقول ان « سوريا مع ضرورة تنفيذ اتفاق القاهرة على مراحل ، بعد تجميد الوضع في الجنوب » ٠

الدامور ومخيم البيسارية

في نطاق البحث عن حل لقضية المهجرين ، طلبت السلطة اللبنانية من المقاومة الفلسطينية اخلاء بلدة الدامور من مهجري تل الزعتر الفلسطينيين ، على ان ينقلوا الى مخيم جديد يجري بناؤه في منطقة البيسارية قرب صيدا ٠ وقد ذكرت جريدة « العمل » في ٢٢ ـ ٤ ان الرئيس سركيس استقبل السفير السعودي واستفسر منه عن وعد السعودية في تمويل انشاء مركز سكني للاجئين الفلسطينيين لاخلاء الدامور ٠ وفي اليوم نفسه بحث سركيس الموضوع نفسه مع زهير محسن ٠ وفي ٢٣ ـ ٤ عقد رئيس الحكومة الرئيس سليم الحص اجتماعا مع وزير الداخلية صلاح سلمان وبحث معه موضوع مخيم البيسارية ، وقال سلمان « نحن بصدد هذا الموضوع منذ شهر ونصف ، مسؤولية الدولة هي تقديم الارض ، ومسؤولية الاونروا الاهتمام بما يلزم » واضاف سلمان ان اقامة المخيمات هي مسؤولية مشتركة بين الاونروا والمنظمة والحكومة ، ويمكن ان نعتبر ان المشروع قد بدأ تنفيذه ٠

وفي ٢٨ ـ ٤ اعلن الرئيس الحص انه تفاهم مع عرفات « على كل الخطوات اللازمة من أجل اجلاء مهجري تل الزعتر عن الدامور الى الارض التي خصصت لهم في البيسارية ، كي يعود اهالي الدامور الى بلدتهم » ٠ وكان قد عقد قبل ذلك (٢٧ ـ ٤) اجتماع ضم السفير السعودي وعرفات وقادة فلسطينيين اخرين وتمت فيه الموافقة نهائيا على اخلاء الدامور ، وحمل السفير السعودي هذه الموافقة الى سركيس ، كذلك استعداد السعودية والكويت لتقديم عون مالي لانشاء مخيم البيسارية ٠ وفي ٢٩ ـ ٤ عقد صلاح سلمان اجتماعا مع توفيق الصفدي رئيس اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان وبحث معه تفاصيل قضية الانتقال ، ثم جرى التوسع في بحث هذه التفاصيل بين الصفدي وعمر مسيكة امين عام مجلس الوزراء ٠ واعلن كميل شمعون (٣٠ ـ ٤) ان عملية اخلاء الدامور ستتم في شهر

حزيران بعد انجاز بنـاء البيـوت · وللاسراع في انجاز العملية ، خصصت الحكومة (٦ ـ ٥) ١٠ ملايين ليرة كسلفة تقدم للاونروا للانفاق على انشاء منازل البيسارية ، وقال صلاح سلمان ان لجنة مؤلفة من مديرية اللاجئين الفلسطينيين والاونروا ومنظمة التحرير ستشرف على انشاء المخيم ·

بلال الحسن

(٢) المناطق المحتلة

يتعاظم النضال الوطني والديمقراطي الذي تخوضه جماهير الارض المحتلة في وجه الكيان الصهيوني ، ومحاولاته المستمرة لفرض الاحتلال كأمر واقع ، وتوسيع الاستيطان ، عبر الاستيلاء على الاراضي العربية في الضفة والقطاع · من هنا ، وحول الارض وحرية الارض ، يزداد النضال الوطني والديمقراطي اتساعا وشمولا ، ويخترق ، الحصار الشامل الذي تتعرض له القوى الشعبية والديمقراطية داخل الارض المحتلة وخارجها ، ويلتقي نضالات القوى الديمقراطية في اسرائيل ، من اجل مواجهة سياسة الاستيطان العنصرية ، وتأكيد حق شعبنا في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة · وهذا ما لاحظه بسام الشكعة ، رئيس بلدية نابلس ، من ان « قيام الجبهة الديمقراطية للسلام ، هو دعم قضية تحرير الارض الفلسطينية المحتلة واعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها وخاصة اقامة الدولة الفلسطينية » · وهو الشيء الذي اكده كريم خلف ، رئيس بلدية رام‌الله ، وبشارة داوود ، رئيس بلدية بيت جالا ، الذي يعتقد « ان وجود قوى داخل اسرائيل تؤيد حقنا لهو امر مساعد لنا ويشكل نوعا من القوى الضاغطة على الحكومة الاسرائيلية ، وقيام الجبهة خطوة الى الامام لتوسيع دائرة مؤيدينا من اليهود » ··

يضاف الى هذا ان القيادة الفلسطينية المحلية في الضفة الغربية المحتلة تحاول كذلك ان تمثل استطرادا لسياسة الخروج الفلسطيني العام من سياسة المصادرة العربية لمشاريع العمل الفلسطيني الثورية والشعبية داخل الوطن وفي المهجر · ومن اجل تحقيق هذا الخروج توجه بعض رؤساء البلديات في الضفة الغربية الى الخليج العربي ، حيث تضعف حدة الابتزاز السياسي ، من اجل الحصول على قروض مالية لدعم اوضاعها وتمويل مشاريع الاسكان الشعبية وبناء المدارس ومحطات السيارات الكبيرة · ولقد تحملت الصحافة

الوطنية في الضفة الغربية المحتلة دورها في تعميق هذا التوجه ووضع اطره وتحديدها · كما جاء في مقالة صحيفة « الفجر » المقدسية التي دعت الى تآخي المدن العربية مع المدن الفلسطينية · وتأخذ « الفجر » البلديات كمثل للمؤسسات الشعبية الوطنية بصفتها الاكبر والاوسع تمثيلا والاكثر ارتباطا بالمواطنين ·وتلاحظ الصحيفة بكثير من الدلالة ان القضايا التي تعاني منها البلديات تزعزع ثقة المواطنين بمجالسهم البلدية في الوقت الذي تحتاج مرحلة النضال الشعبي في الوطن المحتل ضد سياسات الاستيطان الصهيونية وسياساتالتركيع التي تمارسها السلطات الاردنية ، عن طريق الامتناع عن الالتزام بتعهداتها المالية نحو البلديات والموظفين ، المحافظة ودعم هذه المجالس البلدية واستمرارها بمواقعها وضمان حصولها على الثقة الشعبية في الدورة المقبلة ·

ان اتساع وشمول حركة الجماهير الفلسطينية المعادية لمشاريع الاستيطان الاسرائيلية في المناطق المحتلة تشكل وعيا سياسيا جذريا لهدف اسرائيل الرئيسي في بناء هذه المستعمرات ومصادرة الاراضي ، فالجماهير الفلسطينية باتت مقتنعة بأن هدف اسرائيل ليس فقط تحسين الدفاع العسكري عن سلامتها بل خلق سياسة من شأنها ان تجعل قيام دولة فلسطينية مستقلة وقابلة للحياة امرا صعبا · لما ستسببه هذه المستعمرات من مواقع استفزاز وقمع دائمين لحركة الجماهير · وكذلك للدور الكولونيالي الذي ستلعبه في استغلال قوة العمل الفلسطينية وايضا في منافسة المنتوجات الفلسطينية الزراعية والصناعية لاجل تهجير العمال العرب واضعاف نضالاتهم ·

ان الجماهير الفلسطينية وهي تسترشد بهذا الوعي لسياسة الاستيطان الاسرائيلي ومصادرة الاراضي ، قامت باضراب شامل يوم ١٧ نيسان (ابريل) لدعم المعتقلين العرب ووقعت اشتباكات في نابلس بين القوات الاسرائيلية وطلاب المدارس العليا· كما وقعت مشادة عنيفة بين رجال الحرس التابعين لبلدية نابلس والحاخام اليهودي مئير كهانا ، رئيس رابطة الدفاع اليهودية ، واربعة من مؤيديه المسلحين الذين حاولوا دخول مكتب بسام الشكعة . لمحاورته من اجل وضع حجر الاساس للمدينة اليهودية الجديدة · وقد تجددت التظاهرات في اليوم التالي في الوقت الذي قررت فيه السلطات الاسرائيلية اقامة مستوطنة جديدة في مسحة ، جنوبي بلدة قلقيلية ، وفي مواجهة قرية كفر قاسم العربية · ذلك ان اللجنة الوزارية الاسرائيلية للاستيطان التي يرأسها اسرائيل جليلي ،وزير الدولة، قررت يوم ١٨ نيسان (ابريل) خلال اجتماع رسمي في القدس انشاء هذه المستعمرة ، وتشكلها نواتان اولاهما شباب نحال والاخرى اعضاء جوش امونيم · ولقد ادعت القيادة العسكرية الاسرائيلية في بيان لها ان وحدة عسكرية توجهت الى مكان مهجور للشرطة قرب قلقيلية لاقامة مستوطنة لها · واوضح البيان ان المستوطنة ستكون عسكرية يقوم الجنود فيها بمهامهم بالاضافة الى زراعة الارض · لكن الحكومة خصصت مليون ليرة اسرائيلية لتحويل المستعمرة الى مدينة فيما بعد · ولقد لاحظت وكالة اليونايتدبرس ان قرار اقامة هذه المستوطنة جاء عقب استلام شمعون بيرز ، منصب رئيس الوزراء بالنيابة · ويوم ٢١ نيسان (ابريل) تجددت التظاهرات وعمت مدن رام الله ونابلس ومخيم قلندية · ونقلت وكالات الانباء عن شهود عيان ان البوليس استخدم القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين من الطلاب الذين تخلفوا عن صفوفهم وقاموا باشعال النار في دواليب السيارات

في الشوارع كما رشقوا رجال البوليس الاسرائيلي بالحجارة · وقد ردد الطلاب شعارات ضد قرار الحكومة بشأن اقامة مستوطنة في قرية مسحة العربية · وانضم تجار ومحلات نابلس الى الاضراب يوم ٢٦ نيسان (ابريل) احتجاجا على استفزاز جديد حاول الحاخام مئير كهانا القيام به عقب اعلانه عن رغبته دخول المدينة ·ولقد فرضت السلطات الاسرائيلية حظر التجول على المدينة · وفي اليوم التالي اقام الطلاب المتاريس واحرقوا اطارات السيارات في الشوارع كما تصدوا للسيارات الاسرائيلية بالحجارة · وقدم بسام الشكعة احتجاجا على معاملة القوات الاسرائيلية الوحشية للمتظاهرين الى شمعون بيرز · واشار راديو اسرائيل (راأ) يوم الثلاثاء في ٢٦ نيسان (ابريل) « انه وعلى الرغم من وضع حواجز على مداخل نابلس ، وعلى الرغم من انه قد اوضح لرئيس البلدية بسام الشكعة انه لن يسمح للحاخام كهانا بالقيام بأعماله الاستفزازية ، فالخواطر لم تهدأ ، بل بالعكس قامت قوات الامن بهدم مخزنين وغرفة في بيت شخص متهم بالانضمام الى م · ت · ف · مما ادى الى زيادة التوتر · والمنظمات المختلفة في المدينة ، التي تسمى بالمنظمات الوطنية ، مثل البلدية وغرفة التجارة ومنظمات النساء والمنظمات العمالية ، بدأت باعداد مذكرة احتجاج ضد الاستيطان ، وضد مصادرة الاراضي ، وضد الحاخام كهانا · » وأورد الراديو ان بسام الشكعة قد اتخذ موقفا وطنيا شجاعا بأن رفض مقابلة الحاكم العسكري الاسرائيلي عندما استدعاه لمقابلته كموقف واضح رد فيه على رفض الحاكم العسكري استقبال وفد البلدية ·

ان الدلالات السياسية لمشاريع الاستيطان ومصادرة الاراضي والتي ترمي الى خلق ظروف سياسية من شأنها ان تجعل قيام دولة فلسطينية مستقلة وقابلة للحياة امرا صعبا لما ستسببه من استفزاز واستغلال ومنافسة على الاصعدة الامنية والاجتماعية والاقتصادية قد برزت في مدينة الخليل عندما قام المواطنون الفلسطينيون بتقديم احتجاج شديد للسلطات الاسرائيلية على التصرفات اللاانسانية التي يقوم بها مستوطنو مستعمرة كريات اربع وذلك باستمرارهم برمي النفايات في المنطقة الرئيسية من المدينة ، كما نقلت وكالات الانباء يوم ٢٠ نيسان (ابريل) · كما ان بيان القيادة العسكرية الاسرائيلية بشأن اقامة مستوطنة مسحة ، التي ستكون عسكرية يقوم الجنود فيها بمهامهم بالاضافة الى زراعة الارض يوضح دلالات الاستيطان الاسرائيلي الذي يرمي الى اهداف اخرى تتجاوز تحسين الدفاع العسكري ·

وصعدت الحركة الشعبية الفلسطينية نضالها ضد سياسات الاستيطان الاسرائيلي وسياسات الاستفزاز العنصري التي يقوم بها متطرفو رابطة الدفاع اليهودية بتظاهرات وحواجز كبيرة من الحجارة اقيمت في بلدة قباطية ، قضاء جنين ، حيث قام عشرات الشبان العرب بقذف السيارات الاسرائيلية ورجال البوليس بالحجارة · ولقد رد الجنود الاسرائيليون بوحشية واطلقوا النيران على الشبان العرب مما ادى الى استشهاد الشاب بلال حسن ابو الرب يوم الثلاثاء في الثالث من ايار (مايو) · وعم البلدة هياج بعد ان اعيدت جثة بلال من المستشفى · وفي ساعات بعد الظهر ، عندما تم الدفن ، هوجمت سيارات عسكرية اسرائيلية بالحجارة · فعاود الجنود وحشيتهم واطلقوا النار واصيب ثلاثة من السكان بجراح · ما لبثت فاطمة حمدي ، ان استشهدت · ولقد اخبر خالد عوض الهوني ، رئيس بلدية قباطية ، راديو اسرائيل (راأ) في مكالمة هاتفية ان البلدية

اعدت عرائض سترسلها الى الهيئات الدولية والى الادارة العسكرية تحتج فيها على عملية القتل · ولقد اكد الراديو ان اسباب التظاهرة في قباطية هي محاولات الاستيطان والاحتلال ، وانه في الآونة الاخيرة انتشرت شائعات حول محاولات استيطانية ستجري في سهل دوثان قرب جنين · وفي اليوم التالي وعقب وصول جثة فاطمة حمدي ابتدأت التظاهرات في مدن جنين ونابلس ورام الله · واعلن منع التجول في نابلس منذ الصباح · وفي جنين عاد طلبة المدارس الى بيوتهم واقفلت الدكاكين واطلقت شعارات وطنية ضد الاستيطانومؤيدة لمنظمةالتحرير الفلسطينية ولدولة مستقلة · وقد ابلغ احمد شوقي ، رئيس بلدية جنين ، راديو اسرائيل (راؤ) مدى معارضة السكان العرب للاستيطان · وقال شوقي « انه بالنسبة لنا لا فرق بين مسحة التي تم الاستيطان فيها وبين وادي دوثان التي ينوون الاستيطان فيها » وفي رام الله قامت طالبات دار المعلمات بتظاهرة في شوارع المدينة ونادين بشعارات وطنية ·

ولقد ابدت الشخصيات والهيئات الرسمية والشعبية في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة تأييدا عظيما لحركة الجماهير في نابلس ورام الله وجنين وقباطية من خلال برقيات التأييدالتي وردت الى بلدية نابلس · وجاءت هذه البرقيات من رئيس واعضاء بلدية بيت جالا ، نائب رئيس بلدية البيرة ، رئيس بلدية سلفيت ، قلقيلية ، توفيق زياد ، رئيس بلدية الناصرة ، نائب رئيس بلدية الخليل ، رئيس بلدية البيرة ، رئيس بلدية سلقيت ، رئيس واعضاء بلدية بيت ساحور ، نقابة عمال المؤسسات العامة في طولكرم ، رئيس بلدية دورا ، رئيس واعضاء المجلس البلدي لطوباس وبعض اعضاء الكنيست الشيوعيين والتقدميين ·

لكن هذه الحملة الشعبية والرسمية المؤيدة لنضالات الجماهير في نابلس والمدن الفلسطينية الاخرى لم تمنع القوات الاسرائيلية من الاقدام على عمل بربري · فقد هاجمت هذه القوات يوم ٨ ايار (مايو) مدرسة جنين العليا ، اثر تظاهرات مناوئة لسياسة الاستيطان العنصرية ، حيث انهالت بالضرب على طلاب المدرسة واساتذتها مما ادى الى جرح العديد منهم من بينهم مدير المدرسة الذي نقل مع احد المدرسين الى المستشفى بعد اصابته بجروح في رأسه · وقدم احمد شوقي احتجاجا عنيفا الى الحاكم العسكري الاسرائيلي وطالبه باطلاق سراح الطلاب الذين اعتقلوا خلال التظاهرات · ويوم العاشر من ايار (مايو) تظاهر العشرات من اهالي قرية دير ابو مشعل قرب رام الله احتجاجا على محاولة اسرائيلية للاستيطان في قريتهم · واوردت صحيفة هآرتس الاسرائيلية ان السلطات قد اعتقلت اثنين من المتظاهرين وان سكان القرية اوضحوا ان مجموعة كبيرة من الاسرائيليين دأبت منذ عدة اسابيع على التسلل كل ليلة الى دير ابو مشعل لتلحق بها خسائر جسيمة فتحطم النوافذ وتنتزع الاسلاك الكهربائية وتطلق الرصاص في الهواء · وذكر ان بعض افراد المجموعة يرتدون الزي العسكري ويحملون السلاح· وقال الاهالي ان المجموعة تسعى الى الاستيطان في القرية بعد طردهم منها ·

تشير مشاريع الاستيطان الاسرائيلية، الى الطابع الكولونيالي العنصري للسياسة الاسرائيلية في اجهاض حركة تطور الجماهير الفلسطينية وفي استخدام قوة العمل الفلسطينية من اجل تنمية الاقتصاد الاسرائيلي وعرقلة النمو الصناعي والزراعي في الضفة الغربية وقطاع غزة · كما ان الروح العدوانية والعنصرية التي تسود في هذه المستعمرات ، وهي التي

تقتصر في معظمها على المتطرفين ، ستعيق الى حد كبير فرص النضال المشترك بين القوى الديمقراطية المعادية للايديولوجية الصهيونية وممارساتها في اسرائيل وخارجها · بحيث تصبح هذه المستعمرات العدوانية والعنصرية مواقع ابتزاز للتحريض ضد العرب ، كعدو مشترك يجمع كل الطبقات و « القوميات الاسرائيلية » ·

ان مهمة القوى الاسرائيلية الديمقراطية العاملة من اجل سلام قائم على حق الشعب الفلسطيني في انجاز مشروعه الوطني في اقامة سلطته المستقلة ، تصبح اكثر دقة وصعوبة في مواجهة السياسة الصهيونية الحالية القائمة على التوسع عبر المستوطنات وعلى القمع بواسطة « شباب نحال » هذه المستعمرات · ان صعوبة موقف هذه القوى الديمقراطية الاسرائيلية يفسر الدعم الذي تسعى الى تقديمه القيادة الفلسطينيةعشية الانتخابات الاسرائيلية العامة ، لوضع اضاليل الصهيونية عن عنصرية وعدوانية النضال الفلسطيني في هامش الدعايات القذرة · وهي مرحلة نضال ديمقراطي عظيمة تخوضها المقاومة الفلسطينية ·

ناشي طه

اسرائيليات

(أ) الاسرائيليون يضخمون الاستعدادات العربية للحرب !

كثرت في اسرائيل خلال الفترة الاخيرة التعليقات والتصريحات حول الاستعدادات العربية المكثفة والمركزة ، لشن حرب اخرى ضد اسرائيل · وقد وصلت هذه التصريحات الاسرائيلية الى درجة كبيرة من التضخيم ، خاصة فيما يتعلق بالقوة العربية التي تفوق القوة الاسرائيلية · والسؤال الذي لا بد من طرحه هنا ، ما هو المقصود من وراء هذه الحملة ؟ خاصة وان بعض القادة الاسرائيليين قد صرحوا قبل مدة ، بان لدى اسرائيل من القوة ما تستطيع بواسطتها تحطيم الجيوش العربية خلال وقت قصير ، وكان على رأس الذين صرحوا بذلك ، مردخاي غور ، رئيس اركان الجيش الاسرائيلي، ولكنه تراجع عن ذلكبعد فترة واخذ يضخم الاستعدادات والقوة العربية ·

ان المقصود من وراء حملة التضخيم هذه في رأينا ، هو ان اسرائيل تواجه كما هو معلوم ازمات اقتصادية واجتماعية ، وفضائح على كافة المستويات ابتداء من رئيس الوزراء والوزراء

والجيش ، وانتهاء بالمؤسسات الحكومية الكبرى هناك ، وذلك ما يجعل المواطن الاسرائيلي في دوامة امام ما يحصل خاصة وان اسرائيل على عتبة الانتخابات البرلمانية ، ولهذا كله، قد يحصل ما حصل في الماضي ، حين التجات اسرائيل خلال مواجهتها لمثل هذه الازمات ، الى تسخين الجو السياسي ، وافتعال الاحداث مع احدى الدول العربية ، وتحذير المواطنين الاسرائيليين من خطر هجوم عربي وشيك ، او القيام بحملة انتقامية اسرائيلية ضد احدى الدول العربية ، وذلك لتصرف الانظار عن الازمات الداخلية · وفي اعتقادنا ان الحملة الجارية لا تخرج عن هذا الاطار ·

كان من بين الذين ادلوا بدلوهم حول هذا الموضوع ، مردخاي غور ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، عندما سئل عن تصريحات الزعماء العرب الاخيرة ، من انهم سيتجهون نحو الخيار العسكري اذا ما فشلت الجهود السياسية ، فأجاب : حسب تقديري ، فان التهديد فعلي ، وان اسرائيل والولايات المتحدة سترتكبان خطأ فادحا اذا ما نظرت الى ذلك بشك · انني اعتقد ان الدول العربية اذا ما شعرت في مرحلة ما انه لا يوجد طريق اخر لتحقيق امانيها الوطنية ،فانها (الدول العربية) ستمسك من جديد بسلاح المعركة·

وقبل حرب يوم الغفران كانت هناك اراء مختلفة بالنسبة لقدرة الدول العربية العسكرية ، واما اليوم فلا توجد اختلافات في الرأي حول ذلك · حيث ان العرب يستطيعون ان يقرروا كل يوم اذا كانت هناك ضرورة للخروج الى المعركة ، وانهم يملكون القدرة على ذلك ، ولهذا يجب النظر الى هذا الخيار بكامل الجدية · واضاف رئيس الاركان ، ان احد دروس حرب يوم الغفران هو ان الحرب بالنسبة للعرب هي في اساسها سياسية ، وليست هناك ضرورة للوصول الى نصر عسكري كامل ، فيكفي مثلا ، ان يعبر المصريون الى المنطقة العازلة ويسيطروا على بضعة كيلومترات هناك من اجل خلق حالة من الحرب تخلق بالنهاية تحركا سياسيا · وباستطاعتهم ان يفعلوا ذلك اليوم ، ولهذا فان التهديد حقيقي (مقابلةمع رئيس الاركان ، دافار٢٢ـ٤ـ١٩٧٧) ·

وتحدث الجنرال(احتياط) اريئيل شارون ، رئيس حركة شلوم تسيون ، عن نفس الموضوع فقال ، ان العربيحضرون لحرب محدودة ضد اسرائيل في عدد من الجبهات · وهذا ، حسب رأيه ، ليس بديلا لفشل محادثات السلام في جنيف ، وانما جزء من استراتيجية شاملة ضد اسرائيل · وتحدث شارون ، امام المراسلين الاجانب فقال : سيحاول العرب في المستقبل القريب جر اسرائيل الىحرب في المناطق التي لا تستطيع ان تحقق فيها نصرا حاسما · وهذه الاستراتيجية هي احد دروس العرب من حرب يوم الغفران، حيث تبين لهم ، ان هدم اسرائيل لا يحتاج الى حسم عسكري ، وان افضل الطرق بالنسبة لهم هي جر اسرائيل الى حرب لا تستطيع الانتصار فيها ·

وتطرق شارون الى التطورات العسكرية الاخيرة ، واحتمالات قيام العرب بعمل عسكري فقال : للمرة الاولى يوجد في لبنان قوات سوريةتشمل ٥٠٠ دبابة ، على مسافة قصيرة من حدوداسرائيل ، تؤمن سيطرة المدفعية على خليج حيفا · وعلى جبهة البحر الاحمر ، يقوم العرب بكافة الاستعدادات من اجل جعله بحرا عربيا واغلاقه امام اسرائيل بواسطةاليمن الشمالياليمن الجنوبي والسعودية والسودان ، بدعم من دولعربية اخرى · وبهذهالصورةيمكن ان يجروا اسرائيل الى حرب في جبهة يستطيعون ان يحققوا فيها انتصارات تكتيكية وليس نصرا حاسما في الحرب· (يديعوت احرونوت ٤ـ٤ـ٧٧) ·

وتحدث شارون عن الاحتمالات في كل من جبهة سيناء والجبهة الشرقية فذكر انه يمكن ان يتم توقيت عملية اغلاق البحر الاحمر مع تحريك الجيوش من قبل مصر الى ما وراء القناة · « اعود فاقول ان المصريين يحتفظون بجيش يكبر بثلاثة اضعاف وربما اربعة ، ما هو متفق عليه مع اسرائيل على الجانب الشرقي من القناة » · وبالنسبة للاردن ، فقد ادعى شارون ،بان اسرائيل لا تقدر بصورة صحيحة عدم تدخل الاردن في الحرب الاخيرة ، واشار الى انه يجب عدم النسيان ان وحدات اردنية قد اشتركت في الحرب ضد اسرائيل في سوريا ·واكد شارون ، ان الوحدات الاميركية في محطات الانذار لن تمكن اسرائيل من القيام بعمل سريع ، اذا اقتضى الامر · فستضطر الى اجراء اتصالات مع واشنطن بالنسبة لاجلاء الوحدات وسيتطلب ذلك وقتا ثمينا · وحسب رأيه ، فان محطات انذار اخرى في شرم الشيخ والجولان واماكن اخرى على خط المواجهة ، يمكن فقط ان تزيد هذه المخاطر · وحذر شارون من انه يسود العالم الغربي والولايات المتحدة الانطباع ، بانه توجد في اسرائيل حكومة ضعيفة ، وانه اذا لم تتشكل بعد الانتخابات حكومة قوية ذات سياسة واضحة ، وتعلن عن حالة طوارىء شاملة اجتماعيا وعسكريا ، فان هناك احتمالا « لفتنمة اسرائيل » (المصدر نفسه) ·

في القاهرة يتحدثون عن السلام وفي سيناء عن الحرب ··

تشكو اسرائيل خلال الفترة الاخيرة من خرق المصريين للاتفاقية المعقودة مع اسرائيل ، وادخال قوات اكثر مما هو مسموح به الى المنطقة الكائنة شرقي القناة · ويتحدث الاسرائيليون عن وجود ١٤ـ١٨ كتيبة عسكرية مصرية شرقي القناة ، في حين تسمح الاتفاقية فقط بوجود ثماني كتائب · وحسب رأي الاسرائيليين ان اكبر خرق قام به المصريون ، هو التجهيزات وعمليات التحصين التي يقومون بها في هذه المنطقة حيث انهم يبنون تحصينات وتجهيزات لاستقبال فرق عسكرية · وقد تم بحث هذا الموضوع خلال الاجتماعات التي عقدها الضباط الاسرائيليون والمصريون في سيناء ، كما بحثها شمعون بيرس مع قائد قوات الطوارىء الدولية · وحذر المراسل العسكري لصحيفة معاريف ، من التصريحات الخادعة حول السلام الذي يتحدث عنه العرب ، وذلك من اجل ابعاد الانظار عن الاستعدادات العسكرية والحربية في سيناء (معاريف ٥ـ١ـ١٩٧٧) ·

وحذر بعض المعلقين العسكريين في اسرائيل ، من الانشغال بالانتخابات وبالمشكلات الداخلية ، وترك العرب يفعلون ما يشاءون ،وقد ذكر احدهم بان الجيوش العربية تستعد للحرب وان عملية التدريب واعداد الخطط الحربية قائمة على قدم وساق · كما توثقت العلاقات بين مصر وسوريا والاردن ، وكذلك وجود احتياطي لوسائل القتال في كل من السعودية وليبيا · وهناك من يدعي في اسرائيل ان سبب الاستعدادات العربية ، ناجم عن سياسة « الفم المفتوح » للرئيس كارتر ، التي سببت احباطا معينا لدى العرب ، حيث ان في نيتهم ان يثبتوا للادارة الجديدة في واشنطن ، « انه بالرغم من وعده بان اسرائيل ستعيش الف سنة ، فان عليه الا يتجاهل القوة العربية » · (يعقوب ايرز ، معاريف ٢٥ـ٣ـ٧٧) ·

وتحدث المعلق نفسه عن الاراء السائدة الان لدى بعض الاوساط الاسرائيلية ، والتي حسب رأيه ، تشابه الى حد كبير ، ما حدث خلال الاشهر والاسابيع

الاخيرة التي سبقت حرب يوم الغفران · حيث ان النغمة نفسها تسود الاوساط الحاكمة الاسرائيلية ، من ان قوة اسرائيل قد تعاظمت، ولهذا فان الدول العربية لن تجرؤ على القيام بحرب · فذكر المعلق ، بانه سادت نفس الظاهرة قبل حرب يوم الغفران · وتحدث هذا المعلق ، عن عدة تقديرات واحتمالات تسود اسرائيل حول هذا الموضوع · فالتقدير المتطرف يقول ، ان في نية العرب الاستعداد للحرب ، والقيام باستعدادات فعلية ، وتوجيه ضربة وقائية لاسرائيل · وتقدير اخر يقول ، ان العرب سيحاولوا ان يوضحوا للاميركيين بأن الخيار العسكري لا يزال موجودا بايديهم · وذلك من اجل الضغط بصورة غير مباشرةعلى الولايات المتحدة من اجل الاسراع بالعملية السياسية في الشرق الاوسط · واما التقدير الثالث فيقول ، ان الدول العربية ترغب في « تسخين »الحدود ، والمبادرة الى القيام بعمليات عسكرية محدودة منأجل مرافقة الحملة السياسية بالنار · (المصدر نفسه) ·

حرب محدودة لاهداف محدودة

وساهم المعلق العسكري لصحيفة هارتس بدورة في ابراز الاستعدادات العربية للحرب ، فذكر ان موعد بدء الحرب متعلق بالظروف المتغيرة ، واما بالنسبة للعرب وعلى رأسهم المصريون ، فمستعدون للتوصل الى تسوية تستجاب فيها مطاليبهم بمساعدة الولايات المتحدة· ومع هذا ،لا يوجد ادنى شك ، انه بموازاة ذلك ، فان العرب يستعدون بجدية كاملة لحرب اخرى يبادرونإليها في اللحظة المناسبة لهم · واشار الى الخطورة في تبني المفهوم القائل بان العربسيخرجون للحرب فقط ، اذا كان واضحا لهم بان محادثات التسوية في الشرق الاوسط قد فشلت ، او عندما يتضح لهم بان شروطهم للتسوية عديمة النجاح وان مؤتمر جنيف قد وصل الى طريق مسدود، واشار الى ان العرب يمكن ان يشنوا حربا محدودة ، هدفها توجيه ضغط دولي على اسرائيل والتسبب بهزة داخلية فيها · ولمثل هذا النوع من الحرب التي لا يخطط فيها العرب لاحتلال اسرائيل ، ستكون لديهم قوات واسلحة كثيرة (هارتس ٢٥ـ٣ـ٧٧) ·

الاستعدادات السورية

تحدث المعلق العسكري ، لصحيفة معاريف ، عن النشاط السوري والاستعداد للحرب فاشار الى انه خلافا للنشاط السوري في لبنان ، وبالذات في المناطق المجاورة للحدود مع اسرائيل ، فان السوريين يقومون منذ سنتين بنشاط متواصل وموسع شرقي هضبة الجولان · فقد اخذوا مؤخرا اعادة قواتهم بحجم فرقة ، الى خط الجبهة بعد نقلها من الحدود العراقية · وحسب رأي المعلق، فان تحصينات الجيش السوري قد بدأت بعد حزيران ١٩٧٤ ، وتتألف هذه التحصينات من حواجز ترابية ، ومواقع على شكل هلال ، وهذا سيتطلب من الجيش الاسرائيلي تدمير هذه التحصينات القوية · واشار الى ان السوريين يقومون الان بحملة تعبئة وتدريب ، وذلك للتعويض عن القوات السورية الموجودة في لبنان · كما اشار الى شراء سوريا للاسلحة منذ حرب يوم الغفران ، وذلك من فرنسا وبريطانيا ، والسعي الىشراء اسلحة من الولايات المتحدة · وكذلك شراء صواريخ « سكاد » وطائرات « ميغ ٢٣ » وصواريخ « سام ٩ » ووصول الف دبابة سوفياتية وصواريخ ارض ـجو وسفن صاروخية (معاريف ٢٦ـ١ـ١٩٧٧)·

الجبهة الشرقية

يطلق بعض الاسرائيليين على هذه

الجبهة اسم « الجبهة النائمة » . ولكن يحذرون من الخطر الكامن في ذلك · لانه تجري وراء هذه الحدود الاستعدادات العسكرية التي يمكن خلال حالة الطوارىء او الحرب ان تهدد اطول حدود برية اسرائيلية · واشارت صحيفة معاريف (٢-٢-٧٧) الى أنه تم خلال السنوات الثلاث الاخيرة اقامة جيش اردني حديث ، وذلك على التلال المشرفة على الغور ، والقريبة من الحدود · ويعتبر بعض الخبراء العسكريين في اسرائيل ، ان القوة العسكرية الاردنية تعتبر جدية للغاية ، وانه يجب اعطاء اهمية كبرى لهذا الجيش ، وان اهميته لا تكمن في حجمه ، وانما في تدريبه وفي اسلحتة المتطورة · ويكمن الخطر الاردني بالنسبة الى اسرائيل ، بسبب قرب المواقع العسكرية من المراكز السكانية ، وكذلك في امكانية ارسال قوات تضطر الجيش الاسرائيلي لتوزيع مجهوده خلال الحرب · وكذلك هناك امكانية ، وبسبب المسافات القصيرة ، من احتلال الجيش الاردني لبعض المحاور الاستراتيجية ،مثل محور اريحا ـ الخان الاحمر ـ القدس· وكذلك هناك عامل مهم بالنسبة للخوف الاسرائيلي ، وهو توثيق العلاقات العسكرية السورية ـ الاردنية ·

الجبهة السعودية

اخذت بعض الاوساط الاسرائيلية تعطي اهمية ما للجبهة السعودية، واخذت تعتبرها احدى جبهات المواجهة · فقد ذكر احد المعلقين العسكريين الاسرائيليين انه في حال حدوث اي توتر عسكري ، او وجود حالة طوارىء على امتداد الحدود فان اسرائيل لا يمكنها ان تتجاهل دولة المواجهة الجديدة : العربية السعودية · وان ازدياد تسلحها الكبير منذ حرب يوم الغفران وتاثيرها السياسي على الدول العربية ،وقربها الجغرافي من اماكن ذات اهمية استراتيجية بالنسبة لاسرائيل، مثل ايلات وشرم الشيخ ـ كل ذلك جعل منها عدوا محتملا ، يجب اخذه بالحسبان لدى تقدير الوضع وتخصيص القوات من اجل محاربته · (معاريف ١٦-٢-١٩٧٧)

وكان رئيس الاركان الاسرائيلي مردخاي غور ، قد اعلن قبل اكثر من شهرين ،بان السعودية تعتبر « دولة مواجهة بكل معنى الكلمة » · وتحدث غور في حينه عن الاحتمالات التي يمكن ان تقوم بها السعودية :

- الوصول بسرعة بواسطة الدبابات الى ايلات ·
- ارسال الطائرات الى انحاء واسعة من اسرائيل خلال دقائق ·
- قصف شرم الشيخ وضواحيها بواسطة المدفعية ، وحتى المدفعية المتوسطة المدى ·

وذكر ايضا ان السعودية تقوم الان ببناء مدينة عسكرية واسعة ومتشعبة ، على مسافة ليست ببعيدة عن خليج ايلات· حيث ان المدينة المسماة تبوك تشكل قاعدة لوجستية رئيسية للقوة السعودية ، التي ستكون مسؤولة عن الجبهة الاسرائيلية · كما اشارت المصادر الاسرائيلية ، الى انه ينظر بجدية تامة في اسرائيل الى الاستعدادات العسكرية السعودية ·وتمت الاشارة ايضا الى مشاركة السعودية في حرب الاستنزاف التي جرت بعد حرب اكتوبر في منطقة الجولان · « وتعتبر السعودية في هذه المرحلة حسب رأي الخبراء الاسرائيليين ، اكبر مستودع للطوارىء بالنسبة لمصر ، وذلك نظرا لكميات الاسلحة الكبيرة التي تشتريها من الولايات المتحدة وفرنسا ودول غربية اخرى » (المصدر نفسه) ·

البحر الاحمر

تراقب الاوساط الاسرائيلية بحذر ما

يحدث في منطقة البحر الاحمر ، وخاصة في اعقاب تزايد الاهتمام العربي بهذه المنطقة ، والمؤتمرات التي عقدت بهذا الشأن · وقد اوردت هذه الاوساط مصلحة كل دولة عربية على حدة في هذا البحر وهذه المنطقة ، وخلصت الى القول ، انه مهما كانت دوافع النشاط والاستعداد العربي في منطقة البحر الاحمر ، فانه يوجد بالنسبة لاسرائيل ، وعلى المدى الطويل ، خطر كبير · فحتى الفترة الاخيرة كانت مصر العدو الوحيد لاسرائيل في هذه المنطقة · ولكن هذا الوضع يمكن ان يتغير بسرعة وباستطاعة القاهرة ان تعتمد على ست دول عربية تقع على شواطىء البحر الاحمر · فعلى ضوء ازدياد حجم الاسطول السعودي وبقية امارات البترول ، فانه لم يعد الردع الاسرائيلي كافيا ضد مصر وضد اية محاولة لفرض حصار بحري· وانه ينبغي على اسرائيل ان تدرس اهدافا اخرى غير التي عرفناها في الماضي (يهوشوع تدمور- دافار ١٤-٢-٧٧) ·

ضربة وقائية

يعتقد رئيس الاركان ، مردخاي غور، « ان حرب يوم الغفران لم تسلب من اسرائيل الخيار بانزال ضربة وقائية ،وان استعمال ضربة وقائية يمكن ان يحقق لاسرائيل مكاسب سياسية وعسكرية على السواء » · وتحدث غور الى اذاعة الجيش الاسرائيلي فقال : « كلما زادت قوة الجيش الاسرائيلي ، كلما زادت حرية العمل السياسي لدينا ، بما في ذلك القدرة على توجيه الضربة الاولى · واذا ما فعلنا كل شيء من اجل منع الحرب، وبالرغم من ذلك ، فان الدول العربية ترغب فيه ، والعالم سيتقبل عملنا اذا كنا البادئين في توجيه الضربة ، وستنتهي الحرب بمكاسب سياسية وعسكرية على السواء » (يديعوت احرونوت ١٧-١-١٩٧٧) ·

وحسب اعتقاد رئيس الاركان ، انه لا يوجد اي ضمان لمنع الدول العربية عن مفاجأة اسرائيل ثانية ، ودعا اسرائيل ان تأخذ في حسابها ، انه بالرغم من استعداد الجيش الاسرائيلي ، فان باستطاعة الدول العربية ان تفاجيء بفتح حرب شاملة ،كما حدث في مفاجأة حرب يوم الغفران · وتطرق غور الى امكانية الحرب فقال : « انه لمن الخطأ الاعتقاد بان الدول العربية بحاجة الى وقت او لسلاح اخر من اجل الخروج الى الحرب· ونحن نأخذ بالحسبان انه في كل حرب ضدنا ستشارك فيها كافة دول المواجهة، التي هي السعودية والاردن والعراق وسوريا ومصر ، وكذلك هناك احتمال بان يصبح لبنان دولة مواجهة » (المصدر نفسه) · وكشف غور ، عن نقل الالاف من الجيش الاسرائيلي من مهمات في الجبهة الخلفية والخدمات الى مواقع هجومية ·

وطالبت صحيفة دافار (١-٤-٧٧) اسرائيل بشن حرب وقائية ضد الدول العربية · ودعت الى عدم تأجيل هذه الحرب ، للحيلولة دون تمكين العرب من تدبير امورهم · واشارت على حكومة اسرائيل بان هذا هو الوقت المناسب للقيام بهذا الهجوم · وترى هذه الصحيفة ان مثل هذه الحرب يمكن ان تكلف اسرائيل ثمنا سياسيا باهظا ، ولكنها من ناحية اخرى تؤكد النصر العسكري، حيث اثبت حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ان اسرائيل قد خسرت من الناحية السياسية حتى عندما كانت الدول العربية هي البادئة بالعمليات العدوانية ·

(ب) الانتخابات الاسرائيلية : انتصار لليمين

اسفرت النتائج الاولية للانتخابات الاسرائيلية التي جرت يوم ١٧-٥-١٩٧٧ ، للكنيست والسلطات المحلية ، عن فوز كتلة ليكود اليمينية باكثرية المقاعد في الكنيست ، حيث حصلت على ٤١ مقعدا من الاحرار المستقلون بين ١٢٠ مقعدا ، بينما لم يحصل حزب العمل الا على ٣٣ مقعدا ، وهذا يعني انه خسر قيادة الحكم في اسرائيل التي تولاها منذ قيامها · وقد توزعت النتائج الاولية على النحو التالي :

	انتخابات ١٩٧٧	انتخابات ١٩٧٣
كتلة ليكود	٤٣	٣٩
كتلة المعراخ	٣٢	٥١
الحزب الديني القومي	١٢	١٠
الحركة الديمقراطية للتغيير (حركة يدين)	١٥	–
اغودات يسرائيل*	٤	٥
بوعلي اغودات يسرائيل	١	
راكح	٥	٤
حركة حقوق المواطن	١	٣
القوائم العربية المرتبطة بالمعراخ	١	٣
حركة السلام والمساواة* (شلي)	٢	١
حركة شالوم تسيون	٢	–
قائمة بلاطو شارون	١	٤

* في انتخابات ١٩٧٣ خاضت اغودات يسرائيل وبوعلي اغودات يسرائيل الانتخابات في قائمة واحدة ·

* في انتخابات ١٩٧٣ خاضت موكيد الانتخابات بمفردها ، حيث فازت بمقعد واحد كأن يشغله النائب مئير بعيل · الان انضمت الى حركة شلي ، وقد فان بعيل بصفته المرشح الثاني في القائمة · اما المرشح الاول فهو الياف · بينما خسر اوري افنيري باعتباره المرشح الثالث ·

يستدل من النتائج الاولية المذكورة اعلاه ان الاحزاب العمالية في اسرائيل هي الخاسرة الاولى فيالانتخابات التي برهنت ان لدى الاسرائيليين اتجاها قويا نحو احزاب اليمين بقيادة كتلة ليكود · ولاول مرة منذ قيام اسرائيل سيتخلى حزب العمل عن قيادة الحكم ، الذي ستتولاه كتلة ليكود بقيادة زعيمها مناحم بيغن ·

لا يعتبر فشل حزب العمل في الانتخابات مفاجأة كبيرة ، اذ ان جميع التوقعات واستفتاءات الرأي العام قد اشارت الى ذلك قبل الانتخابات · وقد عدد شمعون بيريس في مقابلة تلفزيونية عشية اعلان النتائج الاولية انه « ما من شك اننا تلقينا ضربة قاسية · ومع ذلك فان حزب العمل كبير ويستطيع ان يستيقظ من جديد· انني لم اتوقع نتيجة كهذه ، ولكن كان واضحا ان الحركة الديمقراطية للتغيير ستأخذ اصواتها من المعراخ · وقد اصيب المعراخ كذلك بهزات قاسية · كذلك فقد اثرت بعض الازمات العالمية مثل التضخم المالي العالمي الذي حل باسرائيل ايضا . هذا بالاضافة الى تغيير الادارة في الولايات المتحدة · وفي النهاية لا اوجه اللوم الى احد » ·

اما يتسحاق بن اهرون سكرتير عام الهستدروت سابقا ، واحد زعماء حزب العمل فقد وصف نتائج الانتخابات بانها عقاب لحزبه · واضاف قائلا : « هل الجمهور يرغب في تغيير في السياسة الاساسية · لقد كانت هناك خطة سارت الدولة بموجبها ، وبدايتها في السياسة الخارجية والسياسة الاجتماعية والاقتصادية والاستيطانية · هل الجمهور لم يتقبل هذه الخطة ام انه لم يقبل بالطريقة التي عرضت بها · انني اميز بين نتائج الانتخابات وبين رغبات الجمهور الحقيقية واستنتاجي هو ان المعراخ يجب الا يتنازل عن اهدافه وطريقه · عليه ان يعود لنفسه من اجل احداث تجديد داخلي في تركيبه ، ومفهومه الاجتماعي » ·

وعلق اهرون ياريف احد اعضاء حزب العمل سابقا ، الذي انسحب والتحق بحركة يدين فيما بعد : « اعتقد ان المشكلة لا تتعلق بالاهداف التي عرضها المعراخ وانما بالطريقة · توجد هنا معارضة للطريقة وليس للاهداف · فالمعراخ لم يكن في طريقه مثالا يحتذى به كذلك لم يحرص على قيم العمل · وكان التمسك بالحكم هو القيمة الاساسية في نظره » ·

اما شموئيل تمير احد زعماء الحركة الديمقراطية للتغيير فقد علق على فشل المعراخ بقوله : « لقد كان الفشل نتيجة الطريق السلبي الذي انتهجه المعراخ في ادارة شؤون الدولة · فقد وصل الى طريق مسدود والجمهور قام بمعاقبته · انني اؤيد حرص حركتي (داش) على الخط الذي رسمته لنفسها ، واعتقد انه بدونها لا يمكن الان تشكيل حكومة قوية » ·

وفي مقابلة مع جدعون هاوزنر زعيم حزب الاحرار المستقلين الذي لاقى هو ايضا فشلا ذريعا في الانتخابات (من ٤ مقاعد في انتخابات ١٩٧٣ الى مقعد واحد في انتخابات ١٩٧٧) اعلن ان ما حدث لحزبه كان نتيجة لائتلافه مع المعراخ في الماضي « فالجمهور اعرب عن احتجاجه ضد كل من اشترك في الحكومة الاخيرة · بالاضافة الى ذلك فقد غزت حركة « داش » جمهور ناخبينا » (جميع هذه الاقتباسات من التلفزيون الاسرائيلي عشية اعلان النتائج الاولية للانتخابات) ·

تعتقد جميع الاوساط السياسية في اسرائيل ان فشل حزب العمل يعود في الاساس الى ظهور حركة يدين وذلك في وقت رغب به الجمهور في التغيير بسبب

الفضائح المالية التي انتشرت في اسرائيل حتى وصلت الى قيادة الحزب الحاكم ٠

امكانات تشكيل الحكومة المقبلة

وعشية اعلان النتائج الاولية ، اعلن مناحم بيغن زعيم كتلة ليكود الذي سيكلف بتشكيل الحكومة المقبلة ، ان فوز حركته يعتبر نقطة تحول في تاريخ الشعب اليهودي والحركة الصهيونية ٠ وبعدما شكر جميع الذين ساعدوه على الفوز بالانتخابات ، خاصة اعضاء منظمته الارهابية « الارغون » سابقا ، اعلن انه يقترح التوجه الى جميع الاحزاب الصهيونية لتشكيل حكومة تكتل وطني ٠ الا ان هناك احتمالا ضئيلا بأن يحظى هذا الاقتراح برد فعل سلبي من جانب المعراخ ٠

الاحتمال الاخر هو ائتلاف ليكود مع الاحزاب الدينية ومع حركة شالوم تسيون ومع بلاطو شارون ٠ ويبدو ان هذا الائتلاف حتى اذا نجح سيكون ضعيفا ، لذلك فقد بدأ الحديث عن ائتلاف مع حركة يدين ٠ الا ان يدين اعلن ان هناك سبعة شروط يجب ان تتوفر لكي يوافق على الدخول في اي ائتلاف وهي: تغيير تركيب الحكومة ، تغيير طريقة الانتخابات، وضع خطة اجتماعية ، وضع خطة اقتصادية ، اصلاح علاقات العمل ، وضع سياسة واضحة تتعلق بالخارجية والامن ، وضع خطة سياسية واضحة تتعلق بقضية المفاوضات مع العرب ومصير الضفة الغربية ٠ واعلن يدين انه لن يدخل في اي ائتلاف يعارض شروطه هذه ٠ اما اهرون ياريف احد المنضمين لحركة يدين فقد اعلن ان موضوع الضفة الغربية سيمنع الائتلاف بين حركته وبين الليكود٠ الا ان احد زعماء ليكود رد عليه قائلا انه عندما ستصل الامور الىمسالة الانسحاب من الضفة فيمكن عندئذ اجراء استفتاء شعبي حول ذلك ٠

٢٢ قائمة اشتركت في الانتخابات

اشتركت في الانتخابات الاسرائيلية للكنيست التاسع ، التي جرت يوم ١٧ـ٥ ـ١٩٧٧ ، ٢٢ قائمة انتخابية تمثل مختلف الاحزاب والكتل السياسية في اسرائيل ، منها من خاض الانتخابات لاول مرة،ومنها من خاضها في انتخابات سابقة ٠ ويمكن ذكر هذه القوائم على النحو التالي : قائمة المعراخ (حزب العمل مع حزب مبام) ويترأسها شمعون بيريس ويغال الون وابا ايبن ، وقد ورد اسم يتسحاق رابين رئيس الحكومة المستقيل في المكان العشرين في القائمة ٠ قائمة الليكود (حركة حروت مع حزب الاحرار) ويتزعمها مناحم بيغن وسيمحا ارليخ ويغال هورفيتش وعيزر ويزمان ، قائمة الحزب الديني القومي (المفدال) ويترأسها دكتور يوسف بورغ ، الحاخام حاييم دروكمان وزفولون هامر ، قائمة الاحرار المستقلين ويتزعمها جدعون هاوزنار ، ابراهام حسون ، نسيم اليعاد وتسفي نير ، قائمة حقوق المواطن برئاسة شولميت الوني وبوعاز موئاف ، قائمة اغودات يسرائيل برئاسة الحاخميين يهودا ابراموفيتش ومناحم بروش وشلومو لورانس ، قائمة عمال اغودات يسرائيل والمعسكر التوراتي برئاسة لكمان مجين ، ابراهام فيرديجر ، حاييم كاهن ودافيد ملخا ، قائمة السلام والمساواة الاجتماعية (شلي) بزعامة اربيه الياف ، مئير بعيل ، اوري افنيري وسعاديا مرتسيانو ، قائمة الحركة الديمقراطية للتغيير (داش) برئاسة يغال يدين ،

امنون روبينشتاين ، مئير عميت، شموئيل تامير ومئير زوريـــع ، قائمة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ـ الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكح) برئاسة مئير فيلنر ، توفيق طوبي ، تشارلي بيتون ، توفيق زياد ، حنا مويس وابراهام ليفنبراون ، قائمة شالوم تسيون وتضم ٣٥ مرشحا برئاسة اريئيل شارون ، قائمة الفهود الصهيونيين وعمال الانتاج برئاسة فيكتور تيار وميخائيل غولدشتاين ، قائمة الحرية ـ جبهة العمال والفهـود السود بزعامة شالوم كوهين ويهوشع بيريتس ، قائمة التجدد الصهيوني ـ الاجتماعي برئاسة مردخاي بن بورات وشموئيـل ياغـل ، قائمة ارض اسرائيل الكاملة (كاخ) بزعامة مئير كاهانا ، قائمة الجيل الجديد ـ حركة شبان اسرائيل برئاسة تسفي ساعـر وجدعون زينجر ، قائمة اتحاد مهاجري اليمين برئاسة يميني بن ـ حور وحاييم ليفي ، قائمة حزب النسـاء برئاسة شوشنة اليفانس وتميـا بات اوران ، قائمة بلاتو شارون وتضم اسمه فقط ، ثلاث قوائم عـربية وهي . القائمة العربية الموحدة برئاسة سيف‌الدين الزعبي ، وشيخ حمد ابو ربيعة وجبـر معدي ومحمد حسين غدير ، قائمة حركة الاصلاح العربية ويترأسها محمود عباسي وفرحان سعيد ، حركة التعايش والعـدل ويترأسها شوكت مصاروة وعبـد الرحيم جبارة وصبحي سمارة . والجدير بالذكر ان هذه القوائم الثلاث مرتبطة بالمعراخ . ان تسعا من هذه القوائم قد خسرت في الانتخابات .

وقد سبق اجراء الانتخابات نشـاط حـزبي كثيف لاختيار المرشحين وبلورة البرامج المختلفة التي ستخوض الاحزاب الانتخابات بموجبها . وتمثل هذا النشاط بعقد المؤتمرات والاجتماعات الحزبيـة الكثيرة ، خاصة في الفترة الاخيرة قبـل موعد الانتخابات . وقد تميزت هـذه الاجتماعات بالصراعات الداخلية خاصة داخل الاحزاب الكبيرة ، حول اختيـار المرشحين للقوائم ، حيث اسفرت في كثير من الاحيان الى ابعاد شخصيات كثيرة وبارزة ، كان لها دور في الحياة السياسية داخل اسرائيل ، ثم الى ابراز وجوه غير معروفة حتى الان ، خاصة من بين جيـل الشباب داخل الاحزاب المختلفة . فمثـلا تعتبر قائمة مرشحي حزب العمل داخـل المعراخ ، نتيجة حتمية للصراع القائـم داخل الحزب بين جماعة بيريس ، وبين جماعة رابين التي تزعمها انون فيما بعد. كذلك اثر على تركيب هذه القائمة قانون التناوب الذي اقره المؤتمر الاخير للحزب، وبموجبه لا يحق لاي عضو كنيست مـن حزب العمل خدم فترتين متتاليتين او اكثر في الكنيست ، ان يكون مرشحا في قائمة الحزب للانتخابات الا اذا طرح ترشيحه للانتخابات داخل مركز الحزب ونـال موافقة اكثر من ٦٠٪ من الاعضاء . ومن ابرز الاعضاء الذين تغيبت اسماؤهم عن قائمة المرشحين الحقيقيين داخل الحـزب نتيجة قرار التناوب هذا الوزير يسرائيـل جليلي مستشار غولدا مائير سـابقا ، ورئيس الكنيست يسرائيل يشعياهو وهـو يهودي يمني ، ورئيس كتلة المعراخ داخل الكنيست موشي فيرتمان . بالاضافة الـى هؤلاء فقد غاب عن قائمة حزب العمـل وبالتالي قائمة المعراخ ، غولدا مائيـر رئيسة الحكومة السابقة التي استقالت من الكنيست عشية تخليها عـن رئاسـة الحكومة . وكذلك هناك اثنان انسحبـا من الحزب فيما مضى وهما اريبه الياف (رئيس قائمة السلام والمساواة ـ شلي) ومردخاي بن بورات (رئيس قائمة التجدد الصهيوني ـ الاجتماعي) . هذا بالاضافة الى اربعـة اعضاء قدامى توفوا خـلال توليهم المنصب وهـم تسفي جرشوني ،

عوزي بيافرمان بنحاس سابير وابراهام عوفر · كذلك هناك عدد من اعضاء حزب العمل داخل الكنيست قرروا الاستقالة بينهم : يسرائيل كرجمان ، ابراهام زيلبربرغ ، يتسحاق بن اهرون ، يوسف الموغي ، عدي يفة ، اهرون يريف، موشي برعام، متيلدا غاز وسنتا يوسبتل·

لقد اثرت هذه التطورات جميعها على تركيب قائمة مرشحي حزب العمل داخل المعراخ في الانتخابات الاخيرة ، فاذا قارنا بين قائمة الحزب لانتخابات الكنيست الثامن وبين القائمة الحالية نجد ان ٥٠٪ من اعضاء حزب العمل قد تبدلوا ، حيث ان هناك ٢٥ اسما في القائمة الماضية لم ترد في القائمة الحالية · ويعتقد الكاتب امنون برزيلاي (هآرتس ، ١٤ـ٤ـ٧٧) « ان قائمة حزب العمل للكنيست تعكس على الارجح فترة الانحطاط داخله · فقد اختفت منها جميع الشخصيات المعروفة تقريبا ، كما اختفى الذين بلوروا خلال قرن طابع الحزب وصورته كحزب اشتراكي · ومع ان القائمة الحالية هي الاكثر فتوة بين القوائم الماضية ، فان هذا الامر لا يمكن ان يكون ، كما يبدو ، مصدر اعتزاز ··· لقد احتل مكان اعضاء الكنيست البالغين في السن مرشحون شباب (في الاربعينات من عمرهم) ، ولكن سنهم الفتي هذا لا يمكن في اي حال من الاحوال ان يكون ضمانا لمدى كفاءتهم او قدرتهم البرلمانية · فقد نشأ معظمهم من داخل الجهاز الحزبي ـ التنظيمي على غرار سكرتيري تل ابيب والقدس الياهو شفايزر وعوزي برعام ، واعضاء لجنة التنسيق في الهستدروت خلال الاثنتي عشرة سنة الاخيرة يهودا حشاي او شؤول بن سمحون ··· لقد احتل الاماكن الاولى في قائمة مرشحي حزب العمل الوزراء ، كذلك لم توضع اية شخصية اكاديمية في مكان حقيقي · وينطبق هذا الامر ايضا على الاشخاص الذين وصلوا الى مراكزهم نتيجة صراعات عامة او كفاءات شخصية· وخلافا لجميع الاحزاب الاخرى تقريبا ، خاصة الليكود وقائمة يدين ، لم يوضع في قائمة حزب العمل خبراء في القانون والاقتصاد والاجتماع · لقد احتل الناشطون في الحزب جميع الاماكن الاولى. بعد ان توصلت اللجنة التحضيرية (التي اشرفت على تركيب قائمة المرشحين) برئاسة شمعون بيريس ، الى صيغة ترضي مراكز القوى وجماعات الضغط داخل الحزب ··· » والجدير بالذكر ان موشي دايان وزير الدفاع السابق قد احتل المكان السادس في قائمة المرشحين للحزب ، ووضع الوزيرين يادلين ويهوشواع رابينوفيتش في المكانين العاشر والثاني عشر · اما يتسحاق نافون فقد وضع في المكان الثامن والوزير موشي هيلل في المكان الرابع ·

اما بالنسبة لقائمة حزب مبام ، شريك العمل في المعراخ ، فقد تأثرت ايضا بالانتخابات النسرية للمرشحين في مركز الحزب والتي اسفرت عن ظهور اربعة وجوه جديدة في الاماكن السبعة الاولى بين مرشحي مبام لقائمة المعراخ · فمن بين اعضاء الكنيست الستة التابعين لحزب مبام في كتلة المعراخ ، الذين تمثلوا في الكنيست الثامن (العضو السابع هو عبد العزيز الزعبي الذي توفي خلال توليه المنصب) ، اعيد انتخاب ثلاثة فقط وهم اعضاء الكنيست مئير تلمي ، حايكة جروسمان ودوف زاخين · وبالنسبة لعضو الكنيست اهرون افرات فلم يعرض ترشيحه من جديد ، ويبدو انه سيكون وزيرا في الحكومة المقبلة من قبل مبام ، اذا شكلت هذه الحكومة من قبل المعراخ· اما الوجوه الاربعة الجديدة فهي : السكرتير السياسي للحزب نفتالي فيدر ، المحامي موشي عمار من الطوائف الشرقية ، اماري رون

وابراهيم شباط كاتب وصحفي من الناصرة، وكان محرر صحيفة حزب مبام باللغة العربية ، المرصاد ، ويعمل اليوم سكرتير فرع مبام في الناصرة (موشي مايزلس ـ معاريف ، ٤ـ٤ـ٧٧) ٠

« ثورة هادئة داخل الليكود »

وبالنسبة لكتلة ليكود ، ذات « الطابع المحافظ » ، فقد حدث ايضا ما يشبه الثورة الهادئة في تركيب قائمة مرشحي الكتلة للكنيست التاسع ، « ليس بواسطة ضم وجوه جديدة ، وانما عن طريق تقدم اعضاء كنيست من الصفوف الخلفية الى الاماكن الاولى ٠ لقد غيرت قيادة الليكود وجهها تماما ، بعد غياب شخصيات تاريخية تقريبا في حركة حروت وحزب الاحرار من الصف الاول ، سواء عن رغبة منهم ، او نتيجة الانتخابات داخل الحزبين او نتيجة لهذين العاملين في آن واحد » (يهوديت فينكلر ـ هآرتس ، ٤ـ٤ـ٧٧)٠

بالنسبة لحركة حروت حدث اجراءان متوازيان : اولهما انحلال الهيئة الموجهة التي كانت تعمل من حول مناحم بيغن بعد اعتزال دكتور يوحنان بدر ، الثاني في قائمة حروت في انتخابات ١٩٧٣ ، الحياة السياسية ، وعدم قيام حاييم لاندو بترشيح نفسه ، ثم فشل يوسف كرمرمان وهو المرشح الخامس من قبل حروت في انتخابات ١٩٧٣ ـ ومركز القوة التنظيمي في حركة حروت حتى قبل سنة ـ في الانتخابات المسبقة لاختيار المرشحين ، ثم انسحاب دكتور بنيامين هليفي ـ الذي وضع في المكان الثالث في قائمة حروت سنة ١٩٧٣ ـ من الليكود ، وانضمامه الى حركة يدين ٠ والتطور الثاني البارز داخل حركة حروت هو ظهور اعضاء « الارغون » سابقا (منظمة ارهابية بقيادة بيغن كانت تعمل في فلسطين قبل قيام اسرائيل) ، الذين انضموا الى النشاط الفعال داخل الحركة خلال السنين الاخيرة ٠ فعضو الكنيست يتسحاق شامير انتخب للمكان الثاني عشر في قائمة حروت في انتخابات ١٩٧٣ ، والان يعتبر من قيادة الحركة حيث اصبح في المكان الثالث ٠ اما عضوة الكنيست جؤولة كوهن فقد ارتقت من المكان السادس عشر الى المكان السابع ٠ ونتيجة للانتخابات داخل حروت اصبح عيزر وايزمان يحتل المكان الثاني في القائمة ، وبروفيسور موشي ارناس احتل المكان الرابع ، بعد ان سيطر هو ورجاله على فرع الحزب في تل ابيب ٠ وقد كان يحتل المكان الرابع عشر في انتخابات ١٩٧٣ ٠ اما دافيد ليفي من كبار ممثلي حروت في الهستدروت فقد انتخب للمكان الخامس بعد ان كان يشغل المكان العاشر في انتخابات ١٩٧٣ ٠ وابرز الفاشلين في الانتخابات الداخلية في الحركة هو يوسف كرمرمان رئيس فرع تل ابيب سابقا والمرشح الخامس في انتخابات ١٩٧٣ ٠

كذلك حدثت تغييرات كثيرة داخل قائمة حزب الاحرار الشريك في كتلة ليكود ، فقد اختفى من قائمة الحزب هذه المرة كل من دكتور اليميلخ ريملط الذي اعتزل رغبة منه ، واريئيل شارون الذي خاض الانتخابات بقائمة مستقلة (شالوم تسيون) ؛ ويوسف تمير الذي وضع في المكان الرابع عشر بعد ان كان في المكان الرابع في انتخابات ١٩٧٣ ، وعضو الكنيست ابرموف الذي لم يرشح نفسه ٠ وكان من نتيجة الانتخابات ان احتل عضو الكنيست موشي نسيم وجدعون بات ويحزكيئيل بلومين وبيصح جروفار اماكن الزعماء التقليديين : فبعد سيمحا ارليخ زعيم الاحرار ظهر عضو الكنيست موشي نسيم في المكان الثاني في الحزب ٠ وارتفع سكرتير الحزب ، ابراهام شرير ، الى

المكان الخامس (المصدر السابق) (بالنسبة للقوائم الاخرى يرجى العودة الى العدد السابق من شؤون فلسطينية) ٠

المواضيع الاساسية التي اثرت على نتائج الانتخابات

ان كل من يتتبع فترة ما قبل الانتخابات يرى ان الاحزاب ركزت في دعايتها الانتخابية على مواضيع اساسية تتعلق اساسا اما بالوضع الداخلي او بالسياسة الخارجية ومسالة المفاوضات مع العرب والموقف من القضية الفلسطينية ٠ فبالنسبة للوضع الداخلي كانت اهم المواضيع التي طرحت هي تلك المتعلقة بالحالة الاقتصادية السيئة في اسرائيل التي تفاقمت مع اقتراب موعد الانتخابات نظرا للاضرابات العمالية في اكبر المرافق الاقتصادية في البلد ، كالموانىء مثلا ، ثم التضخم المالي السريع وعبء الضرائب الذي يزداد ارتفاعا سنة بعد اخرى، ثم موقف الحكومة من هذه الامور وافتقارها الى الحلول الملائمة خاصة قبل الانتخابات لئلا يؤدي الامر الى غليان بين الجمهور يعود بالضرر على الحزب الحاكم٠كذلك طرحت المواضيع المتعلقة بالوضع الاجتماعي واهمها انتشار الفساد حتى على صعيد الحكم والادارة (قضية رابين وزوجته وقبلها قضية يدلين وقضية وزير الاسكان ابراهام عوفر الذي انتحر بسببها)، ثم تفاقم الهوة الاجتماعية بين الطوائف اليهودية المختلفة وما تعانيه الطوائف الشرقية نتيجة لذلك ٠

لقد استغلت هذه القضايا جميعها استغلالا حسنا خلال فترة الدعاية الانتخابية من قبل جميع الاحزاب المناوئة للمعراخ ، خاصة كتلة ليكود ، التي حاولت اظهار عيوب الحكم وفشله من خلال التطرق الى هذه المواضيع ٠ وقد اظهر استفتاء للرأي العام اجراه الخبير الاحصائي حانوخ سميث (معاريف ، ٢٨-٣-٧٧) ان التضخم المالي يحظى باكبر نسبة من اهتمام المستفتين (٣٤٪) ، ومستوى المعيشة في الدرجة الثالثة (٢٦٪) ، والفساد في الحكم في الدرجة الرابعة (٢٥٪) ، وعبء الضرائب في الدرجة الخامسة (٢٢٪) ٠ اما الهوة الاقتصادية فقد حظيت باهتمام ١٧٪ والاضرابات بـ ١٤٪ والهوة الاجتماعية بـ ١٢٪ ٠

كذلك ركزت قائمة يدين (داش) على الوضع الداخلي حاملة شعار « التغيير » كاساس لدعايتها الانتخابية ، ولا يعني « التغيير » بالنسبة لها شيئا يتعلق بالسياسة الخارجية والموقف من العرب ، كما ظهر في البرنامج الانتخابي للحركة ، الذي لا يختلف شيئا عن موقف الحزب الحاكم وان كان في بعض النواحي اكثر تصلبا ، وانما التغيير الذي تنشده يتعلق اساسا بالوضع الداخلي سواء بالنسبة الى القضاء على الفساد وتقليص الهوة الاجتماعية ، او تغيير طريقة الانتخابات ٠

الموقف من القضية الفلسطينية كما برز قبل الانتخابات

لقد برز الموقف من القضية الفلسطينية ومستقبل العلاقات مع العرب ثم مصير المناطق المحتلة ، بصورته الكاملة خلال الفترة التي سبقت الانتخابات ٠ فلم يبق حزب او كتلة سياسية الا واعربت عن رأيها الكامل في هذا الموضوع ابتداء من الحزب الحاكم ثم احزاب الوسط وانتهاء بالاحزاب اليمينية المتطرفة ٠ ويمكن تقسيم وجهات النظر حول هذا الموضوع الى النقاط الاتية :

اولا : رفض الانسحاب من المناطق المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزه رفضا مطلقا ، وعدم الاعتراف ، بأية

مساهمة اسرائيلية مهما كانت في ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية ، على اعتبار أن الدول العربية هي الملزمة على ايجاد حل لهذه المشكلة ضمن مناطقها · وانطلاقا من ذلك عدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ورفض التفاوض معها ، باستثناء زعيم حركة شالوم تسيون ارئييل شارون ، الذي يؤيد التفاوض مع اية جهة فلسطينية حتى ولو كانت منظمة التحرير ، ولكن بشرط ان يكون الحل الذي يمكن التوصل اليه ضمن هذه المفاوضات خارج الضفة الغربية وقطاع غزه ، حيث يعارض شارون الانسحاب منها · وابرز المعتنقين لهذا الرأي ، أي عدم الانسحاب كليا وعدم التفاوض كليا ، هي كتلة ليكود اليمينية والحزب الديني القومي (المعذال) ·

ثانيا : الاستعداد للقبول بتسوية سياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع الانسحاب من بعض مناطقها فقط ، على أن يكون الاردن الحد الامني لاسرائيل، وان تكون «القدس الموحدة» عاصمتها · ويرفض أصحاب هذا الرأي مبدأ اقامة دولة فلسطينية في المناطق التي ستنسحب منها اسرائيل ، لانها ستشكل حسب رأيهم خطرا أمنيا على وجود اسرائيل لقربها من المراكز السكنية خاصة في منطقة تل ابيب · ويؤيد هؤلاء ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية في اطار اتحاد مع الاردن ، على أن يتم التفاوض بشأن هذا الحل مع السلطة الاردنية وبعض المثليين الفلسطينيين من الضفة الغربية ، ثم معارضة اي نوع من المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية «لانها لاتعترف باسرائيل» · وابرز الاحزاب التي تبنت هذا الرأي ، حزب العمل واحزاب الوسط مثل الاحرار المستقلين وحركة يدين ·

ثالثا : تأييد الانسحاب كليا من المناطق التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، والتفاوض بشأن اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزه تعترف باسرائيل واسرائيل تعترف بها ، مع أية جهة فلسطينية حتى لو كانت منظمة التحرير الفلسطينية · واصحاب هذا الرأي هم اعضاء مجلس السلم الاسرائيلي ـ الفلسطيني ، الذين أسسوا حركة « شلي » بزعامة لوبا الياف ومئير بعيل واوري افنيري وغيرهم · وتؤيد راكاح هذا الرأي مع الاصرار على مفاوضة منظمة التحرير الفلسطينية ·

ولخص يشياهو بن بوررات (يديعوت احرونوت ٨ـ٤ـ٧٧) ومواقف اهم الاحزاب الاسرائيلية على مختلف انتماءاتها على النحو التالي :

حزب العمل : « ستستمر الجهود السياسية لايجاد سلام مع مصر والاردن وسوريا في حدود قابلة للدفاع ، ومن خلال الاستعداد لتسوية اقليمية مع كل من هذه البلدان ، ومع لبنان في الحدود القائمة » ويعتقد الكاتب في بداية المقال ان حزب العمل ابدى تحولا سياسيا في استعداده للقبول بتسوية اقليمية مع الاردن ، وهذا يعني انسحابا جزئيا من الضفة الغربية وقطاع غزة · وعلى هدا الاساس تبرز هنا المشكلة التي اثارها وزير الدفاع السابق موشي دايان الذي اعتبر ان هذا الامر معناه منح حرية التصرف للحكومة المقبلة للانسحاب من الضفة الغربية ، وطالب بالتزام علني باجراء انتخابات قبل اي انسحاب كما التزمت في السابق حكومتي غولدا مائير ويتسحاق رابين · وقد هدد دايان بالانسحاب من حزب العمل والانضمام الى كتلة ليكود في حال عدم التقيد بطلبه هذا · الا أنه تراجع فيما بعد بعدما تسلم رسالة خطية من رئيس الحكومة المستقيل يتسحاق رابين يعلن بها انه «لايعارض مبدئيا ذلك البند الذي يفوض الحكومة

باجراء مفاوضات مع الاردن واتخاذ قرارات في كل مرحلة من مراحل المفاوضات · ولكن لن يتم تحقيق اتفاق سلام مع الاردن ينص على تنازل اقليمي عن مناطق في اليهودية والسامرة قبل التوجه الى الشعب في انتخابات جديدة ، اذا كان هذا مطلب احدى الكتل الشريكة في الائتلاف الحكومي»(معاريف ٤-٤-٧٧)

الاحرار المستقلون : يشابه موقفهم موقف حزب العمل، حيث ورد في برنامجهم الانتخابي مايلي : «من اجل تحقيق سلام والحفاظ على طابع دولتنا اليهودي ، توافق اسرائيل على تسوية اقليمية على جميع الجبهات · ان سياسة اسرائيل هذه تلزم قيام دولة يمكن الدفاع عنها ،وتجريد المناطق التي سينسحب منها جيشاسرائيل من السلاح » ·

حركة يدين : تبدي حركة يدين (داش) تصلبا اكبر في هذا الموضوع · فقد ورد في برنامجها الانتخابي ان « لشعب اسرائيل حق تاريخي في ارض اسرائيل، ولمناطقها اهمية امنية ذات قيمة كبيرة · رغم ذلك يلزم السعي نحو السلام والحفاظ على الطابع اليهودي ـ الديمقراطي للدولة ، استعدادا للقبول بتسوية اقليمية من خلال ضمان شروط الامن كجزء غير منفصل من اتفاق سلام تعاقدي وحقيقي يؤدي الى خلق اجواء طبيعية في المنطقة ·· وفي اتفاق السلام يتم توفير حدود امنة ، حيث يكون الاردن الحد الامني من الشرق ، مع ضم مناطق واقعة الى الغرب منه ، تكون ضرورية للسيطرة الامنية عليه · وينبغي معارضة اي انسحاب في الجبهة الشرقية ، سالم يكن مرفقا باتفاق سلام كامل» ·

الليكود : «ان حق الشعب اليهودي في ارض اسرائيل هو حق ابدي ، غير قابل للطعن ، وهو متماثل مع الحق في الامن والسلام · لذلك فان اليهودية والسامرة لن تسلم الى أي حكم اجنبي · وبينالبحر وبين الاردن ستكون السيادة الاسرائيلية فقط · ان كل مشروع يتضمن تنازلا عن اجزاء في ارض اسرائيل الغربية ، يطعن في حقنا في هذه الارض ، ويؤدي بصورة غير مستبعدة الى اقامة دولة فلسطينية ، تشكل خطرا على أمن السكان المدنيين وعلى وجود اسرائيل ، وتحبط كل امكانية للسلام» ·

هذا يعني ان ليكود يدعو علنا الى ضم الضفة الغربية الى اسرائيل ·

حركة شارون (شالوم تسيون) : «ينبغي ان يعيش اليهود في جميع اجزاء ارض اسرائيل ، بموجب حقنا التاريخي غير القابل للطعن في ارض اسرائيل · وكما يعيش العرب اليوم في جميع اجزاء ارض اسرائيل ، هكذا سيعيش فيها اليهود» ·

الحزب الديني القومي : «يعارض الحزب كل مشروع يتضمن تنازلا على اجزاء من ارض اسرائيل التاريخية ارض اجدادنا ، ولن يسلم بمشروع كهذا ، ان ممثلي المفدال لا يمكنهم ان يكونوا شركاء في اي مشروع تقدمه اسرائيل ، ولايشتمل على بقاء اليهودية والسامرة» ·

راكح : «يجب ان تنسحب اسرائيل من جميع المناطق التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ · يجب ان تكون حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ الحدود المعترف بها والامنة · يجب الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، واقامةدولة مستقلة الى جانب دولة اسرائيل ذات السيادة» ·

حركة « شلي» « ان انشاء دولةعربية ـ فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل يكون ثمرة مفاوضات بين حكومة اسرائيل وبين هيئة معترف بها ومفوضة للعرب الفلسطينيين ، وذلك بدون رفض المفاوضات مع م · ت · ف على اساس

الاعتراف المتبادل · ويرتكز خط الحدود بين اسرائيل والدولة الفلسطينية على خطوط الهدنة كما كانت قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، مع تغييرات يتفق عليها بين الاطراف ، وبعد تسوية مشكلة القدس · وتحافظ اسرائيل على ارتباطها بالصهيونية وبالشعب اليهودي في المهجر، بينما تحافظ الدولة الفلسطينية على ارتباطها بالعالم العربي» ·

ميام (شريك حزب العمل في المعراخ) : «تعلن اسرائيل عن استعدادها لاخلاء المناطق التي تحتفظ بها في سيناء ، الضفة الغربية والجولان ، وعن استعدادها لانسحاب بعيد المدى ، مع تعديلات ضرورية في الحدود ، تلزمها متطلبات أمنها ورغبتها في السلام، وفي حدود امنة ومعترف بها ومتفق عليها · وتلزم اسرائيل حلا سياسيا يرتكز على قيام دولتين مستقلتين تتمتعان بالسيادة : اسرائيل ودولة عربية اردنية ـ فلسطينية ، يتجسد فيها حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني » ·

الاتجاه المتصلب هو المسيطر

من المتوقع ان يزيد فوز الليكود في الانتخابات الاخيرة الاتجاه المتصلب من القضية الفلسطينية في المستقبل · فالاحزاب اليمينية المتطرفة تعلن صراحة عن رغبتها في ضم المناطق في الضفة الغربية وقطاع غزه الى اسرائيل · «في حال فشل المفاوضات مع العرب حول السلام» · وربما سيقوم الحكم الجديد بالخطوة الاولى في اتجاه الضم بعد اعلان الحكومة ، وذلك **بفرض القانون الاسرائيلي على الضفة الغربية وقطاع غزة** · هذا ما اعلنه زعماء ليكود حتى قبل الانتخابات والامر الثاني هو توسيع الاستيطان في جميع انحاء المناطق المحتلة بدون اي رادع ، خاصة ان اعضاء الحركات الاستيطانية الدينية المتطرفة . امثال غوش ايمونيم هم من انصار ليكود·

حنه شاهين

(ج) مناحيم بيغن من الارهاب الى السلطة

ولد مناحيم بيغن يرم ١٦ـ٨ـ١٩١٣ في بريسك ببولونيا · وكان والده صهيونيا وسكرتيرا للجالية اليهودية هناك · وقد انهى بيغن دراسة القانون في جامعة وارسو · وانضم في سن مبكرة الى منظمة بيتار (حركة الشبيبة التابعة للصهيونيين الاصلاحيين اليمينيين) وتاثر الى حد كبير بشخصية وافكار جابوتنسكي · وفي عام ١٩٣١ انضم الى مفوضية بيتار في بولونيا · ولدى بلوغه سن الثالثة والعشرين اصبح ممثل بيتار في تشيكوسلوفاكيا . وبعد سنتين تسلم مفوضية بيتار في بولونيا · وفي تلك الفترة تم اختياره للمركز العالمي التابع

للمنظمة الصهيونية الجديدة (الاصلاحية) · ويعتبر بيغن من الجناح المتطرف للحزب · وعندما اندلعت ثورة ١٩٣٦ في فلسطين قام بيغن بتنظيم المظاهرات امام القنصلية البريطانية في وارسو ، وتم اعتقاله لفترة قصيرة ·

وعندما احتل النازيون بولونيا ، هرب الى فيلنا · وفي سبتمبر من عام ١٩٤٠ اعتقله البوليس السري الروسي ، وحكم عليه بالسجن ثماني سنوات مع الاشغال الشاقة ونقل الى شمال شرقي روسيا · ولكنه لم يمكث هناك سوى سنة واحدة حيث اطلق سراحه بعد اتفاقية ستالين ـ شيكورسكي · وفي شهر نيسان ١٩٤٢ وصل بيغن الى فلسطين ، كجندي في الجيش البولوني قادما من روسيا ، وكانت منظمة الاتسل تعاني من الازمات والانشقاقات، فرأى البعض في قدومه خلاصا من هذه الازمات · لهذا طلبت منه المنظمة الانضمام الى صفوفها ، حيث اخذ اجازة من الجيش البولوني ، وعين للعمل في قيادة الاتسل ، ولكن الجيش البولوني استدعاه للخدمة مرة اخرى ، فترك المنظمة وعاد الى الجيش · وبتاريخ ١ـ١٢ـ١٩٤٣ ، نجح حزب الاصلاحيين في اقناع السلطات البولونية بتسريحه من الجيش · ومن يومها تسلم قيادة منظمة « الاتسل » واطلق عليه اسم حركي « بن دافيد » ، وقد تسلم القيادة بصورة رسمية يوم ٢٦ـ١ـ١٩٤٤ ، وبقي قائدا لهذه المنظمة حتى عام ١٩٤٨ ·

لا يؤمن بيغن بشيء اكثر من الحرب ، ويؤمن انه يمكن بواسطتها تحقيق كل شيء ، وهو من الذين اطلقوا فلسفة « نحن نحارب ، فنحن اذن نكون » · وبهذا المبدأ حارب بيغن هو ورجال منظمته كل من وقف في طريق تحقيق اهدافهم في اقامة دولة يهودية على ارض فلسطين · فحاربوا الانكليز وحاربوا العرب كما حاربوا اتباع وايزمن وبن غوريون ـ لاعتقادهم بأن سياسة الدبلوماسية التي استنها وايزمن ما هي الا تمييع لقضية الصهيونية واهدافها ·وكانوا في كل مناسبة يحثون الوكالة اليهودية على اتباع سياسة العنف . ويصف نفسه ، بأنه « رجل حرب » ، يثق بأن اسرائيل تستطيع ان تهزم الدول العربية شرقا وغربا وفي نفس الوقت · ويؤمن باسرائيل الكبرى التي تمتد من الصحراء الى البحر ، ويعتبر ان شرقي الاردن هي جزء من الدولة اليهودية كما يؤمن بأنه لن يكون هناك سلام لا للعرب ولا لليهود ، طالما لم تتحقق اسرائيل الكبرى ·

وقد نفذت منظمته الاتسل وتحت قيادته العديد من اعمال القتل والسلب الجماعية ، ضد الابرياء من ابناء الشعب الفلسطيني ، وكان اهمها مجزرة دير ياسين التي ذهب ضحيتها، كما اعترفت به منظمة « الهاغاناه » اكثر من ٢٥٠ شخصا ، وكان من بينهم الاطفال والنساء والشيوخ دون اي تمييز او رادع · وقد قام بيغن ومنظمته بذلك ، « لتنظيف » العرب واقتلاعهم من فلسطين ، وقد اعترف بيغن نفسه ، بان عملية دير ياسين ، قد افادتنا اكثر من مائة معركة ، حيث ارادوا ان يوضحوا للسكان العرب ، ان البقاء في قراهم ومساكنهم ، معناه انه ينتظرهم نفس المصير · وكذلك نسف فندق الملك داود وغيرها من الاعمال الاجرامية البشعة ·

وكان بيغن قد وعد ممثلي المجلس الصهيوني العام ، بالانصهار في الجيش الاسرائيلي عند قيام الدولة ·وفيحزيران١٩٤٨ تعهد مرة اخرى فيانضواء « الارغون » تحت لواء ما يسمى جيش الدفاع الاسرائيلي ، وان تتوقف عن العمل كوحدة عسكرية مستقلة وان تنهي نشاطها المستقل للحصول على السلاح · غير ان هذا التعهد لم ينفذ بكامله ، فكان ان لجأت الحكومة الاسرائيلية الى القوة لفرض سلطانها · ولكن الارغون استمرت

في القدس على انفصالها بحجة ان المدينة لم تكن ضمن حدود « الدولة » ، فوجه لهـا انذار نهائي في ٢٠ ايلول ١٩٤٨ لم تملك المنظمة الا الانصياع له والانصهار في الجيش الاسرائيلي ٠

بعد الحرب ترك المدنيون من الاصلاحيين « المنظمة الصهيونية الجديدة » وعادوا الى المنظمة الصهيونية العالمية ، غير ان بيغن وجماعته رفضوا تلك الخطوة ، وكونوا عام ١٩٤٨ حزبا صهيونيا سمي « حزب حيروت » وانتخب بيغن الارهابي المعروف ، رئيسا له ، وبقي في هذا المنصب حتى هذه الساعة ٠

وقبيل انتخابات الكنيست عام ١٩٦٥ ، اتحد حزب حيروت وحزب الاحرار وشكلا كتلة جديدة سميت بكتلة « جاحل » وبقي بيغن رئيسا لها ، وتم قبيل انتخابات ١٩٧٣ ، تشكيل كتلة جديدة من مجموعة من الاحزاب ، حيروت ، والاحرار والقائمة الرسمية والمركز الحر ، اطلق عليها اسم الليكود « التكتل » وانتخب بيغن رئيسا لها ٠ وهذه الكتلة « الليكود » هي التي حققت انتصارا في الانتخابات الحالية ، على التجمع « المعراخ » ٠

ح٠ب٠

جدول بالعمليّات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية

في ١/٤ - ٣٠/٤/١٩٧٧

الرقم	تاريخ العملية		موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو	
	اليوم	الساعة				قتيل	
١	٤/٤	١١,٤٥	البقعة – القدس المحطة الرئيسية للقطارات	تفجير	عبوات ناسفة وموقوتة	غير محدد	
٢	٤ / ٣	١٨,٠٠	ميدان باب العامود القدس	هجوم	قنابل يدوية		
٣	٤ / ٤	١٨,١٥	ميدان باب العامود القدس	هجوم	قنابل يدوية	غير محدد	
٤	٤/٣	٢,٠٠	بيت الشباب الصهيوني شارع كيوم – حيفا	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	
٥	٣ / ٣٠	٢١,٠٠	مستوطنة كفار عصيون	قصف مدفعي	مدفع عيار ٨٢	غير محدد	
٦	٤ / ٧	٢٠,١٥	مكتب العمل الصهيوني بلدة دورا–قضاء الخليل	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	–	
٧	٤ / ١٣	٢٢,٣٠	منزل ضابط التحقيق في مستوطنة باب يام جنوب تل أبيب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	–	
٨	٤ / ١٥	١٨,١٥	مصنع ماسكيت لصناعة السجاد المنطقة الجنوبية لقرية أم الفحم	تفجير	عبوات حارقة موقوتة		
٩	٤ / ١٨	١,٠٠	أحد المقاهي الصهيونية شارع هاعتسيل – حي تكفا تل أبيب ومحطة الباصات القريبة من المقهى	هجوم	أسلحة رشاشة وقنبلة يدوية	غير محدد	
١٠	٤ / ٢٢	٥,١٥	بنك لئومي الصهيوني قلقيلية	تفجير	عبوات حارقة موقوتة	– –	
١١*	٤ / ٢٤	٧,٢٠	أحد الباصات التابعة لشركة ايجور قرب مركز ابن شموئيل على بعد ١٠ كلم من كريات جات	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	

*اعترف راديو العدو بالعملية وقال في نشرته باللغة العبرية الساعة العاشرة من صباح ٧٧/٤/٢٤ ان ناسفة داخل الباص اثناء توجههم من كريات جات الى بئر السبع وان قوات الامن الصهيونية لم تعتقل اصيبوا داخل الباص بلغ ٢٧ مستوطنا وان قوات الامن اعتقلت ٦٠ مواطنا فلسطينيا .

البشرية	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة			المصدر البلاغ العسكري	
جريح		قتيل	جريح	مفقود	رقم	تاريخ
غير محدد	إصابة عربة القطار بأضرار وتحطم معظم محتوياتها	–	–	–	٧٧ / ٣٥	٤ / ٤
٣	إصابة السيارة العسكرية بأضرار بالغة	–	–	–	٧٧ / ٣٦	٤ / ٥
غير محدد	–	–	–	–	٧٧ / ٣٧	٤ / ٥
غير محدد	١ – اتلاف معظم محتويات البيت من أثاث ٢ – تصدع أحد جدران	–	–	–	٧٧ / ٣٨	٤ / ٨
غير محدد	١ – اصابة مبنى حرس الحدود ٢ – اصابة الوسط التجاري ٣ – خسائر في الممتلكات	–	–	–	٧٧ / ٣٩	٤ / ١٠
١	١ – تدمير جميع محتويات المكتب من أثاث وملفات ٢ – إصابة الحارس المكلف بحراسة المكتب	–	–	–	٧٧ / ٤٠	٤ / ١٠
غير محدد	١ – تدمير واتلاف معظم محتويات المنزل ٢ – تحطم معظم زجاج المبنى والمباني المجاورة	–	–	–	٧٧ / ٤١	٤ / ١٤
–	اندلاع النيران داخل مخزن للصوف وغرف الآلات وأتت على محتوياتها بالكامل	–	–	–	٧٧ / ٤٢	٤ / ١٨
غير محدد	–	–	–	–	٧٧ / ٤٣	٤ / ١٨
	١ – اندلاع النار داخل البنك ٢ – تدمير الأثاث والمحتويات في داخله	–	–	–	٧٧ / ٤٤	٤ / ٢٤
غير محدد	١ – تدمير الياس تدميراً كاملا وتدهوره ٢ – إصابة وقتل جميع الركاب .	–	–	–	٧٧ / ٤٥	٤ / ٢٥

٢٠ مستوطنا اصيبوا بجروح نتيجة انفجار عبوات
احدا . ثم عاد راديو العدو ليقول ان عدد الذيـن

مروان حميد

محلات الشرق للأثاث المنزلي

عوض عيسى الشعاني

باب العزيزية - طرابلس ج ع ل
هاتف ٣٣-٤٦ ص.ب ٤٣٨٧

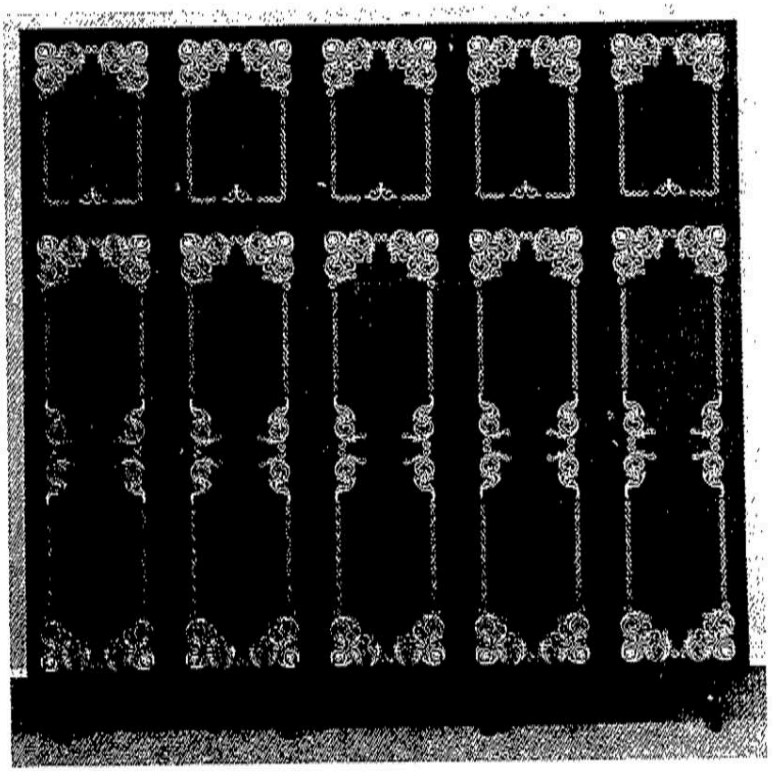

GARANT

pohištvena industrija, Polzela – Telefon: Polzela (063) 720-007 ali 720-009 – Teleks: 33584 – Poštna št. 63313

EXCLUSIVE PRODUCTION FOR SLOVENIJALES

WARDROBE Type PD5/D

Finish: light palisander colour, high gloss, screenprinted decoration D

Overall sizes: 2500 mm wide
2480 mm high
586 mm deep

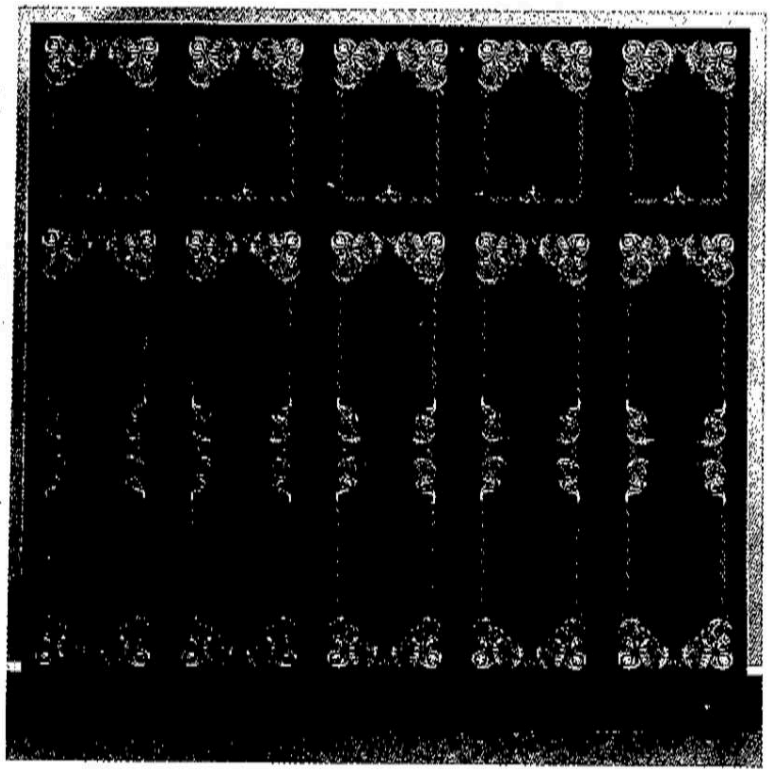

شركة عصام
للمقاولات العامة

Essam Co. For General Contracting

Abu Dhabi - U.A.E. ابوظبي-الامارات العربية المتحدة

Cable : " ESSAMCO "
Tel. : 61639
P. O. Box 4121

برقياً : عصامكو
تلفون : ٦١٦٣٩
ص.ب : ٤١٢١

شركة عصام للمقاولات العامة
ابوظبي - شارع الخالدية
ص.ب ٤١٢١
دولة الامارات العربية المتحدة

شركة مناطق ابوظبي البحرية "ادما"

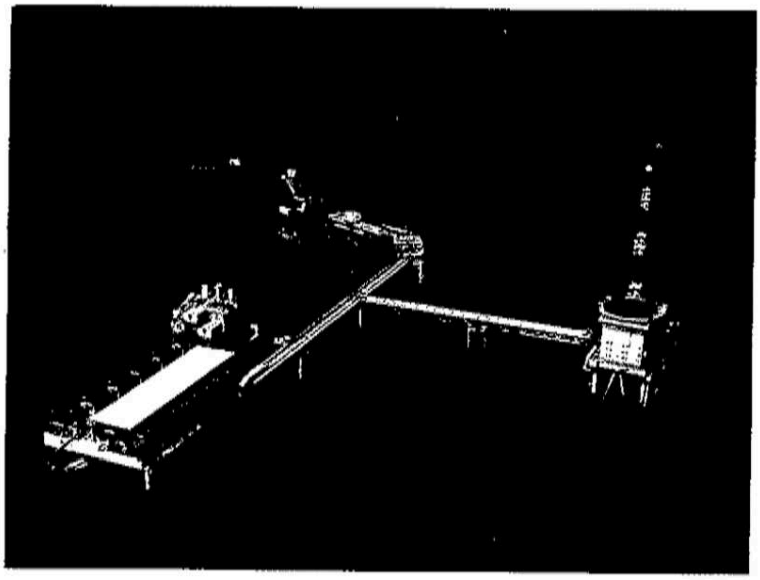

مجمع منشآت ام الشيف الذي أنجز انشائه في نهاية عام ١٩٧٦.
ان الغرض من بناء المجمع هو توفير طاقة كبيرة لحقن الماء في الحقل من اجل الحفاظ على مستوى الضغط في الآبار.
تقوم الشركة الآن بإنشاء مجمع مماثل في حقل زاكم والذي يعتبر من اكبر حقول شركة "ادما".

ص.ب ٣٠٣ - ابوظبي - الامارات العربيّة المتحدة

شركة المقاولات العربيّة

عدنان درباس

ابوظبي - شارع الشيخ زايد الثاني

ص.ب : ٢٣٨

هاتف : ٢٢٦٦٨

٢٢٧٤١

تلكس : ٢٥٥٨

دولة الامارات العربيّة المتحدة